علي مروّة

تاريخ جباع

ماضيها وحاضرها



القرية اللبنانية والجنة الضائعة التي انطلق
منها الفكر العاملي في لبنان والاقطار الشرقية

الانتشار العربي

تاريخ جباع

البلد

ماضيها وحاضرها

القرية اللبنانية والجنة الضائعة التي انطلق منها
الفكر العاملي وشع في لبنان والأقطار الشرقية

تأليف

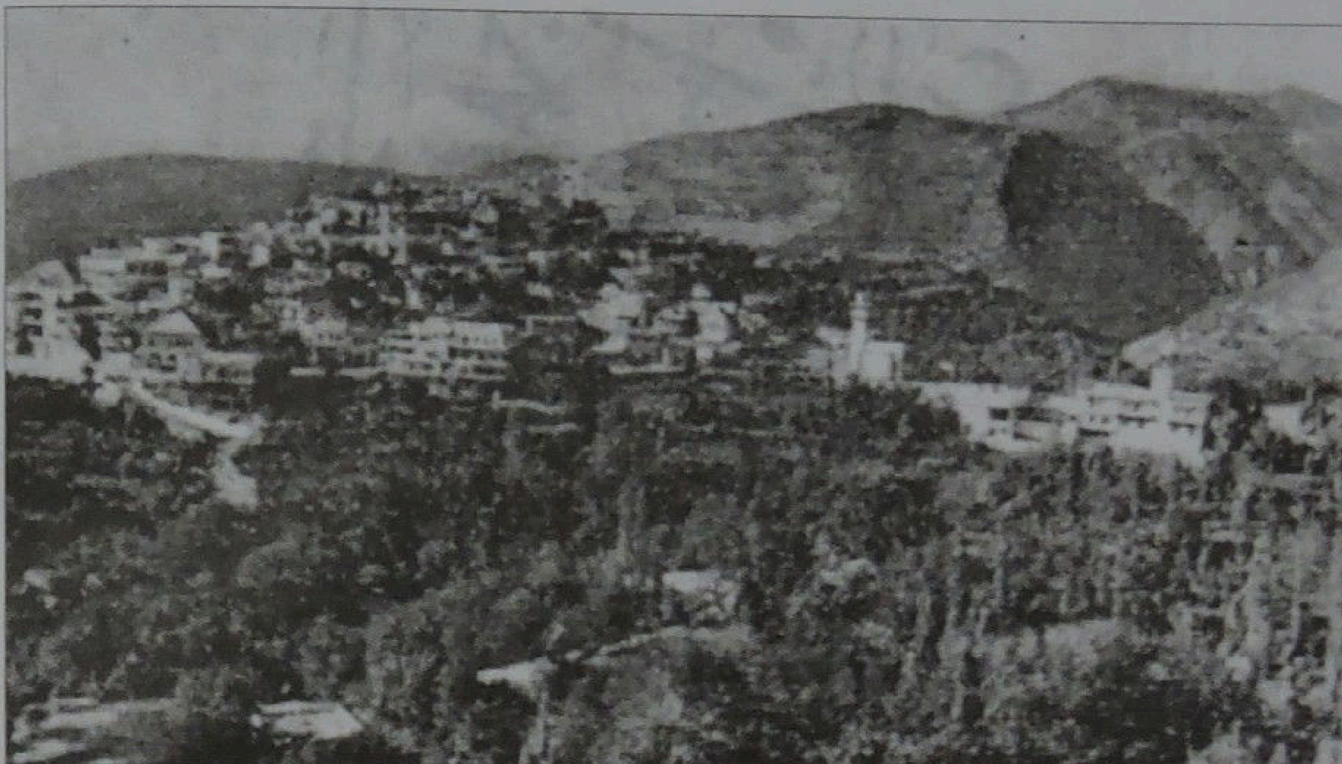
علي مروّة

قدّم له

نخبة من أعلام الفكر في لبنان

مؤسسة
الانتشار العربي
Arab Diffusion Company

منظر عام لجباع



مؤسسة الانتشار العربي
Arab Diffusion Company

ص.ب: 5752/ 113
E-mail: arabdiffusion@hotmail.com
www.alintishar.com
بيروت ـ لبنان
هاتف: 659148 ـ 1 00961
فاكس: 659150 ـ 1 00961

ISBN 978-614-404-151-2

الطبعة الثانية 2011

كلمة العلامة
الدكتور فؤاد افرام البستاني(١)

هوذا تاريخ جباع ـ جباع الحلاوة ـ في ماضيها وحاضرها: ما اطلع عليه أحد إلا أكبر همَّة مؤلفه السيد علي مروّة، رئيس بلديتها الناهض. وإني لأصرّ على نعتها بالحلاوة، لا تمييزاً لها عن سمياتها فقط، بل تأييداً لما في هذا النعت من جمال المنظر ولطف المذاق. وهي جديرة بذلك بفضل ما نستشفّه من خلال هذا المؤلف الجامع لأمجاد الماضي، ومظاهر الحاضر، وطاقات المستقبل.

يتناول القسم الأكبر من الكتاب تراجم المشهورين من نوابغ جباع: فقهاء وعلماء وأدباء، وشعراء. وفي طليعتهم، في العهد الأول، الشيخ زين الدين الجبعي المعروف ـ بالشهيد الثاني ـ وفي العهد الثاني الشيخ عبد الله نعمة الكبير، يحفُّ بهما نحو الستين من رجال الفكر، حملة العلم والأدب، أقاموا من جباع، على مختلف عصورها، ملتقى العلماء وسوق عكاظ الأدباء، وجعلوا منها أحد موائل المعرفة في لبنان، أيام كان ظلام الجهل يخيم على الكثير من أقطار الضاد. وقد تخلل هذين الفصلين فصل أليم خصّه الكاتب بذكر «الحوادث والكوارث» التي مُنيت بها بلدته بل منطقة جبل عامل بأسرها. حتى إذا أقبل العصر الحاضر اغتبطنا بتباشير النهضة التي أخذت تعطي ثمارها اليانعة، فترفع جباع إلى مستوى البلدان العصرية مرافق عمرانية، وخدمات اجتماعية. وإنه ليسرنا التنويه بما جمع الكاتب من معلومات شاملة في هذا الموضوع ومن إحصائيات سكنية وبشرية واقتصادية مع الخطوط البيانيّة والخرائط والتصاميم الموضحة.

ولقد وددنا لو قام كل رئيس بلدية في مختلف الأنحاء اللبنانية، فأقبل على بلدته بهذه

---

(١) رئيس الجامعة اللبنانية السابق.

العناية الحفية وهذا التقصي البالغ، وأخرج من مطاوي التاريخ، واستخرج من تتابع التقاليد الشعبية، والعادات المحلية، وانتخب من خصائص الموقع وميزات المناخ، ما يُعرف بلدته تعريف المؤلف لجباع، بعطف ومحبة لا ينفيان الدقة والضبط؛ إذاً لكان لنا خير مجموعة في تعريف لبنان بأسره.

وفق اللّه الكاتب، وحقق لبلدته ما يكنّه لها من تمنيات!

١٩٦٧/٩/٢١

فؤاد افرام البستاني

كلمة سماحة
العلامة الإمام السيد موسى الصدر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الرحمن، الذي علّم القرآن، وخلق الإنسان، علمه البيان، والصلاة والسلام على نبيّه الأميّ الذي أتاه الحكمة والفرقان، وعلى آله الأكرمين، الراسخين في العلم والتبيان.

وبعد، فبين يديّ كتاب ـ تاريخ جباع ـ أنظر فيه وأقرأ على وجه القارىء سؤالاً؟!!

جباع، هذه الكلمة وما وراءها تلك الحدائق النضرة والمروج الخضر المفروشة على الأرض المائجة، والمنقوشة على أذيال جبل صافي؛ وتلك العيون الجارية التي تحيط بها، وترضعها بالغدو والآصال.

جباع هذه الكلمة التي يتجاوز معناها بضع كيلومترات من الأرض، هل تستحق كتابة تاريخ؟!!

والتاريخ، اعتراف بتأثير الشيء أو عطائه لأوضاع الإنسان، كل إنسان، وشهادة حق مقبولة أمام العالم، كل العالم؛ جباع هذه، هل تستحق كتابة تاريخ؟

سوف أترك الجواب المفصّل عن هذا السؤال للكتاب القيم الذي هو بين أيدينا، وأقول وأسجّل هنا كلمة موجزة تلقي بعض الضوء على السؤال والجواب معاً!!

جباع، هذه الكلمة الطيبة التي باركها الله تعالى وأذن لها أن ترفع، فجعلها كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، فشملت العالم، كل العالم، بظلالها، وانتشرت في القرون والأعصار بثمارها، لصالح الإنسان، كل إنسان.

وقد أدّى أبناء جباع الأعلام دوراً بارزاً في إيضاح مبادىء دين اللّه، وتعاليم رسوله، ونشر معالم مذهب آل البيت في حقول العقيدة، والتفسير، والتشريع، والأخلاق، وساهموا مساهمة فعّالة في تكوين ثقافتنا، وفي نشر حضارتنا الإنسانية الحقة، التي قدّمت للعالم أنفس هدية، ومهّدت السبل للحضارات، والثقافات البشرية بعدها، وأناروا الطريق بسيَرهم المخلصة، وخلقهم الكريم، ووضعوا نماذج حيّة من حياتهم المُشرقة، كانت ولا تزال، أعلام الطريق، ومصابيح تُهدي التائهين إلى الصراط المستقيم، وتخطّوا الصعاب، وذللوا العراقيل، التي كانت ولا تزال تواجه الحركات المخلصة، بصبرهم وجهادهم، وترفّعهم، فسموا، وسلكوا في المسيرة الإنسانية المقدَّسة التي تربط بين الأرض والسماء، وتصل الجسم بالروح، والدنيا بالآخرة.

إن تاريخ جباع، جزء أساسي من تاريخ الشّرق المُشرق، وإنّ ما قدمه الشرق المؤمن الوفي، للعالم المعاصر المجاهد، من تراث كبير، لا يستغني عن دور جباع الأصلي.

فجباع، خالدة بخلود الدين الإسلامي ومذهب آل الرسول عليهم السلام.

وجباع، تعيش مع الحضارات الإنسانية الحقّة.

وجباع، تؤرخ مع القيم والمثل، والشرف الرفيع الناهد إلى الخلود.

وجباع صفحات مشرقات في تاريخ لبنان!!

إنّ من يزور جباع، يسمع من نسيمها مناجاة، ونصيحة، وأبحاثاً، كلها صادرة من أبنائها العلماء الأبرار، تموج في أجواء جباع، وتتعداها، إلى العالم، كل العالم.

ويُقرأ في أرض جباع، وعلى تلالها، وتحت وارف ظلالها، سطور السعي الدائب، والجهاد المتواصل، لإقامة الحق ولإنقاذ الإنسان، من الظلمات إلى النور.

ويرى بقلبه البذور الطيِّبة التي وضعت في هذه البقعة المباركة، فقدمت للعالم، ما نرى وما يرون، ويتجاهلون.

ومن أجدر من الأخ الحميم المفضال الشيخ علي مروة أن يترجم هذه الأُسرات، وأن يسجل تلك الفترة، وأن ينقل السطور المقدمة هذه!! من أجدر منه، وقد شمّر عن ساعد الجدّ، فقدم في الفترة القاسية التي ألبست جباع ثوب الإهمال، خدمات عمرانية كبرى!!

وقد توّجها بتقديم هذا السفر النفيس، ـ تاريخ جباع ـ حيث خلّد خدماته، وخلّد نفسه

مع الخالدين، فجزاه اللّه خيراً وأجزل له أجراً.

وفي تمنياتي لتوفيقه، وابتهالي إلى اللّه لنجاحه لا أخفي أملي الكبير من أجل إقامة مزار يستقبل زائري علماء جباع الماضين قدّس اللّه أسرارهم، ويأوي الأوفياء من أبنائها البررة.

من أجل إقامة مشهد يرمز إلى تكريم هؤلاء الأبطال، ويبني على مزاري صاحب العلم الشيخ حسن ابن الشهيد الثاني، وصاحب المدارك السيد محمد قدّس اللّه سرّهما، وهما درّتا التاج في رأس جباع، ومن أبنائها العظام، من أجل ذلك، نبتهل إلى اللّه مرّة أخرى، وندعو للمؤلف الحميم بالتوفيق والسلام.

أيلول ١٩٦٧م جماد الثاني ١٣٨٧هـ صور.

موسى الصدر

كلمة العلامة
الدكتور صلاح الدين المنجد

تفرّد العرب المسلمون في لون من التواليف لا نجده في آداب الأمم الأخرى هو التأريخ للمدن من خلال تراجم المشاهير من العلماء والأعلام. فكان في التراث العربي من هذه التآليف الكثير، كتاريخ دمشق للحافظ ابن عساكر، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي، وتاريخ جرجان للسهميّ وتاريخ حلب لابن العديم. وغيرها.

وإن مما يدعو إلى البهجة والسرور أن نجد هذا اللون من التأليف غير منقطع في عصرنا الحاضر. وأن نرى هذا التاريخ يؤلّف عن قرية جباع التي رفّ تاريخها وأزهر، بما شعّ منها من ثقافة إسلامية ملوّنة إلى العالم الإسلامي كلّه، من خلال ما خلّفوه من تواليف غنيّة ثريّة في نواحي المعرفة والثقافة.

ولقد أحسن المؤلف غاية الإحسان في كتابة تأريخه هذا، وإنه لآية وفاءٍ وحب لبلدته المغمورة، التي لو كانت في بلاد أخرى لكُتب عنها الكثير وأُلّف في تاريخها الكتب الطّوال. ولعل هذا التاريخ ينبّه أولي الأمر إلى شأن هذه القرية في تاريخ لبنان وتاريخ الثقافة الإسلامية كلها فتنال من العناية، ما يليق بها وبماضيها.

لقد حاول المؤلف أن يقدّم لنا صورة جامعة لجباع، وأن يترجم لعلمائها وأعلامها ورجالاتها، ولقد كان موفقاً في عمله، رجع إلى المصادر المختلفة الصّعبة المنال، فنقر فيها ونبش وجمع، فكان في كتابه ما تفرّق في عشرات وعشرات من المصادر القديمة التي يصعب الرجوع إليها.

وإذا كان المؤلف قد عُني بالماضي فإنه لم يُهمل الحاضر فقد قدم لنا صورة ثانية عن جباع في يقظتها الجديدة، وما تمّ فيها من مشروعات اجتماعية وعمرانية وثقافية، كان للمؤلف نفسه يد طولى في تحقيقها.

ويكفي المؤلف فخراً أنه قدم للبنان تاريخاً هو مما يفخر به لبنان نفسه، وإنه لجدير أن يكون في كل مكتبة ومدرسة.

والمأمول أن يلقى هذا التاريخ الرواج الواسع، وأن يغمر مؤلفه بالتكريم الأوسع.

بيروت في ٢٢ أيلول سنة ١٩٦٧

صلاح الدين المنجد

كلمة العلامة المرحوم الشيخ عبد اللّه نعمة[١]

(جُبع) هذه القرية الصغيرة بحجمها، الفقيرة بمواردها، كانت لحقبة طويلة من الدهر، كبيرة في معناها، غنية بآثارها، وخصبة برجالها الذين حملوا مشعل النور والعلم، ليضيئوا طريق أمة بأسرها، كادت تختفي من أمامهم معالم الطريق، وهم يتسكعون في ديجور الأمية والجهالة.

كانت هذه القرية كغيرها من قرى هذا الجبل الشامخ المتواضع، جبل عامل، مغمورة، ليس فيها ما يثير اهتمام المؤرخين بها، ولا ما يحرك فضول الكاتبين. ولم تكن ميداناً لعمليات عسكرية، أو مجالاً لحوادث تاريخية تلفت النظر، عدا حوادث قليلة تمر في بعض سطور التاريخ مروراً.

وظلت (جُبع) وهذا شأنها حتى أوائل القرن الثامن الهجري، وإذا هي تقفز للظهور فجأة، دون أن يكون لحاضرها صلة بماضيها، وإذا بها تصبح أحد الروافد العلمية الغزيرة، للحركة الثقافية العنيفة في جبل عامل، ومداً رئيسياً لنشاطات المعرفة والفكر والأدب، يبدأ بانطلاقة كريمة، من أوائل القرن الثامن بالذات، تبدأ معها قصة (جبع) العلمية، وتاريخها الفكري المشرق.

وإذا بها اسم بارز في تاريخ جبل عامل الأدبي والعلمي، يكتب بحروف عريضة ساطعة.

وظهرت (جبع) قاعدة من قواعد المعرفة الحيّة، تنشر الحياة والنور يوم كانت أكثر العواصم الإسلامية تغط في سبات عميق، وفي خمود وركود، قد تخدرت فيها المعرفة والثقافة، وأصيب الفكر والعلم بالشلل، وطغت على العالم الإسلامي آنذاك موجة الجهل والأمية، وانحسرت الحضارة تتراجع القهقرى.

---

(١) مستشار محكمة التمييز الجعفرية.

كل ذلك بسبب الأحداث والنوازل التي منيت بها الأمة الإسلامية، نتيجة موجة التتار الزاحفة الصاعقة، وقيام العثمانيين بالسلطة المتعسفة.

وكانت أكثر بقاع الدنيا الإسلامية تتخبط في ظلام دامس، والروح العلمية والفكرية في ساعات النزع والاحتضار، لتلفظ أنفاسها الأخيرة.

وحين كانت أكثر البقاع الإسلامية في جدب ثقافي وفكري، كانت هناك واحات لا تزال معشبة بالمعرفة، حيّة خصبة، هنا وهناك، في إيران والعراق وجبل عامل، تشيع الحياة والنور والمعرفة، لتبدد الظلام الزاحف، ولتصدّ الموجة الطاغي العنيدة.

وكانت (جباع) واحدة من هذه الواحات الخصبة المعشبة، تتفجر فيها الطاقة الفكريّة والعلميّة المثيرة على أوسع نطاق، وفي أبعاد مترامية رائعة.

ولا نذكر (جباع) إلّا ونذكر دورها الكبير في بعث الروح الثقافية، التي كانت تؤديه في (جبل عامل) في القرون الوسطى، يوم كانت واحة خضراء معطاء.

ولا نذكر (جباع) إلا ونذكر أولئك العلماء الذين انطلقوا من هذه القرية لينضموا إلى القافلة الرائدة من المفكرين المصلحين والعلماء والروّاد، الذين أدّوا رسالتهم نحو بلادهم وأمّتهم، وبدّدوا الضباب الجاثم على صدورهم.

نذكر أولئك العلماء الجبعيين، الذين قاموا بأعباء القيادة العلمية في الكثير من الأقطار الإسلامية، فأنشأوا المعاهد الدينية، والمدارس الثقافية، التي كانت مثلاً رائعاً حيّاً، في جميع الجوانب العلميّة المعروفة آنذاك، كالعلوم العربية والأدب والأصول والفقه، والعقائد الفلسفية والطب والفلك والرياضيات وسواها.

وقد كتب الجبعيون في كل ذلك، ولايزال الكثير من هذه المؤلفات حياً إلى اليوم، تعبّر عن النشاط الفكري، وعن الحيويّة العلمية، اللذين يمثلان روح الجبعيين الثقافي والفكري، وهي في أعلى مستوياتها.

ولا تزال مؤلفات الشهيد الثاني زين الدين وابنه الشيخ حسن وحفيده السيد محمد نور الدين وعبد الصمد والكفعمي والبهائي والحر العاملي وغيرهم تحتل مكان الصدارة بين مؤلفات العلماء الماضين، وخاصة في المدارس والجامعات الشيعية في إيران والعراق والهند والأفغان والبحرين وغيرها إلى اليوم، يدرسها الطلاب والعلماء على السواء.

وإذا علمنا أن العلماء الجبعيين قد تجاوزا المائتين من لدن القرن الثامن حتى اليوم،

وفيهم عدد غير قليل من كبار العلماء المشهورين، الذين لا يزالون يذكرون باحترام وتقدير تتحرك كثير من المدارس والجامعات في تيار أفكارهم وآرائهم إلى اليوم.

إذا علمنا ذلك علمنا ما قام به الجبعيون من دور فعّال في القيادة العلمية في القرون الماضية.

وظلّت (جبع) مغمورة، منطوية على أمجادها، لم يتح لها من يكشف النقاب عنها، ويبرز معالمها، ويكتب تاريخها، طيلة السنين الماضية.

حتى قيّض الله تعالى لها من يعتني بها، ويكتب لها تاريخها، ويسجل أدوارها ويبرز جوانبها الطبيعية، والثقافية والأدبية، منذ عصورها الزاهرة، يوم كانت تتطلع لها الأنظار، وتشرئب لها الأعناق، يوم كانت كعبة علم وفكر وأدب، يقصدها الناس، ليستفيدوا منها، ويأخذوا عنها.

ومن حسن المصادفات أن يكون الذي يصنع تاريخ (جبع) أحد أبنائها الذين يملكون نشاطاً اجتماعياً، وحيوية عملية، ومن الذين ينحدرون من بعض أسرها العلميّة، التي عاشت في (جبع). من أسرة بهاء الدين العاملي محمد بن الحسين بن عبد الصمد بن محمد بن علي الجباعي، التي كانت في ما مضى من ألمع الأسر العاملية الجبعية، وأغناها بالعلماء والأدباء.

إنه الشيخ علي مروّة مؤلف هذا الكتاب، إنه واحد من أبناء (جبع)، قد قدّر له أن يكون رئيس بلديتها، ليفجر طاقاته الاجتماعية والإصلاحية، ويجعلها شغله الشاغل، وجزءاً من كيانه، ويعنى بها عناية قلما رأيناها في أمثاله.

فقد أبرز الكثير من معالمها وجدد آثارها، وعني بشؤونها، ليضعها في مصاف المدن الاصطيافية اللبنانية.

فهو الذي جدّد بسعيه بناء جامع الساحة (الواطه)، وأنشأ خلية الحسين الاجتماعية والمركز الصحي الاجتماعي الذي يحتوي على مدرسة مهنية للبنات ومستوصف وروضة أطفال، ووسّع شوارعها، وعبّد طرقاتها، وأقام المنشآت الكبيرة فيها كالمدرسة الرسمية والمسلخ، مما يجاوز جهود الفرد الواحد.

ولم يكتف الشيخ علي مروّة بما قام به من الجوانب العمرانية والاجتماعية في (جبع) بل أراد أن يضيف إلى ذلك، جوانب (جبع) الثقافية والأدبية، فوضع كتابه هذا تاريخ (جبع) متحدثاً عن أدوارها العلمية والأدبية والتاريخية وما إليها، وعن علمائها وأدبائها ومفكريها البارزين، ليُبرز (جبع) في وجهها المعنوي والروحي الأصيل إلى جانبها المادي.

والشيخ علي مروّة مؤلف هذا الكتاب، لم يكن مؤرخاً، ولكنه يملك طاقة المؤرخين الكبيرة، مع حسٍّ أدبي عميق، وروح شعري رقيق.

ولا غرو بعد هذا أن يأتي هذا الكتاب فذاً في نوعه، كبيراً في معناه، بعيداً في أثره، يكشف للقارىء عن حقائق كانت مطمورة، من تاريخية وأثرية، وأدبية وعلمية، ويمده بثروة جديرة بالتقدير.

وسيكون هذا الكتاب دون ريب من الروافد ذات الشأن، لكل من يعنى في دراسة جبل عامل، ومصدراً يتكىء عليه مؤرخ هذه البقعة من لبنان، لما اشتمل عليه من فوائد كبيرة، وحقائق مثيرة في الأدب والتاريخ والعلم، وآثار غنية بالروح الفكرية، كادت أن تذهب كما ذهب سواها من آثار جبل عامل الجليلة، نقّب عنها المؤلف بكل جهده، وسجلها في كتابه هذا، ليكون سجلاً حافلاً بالنهضة العلمية والأدبية، وبالدور الكبير التي أدّته جبع في هذه المجالات، تعكس كل ذلك الصور والإحصائيات والأرقام الثابتة التي دوّنها في هذا الكتاب.

وأخيراً أرجو من الله سبحانه للمؤلف السداد والتوفيق، ولكتابه الرواج والتقدير.

بيروت في ٢٢ أيلول ١٩٦٧ جمادى الثانية ١٣٨٧

عبد الله نعمة

كلمة الأستاذ السيد حسن الأمين

جباع القرية العاملية تميزت بما ندر أن تميزت بمثله قرية مثلها. ولن أتحدث هنا عما حباها به الله من طبيعة زاهية زاهرة فتألقت نضارة بالغاب الشجير والروض النضير والماء الغزير.

إن هذا وإن تفرّدت به جباع عن نظائرها من القرى فبدت علماً على جمال الطبيعة وصفاء الجو ورقة النسيم، إن هذا ليس هو الذي سيّر اسمها في الآفاق، وخلّد ذكرها في الأوراق، وجعل لها الحديث الدائم على ألسنة المؤرخين والباحثين والمتحدثين، بل الذي جعل لها ذلك هو تميزها بمن أنجبت من علماء ومن أخرجت من أدباء، وما حفلت به من مدارس ومعاهد.

وحين يرجع الإنسان إلى ما دوّن عن جباع تدهشه تلك الكثرة الكاثرة من رجال الفكر الذين درجوا منها، ونشأوا فيها، في مختلف العصور وأبعدها، والذين انطلقوا في الميادين البعيدة ناشدين مجالاً أوسع وأفقاً أرحب فكان لهم ما أرادوا حيث تفوقوا وقادوا الناس في مضامير المعرفة إلى أبعد الغايات.

وقد ظلّت سيَر هؤلاء متناثرة في بطون الأسفار مفرقة على شتى الصحائف. وظلّ التاريخ العلمي لهذه البلدة شتيتاً غير مجموع.

وقد كان من حقها على أبنائها الذين تلوا تلك الأجيال أن يؤلفوا بين تلك الشتائت ويجمعوا بين تلك المتفرقات، وأن يقدموا للناس سجلاً بما مرّ على بلدتهم من أحداث العلم ووقائع الأدب ولكن أحداً لم يتقدم لهذا الأمر حتى نهض مؤلف هذا الكتاب ـ الشيخ علي مروة ـ بهذا العبء الثقيل.

وقد يعجب الإنسان كيف أن المؤلف المذكور عني بهذا الأمر ولم تصرفه عنه صوارف الحياة بما يمكن أن تصرف أمثاله ممن لهم من مشاغلهم وهمومهم ما ينأى بهم عن التفكير بهذه الشؤون.

ولكن العجب يزول إذا عرفنا أن المؤلف قد شغف ببلدته شغفاً لا حدَّ له، وتعلّق بوطنه الصغير تعلقاً لا مثيل له فآلى على نفسه أن يعمل للقرية التي احتضنته أعمالاً ترتفع بها إلى ما يريد لها من رفعة. فحين آلت إليه رئاسة بلديتها منذ سنين درس حالاتها وتفهّم أمورها ثم خطط ونفّذ فإذا بقرية (جباع) تصبح على يديه فريدة في القرى وأثبت صدق القول المأثور: إن للّه رجالاً إذا أرادوا أراد. فحين يُقدر لك أن تزور (جباع) ثم تطلع من كثب على ما تمّ فيها يأخذك العجب أن يستطيع الفرد إنجاز ما أنجز مما قد يبدو لك مستحيلاً قبل أن تراه عياناً.

فنحن نعلم مثلاً أن الجهل والمرض هما علة العلل في جبلنا بل في كل مكان. ونحن نعلم أن الصحة والعلم هما عندنا من أغلى ما يمكن أن يتملكه الإنسان، وأن الفقير يتحرّق عليهما فلا يطالهما، لأنهما لا يطالان إلا بالمال الكثير.

ولكن ـ الشيخ علي مروة ـ رئيس بلدية جباع فكّر ثم أجرى ما أدى إليه تفكيره السليم فطرق الأبواب الموصلة لغايته وحرّك المتطلعين للعمل معه فتفهموا آراءه وعرفوا إخلاصه فآزروه فإذا بنا نشهد في قرية جباع مركزاً صحياً اجتماعياً على أعلى المستويات يتعاقب عليه الأطباء في كل يوم كل في اختصاصه قادمين إليه من المدينة البعيدة فيعالجون الفقراء معالجة مخلصة في جو من النظافة والأناقة والبشاشة ثم يصفون الدواء فيقدمه المركز مجاناً للمرضى. ولم يقتصر هذا على (جباع) وحدها بل شمل سبع عشرة قرية تفد في كل يوم بمرضاها على هذا المركز ثم تعود منتعشة بالآمال مثقلة بالأدوية مترقبة للعافية.

والذين عرفوا ما يعانيه القروي من حسرات حين يمرض هو أو ابنه أو أي قريب له فيعجز عن الانتقال بمريضه إلى المدينة ويعجز عن استحضار الطبيب ويعجز عن شراء الدواء. الذين عرفوا ذلك ولمسوه فآذاهم في شعورهم وآلمهم في نفوسهم وتمنوا للبلاد خلاصاً من هذه المآسي. هؤلاء يعرفون قيمة ما فعله ويفعله الشيخ علي مروة في هذا السبيل.

وكما فعل من أجل الصحة فعل من أجل العلم بقدر ما مكنته ظروف البلدية فخصص قسماً من الموارد لدفع نفقات تجهيز وتأثيث المدرسة. بعد أن تمّ بسعيه الحثيث تأمين بناء المدرسة على حساب وزارة التربية وتأمين العدد الكافي من المعلمين وبجعلها ابتدائية تكميلية وإلزامية التعليم لأبناء الفقراء ودفع النفقات التي يحتاجونها على حساب البلدية لشراء كتبهم وحوائجهم المدرسية، مما شجّع الإقبال على العلم، الأمر الذي أدّى إلى تدنّي نسبة الأمية من ٥٣ في المائة عام ١٩٥٤ إلى ١٩ بالمائة عام ١٩٦٦ عند الذكور وأما عند الإناث فقد تدنت من ٨٣ بالمائة إلى ٣٨ بالمائة.

ولن أشير إلى ما حققه من مشاريع عمرانية في غير هذين المجالين تاركاً للقارىء أن يراجع ذلك في صفحات هذا التاريخ وحسبي هذان المجالان تنويهاً بما فعل وحقق.

إن هذا الشغف بالبلدة وأمورها توجّه هذا الكتاب الذي يطالع القارىء فصوله فيما يلي.

فهو أولاً يلمّ بذكر جبل عامل الذي تنتمي إليه (جباع) ثم ينطلق إلى حيث أراد من التعمّق في الحديث عن قريته العزيزة، فيقود القارىء خطوة خطوة إلى كل شأن من شؤونها، فيتحدث عن موقعها وطبيعتها، ثم عن اختيارها مقاماً للعلماء. ثم يقسم تاريخها بحسب الأزمنة. بادئاً من عهدها العلمي الأول وما أخرجه من رجال. ومن أبرز رجال هذا العهد الشهيد الثاني الشيخ زين الدين والشيخ حسين عبد الصمد وولده بهاء الدين العاملي والشيخ حسن زين الدين صاحب معالم الأصول والسيد محمد نور الدين صاحب كتاب مدارك الأحكام. وفي نشر سير هؤلاء وغيرهم وما كانوا عليه من جدّ وعمل وما بلغوه من منزلة علمية رفيعة وما فعلوه مرشدين وهادين ومؤلفين.

إن في نشر ذلك وإذاعته لأكبر حافز لأبناء هذه البلدة ولأبناء الجبل جميعاً على التطلّع إلى ماضيهم، ثم التطلع إلى مستقبلهم وجعلهما متناسقين متوافقين.

ولا يفوتنا هنا أن نشير إلى أن المؤلف يرتبط بالشيخ حسين عبد الصمد وبهاء الدين العاملي برباط من النسب العريق، فالمعروف أن أسرة آل مروة هم من سلالة الشيخ حسين عبد الصمد لأن بهاء الدين مات عقيماً، وبذلك يكون المؤلف حفظ حقّ الوفاء لجده الأعلى ولعمه الأسمى.

ويسترسل في الحديث عن نوابغ جباع فيترجم لكل واحد ويدل على ما له من آثار في التأليف والنظم والإرشاد، ثم ينتقل إلى الأحداث السياسية ذات الارتباط (بجباع) حتى يصل إلى العهد الثاني من تاريخها العلمي سائراً على النسق الذي اتبعه في تاريخه للعهد الأول منتهياً بذلك إلى الحرب العالمية الأولى ومصائرها، وما تلا ذلك.

ثم يؤرخ للعهد الحاضر مبتدئاً من سنة ١٩٥٣ وما لقيت البلدة من إصلاح وما أنشىء فيها من عمران جديد. هذه إشارة إلى بعض ما في الكتاب الذي يراه القارىء بين يديه، والذي كان فيه الشيخ علي مروة وفياً لبلده مخلصاً لوطنه وقومه وفاء وإخلاصاً جديرين بكل تقدير ويوم تستطيع كل بلدة أن تجد من أبنائها من يؤرخ لها مثل ما أرّخ المؤلف لبلده فسيكون لنا من ذلك تاريخ لوطننا في مختلف نواحيه.

بيروت في ٢٢ أيلول ١٩٦٧ جمادى الثانية ١٣٨٧

حسن الأمين

كلمة الشاعر الكبير
الأستاذ بولس سلامة[1]

حضرة الشيخ علي مروة حفظه الله

تحية خالصة، وبعد فلقد اطلعت على هديتكم القيّمة (تاريخ جباع) في ماضيها وحاضرها، فسرّني إخلاصكم لوطنكم، مطلع الماء والظل والثمر، ودرّة الريف العامليّ غير مدافع وإنه لبلد عزيز عليّ، فلقد عرفته يافعاً فكهلاً فشيخاً ولا جرم فإنه لجنّة غالية على كل كَلِفٍ بجمال الطبيعة فكيف به إذا كان جاراً شاعراً.

ولقد حشدتم في مؤلفكم الثمين مآثره جميعها فأيقظتم ماضياً حافلاً بالعظمات ونفضتم الغبار عن جمانٍ شتيت كاد يعفي عليه الزمن لولا جهدكم الموصول، ودأبكم في استخراج الكنوز الخبيئة وعرضها على البصائر كما أبديتم للأبصار قلائد الزينة التي طوقتم بها جباع، بصفة كونكم رئيس بلديتها. ولكن تلك الحلل الزواهي وآيات العمران التي خلعتموها على قصبتكم الجميلة، لتظل ـ على روعتها ـ دون سفركم النفيس المدوّن بالقلم الذي علّم الله به الإنسان ما لم يعلم، ففي العمران إحياء للطبيعة وفي القلم بعث للروح. ولقد طويتم مؤلفكم النفيس على تراجم أساطين العلم والرفيع من الشعر. ولا غرو فالشيعي شاعر بفطرته إذ أرهفت شعوره النّوازل التي حلّت بأهل البيت الطيبين الأكرمين.

وما قصدت بهذه العجلى تقريظ كتابكم، وهو يستحق فوق ما ذكرت من الثناء بل تنبيه الخواطر إلى عملكم الجليل فتقبلوا أطيب تمنياتي وشكري الجزيل.

بتدين اللقش ١٦ آب سنة ١٩٦٧.

بولس سلامة

---

(١) صاحب ملحمة عيد الغدير.

مقدمة المؤلف

في هذا العصر عصر الذرّة والاكتشافات الكونية تقدم وتطوّر كل شيء. وانطلق الإنسان ليبني ويعمل ليواكب النهضة العالمية الحديثة في سيرها التصاعدي نحو الأسمى والأكمل والأفضل، إلى حيث الحياة الجديدة التي بدأت تشع وتتلألأ لتضيء للأجيال الصاعدة دروب الخير والحق والجمال.

والمتأمل في حياة اللبنانيين منذ فجر الاستقلال وبعد أن أزالوا عنهم كابوس الاستعمار البغيض الذي أناخ بكلكله عليهم فترة طويلة من الزمن، يُلاحظ كيف تكوكبوا وتطوروا وساروا جنباً إلى جنب مع التطوّر العالمي الخلاق المندفع بقوة نحو الرقيّ والتمدين والازدهار.

ولقد بلغ اللبنانيون شأواً غير يسير في السير قدماً نحو إظهار قوتهم وعظمتهم الناهدة إلى إيجاد مجتمع لبناني مثالي يهدف إلى إسعاد الفرد وبناء صروح المستقبل على أسس من العدالة الاجتماعية والاستقرار والهدوء.

والإنصاف يحتم علينا أن لا ننسى بأن اللبنانيين كانوا عبر حقب التاريخ من أكبر المساهمين في تفجير الطاقات المبدعة المنتجة الخلاقة في الهيئة الاجتماعية العالميّة.

ويكفي لبنان الأشم فخراً وسؤدداً بأنه أنجب علماء كباراً وعباقرة عظاماً أسهموا إسهاماً كبيراً في البناء الحضاري والتطور الحياتي والديني للإنسانية جمعاء وفي بناء الحضارات البشرية بشتى صورها وألوانها، وفي جميع ميادين العلم والفكر.

وإنه لمن المدهش حقاً أن نجد مفكري لبنان وعلماءه ومنهم العلماء «الجبعيين» أمثال «بهاء الدين العاملي» وغيره الذين صالوا وجالوا في ميادين الفكر - لأربعة قرون خلت - وفي عصر تخدرت فيه المعرفة وكانت تغط أكثر شعوب الأرض في سبات عميق، سبقوا عصورهم بأجيال بنظرياتهم وبما خلفوه من حقائق علمية ذات شأن عظيم قد أقرّها العلم الحديث وأثبتتها

الاكتشافات العلمية اليوم، وسيطالع القارىء بعضاً منها في هذا الكتاب.

ومن الطبيعي جداً بعد أن أصبح اللبنانيون مستقلين وأصحاب السيادة على وطنهم أن يعدّوه ليقفز خطوات سريعة نحو التقدم والعمران فتأخذ الحضارة تمد رواقها ليكوّن لبنان لذاته شخصية اجتماعية مستقلة بعلومها وفلسفتها وقيمها ومناقبها ومؤسساتها الاجتماعية والاقتصادية.

ودفعت الإنسان اللبناني هذه الروح الوثّابة إلى الانطلاق من بوتقته المحلية الضيقة إلى الأجواء العالمية الرحبة ليزرع في مختلف الأقطار والقارات وعبر المحيطات الذي ما عتم أن أصبح نبراساً للأمم، ورائداً للشعوب التي تنشد التطور والتمدين. نعم حمل العالم والتاجر والمفكر والعامل اللبناني إلى البلاد البعيدة البكر ثمرة نضاله الطويل وخلاصة تجاربه الاجتماعية وخبرته الاقتصادية التي بلغت شأواً بعيداً من الحضارة وثورة الأفكار والمبادىء والهمة والنشاط والأمل فكانوا أينما حلّوا وكيفما رحلوا رسل جمال وأنبياء نور كالنجوم البازغة أناروا العالم وغمروه بشعاعهم الساطع. ولا نغالي إذا قلنا بأنهم أصبحوا جبابرة عصرهم ورافعي الانسانية من هوة الذل والشقاء إلى حيث التقدم والاندفاع في سبيل الارتقاء.

ولقد أفسحت اليوم أجواء الحرية اللبنانية المجال لكل إنسان أن يهذب شخصيته وينميها كما يريد في طمأنينة وأمان.

ولبنان اليوم يعتبر بحق بمثابة حجر الزاوية في الكيان العربي ولا يزال في طليعة العاملين للقضايا العربية وله القدح المعلى في إحياء التراث العربي علماً وروحاً وشعراً وأدباً.

وهكذا تفتح لبنان العظيم الذي اخترع الحرف وساد في عالم التجارة وانطلق إلى الآفاق مباهياً بصداقته لجميع الشعوب، معتزاً بمناخ الحرية والاستقرار الذي يوفره لجميع الوافدين إليه من جميع البلدان من عشاق الكلمة وعبّاد الحرف.

ومن البديهي أن تنعكس كل هذه التطورات وكل هذا التقدم والازدهار على كافة المناطق اللبنانية فتخطو خطوات سريعة نحو النمو والازدهار فينعم سكانها بالرخاء ويزداد الإقبال على التعليم يوماً بعد يوم فيرتفع عدد المتعلمين في كافة القرى والدساكر بسرعة مدهشة وتتنوّع اختصاصاتهم في مختلف المجالات.

كل هذه العوامل أهابت بي ودفعتني وأنا أرى آثار هذه النهضة الجبّارة تنعكس على بلدتي «جباع» فتغير معالمها وتنشر الخير والبركة والمعرفة في ربوعها، خاصة وأن «جباع» تمتاز عن بقية القرى الجنوبية بالروح التعاونية التي تسيطر على مجتمعها المحليّ حيث استيقظ الفرد وأصبح يعرف معنى لوجوده في الحياة، ويدرك أنه عضو عامل في الهيئة الاجتماعية وأنه جزء

لا يتجزأ من - لبنان - الكامل وباعتبار أن الإنسان ميال بطبعه إلى التطلع في حاضره إلى ماضيه لا سيّما إذا كان هذا الماضي ذا شأن يُعتز ويُفاخر به فقد أخذت على عاتقي مهمة البحث والتنقيب في المصنفات التاريخية وكتب التراجم المبعثرة هنا وهناك، حيث عثرت على تاريخ حافل بالأمجاد والمفاخر، بما أنجبته هذه «القرية اللبنانية» - جباع - من علماء أعلام وعباقرة عظام قدموا للأجيال أجل الخدمات بما خلفوه من آثار علمية وفكرية قيّمة الأمر الذي أهاب بي أيضاً إلى نبش هذه الكنوز والذخائر الفكرية التي كانت في زوايا النسيان والإهمال نافضاً عنها غبار الزمن لأدوّنها في هذا الكتاب متوخياً إظهار تراثنا العاملي اللبناني إلى عالم الوجود والتداول.

وبعد فهذا هو - تاريخ جباع ماضيها وحاضرها - بين يديك كخطوة من الخطوات التي مشيناها على دروب الجدّ والتضحية في سبيل إعلاء شأن بلدتي التي نذرت نفسي لها وأفنيت زهرة شبابي في خدمتها وكل ما أتمناه من صميم جوارحي أن أكون قد استطعت أن أقدم بهذا العمل خدمة للبنان بصورة عامة ولبلدتي التي نشأت فيها بصورة خاصة.

وختاماً لا يسعني وأنا أقترب من نهاية هذه المقدمة إلا أن أجزي جزيل الشكر والامتنان لجميع من شجعوني وآزروني في عملي هذا وسهلوا لي مهمتي الشاقة حتى جاء عملي كما ترى وأخصّ بالذكر منهم الأستاذ السيد حسن الأمين الذي وضع تحت تصرفي مكتبته القيّمة العامرة بالمؤلفات والأسفار التاريخية لا سيما موسوعة المرحوم المقدّس والده السيد محسن الأمين الشهيرة «بأعيان الشيعة» والعلامة الدكتور صلاح الدين المنجد الذي وضع بتصرفي مكتبته الكبيرة الغنية بالكتب النادرة وكتب التراجم التي يحتاجها الباحث المؤرخ وكان لمساعدته وتشجيعه أطيب الأثر في نفسي.

فإليهم جميعاً ثنائي العاطر وشكري الخالص العميق والله أسأل أن يسدد الخطى ويوفق العاملين المنتجين وهو ولي التوفيق.

جباع في ٤ آب سنة ١٩٦٧ ميلادية.

علي مروة

تمهيد

فكّرت طويلاً وأنا أدوّن تاريخ قرية صغيرة من قرى الجنوب ارتفعت في حقبة من الزمن إلى الأوج بفضل همّة أبنائها الغر الميامين فتبوأت مكاناً سامياً جعلها في مصاف المدن الراقية المتحضرة، وفي طليعة المراكز العلمية المرموقة، فقلت: قد يتساءل القارىء قبل أن يسبر غور هذا الكتاب ما عساه أن يكون تاريخ قرية، وما الغاية التي ينهد إليها المؤلف؟

في الحقيقة إن من واجبات المؤرخ المنصف أن يضع نصب عينيه قبل أن يأخذ في بيان حالات أية شخصية أو جماعة لها أثرها على جيلها صحة النظر وشرف أداة البحث والعناية التامة بدراسة النصوص والوثائق وما يترتب عليها من الآثار، حتى يتمكن من أن يرسل نوراً مشعاً على ما غمض من جوانب الأحداث، وما دقّ من أسبابها.

ومن استقراء التاريخ يتبين لنا بأن جباع هذه القرية التاريخية العريقة بالقدم الجاثمة في الجنوب كانت مركزاً علمياً مرموقاً أنجبت هداة مصلحين، وعباقرة موهوبين، لنا في سيرتهم منهل عذب لا ينضب من المعرفة والعلم والإيمان العميق، فهم كالقمم الشماء، والجبال الرواسي، يتطلع إليها كل متشوق إلى السمو، نزاع إلى الرفعة، لأنهم كالمنارات، تنير الطريق للسفن التائهة في دياجير الظلمة الحالكة.

ومن البديهي أن تنعكس آثار هؤلاء العلماء على جباع فتسير في طريق التطور والتقدم، وتزدهر ويدب فيها النشاط الفكري وتصبح بمجموعها ندوة فكرية يتوافد إليها العلماء وطلاب العلم من كل حدب وصوب لارتشاف العلم والتزود بالمعرفة وبذلك ساهمت مساهمة فعّالة في خلق البناء الحضاري الإسلامي.

ولم يقف نشاط «جباع» على أنها أخرجت من مدرستها الشهيرة ـ في عهد الشهيد الثاني الشيخ زين الدين ـ هؤلاء الأعلام العظام الذين تدرس آثارهم اليوم في أكثر الجامعات والمدارس والحلقات الإسلامية وتزدان بمؤلفاتهم أغلب المكتبات الخاصة والعامة، بل إن تأثيرها

امتد حتى شمل أقطاراً أخرى عندما انطلق هؤلاء إلى العراق، وإيران، والهند وتركيا، والبحرين، والحجاز، واليمن، ينشرون علومهم، ويثبتون أفكارهم، ويحملون مشعل المعرفة والهداية لأبناء البشرية عامة، ولا بد لنا ونحن نتعرض لهذه النواحي الفكرية الهامة من أن نأتي على ذكر بعض هؤلاء الأعلام ليكوّن القارىء فكرة صحيحة واضحة عن المكانة السامية التي كانت تتمتع فيها هذه البلدة الخيرة المعطاء، وعن الخدمات العلمية الجليلة التي قدّمتها مدرستها وكان لها أكبر الأثر في تركيز دعائم النهضة الفكرية الشيعية بصورة خاصة والإسلامية بصورة عامة.

ومن علماء جباع الأعلام الذين لعبوا دوراً فعالاً في مجالات الفكر الشيخ زين الدين الجبعي «الشهير بالشهيد الثاني» صاحب مدرسة جباع العلمية التي تخرّج منها العديد من رجال العلم، الذين أصبحوا من أعمدة ومرتكزات الحركة الفكرية في جبل عامل.

ذكر أنه ترك ما يزيد على ثمانين كتاباً جلّها في التشريع والتربية، والفنون الأدبية.

ومن العلماء الأجلاء الذين أنبتتهم جباع الشيخ حسن زين الدين الجبعي الذي نهج نهج أبيه فاتحف المكتبة الإسلامية بعدد ضخم من المؤلفات القيّمة، التي بلغ عددها سبعاً وعشرين كتاباً أكبرها وأهمها كتاب «معالم الأصول» في سبع مجلدات، والسيد محمد نور الدين الجبعي صاحب المصنفات العديدة، ومن أهم وأكبر كتبه كتاب «مدارك الأحكام» وهذان المؤلفان يعول عليهما في تدريس التشريع الإسلامي في أغلب الجامعات الشرقية والغربية. ومن جباع انطلق العالم الجليل الشيخ «إبراهيم الكفعمي» صاحب المؤلفات التي نافت على السبعة والثلاثين كتاباً، منها كتاب «المصباح» وكتاب «مجموع الغرائب».

ونبغ من أبناء هذه القرية «الشيخ حسين عبد الصمد الحارثي الهمداني الجبعي» صاحب التصانيف القيمة، الذي توصل إلى مشيخة الإسلام في أصفهان ببلاد فارس.

وهناك عالم نحرير آخر أنجبته «جباع» هو الشيخ «بهاء الدين العاملي الحارثي الهمداني الجبعي» الذي امتاز بنبوغه العجيب ومقدرته العلمية الفريدة، ومكانته الفكرية الرائعة التي تجاوبت أصداؤها في أنحاء الأقطار الشرقية، يعتبر بحق من رواد العلم العظام الذين عرفوا بسعة الاطلاع وغزارة الثقافة. استوعبت مداركه الواسعة جميع الثقافات التي عرفت في عصره، كتب وصنف في علوم لم يتطرق لها أحد سواه في عصره، وعلى سبيل الذكر نشير إلى كتابه القيم «الجوهر الفرد» الذي تعرض فيه لأبحاث «الذرة» وتفاعلها وقيل: إنه استطاع أو كاد أن يحطم الذرة ويسيطر على طاقتها. ومن كتبه النادرة كتاب «تشريح الأفلاك» و«الرسالة الإسطرلابية» وله

رسالة مفيدة سماها «شبه أعظم الجبال إلى قطر الأرض» والجدير بالملاحظة والاهتمام أنه تمكن من اكتشاف بعض قوانين الانعكاسات الصوتية (الرادار) وطبقها في بعض مساجد إيران، كما وضع قوانين ضغط الماء وتساوي سطوحه، وقواعد للأشكال الهندسية «المسطحة والمجسمة».

وظلت آثار هذا العالم العبقري في الهندسة والجبر وعلم الفلك والرياضيات ردحاً طويلاً من الزمن من أهم المراجع التي اعتمد عليها علماء المشرق في أبحاثهم، كما وأن كتابه «خلاصة الحساب والهندسة» ترجم إلى معظم اللغات الحية، أصبح شيخاً للإسلام في «هراة» من بلاد إيران.

ويمكننا أن نضيف إلى قافلة العلماء الذين أنجبتهم «جباع» عالماً آخر تولى مهمة قاضي القضاة في حيدر آباد في الهند وهو الشيخ محمد علي المحمود الجبعي المعروف «بالمشغري» الشاعر الملهم والعلامة الكبير.

وبالإضافة إلى كل هؤلاء، أنجبت «جباع» الشيخ محمد الحسن الحر الجبعي المشغري الشهير بـ «الحر العاملي» صاحب المؤلفات القيمة التي تجاوزت الثمانية والعشرين، وأكبرها كتاب «الوسائل» وهو في سبع مجلدات، وكتاب «أمل الآمل» وأصبح قاضي القضاة في إيران لما أنس فيه من الكفاءة والذكاء.

ومن «جباع» انطلق الشيخ العلامة علي محمد زين الدين الجبعي الذي أتحف المكتبة الإسلامية بمصنفاته الكثيرة التي تضمنت الأبحاث القيمة في مختلف العلوم التي كانت معروفة في عصره، ويعتبر بحقّ من رواد العلم في مكة المكرمة ومن كبار مفكريها.

وكذلك السيد حسين الموسوي الجبعي الذي تربع على أريكة قاضي القضاة في المشهد الرضوي في إيران يعد من أبناء «جبع» والشيخ زين العابدين الحر الجبعي صاحب التآليف الكثيرة التي جعلته في مقدمة أعلام مدينة صنعاء اليمنية والسيد جمال الدين الجبعي والشيخ نجيب الدين الجبعي من رواد الحركة الفكرية الجبعية الذين تميزوا بالعلم والفضيلة والنشاط. كل هؤلاء العلماء والمفكرين الأعلام زرعتهم وبذرت بذورهم «جباع» في مختلف أنحاء البلدان الإسلامية ليعلموا الناس وليسهموا في بناء الصرح الثقافي الإسلامي العتيد، وليشاركوا في إنماء التراث الإسلامي وفي تزويده بالأفكار البنّاءة المبدعة، فكان لهم أكبر الأثر في ترسيخ مداميك التأمل الروحي لدى العالم الإسلامي قاطبة.

والجدير بالاهتمام أن هؤلاء الرواد العلماء منهم من أتى على ذكره التاريخ، ومنهم من لا يزال مغموراً لا يعرف عنه إلا القليل، لذلك وخشية أن تندثر آثارهم بمرور الزمن رأيت من واجبي باعتباري من أبناء «جباع» أن أبحث وأنقّب وأجمع كل ما بمقدوري العثور عليه من آثار لهؤلاء فأدوّنها في هذا السفر محاولاً جهد المستطاع أن أرسم صورة صحيحة لأولئك الذين أدوا للعالم الإسلامي أجلّ الخدمات، ورفعوا اسم قريتهم حتى بلغ الجوزاء.

ولكي يأتي كتابنا شاملاً من كافة نواحيه لتاريخ «جباع» استعرضنا فيه الحوادث التي لعبت دورها الهام على مسرح هذه البلدة، مع الإتيان على ذكر الوقائع التاريخية كما وردت في المصادر الصحيحة الموثوقة.

وفي نهاية المطاف لعلني قد وفقت إلى إبراز صورة نقية ناصعة تعكس بدقة واتزان ماضي هذه «القرية» أو بالأحرى المدرسة الفكرية التي كانت في طليعة القرى العاملية.

فعسى أن يلقي هذا السفر ضوءاً ساطعاً على ما غمض من الأمور، وخفي من الأحداث. وكل ما أتمناه أن أكون بهذا الجهد المتواضع قد أديت قسماً من واجبي نحو مسقط رأسي، وإذا كان فيه بعض الهنات أو النقص فسنعمل على تلافيه في الطبعة الثانية، والله نسأل أن يسدد الخطأ ويلهمنا الصواب لما فيه خدمة العلم والحقيقة والتاريخ، وهو ولي التوفيق.

علي مروة

جبل عامل

لا بدّ لنا ونحن نرسم خطاً بيانياً واضحاً لقرية صغيرة من قرى جبل عامل من البحث في أصل التسمية التي أطلقت على هذا الجبل الأشم الشامخ إلى العلاء كالطود في وجه الأعاصير والأحداث.

يحدثنا التاريخ بأن جبل عاملة أو جبل عامل المعروف بالجنوب اللبناني اليوم سُمي بهذا الاسم نسبة لقبيلة عاملة القحطانية التي نزحت من اليمن مع من نزح من قبائل الجنوب كلخم وغسّان وجذام عقب سيل العرم الذي اجتاح موطنهم الأصلي في اليمن، ويقال بأن هؤلاء أخوة لعاملة تجمعهم أبوّة سبأ بن يعرب بن قحطان(١).

والظاهر أن قبيلة عاملة نزلت الديار الشامية وسكنت الجنوب الغربي من البحر الميت، ثم أخذت تسلك الطريق صعداً نحو الشمال، وبعد الفتح الإسلامي بقليل حلّت في القسم الأعلى من جبال الجليل الذي عرف منذ ذلك الحين «بجبل عامل»(٢) وبعدها بقرون قليلة انتشرت القبيلة في بلاد الشقيف من جنوب لبنان اليوم(٣).

الحدود العاملية:

المقصود الجبل القائم على ساحل البحر الأبيض المتوسط والممتد بين صيدا وصور وأبعد، ينتظم تلالاً وآكاماً وتتالى وتبالغ في العلاء كلما اتجهنا شرقاً حتى تلقي برأسها في أحضان جبل لبنان عند سفوح تومات (نيحا).

وجبل عامل كان في ماضيه الغابر أكثر اتساعاً منه الآن، كونه اشتط في امتداده نحو

---

(١) **تاريخ العروس**، للزبيدي ٣٥١/٨، وصبح **الأعشى**، ٣٣٦/١، **والأغاني**، للأصفهاني، ج٨.

(٢) **الحركة الفكرية في جبل عامل**، ص ١٠.

(٣) نفس المصدر.

الجنوب حتى أطلّ على طبرية محاذياً للأردن، وباتت جبال الجليل تنتمي إليه، وهي الأماكن الأولى التي حلّت فيها قبيلة عاملة.

وتشكّل حدوده كما يلي: نهر الأولي شمالاً، ونهر وادي القرن الجاري شمالي قرية طير شيحا جنوباً، والبحر بين هذين الحدّين غرباً، ومن الشرق الحولة ووادي التيم والبقاع.

جباع

موقعها وطبيعتها:

بلدة جباع التاريخية المرتمية في أحضان (جبل صافي) الشاهق، تطل منها على سواحل البحر المتوسط الممتدة من بيروت حتى فلسطين، وتنبسط أمامها جميع قرى الجنوب ذات الطبيعة الخلابة الساحرة، والمشهورة بوفرة ينابيعها الدفقة الرقراقة العذبة التي تمتاز بخصائص إزالة الرمل والحصى للأشخاص الذين ابتلاهم اللّه تعالى بهذا المرض، تحيط بها غابات السنديان والملّول من الجهة الشرقية، وغابة الصنوبر من الجهة الشمالية، وتكتسي جميع أراضيها بمختلف أشجار الفاكهة وتزرع عموم أنواع الخضار، فترى نفسك وأنت فيها، كأنك في غوطة وارفة الظلال، كثيفة الأشجار، ناعمة الشذى، نفّاذة العبير، مناخها جاف وعيشها بليل ظليل، زيّنت واديها المسمى «البساتين» بحدائق التفاح والإجاص والخوخ والسفرجل والجوز ومختلف الأشجار والفواكه، وهي ثروة جباع الزراعية، ويمتاز عنبها الأسود المعروف (بالزوطراني) بلطف النكهة وحلاوة المذاق، ولذة الطعم، ولا يوجد من نوعه في سواها.

ويحدثنا الدكتور «إدوارد روبنسون» «Edoward Robenson» في الصفحة ١٣٨ من كتابه يوميات في لبنان الذي وضعه سنة ١٨٣٨م ونقله إلى العربية أسد شيخاني سنة ١٩٤٩م الجزء الأول فيقول: «الأكمة الواقعة عليها بلدة «جباع» محروثة جيداً، وتكثر فيها الأشجار المثمرة. والأرض مشبعة بالاخضرار والجمال. وكانت الشمس تطل علينا حيناً بعد آخر من وراء السحب، فنرى الجبال مجلببة بالغيوم والمطر، بينما السهول تحتها ترقص في أشعة الشمس والجو الجميل. وكانت جباع قبلاً قصبة إقليم التفاح. وهي قرية كبيرة سكانها شيعة، ولم يبق من الحصن أو القصر الذي كان يسكنه المشايخ حكام الإقليم إلا الأطلال. وكان القصر مشيداً على مرتفع بارز من التلة، أمّا حاكم الإقليم الحالي فهو تركي ومركزه الرئيسي «الغازيّة» ويبلغ ارتفاع جباع ٢٤٨٦ قدماً كما دوّنه الدكتور فورست «Forst» ومركزها عموماً صحي، وموقعها يلائم المصطافين، لذلك اختارها السادة الدكتور تومسون «Tomson»،

والدكتور فانديك «Fandayk» مصيفاً لعائلتيهما عام ١٨٥٢ فرمما قسماً من القصر[1] حتى أصبح صالحاً للسكن».

لماذا سميت جباع الحلاوة؟

بالرغم من التنقيبات الكثيرة التي أجريناها لم نتمكن من العثور على الأصل الذي أتت منه التسمية، وقيل: إن اسم «جبع» عبراني، ومعناه «التل»[2] ونقلاً عن لسان الشيوخ يذكر بأنها تعرف بجباع الحلاوة للتفرقة بينها وبين بلدة أخرى تعرف بجباع وتقع في منطقة الشوف، فسميت جباع الشوف، وفي فلسطين بلدة أخرى تحمل اسم جبع بنيامين، وفي كتب التراجم والتواريخ ذكروها جبع، وذكروها جباع، وعرفت بالحلاوة لأنها أول بلدة في لبنان صنعت فيها «الحلاوة بطحينة» وفي بادىء الأمر قيل: إن الحلاوة كانت تصنع بالدبس لندرة وجود السكر في تلك الأيام، وكانت فيها معصرة للحلاوة، ظلّت قائمة حتى اقتضى إزالتها لتوسيع الساحة العامة.

جباع اختيرت مقاماً للعلماء والمفكرين

كان في «جبل عامل» على العموم واحات خضراء يقصدها طلاب العلم والشعراء ورجال المعرفة، لارتشاف رحيق الفكر وليمتعوا أنظارهم بمناظرها الخلابة، مثل جباع ومَيْس وعيناثا. وامتازت جباع عن شقيقاتها بالحركة العلمية الفكرية التي كانت تنشط فيها، لكونها أنجبت واحتضنت نخبة ممتازة من رجال العلم الذين توافدوا إليها من جميع أنحاء العالم الإسلامي للعبّ من مناهلها العلمية، وللعيش في طمأنينة وأمان من ملاحقة الآخرين الذين كانوا يحاربون التشيع بشتى الوسائل، ولقد منحها موقعها الجغرافي ووضعها الاستراتيجي الحربي الممتاز الاستقرار والهدوء وجعلها تقف صامدة صلبة في وجه الغزاة الطامعين الذين كانوا يرتدون عنها مدحورين قبل أن يتمكنوا من الوصول إليها.

هذا بالإضافة إلى طبيعتها الساحرة الخلابة ومناخها الجيد ووفرة ينابيعها العذبة، واكتساء

---

(١) القصر عبارة عن سرايا كانت ذات طابقين مبنية على طراز السرايات التي كانت قائمة في العصر التركي، وقد بناها المشايخ المنكريون. وكان في زاويتها الشرقية الشمالية برج عالٍ للحصار. وفي أواخر العهد التركي استعملت كمدرسة رسمية حتى عام ١٩٥٩م ومن ثم هدمتها وزارة التربية الوطنية وبنت مكانها مدرسة من طابقين يحتوي كل طابق على ثماني غرف وملعب.

(٢) **خطط جبل عامل.**

تربتها بالاخضرار الأمر الذي ليس له نظير في غيرها من البلاد العاملية، مما يغري الرواد ويهيب بهم للإقامة في ربوعها، وليس غريباً أن يكون لطبيعتها تأثير سحريٌ عظيمٌ على الأذهان فتشحذها، وعلى الأفكار فتجلوها وتصقلها لتعطي وتنتج، يؤيد ذلك تلك الثروة الفكرية الضخمة التي خلفها العلماء الجبعيون وقد تعدت الخمسمائة كتاب، صنّفت وألّفت كلها في «جباع» وقلما نلمس مثل هذه الغزارة في الانتاج الثقافي الذي يتناول كافة العلوم في غيرها من القرى العاملية.

جباع قبل القرن الثامن الهجري

مما لا جدال فيه بأن على المرء أن يعرف تاريخ بلده، والأحداث التي تعرّض لها قومه، قبل أن يرنو ببصره لدراسة واستقراء تاريخ وأمجاد وبطولات غيره، ومما لمسته في هذا المجال أن جيلنا الحاضر والجيل الذي سبقه، حتى أولئك الذين نالوا قسطاً كبيراً من الثقافة الحديثة، وحصلوا على درجات علمية رفيعة في الآداب والتاريخ والفلسفة وغيرها من العلوم المعروفة اليوم يجهلون تاريخ بلدتهم ذات المفاخر والأمجاد، التي أنجبت نخبة ممتازة من العلماء الأفذاذ الذين سنأتي على ذكرهم مفصلاً في هذا الكتاب، بينما نرى طلابنا وشبابنا المثقف يحفظون ـ عن ظهر قلب ـ تاريخ وترجمة حياة أمثال «شكسبير وغوتيه وفيكتور هيجو وأناتول فرانس وراسين وباسكال وغيرهم» دون أن يدور بخلدهم بأن الأقربين أولى بالمعروف.

ضياع معظم الكتب التاريخية في جبل عامل

من الغريب أنني بالرغم من التحريات الكثيرة والتنقيبات المتوالية لم أعثر على تاريخ لجباع قبل القرن الثامن الهجري بالرغم من أنها عريقة في القدم وذات ماضٍ مجيد مفعم بالحوادث، حافل بالعظائم. وكان لها القدح المعلّى من رفع راية العلم خفاقة زمناً طويلاً، وأن مدرستها استمرت ثلاثة قرون تعجّ بالطلاب والمدرّسين وكبار العلماء والمفكرين، عامرة بالمؤلفات الثمينة النادرة، كما وأن نوادي العلم والأدب فيها كانت تزخر بالعلوم والفنون. وقد تخرّج منها علماء أجلاء أعلام فضلاً وزهداً وورعاً طبق صيتهم الآفاق، فلا يعقل والحالة كما نوهنا أن لا يكون لها تاريخ خاص ولربما وضع لها القدماء تاريخاً أو أرّخوها في بعض بطون الكتب أو المخطوطات التي صادرتها جيوش الطاغية أحمد باشا الجزار في العهد التركي الأسود الذي اكتسح بجيوشه الجرارة البلاد العاملية وعاثت فيها طغياناً وفساداً، وعمد إلى مصادرة جميع الكتب والمؤلفات والمخطوطات من المكتبات التي كانت حافلة بمختلف أنواع

الكتب القيّمة والمخطوطات الثمينة، وكان ذلك عام ١١٧٥هـ، كمكتبة آل خاتون التي كانت تضم خمسة آلاف مجلد، ومكتبات آل الصغير، وآل الأمين، وآل نور الدين وآل شرف الدين وآل فضل الله وآل الحر وآل قبيسي وآل سبيتي وآل إبراهيم وآل مروة وآل الزين وغيرهم من بيوتات العلم والوجاهة القديمة، وقد نقلها على ظهور الجمال إلى عكا، حيث وزّعها الظالم العاتي على الأفران لحرقها، فأشعل النار فيها حوالي عام ١١٩٨هـ[١]. وقيل: إن الأفران ظلت توقد من هذه الكتب مدة ستة أيام، وقد سرق منها الكثير، كما باع بعض أهالي عكا للعامليين جزءاً كبيراً منها، وحفظ ما هرب به العامليون إلى العراق وإيران والهند[٢]. وقد هلك هذا الطاغية الجزار عام ١١٢٩هـ الموافق ١٨٠٤م[٣].

هذا وإن جبع قد تغنى بها الشعراء كثيراً في مختلف العصور ونظّموا بوصفها الأشعار والقصائد الطوال لا سيما في منتزه (عين القبي) المشهور الذي ورد ذكره على ألسنة الشعراء وردّدوه في أغلب قصائدهم التي قيلت في وصف جباع ومدحها.

وفي عام ١٣٣١هـ زارها العلامة الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء النجفي فوصفها وصفاً رائعاً في قصيدة عصماء قال منها:

جبع جنة في الخلد تزهو ... بأنهار عيونها جاريات

وله أيضاً:

كأنك يا جباع جنان خلدٍ ... بها الأنهار تجري والعيون

وقال فيها الشيخ عباس القرشي من قصيدة:

أفي الفردوس وجدك أم جباع ... وفي كلتيهما تهوى الخلودا
ولو كنتُ المُسيّر في خلودي ... فعن جبع وحقّك لن أحيدا

ولشاعر قديم هذه الأبيات:

إذا رمت الجنان وأنت حيٌّ ... فلا تعدل قلوصك عن جباع
ففي الفردوس عينان وفيها ... ثلاث مئين تجري باطلاع

(١) تاريخ جبل عامل، جابر، ص ١٧.
(٢) خطط جبل عامل، ص (١٥٨ ـ ١٥٩).
(٣) تاريخ جبل عامل، ص ١٧.

وقال فيها عبد الحسن عبد الله:

جـبـــع أرى أم جــنـــة وخـــلـــودا فـيـهـزنـي الـوجـد الـقـديـم جـديـدا
يـا جـنـة الـدنـيـا تـركـتـك مـرغـمـاً وتـركـت عـنـدك قـلـبـي الـمـعـمـودا

وسنأتي على ذكر بعض القصائد والأشعار المطولة التي قيلت في وصف جباع في نهاية هذا الكتاب الذي قسمناه إلى ثلاثة عهود:

العهد الأول: ٩٣٠هـ الموافق ١٥٣١م

العهد الثاني: ١٢٦٠هـ الموافق ١٨٤٤م

العهد الثالث: ١٣٧٢هـ الموافق ١٩٥٣م

الفصل الأول

العهد الأول من تاريخ جُبَاع

بدء النهضة العلمية
٩٣٠هـ - ١٥٣١م

تعتبر «جُبَع» من الحواضر العلمية القديمة في جبل عامل[١] وأغناها بمن تخرّج منها وبما أنتج أبناؤها من مؤلفات، وما تركوا من آثار علمية قيّمة. وقد ذكر السيِّد محسن الأمين في أعيان الشيعة من أعلامها الكبار ما يزيد على خمسين شخصية كبيرة[٢].

وفي أوائل القرن التاسع الهجري بدأت مداها العلمي بتقديمها الكبار من الرجالات والأعيان «كالشهيد الثاني الشيخ زين الدين» وولده وأحفاده حتى تعاقب من ذريته اثنا عشر عالماً سمّوا (بسلسلة الذهب)[٣] واستمرت النهضة العلمية فيها حتى أواخر القرن الحادي عشر الهجري حيث توقفت هذه النهضة وأعقبها فتور علمي ظلّ حتى أواسط القرن الثالث عشر الهجري، فقام مؤخراً العلامة «الشيخ عبد الله نعمة الكبير» فأسس فيها مدرسة جديدة «في العهد الثاني» أنفق في سبيلها أحد الوجهاء في ذلك العهد وهو «الحاج سليمان الزين» أموالاً كثيرة[٤]، وقد تخرج من هذه المدرسة عدد وافر من العلماء سوف نأتي على ذكرهم مفصلاً في باب «العهد الثاني».

---

(١) **الحركة الفكرية في جبل عامل**، تأليف محمد كاظم مكي، ص ٣٣.

(٢) **خطط جبل عامل**، للسيد محسن الأمين، ص ٢١٢.

(٣) **العرفان**، ج ٢٧/٦٣٠.

(٤) **خطط جبل عامل**، ص ٢١٢.

وتعشق العامليون العلم فسعوا إليه إلى أبعد الأصقاع والبلاد المعمورة بالعلم، ينشرون الثقافة، ويأخذون العلم والمعرفة ويساهمون في بناء الحضارة.

وقبل أن نأتي على ذكر مدرسة «جبع» في عهدها الأول لا بدّ لنا من أن نعرج على «جزين» التي كانت من الأسباب التي أدّت إلى تعزيز مدرسة «جبع» وازدهار النهضة العلمية فيها كما سيأتي بيانه.

لما بات أمر الهجرة إلى جامعة «النجف الأشرف» عسيراً إثر غارات التتر، ونكبة «بغداد»، وتعطيل الجامعة العلمية واضطراب الأمور، أنشأ الشهيد الأول «الشيخ محمد بن مكي»(1) مدرسة «جزين» عام ٧٧١هـ ١٣٧٠م(2).

ويبدو أن «جزين» قبل أن يؤسس فيها الشهيد الأول الشيخ محمد بن مكي مدرسته فيها، كانت مقصداً لطلاب العلم ومجمعاً للعلماء والمفكرين من المشتغلين بالفقه الإسلامي وأصوله منذ القرن السادس هجري.

ولقد توفي فيها في أواخر القرن السادس هجري علامة كبير هو إسماعيل بن الحسين بن العودي الأسدي الحليّ فرثاه الشاعر العاملي إبراهيم بن حسام بقصيدة منها:

عرج «بجزين» يا مستبعد النجف ... ففضل من حلّها يا صاح غير خفي(3)

---

(١) هو محمد بن مكي الملقب شمس الدين ولد في جزين (٧٣٤هـ ـ ١٣٣٤م) ودرس فيها ثم انتقل إلى العراق ودرس في «الحلة» ثم طاف في «مكة» و«المدينة» و«دمشق» و«القدس» و«مصر» وعاد إلى «جزين» ليفتح مدرسة فيها. وكان فقيهاً عملاقاً في المقدرة والشهرة، صنّف كتاباً ضخماً في الفقه الإسلامي أسماه اللمعة الدمشقية، وهو إلى اليوم من أمهات كتب التدريس في الفقه. وقد شرحه الإمام العلامة «الشهيد الثاني» وأما بقية مؤلفاته في مختلف العلوم والفنون فقد أربت على المائة كما ورد في سيرته، وقد كان أيضاً شاعراً أديباً له قصائد في الشعر الوجداني.

ولم يسلم هذا الإمام من شرور التعصب، وكيد الحسّاد والوشاة كالقاضي ابن جماعة الدمشقي وتقي الدين الخيامي وغيرهما، فقبض عليه بأمر نائب دمشق الخوارزمي في عصر السلطان برقوق من ملوك دولة المماليك البرجية المصرية وسجن في قلعة دمشق، ودام اعتقاله أحد عشر شهراً ثم قتل وصلب وأحرقت جثته ضحى الخميس تاسع جمادى الأولى سنة (٧٨٦هـ ـ ١٣٨٤م) فأطلق عليه اسم الشهيد الأول لأنه أول عالم قتل في سبيل الدين.

(٢) **العرفان**، مجلد ٢٧، ص ٤٦٢.

(٣) **أعيان الشيعة**.

نور ثوى في ثراها فاستنار له ... وأصبح الترب فيها معدن الشرف
لمثل يومك كان الدمع مدّخراً ... بالله يا مقلتي سحي ولا تقفي
لا تحسبنّ جود دمعي بالبكاء سرفاً ... ل شحّ دمعي محسوب من السرف

ولقد صار لمدرسة جزين شهرة كبيرة واسعة وكانت محشودة بالسكان وكلهم عامليون، وكان فيها جامع كبير ومئذنة رفيعة، وكان فيها اثنا عشر شيخاً من العلماء الكبار الأفاضل، ولذا صارت جزين محط الرحال وطلبة العلم ومنتجعي الأدب[1].

ونبغ فيها عدد كبير من العلماء، (وقيل: إنه صلّى على جثمان أحد وجهائها سبعون عالماً مجتهداً).

ولم يسمح لهذه الجامعة في جزين أن تكمل عملها التثقيفي ومهمتها العلمية، فإن النزاع الذي كان قائماً بين سكانها العامليين والقبائل المجاورة في الشوف هدد أوضاعها فخسرت مكانتها بعد أن هجرها ساكنوها وكان آخر خروج العامليين منها ١١٧١هـ - ١٧٥٧م[2] وقيل: إن القاضي «عبّاد بن جماعة» بدمشق وكان ضخم الجثة والشيخ الشهيد الأول كان صغير الجسم نحيله جداً فأراد «ابن جماعة» التهكم على الشهيد لصغر جسمه، فقال له الشيخ الشهيد الأول على الفور: (هكذا يكون ابن الواحد) فاغتاظ يومئذٍ القاضي ابن جماعة وسعى بقتله[3].

ثم بعد تضعضع هذه الأوضاع في مدرسة جزين انتقلت الحركة العلمية ومعظم العلماء والأفاضل إلى مدرسة «جبع» لقربها من جزين بطبيعة الحال.

فكان لمدرسة «جبع» في العهد الأول ابتداءً من عهد الشهيد الثاني الشيخ زين الدين في مضمار العلم صفحات نيرات ومنارة علم وهدى، ففي رحابها نما وترعرع ودرس العلماء الأعلام الذين نبدأ بترجمة حياة البعض منهم، ولا يسع المقام استيفاء أسماء جميع العلماء الذين ظهروا في جبع أو درسوا فيها في عهدها الأول وعهدها الثاني.

غير أننا نكتفي بسرد أسماء أشهرهم ذكراً، وأغزرهم علماً، وأوفرهم معرفة وفضلاً، ولا

---

(١) **الحركات في لبنان**، أبو شقرا، ص ١٥١.
(٢) المرجع نفسه.
(٣) **العرفان**، مجلد ٨، ص ٧٦٠.

سيما الذين كثرت تآليفهم ورحلوا إلى الأقطار الشرقية الإسلامية.

أعامل والجزيرة لي بلادُ ولي في أهلها أهل وصحبُ
ذكرتُ العلم فيك وكل بحر له من بحر علم بنيك عبُ
وعصراً فيه من «جُبع» و«ميس» و«عيناثا» مصابيح تشبُ
ودهراً من شهيديه استمدت سنا العرفان أزمنة وحقبُ

الشيخ إبراهيم الكفعمي

٨٤٠هـ - ١٤٣٦م

٩٠٥هـ - ١٥٠٠م

نسبه ومولده:

هو إبراهيم بن علي بن الحسن بن محمد بن صالح العاملي اللويزي الجبعي، ينتهي نسبه إلى الحارث الهمداني صاحب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، من قبيلة همدان التي ناضلت مع الإمام في حروبه[(١)] لذا فهو يسمى أيضاً بإبراهيم العاملي الحارثي الهمداني ولقبه تقي الدين ولقد اشتهر بالكفعمي نسبة لبلدته التي ولد فيها وهي قرية «كفرعيما» من جبل عامل التي درست في القرن الحادي عشر هجري[(٢)] ولقد زوّدته هذه القرية بهذا الاسم مع تصرف في اللفظة بقصد التخفيف فالأصل كفرعيماوي[(٣)] ولعل والده الذي كان عالماً جليلاً سكن هذه القرية مع أنه جبعي النشأة والمولد. وقد تجمع أجداده في قرية اللويزة من أعمال جزين، فهو على حد قوله لويزي المحتد جبعي الأب والنشأة[(٤)].

حياته ودراسته:

عاش إبراهيم في بيت علم فقد كان أبوه عالماً، وكذلك أخوه أحمد كان جليلاً في علمه وأدبه وله مصنف أسماه زبدة البيان، أخذ عنه أخوه إبراهيم كثيراً لكتابه (البلد الأمين).

---

(١) **الغدير**، ٢١٣/١١.

(٢) **العرفان**، محمد خليل الزين، ٢٩٠/٢٤.

(٣) **أعيان الشيعة**، ٢٨٦/٥.

(٤) **أمل الآمل**، ص ٥.

ولقد توفي أحمد في حياة إبراهيم[١]. وبعد أن تلقى إبراهيم المعارف الأولية على والده شدَّ الرحال إلى جزين ليتعلم في مدرستها النحو والمعاني والمنطق والبيان ثم توجه شطر الحلة، مُستبحراً من علمائها. وكان شيوخه الشريف حسين بن مساعد الحائري، وعلي بن عبد الحسين بن سلطان الموسوي؛ وقد رووا عنه ما في كتبه كما كانت له معهم مراسلات في حياته[٢] وعاد إلى بلاده بعد أن بلغ درجة الاجتهاد، واستفاد أبناء وطنه من علمه وفقهه. وقد ألّف رسالة في الفقه سمّاها «العين المبصرة» هذا وقد ألمَّ بالفلسفة والأدب والتاريخ[٣].

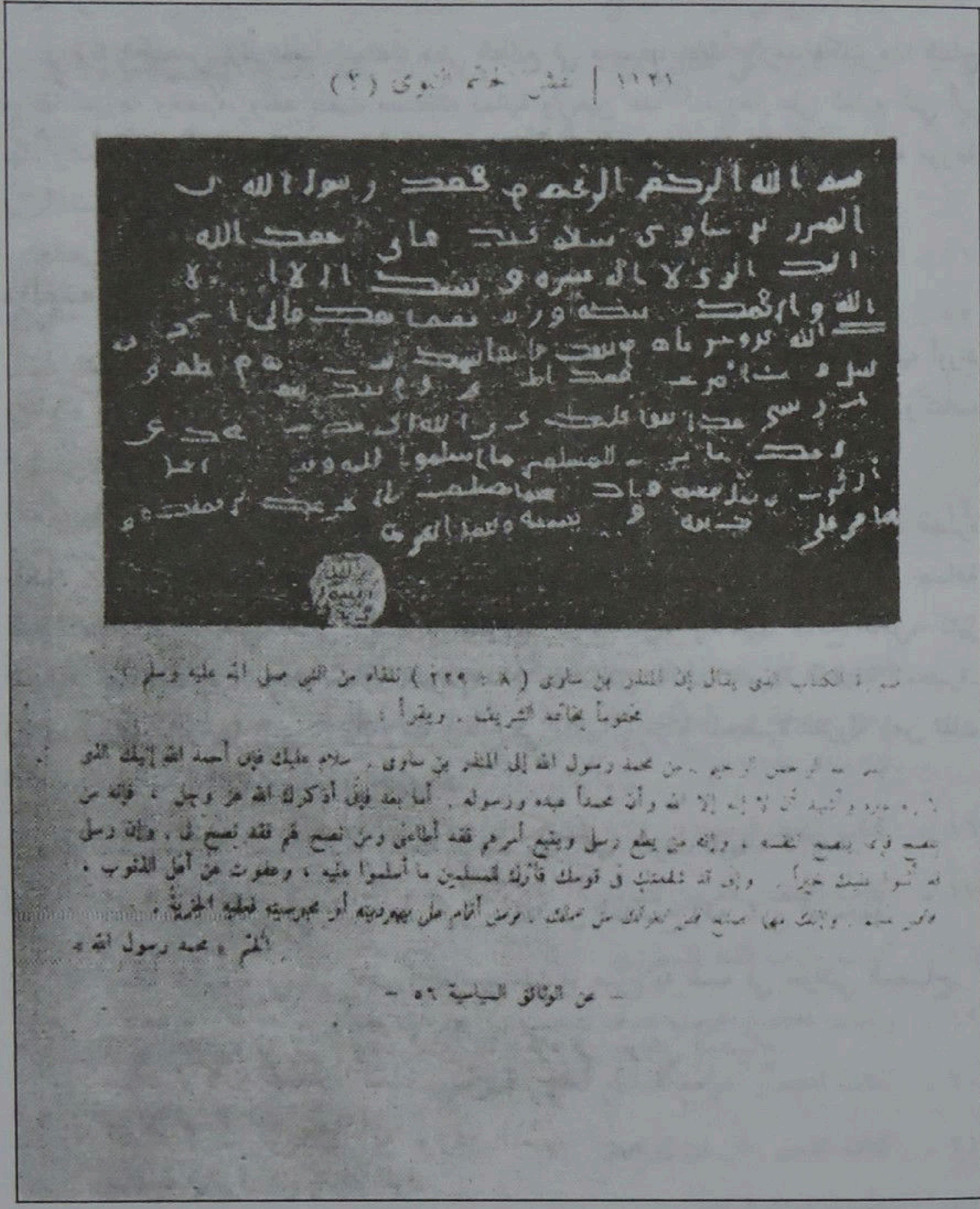
وانصرف إلى التأليف زاهداً في دنياه مؤثراً التقشف والطاعة على ملاذ الدنيا حتى وافته المنية فمات في بلدته كفرعيما ودفن فيها[٤] وليس في كربلاء مع أنه كان راغباً في ذلك؛ وفي ذلك يقول:

«سألتكم بالله أن تدفنوني إذا مت في قبر بأرض عفير
فإني به جار الشهيد بكربلا سليل رسول الله خير مجير[٥]»

وقد كان تاريخ وفاته موضوعاً تضاربت فيه الآراء، وإن أثبت الكثيرون أن عام ٩٠٥هـ - ١٥٠٠م هو تاريخ هذه الوفاة[٦] بينما يذهب (بروكلمان) إلى أن عام ٨٩٥هـ هو تاريخ صحيح معتمداً على تاريخ آخر مؤلف له[٧] يسمى «المصباح».

---

(١) **الكنى والألقاب.**
(٢) **روضات الجنات**، الخونساري، ص ٨.
(٣) **العرفان**، ٢٩٢/٢٤.
(٤) **الأعلام**، الزركلي، ص ٤٨.
(٥) انظر نموذجاً قيل: إنه من خط الرسول وخاتمه الشريف.
(٦) **معجم المؤلفين**، كحالة، ٥٦/١.
(٧) Brockelmn .



١١٢١ | نقش خاتم النبوي (٢)

[illegible] الكتاب الذي يقال إن المنذر بن ساوى (٨ : ٢٢٩) تلقاه من النبي صلى الله عليه وسلم [illegible]
مختوماً بخاتمه الشريف . ويقرأ :

بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى . سلام عليك فإني أحمد الله إليك الذي لا إله غيره وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله . أما بعد فإني أذكرك الله عز وجل ، فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه ، وإنه من يطع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني ومن نصح لهم فقد نصح لي ، وإن رسلي قد أثنوا عليك خيراً ، وإني قد شفعتك في قومك فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه ، وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم ، وإنك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك ، ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية .
الختم : محمد رسول الله .

— عن الوثائق السياسية ٥٦ —

هذه الوثيقة النادرة قيل: إنها كتابٌ موجهٌ من الرسول (ص) إلى الملك المنذر وفي ذيلها خاتمه الشريف أوردناها لليمن والبركة.

آثاره:

ترك الكفعمي إرثاً علمياً ضخماً، دينيّ الطابع في مجمله، عابقاً بالزهد فكان هذا النتاج موافقاً لمزاجه وعصره. ولقد بلغت مصنفاته ثمانية وأربعين عداً[1] موزعة على العلوم التي ألمّ بها. ولقد ظهر فيها الكفعمي (مفسراً ومحدثاً وفقيهاً وأديباً وشاعراً)[2] وكانت مصنفاته موزعة بين الفلسفة، العبادات، التفسير، الفقه، الشعر، الأدب والتاريخ.

مؤلفاته:

من أشهر مؤلفاته الجنة الوافية، والجنة الباقية، المعروف بمصباح الكفعمي فيه أوراد ومناجاة وأدعية طبع في إيران عدة طبعات وله كتاب نهاية الأرب في أمثال العرب، وكتاب فرج الكرب، ومما ذكره الشيخ يوسف البحراني في كشكوله[3] عن إبراهيم قوله:

«الفاضل الكامل الفقيه المعروف بالكفعمي من أجل علماء الأصحاب. وكان عصره متصلاً بزمن خروج الغازي في سبيل اللّه شاه إسماعيل الصفوي. ويروي الكفعمي عن جماعة عدة منهم والده ثم له يد طولى في أنواع العلوم لا سيما العربية والأدب، جامع حافل، كثير التتبع في الكتب. وكان عنده كتب كثيرة جداً وأكثرها من الكتب العربية اللطيفة المعتبرة. ويقال: إنه ورد المشهد الغروي وأقام به، وطالع في كتب الخزانة للحضرة الغروية ومن تلك الكتب ألّف كتبه الكثيرة في أنواع العلوم منها:

١ - المصباح وهو الجنة الواقية، والجنة الباقية، وهو كثير الفوائد تاريخه ٨٩٥هـ.

٢ - كتاب البلد الأمين في العبادات، أكبر حجماً من المصباح وفيه شرح الصحيفة.

٣ - الرسالة الواضحة في شرح صورة الفاتحة على ما صرّح به نفسه في حواشي المصباح.

٤ - صفوة الصفات في شرح دعاء السمات، ذكره في حواشي المصباح.

٥ - الإسناد في البحار.

٦ - رسالة لمع البرق في معرفة الفرق.

---

(١) **أعيان الشيعة**، ٢٩١/٥.

(٢) **معجم المؤلفين**، كحالة، ٦٥/١.

(٣) **كشكول**، البحراني.

٧ ـ زهر الربيع في شواهد البديع.

٨ ـ نهاية الأرب في أمثال العرب.

٩ ـ نور حديقة البديع ونور حديقة الربيع.

١٠ ـ كتاب الكوكب الدرّي.

١١ ـ كتاب حديقة أنوار الجنان الفاخرة، وحديقة أنوار الجنان الناظرة.

١٢ ـ كتاب العين المبصرة.

١٣ ـ كتاب مجلة العروس.

وكتاب مشكاة الأنوار، وهو غير مشكاة الأنوار لسبطه الشيخ أبي علي الطبرسي.

١٤ ـ رسالة محاسبة النفس اللوّامة وتنبيه الروح النوّامة، وقد ترجمت إلى الفارسية، وطبعت مراراً.

١٥ ـ كتاب مجموع الغرائب، وموضوع الرغائب. وقد ذكر الكفعمي في هذا الكتاب جملة أفصحت عن محتواه (جمعته من ألف صنف ومؤلف) وما زال هذا الكتاب مخطوطاً ومنه نسخة في المكتبة الرضوية في إيران وقفها أسد اللّه بن خاتون العاملي سنة ١٠٦٧هـ ١٧١٧م[١].

١٦ ـ كتاب اللفظ الوجيز في قراءة الكتاب العزيز.

١٧ ـ كتاب اختصار الغريين للهروي.

١٨ ـ كتاب مغرب اللغة للمطرزي.

١٩ ـ وكتاب اختصار غريب القرآن لمحمد بن عزيز السجستاني.

٢٠ ـ كتاب اختصار جوامع الجامع للشيخ الطبرسي.

٢١ ـ كتاب تفسير علي بن إبراهيم.

٢٢ ـ اختصار زبدة البيان.

٢٣ ـ مختصر مجمع البيان للطبرسي.

---

(١) **الأعلام**، للزركلي، ٤٨/١.

٢٤ ـ كتاب اختصار علل الشرائع للصدوق.

٢٥ ـ كتاب القواعد الشهيدية.

٢٦ ـ اختصار كتاب المجازاة النبوية للسيد الرضي.

٢٧ ـ اختصار كتاب الحدود.

٢٨ ـ كتاب الحقائق في تفسير الألفاظ المتداولة في الشرع وتفريقها.

٢٩ ـ كتاب حياة الأرواح ومشكاة المصباح، وهو يشتمل على ثمان وسبعين باباً في اللطائف والأخبار والآثار. فرغ من تأليفه سنة ٨٥٣هـ.

٣٠ ـ كتاب التلخيص في المسائل العويصة من الفقه.

٣١ ـ كتاب مختصر نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تأليف كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن سعيد الأنباري.

٣٢ ـ اختصار كتاب لسان الحاضر والنديم.

٣٣ ـ كتاب فرج الكرب وفرح القلب في علم الأدب بأقسامه وهو يقرب من عشرين ألف بيت.

وقد بلغت مؤلفاته الثمانية والأربعين، ولكننا لم نستطع أن نذكر منها سوى هذا العدد.

ومن شعره قصيدة طويلة في عيد الغدير نذكر منها:

هنيئاً ليوم الغدير ... ويوم الحبور ويوم السرور
ويوم الإمارة للمرتضى ... أبي الحسنين الإمام الأمير
وسل عنه بدراً وأحداً ترى ... له سطوات شجاع جسور

وله أيضاً:

هذه الصفات وهذه النعوت ... لحامي الغري الإمام الأمير
بحقك مولاي فاشفع لمن ... أتاك بمدح شفاء الصدور
هو الجبعي المسيء الفقير ... إلى رحمات الرحيم الغفور
أتاه النذير فأصبح يقول ... أعيذ نذيري بسبط النذير
أتيت الإمام الحسين الشهيد ... بقلب حزين ودمع غزير
أتيت ضريحاً شريفاً به ... يعود الضرير كمثل البصير

أتيت إمام الهدى سيدي إلى الحائر الجار للمستجير
أرجي الممات ودفن العظام بأرض الطفوف بتلك القبور
لعلي أفوز بسكنى الجنان وحور وقصر من أعالي القصور

وله أيضاً في مدح أهل البيت:

أنا مسكينكم قتيل هواكم صرت من فقدكم يتيماً أسيرا
ما تخافون شر يوم شديد قد دعي مع عبوسه قمطريرا
يا ولاة الهداة بشراً فأنتم سوف تجزون جنة وحريرا

الشهيد الثاني

نسبه:

هو الإمام الشيخ الأجل زين الدين بن نور الدين بن علي بن أحمد بن محمد بن جمال الدين بن تقي بن صالح بن مشرف العاملي الجبعي. أمره في الثقة، وجلالة القدر والعلم والفضل والزهد، والعبادة والورع والتقى والتحقيق والتدقيق والتبحر في العلم، وهو أشهر من أن يعرّف.

وكان والده الشيخ نور الدين علي المعروف بابن الحاجة النحاريري من كبار أفاضل عصره. وقد قرأ عليه ولده الشهيد جملة من الكتب العربية والفقهية.

وكذلك جميع أجداده كانوا أفاضل أتقياء. وجده الأعلى الشيخ صالح بن مشرف الطوسي العاملي كان من تلامذة العلامة الشهيد الأول محمد بن مكي(1).

مولده:

ولد الشيخ زين الدين في الثالث عشر من شوال سنة ٩١١هـ وختم القرآن وعمره تسع سنين، وقرأ على والده العربية، ثم توفي والده سنة ٩٢٥هـ وعمره إذ ذاك أربع عشرة سنة.

أسفاره:

ثم ارتحل إلى قرية ميس وهي أول رحلاته فقرأ على الشيخ الجليل علي بن عبد العال الميسي الشرائع والإرشاد وأكثر القواعد وكان هذا الشيخ زوج خالته ووالد زوجته؛ ثم ارتحل إلى كرك نوح وقرأ على السيد المعظم السيد حسن ابن السيد جعفر الكركي الموسوي صاحب كتاب المحجة البيضاء قواعد ميثم البحراني، والتهذيب والعمدة، وكلاهما في أصول الفقه من

---

(1) **الكنى والألقاب**، ج٢، ص ٣٥٠.

مصنفات السيد المذكور والكافي في النحو وغير ذلك.

ثم عاد إلى بلدته جبع سنة ٩٣٤هـ وأقام فيها مشتغلاً بمطالعة العلوم والآداب والمذاكرة إلى سنة ٩٣٧هـ.

ثم ارتحل إلى دمشق وقرأ على الشيخ الفاضل الفيلسوف شمس الدين محمد بن مكي[١] بعض كتب الطب كالموجز وغاية القصد في معرفة الفصد من تصانيفه وفصول الفرغاني والهيئة وبعض حكمة الإشراق[٢] وقرأ على الشيخ أحمد بن جابر الشاطبية في علم القراءات ثم رجع إلى جبع سنة ٩٣٨هـ.

ثم ارتحل إلى دمشق يريد مصر واجتمع في تلك السفرة مع الشيخ الفاضل شمس الدين ابن طولون الدمشقي وقرأ عليه جملة من الصحيحين في الصالحية في المدرسة السليمية وأجيز منه روايتهما ثم ارتحل من دمشق إلى مصر يوم الأحد في منتصف ربيع الأول سنة ٩٤٢هـ ودخل مصر بعد شهر من خروجه. واشتغل على جماعة من العلماء، منهم الشيخ أبو الحسن البكري صاحب كتاب الأنوار في مولد النبي ﷺ[٣].

ثم عاد إلى بلده جبع في غرة شهر صفر سنة ٩٤٤هـ وأقام فيها إلى سنة ٩٤٦هـ وتوشح ببرد الاجتهاد، إلا أنّه بالغ في كتمان أمره. ثم ارتحل إلى العراق لزيارة الأئمة عليهم السلام في السنة المذكورة وعاد منها وأقام في جبع إلى سنة ٩٤٨هـ[٤].

دراسته:

ثم ارتحل إلى بيت المقدس واجتمع بالشيخ شمس الدين بن أبي اللطف المقدسي وقرأ عليه بعض صحيح البخاري، وبعض صحيح مسلم، وأجازه إجازة عامة. ثم رجع إلى بلدته جبع وانكبّ على مطالعة العلوم والمذاكرة مستفرغاً وسعه.

ثم ارتحل إلى قسطنطينية سنة ٩٥٢هـ ولم يجتمع مع أحد من الأعيان إلى ثمانية عشر يوماً وكتب خلالها رسالة في عشرة مباحث من عشرة علوم أوصلها إلى القاضي محمد بن

---

(١) هو غير محمد بن مكي الجزيني الشهيد الأول.
(٢) **روضات الجنان**، ص ٢٧٨.
(٣) **الروضات**، ص ٨٨.
(٤) **الروضات**، ص ٨٨.

محمد قاضي زاده فوقعت منه موقعاً حسناً وكان رجلاً فاضلاً، وتباحثا في مسائل كثيرة(١).

أسباب إقامته في بعلبك:

ثم إن القاضي زاده بعث إليه الدفتر المشتمل على الوظائف والمدارس وبذل له ما اختاره، فاختار منها بعد الاستخارة المدرسة النورية في بعلبك التي وقفها السلطان نور الدين وأخذ بها براءة سلطانية، وأقام في بعلبك مدة قليلة اجتمع فيها بالسيد عبد الرحيم العباسي. صاحب معاهد التنصيص، وأخذ منه شطراً. وخرج من بعلبك في ١١ رجب متوجهاً نحو العراق، وبعد زيارة أئمتها رجع إلى بلده جبع في صفر سنة ٩٥٣هـ ثم عاد إلى بعلبك وأخذ يدرس في المذاهب الخمس واشتهر أمره وصار مرجعاً للأنام ومفتياً لكل طائفة بما يوافق مذهبها.

وصار أهل البلد كلهم في انقياده، ورجع إليه الفضلاء من أقاصي البلاد.

سيرته:

ثم انتقل إلى بلده جبع بعد خمس سنين بنيّة المفارقة، وأقام في بلده مشتغلاً بالتدريس والتصنيف. ومصنفاته كثيرة مشهورة أولها الروض وآخرها الروضة. ألّفها في ستة أشهر، وستة أيام، وكان غالب الأيام يكتب كراساً. ومن عجيب أمره أنه كان يكتب بغمسة واحدة في الدواة عشرين أو ثلاثين سطراً، وخلف ألفي كتاب منها مائتا كتاب كانت بخطه الشريف من مؤلفاته وغيرها بالرغم مما كان يقوم به من أعمال. فقد روى عنه تلميذه الشيخ محمد بن علي ابن الحسن العودي الجزيني في رسالة بغية المريد في أحوال الشهيد يقول: لقد شاهدت منه لما كنت بخدمته إذ كان ينقل الحطب في الليل لعياله ويصلي الصبح في المسجد ويجلس بعدها للتدريس والبحث كالبحر الزاخر ويأتي بمباحث غفل عنها الأوائل والأواخر(٢).

بعض ألوان حياته:

وذكر أنه كان يتعاطى جميع مهماته بقلبه وبدنه، مضافاً إلى مهمات الواردين، ومصالح الضيوف المترددين إليه، مع أنه كان غالب الزمان في الخوف الموجب لإتلاف النفس، والتستر

---

(١) المرجع نفسه.

(٢) **الروضات**، ص ٢٨٨.

والإخفاء الذي لا يسع الإنسان أن يفكر معه في مسألة من الضروريات البديهية.

أسباب مقتله واستشهاده:

وفي سنة ٩٦٥هـ وكان في سن الرابعة والخمسين، ترافع إليه رجلان فتشاتما بحضرته فقال أحدهما للآخر: أنت واحد كلب، فنهره الشيخ وقال له: إن الكلب معروف، ومن ثم حكم لأحدهما على الآخر. فذهب المحكوم عليه إلى قاضي صيدا وكان اسمه «معروفاً» فأوغر صدره عليه زاعماً أن الشهيد قال أثناء مرافعتهما: إن الكلب «معروف» وهو يقصد القاضي.

وكان الشهيد آنذاك مشغولاً بتأليف شرح اللمعة فأرسل القاضي إلى جبع من يطلبه، وكان مقيماً في كرم له مدة منفرداً عن البلد متفرغاً للتأليف فلم يعثر عليه طلبة القاضي وسألوا أهل البلد عنه فقالوا لهم: قد سافر منذ مدة طويلة.

فحينئذٍ خطر ببال الشهيد أن يسافر إلى الحج وكان قد حجّ مراراً لكنه قصد الاختفاء فسافر في محمل مغطى حتى لا ينكشف أمره[1].

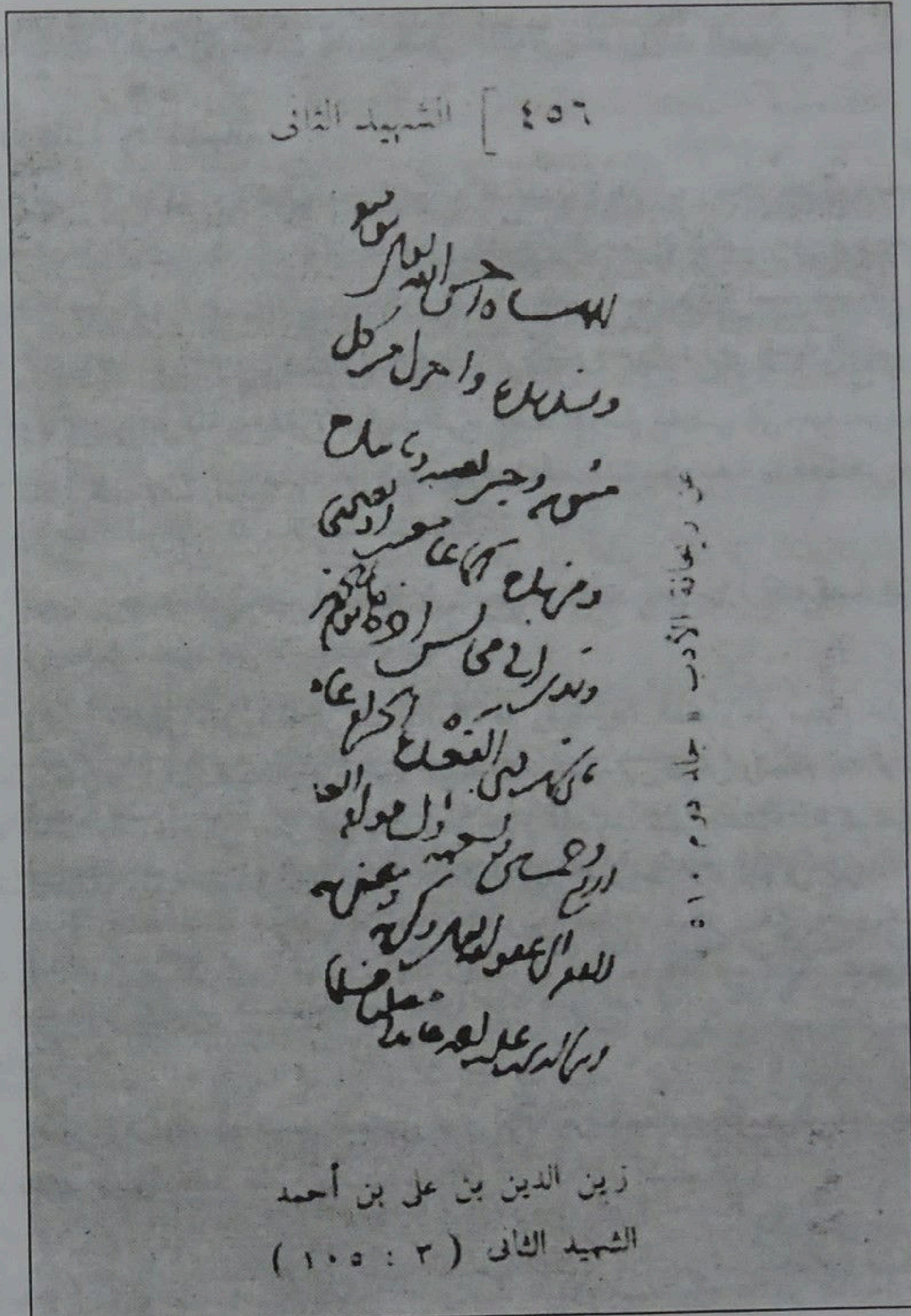
وكتب القاضي «معروف» إلى السلطان أنه قد وُجد ببلاد الشام رجل مبتدع خارج عن المذاهب الأربعة فأرسل السلطان في طلب الشيخ فقبض عليه بين الركن والمقام بعد فراغه من صلاة العصر وأخرجوه إلى بعض دور مكة وظلّ هناك محبوساً شهراً وعشرة أيام ثم ساروا به إلى قسطنطينية، وقيل: قتلوه في الطريق في الأناضول وبقي مطروحاً ثلاثة أيام في العراء.

وروي أنهم قتلوه في مكان من ساحل البحر، وكان هناك جماعة من التركمان فرأوا في تلك الليلة أنواراً تنزل من السماء وتصعد فدفنوه هناك وبنوا عليه قبة، وكان قد حمل رأسه إلى السلطان.

ونقل أن السيد عبد الرحيم العباسي الذي كان يعرف مكانته وفضله قد سعى في قتل قاتليه فقتلهم السلطان.

---

(١) **الروضات**، ص ٢٨٨.



أنهاه أحسن الله تعالى توفيقه وتسديده، وأجزل من كل مثوبة وجزاه الله ما يريده ومزيده، إسماعاً معتبراً وتصحيحاً وتدبراً في مجالس آخرها يوم الخميس ثاني ذي القعدة الحرام عام أربع وخمسين وتسعمائة ولمؤلفه العبد الفقير إلى عفو الله تعالى وكرمه ومغفرته زين الدين بن علي بن أحمد حامداً ومصلياً ومسلماً «نموذج من خط الشهيد الثاني».

كيف رأى في منامه أنه استشهد:

وعن الشيخ البهائي أنه قال: قد أخبرني والدي أنه دخل في صبيحة بعض الأيام على شيخنا الشهيد المعظم فوجده متفكراً. فسأله عن سبب تفكيره فقال: يا أخي أظن أن أكون ثاني الشهيدين لأني رأيت البارحة في المنام أن السيد المرتضى علم الهدى عمل ضيافة جمع فيها العلماء الإمامية بأجمعهم في بيت، فلما دخلت عليهم قام السيد المرتضى ورحّب بي وقال لي: يا فلان اجلس بجنب الشيخ الشهيد فجلست بجنبه فلما استوى بنا المجلس تنبهت إلى أن منامي هذا دليل ظاهر على أني سأكون تالياً له في الشهادة (انتهى).

بعض تلامذته:

وللشهيد الثاني تلاميذ كثيرون من كبار أهل العلم، تتلمذوا عليه، وأخذوا منه، ورووا عنه بالإجازة وغيرها، ومن هؤلاء الأفاضل:

١ ـ السيد نور الدين علي بن الحسين بن أبي الحسن الموسوي والد صاحب المدارك.

٢ ـ السيد علي بن أبي الحسن الموسوي الجبعي الذي كان زاهداً عابداً فقيهاً من أعيان العلماء والفضلاء.

٣ ـ السيد علي بن الحسين بن محمد الصائغ الحسيني العاملي الجزيني كان فاضلاً عابداً فقيهاً محدثاً محققاً من تلامذة الشهيد الثاني وله به خصاصة تامة.

يحكى أن الشهيد الثاني كان له اعتقاد فيه تام وكان يرجو اللّه تعالى إن رزقه ولداً أن يكون مربيه ومعلمه السيد علي بن الصائغ فحقق اللّه رجاءه، وتولّى السيد علي المذكور والسيد علي بن أبي الحسن رحمهما اللّه تربية ابنه الشيخ حسن إلى أن كبر وقرأ عليهما خصوصاً على ابن الصائغ هو والسيد محمد صاحب المدارك أكثر العلوم التي استقاها من والده الشهيد من معقول ومنقول وفروع وأصول وغير ذلك وللسيد ابن الصائغ كتاب شرح الشرائع وشرح الإرشاد وغير ذلك.

٤ ـ الشيخ حسين بن عبد الصمد والد الشيخ البهائي وهو أول من قرأ عليه في أوائل أمره. وكان رفيقه إلى مصر في طلب العلم وإلى اسلامبول في المرة الأولى، وفارقه إلى العراق وأقام بها مدّة ثم ارتحل إلى خراسان، واستوطن هناك وسنشير إلى ترجمته كما سيأتي.

٥ - الشيخ علي بن زهرة الجبعي ابن عم الشيخ حسين عبد الصمد المذكور، وكان على غاية من الصلاح والتقوى والعبادة، وكان الشهيد يعتقد فيه الولاية، وكان رفيقه إلى مصر وتوفي فيها.

٦ - الشيخ العالم الجليل محمد بن الحسين الحر العاملي والد زوجته المتوفاة في حياته. وكانت له به علاقة خصوصية، ومحبة صادقة، وهو جد والد صاحب الوسائل.

٧ - الشيخ محمد بن علي بن الحسن العودي الجزيني. كتب رسالة في أحوال شيخه الشهيد من حين ولادته إلى انقضاء عمره تأدية لبعض الواجب سمّاها بغية المريد من الكشف عن أحوال الشيخ زين الدين الشهيد، وتلامذته كانوا عماد الحركة الفكرية في جبل عامل(١).

ذكر مؤلفاته:

قال عنه صاحب أمل الآمل: إنه ألّف ما يزيد عن ستين كتاباً بين مختصر ومطوّل، أكبرها المسالك في الفقه وكتب بخط يده مائة كتاب، وشرح جلّ كتب الشهيد الأول، وأكبرها كتاب الروضة البهية في شرح اللّمعة الدمشقية في مجلّدين، وشرح الشرائع في سبعة مجلّدات.

ومن مؤلفاته القيّمة:

منية المريد في آداب المفيد المستفيد.

وهو كتاب تربوي جليل قصد منه أن يوضح السبيل أمام المعلم في مهمته، ويزوّد الطالب بوصايا نافعة لأنه الطرف الثاني في عملية التعليم.

وقد قسّم هذا الكتاب تقسيماً علمياً وفي مقدمة الكتاب إشادة بفضل المعلم ووجوب الإقبال عليه.

ولقد عرض في الباب الأول آداباً يشترك فيها المعلم والمتعلم محدداً الصفات الخلقية والعلمية التي يجب أن تتوفر في كل منهما، وهي تتلخص بإخلاص النية، ووضع العلم في ميدان العمل لاستعماله مع حسن الخلق، وعفّة النفس، والانقباض عن السياسة ورجالها،

(١) الحركة الفكرية.

وملازمة الدرس، والتعمّق في البحث، والانقياد للحق عند الهفوة، ويعمد إلى التفصيل في الباب الثاني فيتناول واجب المعلم مفرداً لها ثلاثة فصول.

١) واجباته في نفسه تزوّده بالثقافة الشاملة السامية وبذل العلم وإظهار الحق والمدافعة عنه.

٢) واجباته تجاه طلابه يوجزها في عشرين بنداً كترغيبهم في العلم وتدريجهم على الآداب والشيم، والاهتمام بهم، والحرص على مصالحهم وتقديمها على مصلحته، فكأنه أحد المربين في القرن العشرين. تراه يشدّد على مراعاة الفروق الفردية بين الطلاب ومخاطبة كل منهم على قدر حاجته للفهم محدداً مقدار الدرس ومستواه، وعليه أن يحرّضهم على الاشتغال والدرس ومدح النشيط من طلابه، وأن لا يعمد إلى تفضيل أحدهم، فكلهم يجب أن يكونوا لديه سواسية في المودة والعطف.

٣) واجباته في التدريس... ينطلق أولاً مفصّلاً آدابه في لباسه، وهيئته في جلسته والحركة، والجهة التي يتوجه إليها ليتم له الإشراف على جميع تلاميذه. وعلى المعلم اعتماد أيسر الطرق وأسهل الألفاظ. وإذا ما تعددت الدروس في النهار الواحد يقدم منها الأشرف فالأشرف. وعليه تقسيم الوقت، وتقصير المدة درءاً للملل ومساعدة الطالب في إبراز أسئلته متراجعاً عن خطئه إذا أخطأ.

وقد أبرز هذه الآداب فيما يقرب من ثلاثين بنداً.

الباب الثالث يتناول فيه واجبات المعلم في ثلاثة فصول مشابهة:

١) واجباته في نفسه كانقطاعه عن الدرس، واغتنام فرصة الشباب، والامتناع عن الزواج حتى يقضي من العلم وطره.

٢) آدابه من معلمه تتخلص باتباعه وطاعته، فهو أبوه الروحي وعليه سلوك درب اللياقة معه في سؤاله وجلسته وكلامه. وقد وردت آداب هذا الباب في جمل عديدة من البنود تبلغ الأربعين.

٣) آدابه في درسه: تتناول الحفظ والبحث، والمذاكرة وإحضار أدواته كاملة، وعدم المزاحمة في المجلس، والإصغاء أثناء الدرس، وتقع في ثلاثين بنداً.

وهو في جميع آرائه التي ذكرها يبعد عن جفاف التقسيم، فكل بند من البنود يحتوي على حكم وأمثال، ونصائح، وآيات قرآنية وأحاديث شريفة تؤكد رأيه، وتضفي عليه صبغة الوجوب، فتعين قيمته. هو لا يقف في هذا الكتاب عند التربية فقط بل ينتقل إلى أدب الفتوى

وشروط المفتي والمستفتي، متخلصاً إلى البحث في المناظرة وآدابها، ذاكراً آفاتها وأخطارها، والكتابة وواجباتها، وإتمام العلوم الشرعية والأدبية. وهذه الآراء جاءت في حلّة دينية تربوية عابقة بالأخلاق الفاضلة، غايتها تهذيبية. وقد استحسنا ذكر هذه المقطوعات من الكتاب من أجل الفائدة.

أحواله في طلب العلم(١):

قال ابن العودي: رأيت قطعة بخطه في تاريخ يتضمن مولده وجملة من أحواله جاء فيها:

«هذه جملة من أحوالي وتصرّف الزمان بي في عمري وتاريخ بعض المهمات التي اتفقت لي.

كان مولدي في يوم الثلاثاء ١٣ شهر شوال سنة ٩١١ من الهجرة النبوية. ولا أحفظ بداية اشتغالي بالتعليم، لكن كان ختمي لكتاب اللّه العزيز سنة ٩٢٠ من الهجرة النبوية وسني إذ ذاك تسع سنين. واشتغلت بعده بقراءة الفنون العربية والفقه على الوليد قدّس سرّه إلى أن توفي في العشر الأوسط من شهر رجب يوم الخميس سنة ٩٢٥هـ وكان من جملة ما قرأته عليه مختصر الشرائع واللّمعة الدمشقية.

ثم ارتحلت في شهر شوال من تلك السنة (٩٢٥هـ) مهاجراً في طلب العلم إلى ميس واشتغلت بها على شيخنا الجليل الشيخ علي بن عبد العال الميسي قدّس اللّه سره من تلك السنة إلى أواخر سنة ٩٣٣هـ. وكان من جملة ما قرأته عليه شرائع الإسلام، والإرشاد، وأكثر قواعد اللغة العربية.

وأضاف قائلاً: ثم ارتحلت في شهر ذي الحجة إلى كرك نوح، وقرأت فيها على المرحوم السيد حسن ابن السيد جعفر (صاحب كتاب المحجة البيضاء) جملة من الفنون وكان ممّا قرأته عليه قواعد ميثم البحراني في الكلام والتهذيب في أصول الفقه، والعمدة الجلية في الأصول الفقهية، من مصنفات السيد المذكور، والكفاية في النحو، وسمعت جملة من الفقه وغيره من الفنون.

ثم انتقلت إلى جبع، وطني الأول، في شهر جمادى الآخرة سنة ٩٣٤هـ.

(١) نقلاً عن **أعيان الشيعة**، ج ٣٣، ص ٢٤٢.

ثم قال: وأقمت فيها مشتغلاً بمطالعة العلم والمذاكرة إلى سنة ٩٣٧هـ.

رحلته إلى دمشق

قال: ثم ارتحلت إلى دمشق واشتغلت فيها على الشيخ الفاضل المحقق الفيلسوف شمس الدين محمد بن مكي. فقرأت عليه من كتب الطب شرح الموجز النفيس، وغاية القصد في معرفة الفصد من مصنفات الشيخ المبرور المذكور، وفصول الفرغاني في الهيئة، وبعض حكمة الإشراق للسهروردي، وقرأت في تلك المدّة على المرحوم الشيخ أحمد بن جابر الشاطبية في علم القراءات. وقرأت عليه القرآن بقراءة نافع وابن كثير وأبي عمر وعاصم. ثم رجعت إلى جبع سنة ٩٣٨هـ وبها توفي شيخنا شمس الدين محمد بن مكي وأقمت ببلدتي المذكورة (جبع) إلى تمام سنة ٩٤١هـ.

ثم عدت إلى دمشق، للمرة الثالثة، أول ٩٤٢هـ واجتمعت في تلك السفرة بعدد كبير من الأفاضل. وأول اجتماعي كان بالشيخ شمس الدين بن طولون الدمشقي الحنفي، وقرأت عليه جملة من الصحيحين، وأجازني روايتهما مما يجوز له روايته في شهر ربيع الأول من السنة المذكورة.

سفره إلى مصر

وقال: رحلتُ إلى مصر أول سنة ٩٤٣هـ لتحصيل ما أمكن من العلوم وكان وصولي مصر يوم الجمعة منتصف ربيع الآخر من سنة ٩٤٢هـ واشتغلت فيها على جماعة من أفاضل علمائها، أذكر منهم:

الشيخ شهاب الدين أحمد الرملي الشافعي: قرأت عليه منهاج النووي في الفقه وأكثر مختصر الأصول لابن الحاجب وشرح العضدي مع مطالعة حواشيه السعدية الشريفية. وسمعت عليه كتباً كثيرة من الفنون العربية والفعلية وغيرهما فمنها شرح التلخيص للمختصر في المعاني والبيان لملا سعد الدين ومنها شرح الجويني في أصول الفقه.

ومنها أذكار النووي وبعض شرح جمع الجوامع والمحلى في أصول الفقه وتوضيح ابن هشام في النحو وغير ذلك مما يطول ذكره وأجازني إجازة عامة سنة ٩٤٣هـ.

ومنهم **الملا حسين الجرجاني:** قرأنا عليه جملة من شرح التجريد للملا علي القشوجي

مع حاشية ملا جلال الدين الدواني، وشرح أشكال التأسيس في الهندسة لقاضي زاده الرومي وشرح الجغميني في الهيئة له.

ومنهم **الملا محمد الأسترابادي:** قرأنا عليه جملة من المطول مع حاشية للسيد شريف والجاسي وشرح الكافية.

ومنهم **الملأ محمد علي الكيلاني:** سمعنا عليه جملة في المعاني والمنطق.

ومنهم **الشيخ شهاب الدين بن النجار الحنبلي:** قرأت عليه جميع شرح الشافية للجاربردي وجميع شرح الخزرجية في العروض والقوافي للشيخ زكريا الأنصاري وسمعت عليه كتباً كثيرة في الفنون والحديث منها الصحيحان وأجازني جميع ما سمعت وقرأت، وجميع ما يجوز له روايته في السنة المذكورة.

ومنهم **الشيخ أبو الحسن البكري:** سمعت عليه جملة من الكتب في الفقه والتفسير وبعض شرحه على المنهاج وفي مقدمات البحار.

ومنهم **الشيخ زين الدين الجرمي المالكي:** قرأت عليه ألفية ابن مالك ومنهم المحقق ناصر الدين (الملقاني) المالكي محقق الوقت وفاضل تلك البلدة. لم أرَ بالديار المصرية أفضل منه في العلوم العقلية والعربية. سمعت عليه البيضاوي في التفسير وغيره من الفنون.

ومنهم **الشيخ ناصر الدين الطبلاوي الشافعي:** قرأت عليه القرآن بقراءة أبي عمرو ورسالة في القراءة من مؤلفاته.

ومنهم **الشيخ شمس الدين محمد بن أبي النحاس:** قرأت عليه الشاطبية في القراءة والقرآن العزيز للأئمة السبعة، وشرعت ثانياً أقرأ عليه العشرة، ولم أكمل الختم بها.

ومنهم الشيخ الفاضل الكامل **عبد الحميد السمنهوري:** قرأت عليه جملة صالحة من الفنون وأجازني إجازة عامة.

ومنهم **شمس الدين بن محمد الفرضي الشافعي:** قرأت عليه كتباً كثيرة في الحساب الهوائي، والمرشدة في حساب الهند الغبارى والياسمينية وشرحها في علم الجبر والمقابلة، وسمعت عليه شروح الوسيلة وأجازني إجازة عامة.

وسمعت كذلك في مصر عدداً كبيراً من العلماء يطول الكلام بتفصيلهم، منهم: الشيخ

عميرة والشيخ شهاب الدين بن عبد الحق، والشيخ شهاب الدين البقليني، والشيخ شمس الدين الديروطي وغيرهم.

رحلته من مصر إلى الحجاز:

قال: ثم ارتحلت من مصر إلى الحجاز الشريف في ١٧ شوال ٩٤٣هـ.

عودته إلى وطنه جبع:

قال: ورجعت إلى وطني الأول بعد قضاء الواجب من الحج والعمرة والتمتع بزيارة النبي وأصحابه صلوات الله عليهم وصلت في ١٤ صفر سنة ٩٤٤هـ وأقمت بها (أي جبع) إلى سنة ٩٤٦هـ.

قال ابن العودي: كان قدومه إلى البلاد كرحمة نازلة أو غيوث أحيا بعلومه نفوساً أماتها الجهل، وازدحم عليه طلاب العلم والحكمة، كأن أبواب العلم كانت مقفلة ففتحت، وسوقه كانت كاسدة فربحت، وأشرقت أنواره على ظلمة الجهالة فاستنارت وابتهجت قلوب أهل المعارف وأضاءت أشهر ما اجتهد في تحصيله منه وأشاع، وظهر من فوائده ما لم يطرق الأسماع، رتّب الطلاب ترتيب الرجال وأوضح السبيل لمن طلب العلم. وفي هذه السنة عمّر داره التي أنشأها في جبع وقلت فيها من أبيات:

لقد أصبحت تفتخرين بشراً   بزين الدين إذ قد حلّ فيك
فلا زال السرور بكل يوم   يخاطب بالتحية ساكنيك

وشرع في عمارة المسجد المجاور للدار المذكورة وانتهى سنة ٩٤٨هـ.

سفره لزيارة أئمة العراق عليهم السلام

ثم يتابع الشهيد فيقول: وسافرت إلى العراق لزيارة الأئمة عليهم السلام، وكان خروجي في ١٧ ربيع الآخر ٩٤٦هـ ورجوعي في ١٥ شعبان منها إلى وطني الأول جبع وأقمت بها إلى سنة ٩٤٨هـ.

سفره لزيارة بيت المقدس:

قال الشهيد: وسافرت لزيارة بيت المقدس منتصف ذي الحجة سنة ٩٤٨هـ، واجتمعت في تلك السفرة بالشيخ شمس الدين بن أبي اللطف المقدسي، وقرأت عليه بعض صحيح

البخاري وبعض صحيح مسلم وأجازني إجازة عامة. ثم رجعت إلى الوطن الأول المتقدم (جبع) وأقمت بها إلى أواخر سنة ٩٥١هـ مشتغلاً بمطالعة العلم ومذاكراته مستفرغاً وسعي في ذلك.

سفره إلى القسطنطينية:

قال: ثم برزت لي الأوامر الإلهية والإشارات الربّانية (يشير إلى الاستخارة) بالسفر إلى جهة الروم والاجتماع بمن فيها من أهل الفضل والعلم والتعلّق بسلطان الوقت والزمان السلطان سليمان بن عثمان وكان ذلك على خلاف مقتضى الطبع وسياق الفهم، ولكن ما قدر لا تصل إليه الفكرة الكلية والمعرفة القليلة من أسرار الحقائق وأحوال العواقب.

ثم يقول بعد مقدمات وابتهالات طويلة: وكان الخروج إلى السفر المذكور بعد بوادر الأمر به، والنواهي عن تركه والتخلف عنه وتأخيره إلى وقت آخر ١٢ ذي الحجة الحرام سنة ٩٥١هـ وأقمت بمدينة دمشق بقية الشهر ثم ارتحلت إلى حلب ووصلت إليها يوم الأحد ١٦ شهر المحرم سنة ٩٥٢هـ وأقمت بها إلى السابع من شهر صفر من السنة المذكورة ثم يمضي الشهيد فيذكر الآيات التي استخارها في القرآن الكريم التي جاءت بصواب الطريق التي سلكها مع القافلة ولم يسلك الطريق التي نهت عنها الاستخارة، وكم قاسى الذين سلكوها من غلاء المعيشة وغلاء علف الجمال ومن أن كل علفة جمل كانوا يدفعون ثمنها عشرة عثمانية (أي عشرة دراهم عثمانية) إلى كثير من هذه الأمور التي صادفها.

ثم يمضي فيقول: وكان وصولنا إلى طوقات صبيحة يوم الجمعة ١٢ شهر صفر سنة ٩٥٢هـ ونزلنا بعمارة السلطان بايزيد وهي مدينة كثيرة الخيرات، عامرة آهلة تجلب إليها ومنها أكثر الأمتعة والأرزاق، كثيرة المياه، والجبال محيطة بها من كل جانب، ويليها إلى الشمال وادٍ طويل متسع فيه نهر كبير جداً يشتمل هذا الوادي على ما قيل على نحو أربعمائة قرية شاهدنا كثيراً منها، ومررنا فيه يومين بعد خروجنا من طوقات. وهذه القرى المذكورة كلها عامرة جداً كثيرة الخير والفاكهة، متصلة بعضها ببعض.

ثم يمضي في وصف ما شاهده طوال هذه الطريق فيقول: وكان وصولنا إلى القسطنطينية يوم الاثنين ١٧ شهر ربيع الأول سنة ٩٥٢هـ ووفق اللّه تعالى لنا منزلاً حسناً من أحسن مساكن البلد قريباً إلى جميع أغراضنا. وبقيت بعد وصولي ١٨ يوماً لا أجتمع بأحد من الأعيان. ثم اقتضى الحال أن كتبت في هذه الأيام رسالة جيدة تشتمل على عشرة مباحث جليلة، كل بحث في فن من الفنون العقلية والفقهية والتفسير وغيرها وأوصلتها إلى قاضي

العسكر وهو محمد بن قطب الدين ابن قاضي زاده الروحي وهو رجل فاضل أديب عاقل لبيب، من أحسن الناس خلقاً وتهذيباً وأدباً. فوقعتُ منه موقعاً حسناً وحصل لي بسبب ذلك منه حظ عظيم وأكثر من تعريفي والثناء عليّ للأفاضل، واتفق في خلال هذه المدّة بيني وبينه مباحثة في مسائل كثيرة من الحقائق.

ثم يقول: وكانت مدة إقامتي بمدينة قسطنطينية ثلاثة أشهر ونصفاً، وخرجت منها يوم السبت ١١ شهر رجب ٩٥٢هـ وعبرت البحر إلى مدينة أسْكِدار وهي مدينة حسنة جيدة صحيحة الهواء، عذبة الماء، وأقمت بها أنتظر وصول صاحبنا الشيخ حسين بن عبد الصمد العاملي والد البهائي.

سفره من بلاد الروم إلى العراق:

قال: وكان خروجنا من أسْكِدار متوجهين إلى العراق يوم السبت لليلتين خلتا من شعبان من هذه السنة ٩٥٢هـ وبعد أن يصف ما صادفه في طريقه من قرى وغيرها يمضي فيقول: وكان وصولنا إلى المشهد المقدس المبرور المشرف بالعسكريين بمدينة (سامراء) يوم الأربعاء رابع شهر شوال وأقمنا بها ليلة الخميس ويومه، وليلة الجمعة ثم توجهنا إلى بغداد ووصلنا إلى المشهد المقدس الكاظمي يوم الأحد ثامن الشهر فأقمنا به إلى يوم الجمعة، ومن ثم رحلنا إلى مشهد الحسين عليه السلام ووصلنا إليه يوم الأحد منتصف الشهر المذكور.

رجوعه للبلاد وإقامته في بعلبك:

قال: واتفق وصولنا إلى البلاد في منتصف شهر صفر سنة ٩٥٣هـ ثم أقمنا في «بعلبك» ودرّسنا فيها مدة في المذاهب الخمسة وكثير من الفنون وصاحبنا أهلها على اختلاف آرائهم أحسن صحبة وعاشرناهم أحسن معاشرة، ثم انتقلنا عنهم إلى بلدنا جبع بنية المفارقة امتثالاً لأمر إلهي وأقمنا في بلدنا إلى سنة ٩٥٥هـ مشتغلين بالدرس والتصنيف.

قال ابن العودي: هذا آخر ما وجدته بخطه الشريف مما نسبته إليه من التاريخ المنيف.

أوصافه:

وعن أعيان الشيعة نقلاً عن ابن العودي في رسالته:

«كان ربعة من الرجال، معتدل الهامة. وفي آخر عمره كان إلى السمنة أميل، بوجه صبيح مدوّر، وشعر سبط يميل إلى الشقرة، أسود العينين والحاجبين، له خال على أحد خديْه،

وآخر على أحد جبينيه، أبيض اللون لطيف الجسم، عبل الذراعين والساقين، كأن أصابع يديه أقلام فضة إذا نظر الناظر في وجهه، وسمع لفظه العذب لم تسمح نفسه بمفارقته وتسلّى عن كل شيء بمخاطبته، تملى العيون من مهابته، وتبتهج القلوب لجلالته. وأيم اللّه، إنه فوق ما وصفت، وقد اشتمل على خصالٍ حميدة أكثر مما ذكرت».

مؤلفاته:

وعن أعيان الشيعة[1] نقلاً عن ابن العودي في رسالته:

هو عالم الأوان ومصنفه، ومفرط البيان ومشنفه، بتواليف كأنها الخرائد، وتصانيف أبهى من القلائد، وضعها في فنون مختلفة الأنواع، وأقطعها ما شاء من الإتقان والإبداع، وأول مؤلفاته الروض، وآخرها الروضة، وهذه هي:

١) روض الجنان في شرح إرشاد الأذهان للعلامة الحلّي وصل فيه إلى آخر كتاب الصلاة، وهو أول ما أفرغه في قالب التصنيف بطريق الشرح المزجي «مطبوع».

٢) المقاصد العليّة في شرح الرسالة الألفية للشهيد الأول محمد بن مكي وهو شرح مزجي أيضاً مطول، وفي الرياض أكثره مأخوذ من شرح المحقق الكركي «مطبوع».

٣) شرح الألفية الشهيدية فرغ منه ضحى يوم الإثنين ٢٧ رجب سنة ٩٢٩هـ.

٤) شرح الألفية المذكورة بمنزلة الحاشية تكتب على الهامش لتقييد الفتوى، وقال بعضهم: إن له ثلاثة شروح على الألفية؛ مطول ومتوسط ومختصر. وبعضهم قال: إن له المقاصد العلمية في شرح الألفية وحاشيتين على الألفية.

٥) الفوائد الملية في شرح الرسالة النفلية.

٦) الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية في الفقه بتمامه وهو آخر ما صنفه وأعطي حظاً عظيماً في التدريس فكان عليه المعول، كتبه في ستة أشهر وستة أيام، وكان في الغالب يكتب كل يوم كراساً فرغ منه خاتمة ليلة السبت ٢١ جمادى الأولى سنة ٩٥٧هـ وهو شرح مزجي مطبوع عدة مرات.

٧) مسالك الأفهام إلى شرائع الإسلام شرح على شرائع المحقق الحلّي فيه تمام الفقه

---

(١) **أعيان الشيعة**، ج٣٣، ص ٢٧٨ وما يليها.

مختصر في العبادات، مطول في سواها، وصفه بأنه من أجلّ مصنفاته في سبعة مجلدات كبيرة.

٨) تعليقات لطيفة على المسالك في مجلدين ذكره في بعض إجازاته.

٩) تمهيد القواعد الأصولية والعربية لتفريع الأحكام الشرعية، وصفه مؤلفه بأنه كتاب واحد في فنه بحمد الله ومنّه وذكر في أوله أنه لمّا رأى كتاب التمهيد في القواعد الأصولية وما يتفرّع عنها من الفروع المؤلف سنة ٧٦٨هـ والكوكب الدرّي في القواعد العربية كلاهما للأسنوي الشافعي أراد أن يحذو حذوه ويجمع بين تلك القواعد في كتاب واحد مع إسقاط ما بين الكتابين من الحشو والزوائد، فألّف تمهيد القواعد هذا ورتّبه على قسمين (أحدهما) في تحقيق القواعد الأصولية وتفريع ما يلزمها من الأحكام الفرعية (والثاني) في تقرير المطالب العربية وترتيب ما يناسبها من الفروع الشرعية، واختار من كل قسم منها مائة قاعدة متفرّعة من عدة أبواب مضافاً إلى مقدمات وفوائد ومسائل لا نظير لها في ردّ الفروع إلى أصولها، ورتّب لها فهرساً مبسّطاً لتسهيل التناول للطالب فرغ منه في المحرم سنة ٩٥٨هـ.

١٠) حاشية الإرشاد للعلامة توجد على هوامش الإرشاد من أوله إلى آخره كما عن خط الفاضل الهندي في ظهر روض الجنان(١)، وتوجد مدوّنة مثل الحاشية على فرائض الإرشاد والحاشية على قطعة من عقود الإرشاد وقد ذكرت الأخيرة في عداد مؤلفاته مع حاشية الإرشاد.

١١) حاشية على قواعد العلامة، حقّق فيها المهم من المباحث ومشى فيها مشي الحاشية المشهورة بالتجارية للشهيد الأول وغالب المباحث بينها وبينه. برز منه مجلد إلى كتاب التجارة.

١٢) حاشية مختصرة على الشرائع أخرج منها قطعة صالحة ولعلها هي التي ذكرها في الرياض وسمّاها شرحه الصغير على الشرائع، وفي المحكي عن إجازته للشيخ تاج الدين ابن هلال الجزائري أنها في مجلدين ورأى صاحب كتاب الذريعة، نسخة من هذه الحاشية على كتاب الفرائض.

١٣) حاشية على خلافيات الشرائع، أو حاشية فتوى خلافيات الشرائع كما ذكره في «أمل الآمل».

---

(١) **أعيان الشيعة**، ج٣٣، ص ٢٨٠ وما يليها.

١٤) حاشية على المختصر النافع.

١٥) حاشية الخلاصة وهي التي علّقها بخطه على خلاصة العلامة في الرجال.

١٦) فتاوى المختصر النافع مجردة.

١٧) فتاوى الإرشاد.

١٨) فتاوى اللّمعة مجرّدة.

١٩) رسالة في أسرار الصلاة سمّاها التنبيهات العلية، على وظائف الصلاة القلبية، مطبوعة عدة مرات.

٢٠) رسالة في أحكام النجاسات. مطبوعة.

٢١) رسالة في الطهارة.

٢٢) رسالة في الغسل.

٢٣) رسالة في الطلاق.

٢٤) رسالة في طلاق الغائب.

٢٥) رسالة في الصلاة.

٢٦) رسالة في الحثّ على صلاة الجمعة. مطبوعة.

٢٧) رسالة في خصائص يوم الجمعة من آداب وأعمال وغيرها.

٢٨) رسالة في أحكام الحبوة.

فرغ منها يوم الثلاثاء ٢٥ ذي الحجة سنة ٩٥٦هـ مرتبة على ستة مطالب دائرة على ست كلمات استفهامية، ما مفهوم الحبوة؟ كم أعيان الحبوة؟ هل هي واجبة أم لا؟ من المحبو من الورثة؟ هل يختص محاباً أم لا؟ لِمَ يحبو هو خاصة؟ مطبوعة.

٢٩) رسالة في ميراث الزوجة. مطبوعة.

٣٠) رسالة في جواب على ثلاث مسائل لبعض الأفاضل.

٣١) رسالة في عشرة مباحث مشكلة من عشرة علوم صنّفها في إسطنبول خلال ١٨ يوماً.

٣٢) رسالة في عدم جواز تقليد الأموات من المجتهدين صنّفها برسم الصالح الفاضل السيد حسين بن أبي الحسن جد صاحب المدارك.

٣٣) رسالة سمّاها الاقتصاد والإرشاد إلى طريق الاجتهاد.

٣٤) رسالة في شرح قوله الدنيا مزرعة الآخرة.

٣٥) رسالة في تحقيق النيّة.

٣٦) رسالة في أن الصلاة لا تقبل إلا بالولاية.

٣٧) رسالة في تحقيق الإجماع في حال الغيبة.

٣٨) رسالة في شرح البسملة.

٣٩) رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ﴾.

٤٠) رسالة في تحقيق العدالة.

٤١) رسالة في الواجبات العينية.

٤٢) رسالة في الأخبار مشتملة على خمسة فصول في الرياض ولعلها الكتاب الذي فيه ألف حديث.

٤٣) رسالة في دعوى الإجماع في مسائل من الشيخ ومخالفة نفسه.

٤٤) رسالة في ذكر أحواله وهي التي نقل عنها ابن العودي والذي مرّ ذكره.

٤٥) كتاب منية المريد في آداب المفيد والمستفيد مشتمل على آداب وفوائد جليلة طبع مرتين في الهند وإيران.

٤٦) بغية المريد مختصر.

٤٧) نتائج الأفكار في حكم المقيمين في الأسفار.

٤٨) كفاية المحتاج في مناسك الحج وهو المناسك الكبيرة في الحج والعمرة.

٤٩) مناسك الحج الصغير.

٥٠) رسالة في ثبات الحج والعمرة لطيفة.

٥١) مسكّن الفؤاد عند فقد الأحبّة والأولاد لم يسبق مثله وسبب تصنيفه له، كثرة ما توفي له من أولاد بحيث لم يبق منهم أحد إلا الشيخ حسن صاحب المعالم.

٥٢) مبرد الأحكام مختصر منه.

٥٣) كشف الريبة عن أحكام الغيبة لم يسبق إليه «مطبوع».

٥٤) البداية في علم الدراية.

٥٥) شرح البداية مزجي فرغ منه ليلة الثلاثاء ٥ ذي الحجة سنة ٩٥٩هـ. «مطبوعان معاً».

٥٦) البداية في سبيل الهداية وهو غير المتقدم ذكره.

٥٧) جوهر الكلمات في صيغ العقود والإيقاعات.

٥٨) منار القاصدين في أسرار معالم الدين.

٥٩) منية القاصد في اصطلاحات المحدثين.

٦٠) كتاب الرجال والنسب.

٦١) كتاب تحقيق الإسلام والإيمان، وهو كتاب حقائق الإيمان.

٦٢) كتاب الإجازات.

٦٣) منظومة في النحو وشرحها.

٦٤) أجوبة مسائل الشيخ زين القفعاني شريكه في الدرس.

٦٥) أجوبة مسائل الشيخ أحمد والمراد به الشيخ أحمد العاملي الشهير بالمازحي فإن له مسائل سأل عنها الشهيد الثاني، وأجابه عنها في الذريعة، أكثرها فقهية. تاريخ كتابة النسخة ٩٨٠هـ.

٦٦) أجوبة المسائل الثلاث الخراسانية.

٦٧) أجوبة المباحث النجفية.

٦٨) أجوبة المسائل الهندية.

٦٩) أجوبة المسائل الشاميّة هذه الأربع مذكورة في أمل الآمل.

٧٠) أجوبة ستين مسألة.

٧١) مختصر الخلاصة.

٧٢) فوائد خلاصة العلامة الحلّي في الرجال.

٧٣) إجازة الشيخ حسين عبد الصمد وهي إحدى الإجازات المشهورات تاريخها ليلة الخميس ٣ جمادى الثانية سنة ٩٤١هـ أوردنا قسماً منها في ترجمة الشيخ حسين المذكور.

٧٤) كتاب فيه نحو ألف حديث انتخبها من كتاب المشيخة للحسن بن محبوب.

٧٥) الأربعون حديثاً في الفضائل.

٧٦) آداب الصلاة وهو غير أسرار الصلاة المتقدم.

٧٧) أسرار الزكاة والصوم والحج عن كشف الحجب استخرجه من جواهر القرآن للغزالي.

٧٨) أنوار الهدى في مسألة البدا.

٧٩) الرسالة الاعتقادية في معرفة الله وما يتبعها من الأصول.

ومما قاله ولده الشيخ حسن صاحب المعالم في مدح كتاب المسالك لوالده:

لولا كتاب مسالك الإفهام	ما بان نهج شرائع الإسلام
كلا ولا كشف الحجاب مؤلف	عن مشكلات غوامض الأحكام
قد زيّنته حقائق ودقائق	خضعت لهن نواحب الإفهام
وحوت صحائفه نفيس فرائد	قد نظّمت بنهاية الأحكام
تزهو بهن كمثل أحسن روضة	أزهارها خرجت من الأكمام
إن اللسان لعاجز عن نعته	وكذاك تعجز ألسن الأقلام
فجزى مؤلفه الرحيم بجوده	خير الجزء وخُصَّ بالإكرام

أشعاره

لمّا زار النبي ﷺ سنة ٩٤٣هـ ووقف على قبره الشريف في المدينة المنورة، وكان قد رآه (ص) في منامه بمصر فوعده الخير وأنشأ يقول:

صلاة وتسليم على أشرف الورى	ومن فضله ينبو عن الحد والحصر
ومن قد رقى السبع الطباق بنعله	وعوضه الله البراق عن المهر
وخاطبه الله العلي بحبه	شفاهاً ولم يحصل لعبد ولا حر
عدولي عن تعداد فضلك لائق	يكل لساني عنه في النظم والنثر
وماذا يقول الناس في مدح من أتت	مدائحه الغراء في محكم الذكر
سعيتُ إليه عاجلاً سعي عاجز	بعبء ذنوب جمّة أثقلت ظهري
ولكن ريح الشوق حرّك همّتي	وروح الرجا مع ضعف نفسي ومع فقري
ومن عادة العرب الكرام بوفدهم	إعادته بالخير والحبر والوفر
وجادوا بلا وعد مضى لنزيلهم	فكيف وقد أوعدني بالخير في مصر

فحقق رجائي سيدي في زيارتي بنيل مناي والشفاعة في الحشر

وقد روى تلميذه محمد بن علي بن الحسن العودي الجزيني، وكان دوماً في خدمته وملازمته، وألف بذلك كتاباً سمّاه بغية المريد في الكشف عن أحوال زين الدين الشهيد. ورتّبه على مقدمة وفصول وخاتمة.

ثم يقول: إن الشهيد الثاني لمّا عمّر داره التي أنشأها في جباع قلت أمدحها بأبيات:

فيا لك بقعة قد نلت خيراً وشرَّفك الإله بمن وطيك
لقد أصبحت تفتخرين بشراً بزين الدين إذ قد حلّ فيك
فكيف ولا افتخار وصرت ظرفاً ونبع العلم مسكوب بفيك
تمنى الواردون بأن يكونوا مكانك في سما ومساميك
ليقتنئوا غرائب كل فن من الأقطار قد جُمِّعْنَ فيك
فلا زال السرور بكل يوم يُخاطب بالتحية ساكنيك

وله من قصيدة يرثي بها أستاذه الشهيد الثاني[1]:

هذي المنازل والآثار والطلل مخبرات بأن القوم قد رحلوا
ساروا وقد بعدت عنّا منازلهم فالآن لا عوض عنهم ولا بدل
فسرت شرقاً وغرباً في تطلبهم وكلما جئت ربعاً قيل لي رحلوا
فحين أيقنت أن الذكر منقطع وأنه ليس لي في وصلهم أمل
رجعت والعين عبرى والفؤاد شج والحزن بي نازل والصبر مرتحل
وعاينت عيني الأصحاب في وجل والعين منهم بميل الحزن تكتحل
فقلت ما لكم لا خاب فألكم قد حال حالكم والضرُّ مشتمل
هل نالكم غير بعد الإلف عن وطن قالوا فجعنا بزين الدين يا رجل
أتى من الروم لا أهلاً بمقدمه ناع نعاه فنار الحزن تشتعل
فصار حزني أنيسي والبكا سكني والنوح دأبي ودمع العين ينهمل
لهفي له نازح الأوطان منجدلاً فوق الصعيد عليه الترب مشتمل
أشكو إلى الله رزءاً ليس يشبهه إلاّ مصاب الأُلى في كربلا قتلوا

---

(١) **أمل الآمل**، ج١، ص ٦٦٧.

الشيخ حسين عبد الصمد الهمداني الجبعي

٩١٨هـ - ١٥١٠م

٩٨٤هـ - ١٥٧٦م

هو حسين بن عبد الصمد بن شمس الدين محمد بن علي بن حسين بن صالح الجبعي العاملي الحارثي الهمداني والد الشيخ البهائي ينتهي نسبه إلى الحارث بن عبد الله بن الأعور الهمداني المشهور الذي هو من خاصة أصحاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كما هو مذكور في مجمع البيان وغيره ومنسوب إلى الإمام قوله له:

يا جار همدان من يمت يرني ... من مؤمن أو منافق قبلا
يعرفني شخصه وأعرفه ... باسمه والكنى وما فعلا

وتتمتها:

وأنت عند صراط معترضي ... فلا تخف عثرة ولا زللا
أقول للنار حين توقف للعرض ... ذريه فلا تقربي الرَّجلا
ذريه لا تقربيه إن له ... حبلاً بحبل الولاء متصلا
أسقيك من بارد على ظماءٍ ... تخاله في الحلاوة العسلا

قيل وكان ذلك من بعد أن قال له الحارث وهو في مرض موته وكان أمير المؤمنين عليه السلام قد عاده: يا مولاي إني في أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا. وإني أخاف من الفزع الأكبر، ولا أدري ما يفعل بي، وأخاف من النزع والعبور على الصراط. قيل: ثمّ بكى الحارث وقال: الحمد لله الذي جعلني من شيعتك يا أمير المؤمنين[1].

هذا وقد ذكره المجلسي في كتبه عن البهائي ما يدل على نسبته كرامات عجيبة إلى

---

(١) **روضات الجنات**، ص ١٩١.

سائر أجداده الفضلاء المشهورين ونقل المجلسي أنه سمع الشيخ بهاء الدين محمد العاملي يقول: إن آباءنا وأجدادنا في جبل عامل كانوا دائماً مشتغلين بالعلم والعمل والعبادة والزهد وهم أصحاب كرامات ومقامات، وأنه روى عن جدّه الشيخ شمس الدين محمد الجبعي أن في يوم من الأيام نزل ثلج عظيم بديارنا ولم يكن في منزل جدنا ما يقوت به عياله، وكان الأطفال يبكون ويريدون منه الطعام. فقال جدّنا لجدّتنا: أسكتي الأطفال لندعو اللّه كي يطعمهم وإيانا، فأخذت جدتنا شيئاً من الثلج وذهبت به إلى التنور المحمى فقالت: هذا هو الخبز أطبخه لكم. ثم أوقدت عليه، فجعلت الثلج شبه الرغائف تضربها بالتنور وجدّنا مشغول بالدعاء فلم تمض ساعة حتى خرج من التنور رغائف متعددة. فلما رأى جدّنا ذلك شكر اللّه سبحانه. ثم يمضي فيقول: ثم إن الشيخ البهائي قال بعد إيراد هذه الحكاية: «كنّا كذلك في جبل عامل ولمّا وردنا ماء العجم سلبنا جميع ذلك»[1].

وذكره صاحب رياض العلماء فقال: إنه كان عالماً جليلاً أصولياً متكلماً فقيهاً محدثاً شاعراً ماهراً.

وفي رسالة المولى المظفّر علي وهو من تلامذة الشيخ البهائي أن والد أستاذه البهائي كان في زمانه من العلماء المشاهير والفقهاء النحارير، وكان في تحصيل العلوم والمعارف وتحقيق مطاليب الأصول والفروع لدى الأساتذة ومن شركاء شيخنا الشهيد الثاني ومعاصريه ولم يكن له في علم الحديث والتفسير والفقه والرياضة عديل في عصره[2].

أحواله وأسفاره

وفي عهد طهماسب الصفوي شاه إيران توجه مع كافة أهل بيته وأتباعه إلى أصفهان، فأقام فيها ثلاثة أعوام مشتغلاً بالإفادة والتدريس وكان السلطان الصفوي يومئذٍ مستقراً بقزوين، وجاعلها مستقراً لسلطنته. فلما اطلع على خبر هذا الشيخ أعني الشيخ حسين عبد الصمد أرسل إليه بتحف وهدايا فاخرة ملتمساً منه شخوصه إلى قزوين. قيل: إن الشيخ حسيناً توجه إليها فخصه الشاه بما لا مزيد عليه من التكريم، وفوّض إليه منصب مشيخة الإسلام. واستمر فيه سبع سنين إلى أن انتقل هذا المنصب إلى المشهد الرضوي. فانتقل إليه وأقام فيه برهة، إلى أن

(١) **روضات الجنات**، ص ١٩٢.

(٢) **روضات الجنات**، ص ١٩٢.

صدر الأمر بتوجهه إلى هراة لإرشاد أهلها الأجانب في ذلك الوقت وأقطعه السلطان المذكور ثلاث قرى من مزارعه المعمورة وأصدر الأمر إلى وزير خراسان بإحضار ولده الملقب (بخداي بنده) كل يوم من أيام الجمعات إلى مسجدها الكبير لسماع الفقه والحديث من الشيخ المذكور ليكتسب من علوم الشيخ بالأحكام والفتاوى حتى لا يجسر أحد بعد ذلك على مخالفته فأقام فيها كذلك نحواً من ثماني سنوات.

ثم توجه إلى قزوين ثانية للترخيص من الحضرة السلطانية لنفسه وولده الشيخ البهائي بالسفر إلى حج بيت الله الحرام فلم يأذن السلطان إلا له في ذلك.

ثم أمر الشيخ البهائي أن يقوم مقام والده هناك بالاشتغال بالتدريس(١).

ثم اتفق أن الشيخ حسيناً رأى في إحدى الليالي في منامه أن القيامة قد قامت، ونشر الناس أجمعين، وقد اقتلع الله بلاد البحرين بما فيها ووضعها في الجنة فتوجه إلى البحرين وأقام بها.

ثم كتب إلى ولده البهائي يستدعيه للذهاب إليه ومن جملة ما كتب له: فيا ولدي إن كنت تطلب شيئاً لدنياك فاذهب إلى بلاد الهند، وإن كنت تطلب شيئاً لآخرتك فالتحق بي إلى هذا المقام في البحرين، وإن لم ترد شيئاً منهما فلازم العجم ولا تبرح، واستقر في البحرين إلى أن وافاه الأجل المحتوم ودفن في تلك البقاع. وأُقيم على قبره مزار يطلب إلى الآن عنده الحاجات، ويقصد إليه من كل جانب لنيل البركات(٢).

وعن كتاب نظام الأقوال للمولى نظام الدين محمد القرشي تلميذه الآخر أيضاً ما هو بهذه الصورة:

الحسين بن عبد الصمد بن محمد الجبعي الحارثي الهمداني العالم الأوحد، صاحب النفس الطاهرة الزكية، والهمة الباهرة العلية، من أجلّة مشايخنا قدّس الله روحه الشريفة. كان عالماً فاضلاً، مطلعاً على التواريخ، ماهراً في اللغات، مستحضراً للنوادر والأمثال. وكان ممن جدد قراءة كتب الأحاديث في بلاد العجم. له مؤلفات جليلة، ورسالات جميلة، وكثير من كتب الفقه والحديث.

---

(١) **روضات الجنات**، ص ١٩٣.

(٢) المرجع نفسه.

كان والد هذا الفاضل الجليل وجدّه وجدّ جدّه محمد بن علي الجباعي الذي ينقل عن خطه الشريف صاحب كتاب البحار كثيراً أيضاً من الأعاظم الفضلاء بل الأفاضل النبلاء، وكذلك كثير من بني أبيه وعمومته ومنهم أخوه الفاضل العالم الجليل الفقيه الشاعر نور الدين أبو القاسم علي ابن الشيخ عبد الصمد الحارثي وأخيه الثاني الشيخ عز الدين من تلامذة الشهيد الثاني(١).

ومنهم الشيخ الفاضل عمدة الأخبار ضياء الدين عبد الصمد ابن الشيخ شمس الدين محمد الجبعي.

كتبه وآثاره

١ - دراية الحديث.

٢ - كتاب الأربعين حديثاً.

٣ - شرح القواعد.

٤ - شرح الألفيّة.

٥ - الرسالة الطهماسية في بعض المسائل الفقهية.

٦ - العقد الحسيني في الرد على أهل الوساوس.

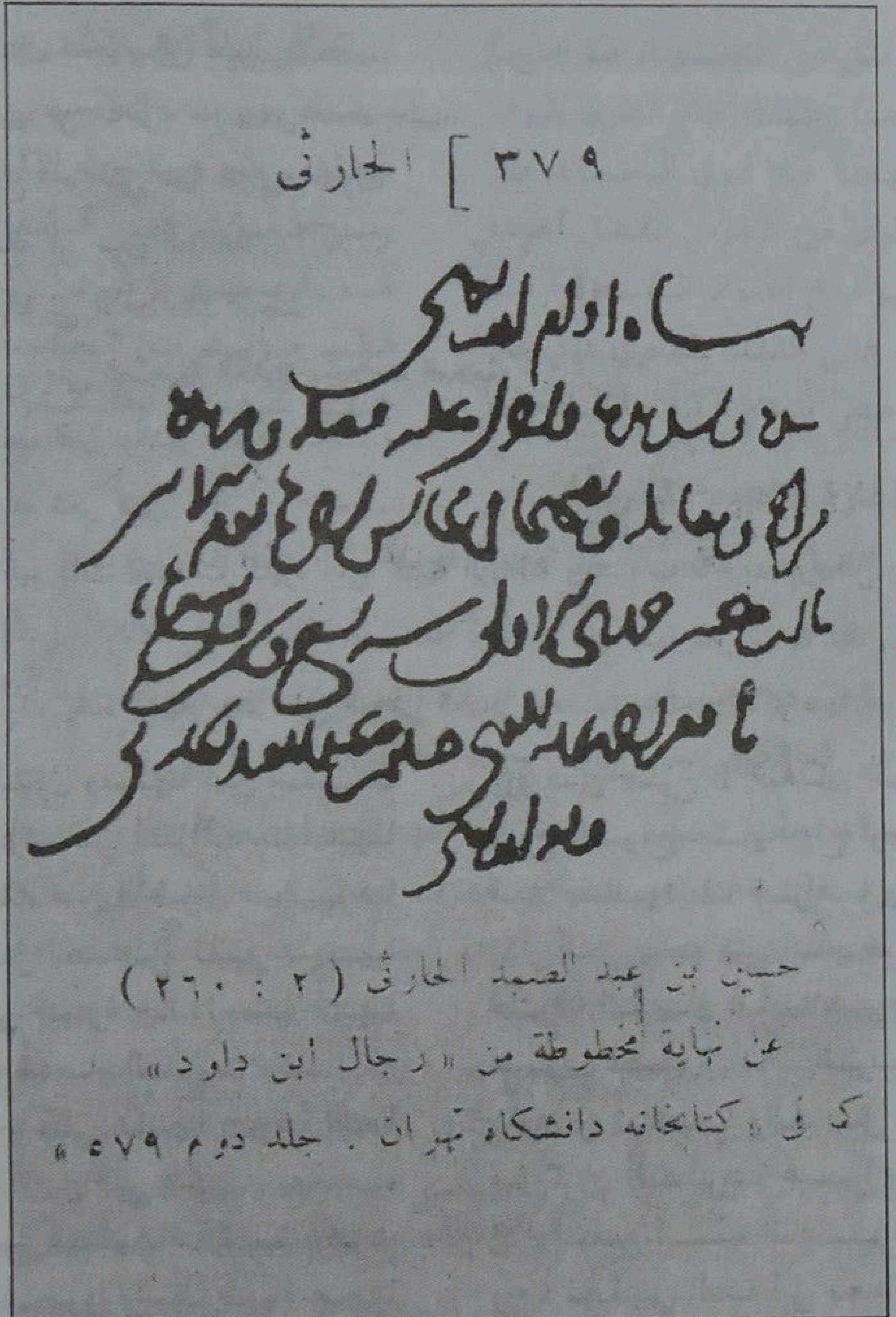
٧ - حاشية الإرشاد.

٨ - رسالة في سفره إلى حلب وصف ما جرى له فيها مع بعض أهلها حين تشيعوا على يده.

٩ - تحفة أهل الإيمان في قبلة عراق العجم وخراسان.

---

(١) **روضات الجنات**، ص ١٩٢.



نهاه أدام الله تعالى

....(١)

قراءة ومقابلة وتصحيحاً في مجالس آخرها يوم الاثنين ثالث عشر جماد الأول سنة تسع وستين وتسع مائة. قاله فقير رحمة الله تعالى حسين بن عبد الصمد الحارثي وفقه الله تعالى.

---

(١) بالرغم من الجهود التي بذلناها لم نتمكن من قراءة السطر الأول.

١٠ - وصول الأخيار إلى أُصول الأخبار.

١١ - رسالة في مناظرته مع بعض علماء حلب.

١٢ - شرح آخر على ألفية الشهيد الأول.

١٣ - رسالة في عينية الجمعة.

١٤ - رسالة في الاعتقادات الحقة.

١٥ - شرح على الصحيفة الكاملة وخلاصة العلامة.

١٦ - كتاب الغرر والدرر.

١٧ - ديوان شعر كبير.

وله غير ذلك تعليقات كثيرة على كتب الرياضة وإنشاءات فاخرة، ورسائل وأشعار في منتهى الجودة.

وقد رثاه ولده الشيخ بهاء الدين العاملي الجبعي بقصيدة عصماء نذكر منها:

قفْ بالطلول وسلها أين سلماها ... وروِّ من جرع الأجفان جرعاها
وردِّدِ الطرف في أطراف ساحتها ... وروح الروح من أرواح أرجاها
وإن يفتك من الأطلال مخبرها ... فلا يفوتك مرآها وريَّاها
ربوع فضل يضاهي التبر تربتها ... ودار أنس يحاكي الدر حصباها
عدا على جيرة حلوا بساحتها ... صرف الزمان فأبلاهم وأبلاها
بدور تمّ غمام الموت جللها ... شموس فضل سحاب الترب غشّاها
فالمجد يبكي عليها جازعاً أسفاً ... والدين يندبها والفضل ينعاها
يا حبذا أزمن في ظلهم سلفت ... ما كان أقصرها عمراً وأحلاها
أوقات أنس قضيناها فما ذكرت ... إلا وقطع قلب الصب ذكراها
يا سادة هجروا واستوطنوا هجراً ... واهاً لقلبي المعنّى بعدكم واها
رعياً لليلات وصل بالحمى سلفت ... سقياً لأيامنا بالخيف سقياها
لفقدكم شق جيب المجد وانصدعت ... أركانه وبكم ما كان أقواها
وخرّ من شامخات العلم أرفعها ... وانهدمن باذخات الحلم أرساها
يا ثاوياً بالمصلى من قرى هجر ... كُسيت من حلل الرضوان أرضاها
أقمت يا بحر بالبحرين فاجتمعت ... ثلاثة كنَّ أمثالاً وأشباها
ثلاثة أنت أنداها وأغزرها ... جوداً وأعذبها طعماً وأحلاها

حويت من درر الحلياء ما حويا لكن درك أعلاها وأغلاها
يا أخمصاً وطئت هام الثرى شرفا سقاك من ديم الوسمي أسماها
ويا ضريحاً علا فوق السماك عُلاً عليك من صلوات الله أزكاها
فيك انطوى من شموس الفضل آخرها ومن معالم دين الله أسناها
ومن شوامخ أطواد الفتوة أرسا ها وأرفعها قدراً وأنهاها
فاسحب على الفلك العلوي ذيل علاً فقد حويت من العلياء أعلاها
عليك مني سلام الله ما صدحت على غصون أراك الدوح ورقاها

صورة إجازة الشهيد الثاني[(١)]

إلى الشيخ حسين عبد الصمد الحارثي الهمداني:

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين، الحمد لله الذي أوضح للأنام سبل الإكرام وجعل الرواية ذريعة إلى درك الأحكام، وأفضل الصلاة وأتمّ السلام على سيدنا محمد الداعي إلى دار السلام، وعلى آله الكرام أعلام الأنام وأصحابه العظام.

وبعد فإن العبد الضعيف المفتقر إلى عفو ربّه تعالى زين الدين بن علي بن أحمد بن جمال الدين بن تقي الدين بن صالح بن مشرف العاملي أوزعه الله تعالى شكر نعمته، وتولاه بفضله ورحمته، يقول: إنه قد تطابق شاهد العقل وهو الذي لا يبدل، وشاهد الشرع وهو المزكى المعدل على أن أرجح المطالب وأربح المكاسب، وأنجح المآرب هو العلم الذي يمتاز به الإنسان من ذوي الجهالات، ويضاهي به ملائكة السماوات، ويستحق به رفيع الدرجات، وإن أشرف أنواعه العلم به سبحانه وما يلحقه من الكمالات ومعرفة سفرائه، وما يتبعه من تفصيل الأحوال وهو المعبرّ عنه بعلم الكلام على قانون الإسلام ثم معرفة كتابه الكريم وشرعه القويم المأخوذ عن سيد المرسلين، وعترته الأكرمين صلوات الله عليهم أجمعين، وما يتوقف عليه من العلوم العقلية والأدبية وهي العلوم الإسلامية التي قد استقرت عليها حكمة المالك الجليل وآمن أن يعتريها تغيير أو تبديل، وقد نصب الله سبحانه وتعالى عليها دليلاً لا يعول إلا عليه، وباباً لا يؤتى إلا منه، وكان من أهم ما أرشد إليه هو الإخبار عن سفرائه حسب ما دلّ عليه، وكان السلف رضوان الله عليهم همّهم أبداً رعاية الأخبار بالهمم العالية والفطن الصافية تارة بالحفظ لما يروونه والفرق بين ما يقبلونه أو يردونه، وأخرى بالتصنيف والإقراء والرواية

(١) نقلاً عن **الكشكول**، الشيخ يوسف البحراني، ج٢، ص ٢٠١.

على أكمل وجوه الرعاية، ثم درست عوائد التوفيق وطمست فوائد التحقيق، وذهبت معالم الشريعة النبوية في أكثر الجهات، وصارت الأحكام المصطفوية، في حيز الشتات، وبقي الأمر كما تراه يروي إنسان هذا الزمان ما لا يحقق معناه ولا يعرف من رواه.

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

والله سبحانه لم يبعثهم لهذا التضييع، ولا خلقهم للانهماك في هذا الجهل الفظيع، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم، وأما نحن فضيلتنا الاعتراف بالتقصير، ونسبتنا إلى تلك المفاخر نسبة الحقير إلى الكبير، لكن لكلٍّ جهده بحسب زمانه وقوة جنانه، ثم إن الأخ في الله، المصطفى في الآخرة، المختار في الدين المترقي عن حضيض التقليد إلى أوج اليقين، الشيخ الإمام الأوحد ذا النفس الطاهرة الزكية، والهمّة الباهرة العلية، والأخلاق الزاهرة الإنسية، عضد الإسلام والمسلمين عند الدنيا والدين الشيخ حسين ابن الشيخ الصالح العالم العامل المتقي خلاصة الأخوان الشيخ عبد الصمد ابن الشيخ الإمام شمس الدين محمد الشهير بالجبعي الحارثي الهمداني أسعد الله جدّه وجده وسعده، وكبت عدوّه وضده، ووفقه للعروج على معارج العالمين وسلوك مسالك المتقين ممن انقطع بكليته إلى طلب المعالي، ووصل بقية الأيام بإحياء الليالي حتى أحرز السبق في مجاري ميدانه وحصل بفضله السبق على سائر أقرانه وضرب ببرهة جميلة من زمانه في تحصيل هذا العلم وحصل منه على أكمل نصيب وأوفر سهم، فقرأ على هذا الضعيف، وسمع كتباً كثيرة في الفقه والأصولين والمنطق وغيرها، فمما قرأه من كتب أصول الفقه مبادىء الوصول وتهذيب الأصول من مصنفات الداعي إلى الله تعالى جمال الدين الحسن بن يوسف بن المظهر قدّس سرّه، وشرح جامع البين في مسائل الشرحين للشيخ الإمام الأعلم شمس الدين محمد بن مكي عرّج الله بروحه إلى دار القرار، وجمع بينه وبين أعتبة الأطهار، ومن كتب المنطق رسائل كثيرة وسمع من كتب الفقه كتاب الشرائع والإرشاد وقرأ جميع قواعد الأحكام في معرفة الحلال والحرام من مصنفات شيخنا الإمام الأعلم أستاذ الكل في الكل جمال الدين أبي منصور الحسن ابن الشيخ سديد الدين يوسف بن المطهر شرف الله قدره وقرأ وسمع كتباً كثيرة، وقد أجزت له أدام الله نسله وكثر في العلماء مثله رواية جميع ما قرأه وسمعه عليّ والعمل به عن مشايخي الذين عاصرتهم واستفدت من أنفاسهم أو اتصلت الرواية بهم، بل أجزت له جميع ما صنفه ورواه وألفه علماؤنا الماضون وسلفنا الصالحون من جميع العلوم النقلية والعقلية والأدبية والعربية، بالطرق التي لي إليهم وجميع ما رويته عنهم.

وبعد أن يذكر الكثير من المصنفات والأعلام والعلماء الذين أخذ عنهم ما مقداره عشرون صفحة ينتهي إلى القول:

وأخذ عليه ذلك ما أخذ عليّ من العهد بملازمة تقوى اللّه سبحانه فيما يأتي ويذر، ودوام مراقبته والأخذ بالاحتياط التام في جميع أموره وخصوصاً في الإفتاء، فإن المفتي على شفير جهنم وبذل العلم لأهله وبذل الوسع في تحصيله وتحقيقه والإخلاص للّه تعالى في طلبه وبذله. وأخيراً يقول:

وكتب الأحرف بيده الفانية زين الدين بن علي الشهير بابن الحاجة تجاوز اللّه عن سيئاته، ووفّقه لمرضاته ليلة الخميس لثلاث ليالٍ مضين من شهر جمادى الآخرة سنة إحدى وأربعين وتسعمائة.

ومن شعره:

فاح ريح الصبا وصاح الديك ... فانتبه وانفِ عنك ما ينفيك
واخلع النعل في الهوى ولها ... وادنُ منّا فإننا ندنيك
واستلمها سلافة سلمت ... من أذى من بغى لها تشريك
وأدر مدحها الفصيح وقل ... كل مدح لغير تلك ركيك
وتعشق وكن إذا انطفا ... كل شيء عشقته يغنيك
وانفِ عنك الوجود وافنَ تجد ... نفحة من قبولنا بتفتيك
إن تسر صوبنا تسر وإن ... مت في السير دوننا نحييك
وإذا هالك الحميم فحم ... في حمانا فإننا نحميك
وتخلق بما خلقت له ... فهو من مورد الردى ينجيك
جد بنفس تجد نفيس هدى ... كف كفا عن غيرنا نكفيك
خل خلى مناك لي بمنى ... واجعل النفس هدينا نهديك
وانتصب رافعاً يديك بها ... واخفض القدر ساكناً نُعليك
وابكِ تمحو قبائحاً كتبت ... قبل أن تلتقي الذي يبكيك
تدعي غير ما وصفت به ... والذي فيك ظاهرٌ من فيك
تجزي والجليل مطلع ... ما كأن النهى إذ أناهيك
تتلاهى عن الهدى ولها ... مبتلى دائماً بما يبليك
تلبس الكبر تائهاً سفهاً ... والنجاسات كائنات فيك
وإذا ما ذكرت موعظة ... حدت عنها كأنها تنسيك

وله:

ما شممت الورد إلا زادني شوقاً إليك
وإذا ما مال غصن خلته يحنو عليك
لست تدري ما الذي قد حل بي من مقلتيك
إن يكن جسمي تنأى فالحشاء باقٍ لديك
كل حسن في البرايا فهو منسوب إليك
رشق القلب بسهم قوسه من حاجبيك
إن ذاتي وذواتي يا منايا في يديك
آه لو أسقى لأشقى خمرة من شفتيك

وله أيضاً:

صِلْ من دنا وتناسَ من بَعُدا لا تكرهن على الهوى أحدا
قد أكثرت حواء ما ولدت فإذا جفا ولد فخذ ولدا

وقد كتب إلى ولده الشيخ البهائي:

خف الفقر ملتمساً للغنى فبالفقر كم من قفار كسر
وفي كل أرض أنخ برهةً فما أن وافقتك وإلا فسر
فما الأرض محصورة في هراة ولا الرزق في وقفها منحصر

وله قصيدة عارض بها قصيدة البردة قال فيها:

أسحر بابل في جفنيك أم سقم أم السيوف لقتل العرب والعجم
والخال مركز دور للعذار بدا أم ذاك نضح عشار الخط بالقلم
أم حية وضعت كيما تصيد بها طير الفؤاد وقد صادته فاحتكم
أنا الملوم وقلبي مؤلم برشا ساق غدا قلبه قاس على الأمم
ذي أعين إن رنت يوماً إلى أحد ألبسته كل ما فيهن من سقم
وما سقامي رحيقاً بل حريق أسى وكان من أملي منه شفا ألمي
أبكي فيبسم حتى كالغمام متى يبكي على زهر في الروض مبتسم
والشمس ما طلعت إلا لتنظره وإن تغب فحياء خجلة الفهم
بكيت والشمل مجموع لخوف نوى فكيف حالي وشملي غير مُلتئم
وكلما مت هجراً عشت من أملي فكم أموت وكم أحيا من القدم

دمع طليق وقلب في قيود هوى ... والرشد ضل بذات الضال والسلم
وقد أقام قوام القد لي حججاً ... وبالعذار بدا عذري فلا تلم
وجدي عليك ونفسي في يديك وذا ... قلبي لديك فنل ما شئت واحتكم
إلى متى كل آن أنت في ولهِ ... يسمو وقلب بنيران العذب رمي
فدع سعاد وسلمى واسع ففي السهام ... سهم مصيب فاستمع كلمي
إن الحياة منام والمآل بنا ... إلى انتباه وآت مثل منعدم
ونحن في سفر نمضي إلى حفر ... فكل آن لنا قرب من العدم
والموت يشملنا والحشر يجمعنا ... وبالتقى الفخر لا بالمال والحشم
صن بالتعفف عز النفس مجتهداً ... فالنفس أعلى من الدنيا لذي الهمم
واغضض عيونك عن عيب الأنام وكن ... بعيب نفسك مشغولاً عن الأمم
فإن عيبك تبدو فيه وصمته ... وأنت من عيبهم خالٍ من الوهم
جاز المسيء بإحسان لتملكه ... وكن كعود يفوح الطيب في الضرم
ومن يطالبُ خلاً غير ذي عوج ... يكن كطالب ماء في لظى الفحم
وقد سمعنا حكايات الصديق ولم ... تخله إلا خيالاً كان في الحلم
إن الإقامة في دار تقام بها ... والأرض واسعة ذل فلا تقم
أبغي الخلاص وما أخلصت في عمل ... أرجو النجاة وما ناجيت في الظلم
لكن لي شافعاً ذو العرش شفّعه ... أرجو الخلاص به من زلة القدم
محمد المصطفى الهادي المشفع في ... يوم الجزاء وخير الخلق كلهم
لولا هداه لكان الناس كلهم ... كأحرف ما لها معنى من الكلم
لو لم يرد ذو المعالي جعله علماً ... لم يوجد العالم الموجود من عدم
لو لم تطأ رجله فوق التراب لما ... غدا طهوراً وتسهيلاً على الأمم
لو لم يكن سجد البدر المنير له ... ما أثر الترب في خديه من قدم
نصرت بالرعب حتى كاد سيفك أن ... يسطو بغير انسلال في رقابهم
كفاك فضلاً كحالات خصصت بها ... أخاك حتى دعوه بارىء النسم
خليفة الله خير الخلق قاطبة ... بعد النبي وباب العلم والحكم
علم الكتاب وعلم الغيب شيمته ... وفي سلوني كشف الريب للفهم
والبيض في كفه سود غوائلها ... حمر غلائلها تدلي على القتم
بيض متى ركعت في كفه سجدت ... لها رؤوس هوت من قبل للصنم
ولا ألومهم أن يحسدوك وقد ... علت نعالك منهم فوق هامهم

مناقب أدهشت من ليس ذا نضر   وأسمعت في الورى من كان ذا همم
فضائل جاوزت حد المديح علاً   فكل مدح شبيه الهجو للفهم
سل عنه ذا فكرة وامدحه تلقى فتى   مليء المسامع والأفكار والكلم
واستخبرن خبيراً من فرَّ أو أُحُداً   وفي حنين تراه غير منهزم
من لم يكن بقسيم النار معتصماً   فما له من عذاب النار من عصم
من لم يكن ببني الزهراء مقتدياً   فلا نصيب له في دين جدهم
أولاد طه ونون والضحى وكذا   في هل أتى قد أتى مخصوص مدحهم
قد شرف الأنس إذ هم في عدادهم   كالأرض إذ شرفت بالبيت والحرم
فإن يشاركم الأعداء في نسب   فالتبر من حجر والمسك بعض دم
هم الولاة وهم سفن النجاة وهم   لنا الهداة إلى الجنات والنعم
نفوسهم أشرقت بالنور وانكشفت   لها حقائق ما يأتي من القدم
ومن سرى نحوهم أغناه نورهم   عن الدليل ونجم الليل في الظلم
فضائل جعلت ليل الفخار ضحى   وأخجلت كل ذي فخر وذي شيم
قد زينوا كل نظم يوصفون به   كما يزين كلام الله للكلم
عذاب قلبي عذب في محبتهم   ومرٌّ ما مرَّ بي حلو لأجلهم
رجوتهم لعظيم الهول من قدم   وهل يُرجَّى سوى ذي الشأن والعظم
يا مظهر الملة العظمى وناصرها   لأنت مهديُّها الهادي إلى اللقم
يا وارث العلم يرويه ويسنده   إلى جدود تعالوا في علوهم
مآثر الفخر فيكم غير خافية   والشمس أكبر أن تخفى عن الأمم
أوضحتم للورى طرق الوصول كما   صيرتم العلم بين الناس كالعلم
مولاي طال المدى والله واندرست   معالم العلم والإيمان والكرم
فاسحب سحائب خيل فوقها أسد   تسطو وتبلى عميماً ساكب الديم
ولا تقل قلَّ أنصاري فناصرك البا   ري ومن ينصر الرحمان لم يضم
يفديك كل خبير عن علاك وهم   كل البرية من عرب ومن عجم
أقصر حسين فلن تحصى فضائلهم   لو أن في كل عضو فيك ألف فم
عليهمو صلوات لا انتهاء لها   كمثل قدرهم العالي وعلمهم

السيد جمال الدين

هو جمال الدين بن علي الحسيني الجبعي سكن في حيدر آباد وكان مرجعاً لفضلائها وأكابرها[1]. توفي ١٠٠٨هـ ـ ١٦٨٧م[2] ومن شعره الغزلي:

عانقته فكسرت من طيب الشذا ... غصنٌ رطيب بالنسيم قد اغتذى
نشوان ما شرب المدام وإنما ... أضحى بخمر رضابه متنبذا
أضحى الجمال بأسره في أسره ... فلأجل ذاك على القلوب استحوذا
وأتى العذول يلومني من بعدما ... أخذ الغرام عليَّ فيه مأخذا
والله ما خطر السلوّ بخاطري ... ما دمت في قيد الحياة ولا إذا
إن عشت عشت على هواه وإن أمت ... وجداً به وصبابة يا حبذا[3]

(١) تاريخ جبل عامل ص ٢٧٧.
(٢) الحركة الفكرية، ص ٢٧.
(٣) الكشكول، ص ٣١.

السيد محمد نور الدين الموسوي الجبعي
٩٦٤هـ ـ ١٥٤٣م
١٠٠٩هـ ـ ١٥٩٨م

هو السيد محمد نور الدين بن علي بن الحسين الموسوي العاملي الجبعي، صاحب كتاب المدارك المشهور. كان فاضلاً مُتبحّراً، ماهراً، محققاً، مدققاً، زاهداً، عابداً، ورعاً، فقيهاً، محدثاً، كاملاً؛ جامعاً للعلوم والفنون، جليل القدر عظيم المنزلة، قرأ على أبيه وعلى أحمد الأردبيلي[١] وتلامذة جدّه لأمه الشهيد الثاني. وكان شريك خاله الشيخ حسن زين الدين (صاحب كتاب معالم الأصول) في الدّرس، وكان كل منهما يقتدي بالآخر في الصلاة ويحضر درسه.

وكان إذا صنّف أحدهما شيئاً عرضه على الآخر ليراجعه، فيتفقان عليه. وكانا متقاربين في السن، إلا أن السيد محمداً أكبر فبقي الشيخ حسن زين الدين بعده، بقدر ما بينهما من تفاوت في السن تقريباً[٢] نشآ معاً، ودرسا معاً، وهاجرا لطلب العلم معاً، وعادا إلى بلدهما جبع سوية. فكانا فيها علميْن من الأعلام الشامخة[٣]. وقد كانت دراستهما الأولى في جبل عامل، ثم هاجرا إلى العراق سنة ٩٨٣هـ وأكثر تلمذتهما كانت على الشيخ أحمد الأردبيلي. فاختطا لنفسيهما في الدرس خطةً أدّت إلى أن يقرآ في اليوم الواحد ما يقرأه غيرهما في أيام، فكان رفاقهما من الطلاب يسخرون منهما فيقول الأردبيلي ـ قريباً يذهبان إلى بلادهما ويؤلفان من الكتب ما تقرأون به ـ وهذا ما حدث فعلاً، فإنهما، لمّا رجعا إلى بلدهما جبع، ألّف الشيخ

(١) **الحركة الفكرية**، ص ٧٣.

(٢) **أعيان الشيعة**.

(٣) **آمل الآمل**.

حسن كتاب المعالم، وألّف السيد محمد كتاب المدارك. وصار الكتابان معوّل الطلاب في القراءة والتحصيل، وعليهما يقوم رحى التدريس في جامعتي النجف وقم وغيرهما.

وللسيد محمد نور الدين عدة مؤلفات منها كما ذكرنا مدارك الأحكام في شرح شرائع الإسلام(١) وحاشية الاستبصار، وحاشية التهذيب، وحاشية على ألفيّة الشهيد، وشرح المختصر النافع، وغير ذلك من المؤلفات. وردَّ أكثر الأشياء المشهورة بين المتأخرين في الأصول والفقه كما فعل خاله الشيخ حسن زين الدين. وكانت وفاته في بلدته «جبع» ودفن فيها عام ١٠٠٩هـ - ١٥٩٨م.

ولما توفي رثاه تلميذه الشيخ محمد بن الحسن بن زين الدين بقصيدة طويلة نذكر منها قوله:

صحبت الشَّجى ما دمت في العمر باقيا ... وطلقت أيام الهناء والليا
وعني تجافى ضعف نفسي كما غدا ... يناظر مني الناظر السحت باكيا
وقد قلّ عندي كثرة كنت واجدا ... بفقد الذي أشجى الهدى والمواليا
فتى زانه في الدهر فضل وسؤدد ... إلى أن غدا فوق السماكين راقيا
هو السيد المولى الذي تمّ بدره ... فأضحى له نهج الكرامات هاديا
وللفقه نوح يترك الصلد ذائباً ... كما سال دمع الجفن يحكي الفواديا

ورثاه أيضاً تلميذه الشيخ حسن الحانيني بقصيدة نذكر منها:

هو الحزن ما بالدار وما نظم الشعرا ... أديب وما طرق الدجى رمق الشعرى
أنوح وأبكي لا أفيق فتارة ... أهيم بهم وجداً وأخرى بهم سكرا
وإني لكالخنساء قد طال نوحها ... وقد عدمت من دون أمثالها صخرا
فقل لغراب البين يفعل ما يشاء ... فمن بعد شيخي لا أخاف له غدرا
شريف له عين الكمال مريضة ... علاها دخان العين فهي به عبرى
اتئسى من آسى الفؤاد لأجله ... مديد عذاب ما وجدت له قصرا

(١) هو تتمة لكتاب المسالك للشهيد الثاني، لذا كان هذا الكتاب استدراكاً لما كتبه الشهيد ولذا أطلق عليه هذ الاسم وذكره كتاب الفقيه جبل عامل في التاريخ وأعيان الشيعة، وقد بلغت المدارك من جودة التعبير وحذف الفضول منتهى ما يخطر في البال وما من فقيه يأتي بعده إلا ويعتمد عليه وقد طبع هذا الكتاب مرتين وجاء في ثلاثة مجلدات.

الشيخ حسن زين الدين العاملي الجبعي
٩٥٩هـ ـ ١٥٥٢م
١٠١١هـ ـ ١٦٠٢م

نسبه ومولده:

هو حسن ابن الشيخ زين الدين الشهيد الثاني، ولقبه جمال الدين، ويكنّى بأبي المنصور.

ولد في جبع موطن أبيه في رمضان ٩٥٩هـ ـ ١٥٥٢م وهذا هو تاريخه الصحيح الأقرب للصواب الذي أورده حفيده علي بن زين الدين عن حياته[(١)].

دراسته:

كان الشيخ حسن زين الدين وحيد أبيه بعد وفاة جميع أخوته، ولم يكن والده يرجو بقاءه بعدما أصيب بمصائب أبناء كثيرين. وهذا ما حداه إلى تأليف كتاب مسكّن الفؤاد عند فقد الأحبّة والأولاد. ولم يهنأ الشهيد بولده هذا فلقي آخرته وابنه في السابعة من عمره. فأكمل حسن ما بدأ من دراسته في بلدة جبع على تلامذة والده، سالكاً طريقه في أخذ المعارف والعلوم، قاصداً كأبيه حواضر العلم في بلده ومحيطه، منطلقاً إلى مجالات بعيدة أيضاً.

أسفاره:

بعد أن استكمل معارفه على علماء بلده قصد مدرسة كرك نوح في البقاع؛ واجتمع هناك بالشيخ بهاء الدين العاملي[(٢)] ثم ما لبث أن قصد العراق مع ابن شقيقته السيد محمد نور

---

(١) **مع التاريخ العاملي**، ص ١٨٢.

(٢) **أمل الآمل**، ص ١٠.

الدين الموسوي الجبعي العاملي صاحب كتاب المدارك وقد حلا في العراق حوالي ٩٨٣هـ كما سيأتي.

أستاذه الذي تولّى تربيته:

ويروي الشيخ علي ابن الشيخ محمد ابن الشيخ حسن صاحب المعالم في الدر المنثور بعد ذكر جده الشيخ حسن.

وكان لوالده (أي الشهيد الثاني) - على ما بلغني من جماعة مشايخنا وغيرهم - اعتقاداً تاماً في العالم العامل السيد علي الصايغ، وكان يرجو من فضل اللّه أن يرزقه اللّه ولداً يكون مربيه ومعلمه السيد علي الصايغ المذكور[1].

فحقّق اللّه رجاءه وتولى السيد علي الصايغ والسيد علي بن أبي الحسن تربيته إلى أن كبر. فقرأ عليهما، خصوصاً على السيد علي الصايغ، هو والسيد محمد ولد السيد علي (صاحب المدارك)، أكثر العلوم التي استفاداها من والده الشهيد من معقول ومنقول، وفروع وأصول، ولغة عربية ورياضيات.

وفي أمل الآمل أنه لمّا توفي أستاذه السيد علي الصائغ المدفون في صديقين قرب تبنين سنة ٩٨٠هـ رثاه بقصيدة منها[2]:

داعي الغواية بين العالمين دعا من ... شاب نجم الهدى من بعدما سطعا
وأصبحت سبل الأحكام مظلمة ... وكان من قبل فجر الحق قد طلعا
وشتت الدهر منه كل ملتئم ... وفرّقت نوب الأيام ما اجتمعا
يا ثلمة بين أهل الحق هدَّ بها ... ركن ومن أجلها قلت الهدى انصدعا
مضى الهدى والتقى لما مضى وغدا ... باب الجهالة في الآفاق متسعا
لا يعلم الجاهل الناعي بما صنعا ... نعى معالم دين اللّه حيث نعى
نعى الصلاح مع التقوى بذاك كما ... نعى المودة والأخلاق والورعا
لا خير في مهجة لم تحترق أسفاً ... منه ولا طرف عين بعده هجعا
كيف السبيل إلى نهج السداد وقد ... بان الهدى وابن خير المرسلين معا

(١) **الكنى والألقاب**، ج١، ص ٣٣٠، ولم يذكر فيما إذا كان جبعياً أم لا. والظاهر أنه كان مقيماً زمانه كله في جبع حيث ذكر أنه ربى صاحب المعالم وثم علمه مما يدل دلالة واضحة على أنه سكن جبع.

(٢) **أعيان الشيعة**، ج٤١، ص ١٦٧.

لقد فقدنا من الإرشاد تبصرة ومن دروس بيان بعدما لمعا

نتائجه وآثاره:

ترك الشيخ حسن زين الدين في مجالي الفقه والأدب ثروة فكرية جعلته بين أعلام العامليين، وكبار مصنفي الإمامية. فله مؤلفات جديدة جيدة فاقت على سائر التصانيف.

ومن أشهر ما كتبه في أصول الفقه كتاب معالم الأصول الذي اشتهر به، فأصبح يسمى صاحب المعالم[1] هذا عدا عن كتب أصولية كثيرة.

وقد ترك في الأدب مجموعة كبيرة وديوان شعر كبيراً جمعه تلميذه الشاعر نجيب الدين علي الجبيلي[2]. ولقد كان في نتاجه العلمي فقيهاً كبيراً، لا يعمل إلّا بالحديث الصحيح والحسن. ويعد بين الفقهاء من كبار المحققين، ومن أهل السلائق المعتدلة في الغاية والأنظار الصائبة[3].

أخباره مع صاحب المدارك:

في أمل الآمل كان هو والسيد محمد بن علي بن أبي الحسن العاملي صاحب المدارك كفرسَي رهان، شريكين في الدرس عند مولانا أحمد الأردبيلي، ومولانا عبد الله اليزدي والسيد علي بن أبي الحسن وغيرهم.

وذكره حفيده صاحب الدر المنثور وغيره من أنه كان هو والسيد محمد صاحب المدارك كفرسي رهان ورضيعي لبان. وكانا متقاربين في السن والسيد محمد أكبر، فبقي الشيخ حسن بعده بقدر تفاوت ما بينهما في السن تقريباً، وكتب الشيخ على قبر خاله السيد محمد الآية الكريمة: ﴿رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا﴾. ورثاه بأبيات كتبها على قبره وهي:

لهفي لرهن ضريح صار كالعلم للجود والمجد والمعروف والكرم
قد كان للدين شمساً يُستضاء به محمد ذو المزايا طاهر الشيم
سقا ثراه وهنّاه الكرامة والريحان والروح طراً بارىء النسم

---

(١) أعيان الشيعة، ٣٧٧/٢١.

(٢) أعيان الشيعة، ٣٧٧/٢١.

(٣) سلافة العصر، ص ٣٠٥.

ثم قال: والحق أن بينهما فرقاً في دقة النظر يظهر لمن تأمل مصنفاتهما وأن الشيخ حسناً كان أدق نظراً وأجمع لأنواع العلوم. وكانا مدّة حياتهما، إذا اتفق وسبق أحدهما الآخر إلى المسجد.. وجاء الآخر يقتدي به في الصلاة، بل كان كل منهما إذا صنف شيئاً عرضة على الآخر ليراجعه فيتفقان فيه على ما يوجب التحرير، وكذا إذا رجح أحدهما مسألة وسئل عنها الآخر يقول: ارجعوا إليه فقد كفاني مؤنتها.

أخبارهما مع الأربيلي:

بعدما قرأ هو وصاحب المدارك في جبل عامل عند السيد علي والد صاحب المدارك، سافرا معاً إلى العراق وقرآ على الأردبيلي. وفي روضات الجنات أن سفرهما إلى العراق كان في حدود سنة ٩٩٣هـ في عصر المولى أحمد الأردبيلي فقرآ عليه بعض المتون الأصولية والفقهية.

وعن أكثر الكتب والتواريخ أنهما لم يبقيا في النجف إلا مدة سنتين أو أكثر بقليل.

وعن حدائق المقربين أنهما لما قدما العراق سألا المولى الأردبيلي أن يعلمهما ما له علاقة في الاجتهاد. فأجابهما إلى ذلك، وعلمهما أولاً شيئاً من المنطق وأشكاله الضرورية، ثم أرشدهما إلى قراءة أصول الفقه.

ونقل أن شيخهما المذكور كان عند قراءتهما عليه مشغولاً بشرح الإرشاد، فكان يعطيهما أجزاءه ويقول: انظرا في عباراته واصلحا منها ما شئتما فإني أعلم أن بعض عباراته غير فصيحة.

ويقال: إنهما طلبا من الأرديبلي أن يذكر لهما نظرة في كل مسألة يخالف رأيه فيها رأي صاحب الكتاب ويترك ما عداه، فكانا يقرآن في اليوم الواحد ما يقرؤه سواهما في أيام. فكان الطلبة العجم يسخرون منهما لذلك، فيقول لهم الأردبيلي: قريباً يذهبان إلى بلادهما ويؤلفان من الكتب ما تقرأون فيه. فكان كذلك فإنهما لمّا رجعا إلى بلادهما ألّف الشيخ حسن كتاب المعالم والسيد محمد كتاب المدارك ووصلت نسختهما إلى العراق قبل وفاة الأردبيلي، وصار الكتابان معول طلبة العرب والعجم في القراءة.

أقوال العلماء فيه[1]:

جاء في أمل الآمل للحر العاملي: كان عالماً فاضلاً، عاملاً، كاملاً، متبحراً، محققاً، ثقة، فقيهاً، وجيهاً، نبيهاً، محدثاً، جامعاً للفنون، أديباً، شاعراً، زاهداً، عابداً، ورعاً، جليل القدر، عظيم الشأن، كثير المجالس، وحيد دهره، أعرف أهل زمانه بالفقه والحديث والرجال. اجتمع بالشيخ البهائي في الكرك لما سافر إليها، وكان ينكر كثرة التصنيف مع عدم تحريره، وكان حسن الخط، جيد الضبط، عجيب الاستحضار، حافظاً للرجال والأخبار والأشعار، شعره حسن كاسمه، والجيد منه كثير، ومحاسنه أكثر. وكان يعرب الأحاديث وينقيها عملاً بالحديث الذي رواه الكليني وغيره عن أبي عبد الله عليه السلام: (أعربوا حديثنا فإنّا قوم فصحاء). كان والد البهائي من تلاميذ والده، والشيخ حسن والبهائي في عصر واحد[2].

وذكره حفيده علي زين الدين في الدرّ المنثور، وأثنى عليه ثناءً بليغاً. وذكره صاحب رياض العلماء فقال:

الفقيه الجليل، والمحدث الأصولي الكامل النبيل، المعروف بصاحب المعالم، ذو النفس الطاهرة، والفضل الجامع، والمكارم الباهرة، وهو مصداق قوله ﷺ: الولد سرُّ أبيه، ومظهر المثل السائر: من يشابه أباه ما ظلم[3].

كان رضي الله عنه علامة عصره، وفهامة دهره، وهو وأبوه وجده الأعلى وجده الأدنى وابنه وسبطه كلهم من أعاظم الرجال والعلماء.

وذكره السيد مصطفى بن الحسين النقريشي في كتابه (نقد الرجال) وأثنى عليه ثناءً عاطراً.

وذكره صاحب سلافة العصر فقال:

شيخ المشايخ الجلة، ورئيس المذهب والملة، الواضح الطريق والسنن، الموضح الفروض والسنن، جمّ العلم الذي يفيد ويفيض، وخضم الفضل الذي لا ينضب ولا يغيض، المحقق الذي لا يراع له يراع، والمدقق الذي راق فضله وراع، المتفنن في جميع الفنون، والمفتخر به

(1) **أعيان الشيعة**، ج٣٣، ص ٣٧٧.

(2) المرجع نفسه.

(3) **أعيان الشيعة**، ج٣٣، ص ٣٧٨.

الآباء والبنون. قام مقام والده الشيخ زين الدين الشهيد الثاني في تمهيد قواعد الشرائع وشرح الصدور بتصنيفه الرائق، وتأليفه الرائع، فنشر للفضائل حللاً مطرزة الأكمام، وأماط عن مباسم أزهار العلوم لثام الأكمام، وشنف الأسماع بفرائد الفوائد، وعاد على الطلاب بالصّلات والعوائد. وأما الأدب فهو روضه الأريض، ومالك زمام السجع منه والقريض، والناظم لقلائده وعقوده، والمميز عروضه من نقوده ـ وهذه سُنَّة جرى عليها أهل ذلك العصر في التسجيع في تراجم الرجال.

وذكره صاحب كتاب اللؤلؤة وأثنى عليه كل الثناء.

وذكره صاحب روضات الجنات ومدحه كثيراً.

ويكفيه من علو شأنه ما كتبه أستاذه المولى الأردبيلي في آخر وصية كتبها له. وقيل: إن الشيخ حسناً لمّا عزم على ترك العراق والرجوع إلى بلاده، طلب من أستاذه وشيخه الأردبيلي، الذي كان مرجعاً للشيعة في زمانه، أن يكتب له شيئاً يكون تذكرة له ونصيحة. فكتب له بعض الأحاديث، وكتب في آخرها: «كتبه العبد أحمد لمولاه امتثالاً لأمره ورضاه».

وفي مقدمات المقاييس عند ذكر الكنى والألقاب.

ومنها أبو منصور الشيخ الفاضل الفقيه المحدث الأريب الوجيه المحقق المدقق المتبحر النبيه العابد الزاهد العالم الربّاني جمال الدين حسن ابن الشهيد، رفع اللّه درجته وأعلى منزلته. كان معاصراً للبهائي وأصغر منه بست سنين تقريباً، واجتمع به في الكرك ومات قبله بما يقرب من عشرين سنة وعمره ٥٢ سنة، ومات والده وهو صغير ابن أربع سنين أو أكثر.

وجاء في كتاب الرجال لبحر العلوم ما يلي:

الحسن ابن شيخنا الشهيد الثاني زين الدين بن علي بن أحمد الشامي العاملي الجبعي، علم التحقيق والتدقيق، الجامع بين الرأي الوثيق واللفظ الرشيق، وحيد زمانه علماً وعملاً، وفضلاً وأدباً، وأرفعهم ذكراً وشأناً، وحسباً ونسباً، حقق الفقه والحديث والأصول والرجال أحسن تحقيق وبيان، وصنف فيها أيضاً التصانيف الجيدة الحسان التي تزري بقلائد العقيان وعقود الدرّ والمرجان، وأحسنها كتاب معالم الدين وملاذ المجتهدين، وكتاب منتقى الجمان في الأحاديث الصحاح والحسان... إلخ.

مشايخه وأساتذته:

لقد كان شريك ابن اخته صاحب المدارك في الدرس عند المشايخ الذين قرأ كلاهما عليهم في جبل عامل والعراق ورويا عنهم نذكر منهم:

١ - الشيخ أحمد بن سليمان العاملي النباطي.

٢ - السيد عليٍّ والد صاحب المدارك وله منه إجازة بتاريخ ٩٨٤هـ.

٣ - السيد عليٍّ الصايغ.

٤ - الشيخ حسين عبد الصمد والد البهائي.

٥ - المولى أحمد الأرديلي.

٦ - المولى عبد الله اليزدي.

مؤلفاته:

له مؤلفات كثيرة جديدة سديدة بزت سائر التصانيف وأهمها:

١ - منتقى الجمان في الأحاديث الصحاح والحسان لم يخرج منه غير العبادات في مجلدين، أبان فيه عن فوائد جليلة وجعل له مقدمة مفيدة، واقتصر فيه على إيراد هذين الصنفين من الأخبار على طريقة كتاب الدرر والمرجان للعلامة الحلّي.

٢ - معالم الدين وملاذ المجتهدين برز منه جزء في أصول الفقه يعرف بمعالم الأصول، صار عليه المعول في التدريس من عصره إلى اليوم.

وصار يسمى باسمه أي صاحب المعالم فرغ منه ليلة الأحد، ربيع الثاني سنة ٩٩٤هـ. طبع عدة مرات وعليه حواش وتعليقات كثيرة منها:

حاشية لولده الشيخ محمد.

حاشية لسلطان العلماء.

حاشية لملا صالح المازندراني.

حاشية لملا ميرزا محمد المعروف بالمحقق الشيرواني، وهذه الحواشي مطبوعة على هامش الأصل.

حاشية للشيخ محمد تقي الأصفهاني كبيرة مطبوعة.

حاشية للشيخ محمد طه نجف النجفي مطبوعة.

حاشية للسيد محسن الأمين أسماها معالم الفقه مطبوعة.

٣ ـ التحرير الطاووسي في الرجال وذلك أن السيد جمال الدين أحمد بن موسى بن طاووس الحسني ألّف كتاباً في الرجال سماه حلّ الإشكال في معرفة الرجال، فلما نظر صاحب المعالم بهذا الكتاب ورآه مشرفاً على التلف انتزع منه ما حرره ابن طاووس ووزّعه في أبوابه من كتاب الاختبار خاصة وسمّاه التحرير الطاووسي وأضاف إليه في المتن والحواشي فوائد كثيرة، وفرغ منه ضحى يوم الأحد ٧ جمادى الأولى سنة ٩٩١هـ[١].

٤ ـ شرح ألفيّة الشهيد محمد بن مكي.

٥ ـ مناسك الحج.

٦ ـ الاثنا عشرية في فقه الصلاة، فرغ منه يوم الأربعاء ٢٦ جمادى الأولى سنة ٩٨٩هـ وشرحها جماعة منهم:

الشيخ بهاء الدين العاملي.

الشيخ نجيب الدين علي بن محمد بن مكي.

السيد نجم الدين بن محمد الموسوي.

الشيخ محمد بن المصنف.

الأمير فضل الله النقريشي.

الشيخ فخر الدين الطريحي.

والسيد شرف الدين علي بن حجّة الله الشولستاني.

٧ ـ رسالة صغيرة في عدم جواز تقليد الميت.

٨ ـ مشكاة القول السديد في الاجتهاد والتقليد.

---

(١) **أعيان الشيعة**، ج٢١، ص ٣٩٧.

٩ - حواشي الكافي.

١٠ - حواشي الفقيه.

١١ - حواشي التهذيب.

١٢ - حواشي الاستبصار.

١٣ - حواشي الخلاصة.

١٤ - حواشي شرح اللمعة.

١٥ - حاشية على المختلف مبسوطة في مجلد.

١٦ - حواشي شرح اللمعة مبسوطة في مسودة الكتاب.

١٧ - كتاب الإجازات.

١٨ - إجازة كبيرة معروفة أجاز بها السيد نجم الدين ابن السيد محمد الحسيني العاملي وولدي الشيخ حسن أبا جعفر محمداً، وأبا الحسن علياً، فيها فوائد كثيرة وتحقيقات لا توجد في غيرها، ونقل عنها صاحب أمل الآمل في كتابه كثيراً، وهي غير كتاب الإجازات المتقدم ذكره.

١٩ - شرح اعتقادات الصدوق بن بابويه نسبه إليه الشيخ عبد النبي الكاظمي العاملي في تكملة الرجال.

٢٠ - جواب المسائل المدنيات الأولى.

٢١ - جواب المسائل المدنيات الثانية.

٢٢ - جواب المسائل المدنيات الثالثة.

٢٣ - ترتيب مشيخة من لا يحضره الفقيه ابتدأ به في النجف وفرغ منه في رمضان سنة ٩٨٢هـ.

٢٤ - ديوان شعر كبير جمعه تلميذه الشيخ نجيب الدين علي بن محمد بن مكي العاملي.

ولذلك ألّف كتابه الجليل منتقى الجمان في الأحاديث الصحاح والحسان وقد مدح

(١) **سلافة العصر**، ص ٣٠٥.

علمه كثيرون، قام مقام والده في تمهيد قواعد الشرائع[1].

شعره وأدبه:

خصب الشاعرية صادق العاطفة رفيقها، في شعره انفعال وتأثر وتعبير صريح عن واقع حاله، فهو وجداني الموضوع، قد يسمو بشعره إلى فن الحكمة أحياناً، ولا يعتمد المدح إلا ما قال في أهل البيت، فإن هذا الفن ما وجد سبيله إلى أدب العامليين لبعدهم عن أهل السياسة وأصحاب الوجاهة والكرم، ولأن أكثر الشعراء من الفقهاء الأجلاء الذين تأنف نفوسهم أن تمتدح وتتزلف الإطراء والثناء. ولقد أطرى شعره كثيرون من معاصريه وغيرهم، فهو للأدب روضة الأريض، ومالك زمام السجع منه والقريض، والناظم لقلائده وعقوده، والمميز عروضه من نقوده[2].

ومن شعره قوله:

لحسن وجهك للعشاق آيات ... ومن لحاظك قد قامت قيامات
يا ظالماً في الهوى حكمت مقلته ... في مقلتي فبدت منها جنايات
تفديك نفسي هل للهجر من أمد ... يقضي وهل لاجتماع الشمل ميقات
ما العيش إلا ليالي بالحمى سلفت ... يا ليتها رجعت تلك الليلات
ساعات وصل بطيب الوصل رائقة ... تجمعت عندنا فيها المسرات
نامت صروف الليالي عن تقلبها ... بنا فكم قضيتُ فيها من لبانات
سقياً لها من سويعات نظن بها ... إذ صفوة العمر هاتيك السويعات
ما كنت أحسب أن الدهر يسلبها ... وأنه لحبال الوصل ثبات
ولم أكن قبل آن الهجر معتقداً ... أن الحبيب له بالوصل عادات
كم قد شكوت له وجدي عليه فلم ... يسمع ولم تجد لي تلك الشكايات
وكم نثرت عقود الدمع مرتجياً ... لعطفه وهو ثاني العطف مقتات
كيف احتيالي فيمن لا يرققه ... ذاك الصريح ولا هذي الإشارات
ظبي من الأنس في جنات وجنته ... تفتحت من زهور الروض وردات
يصطاد باللحظ منّا كل جارحةٍ ... وكل قلب به منّا جراحات
يا لائمي بالهوى جهلاً بمقدرتي ... دع عنك لومي فما تجدي الملامات

---

(١) سلافة العصر، ص ٣٠٥.

إن الملامة ليست لي بنافعة ... من بعد ما عبثت فيَّ الصبابات
حان الرَّحيل من الدنيا فقد ظهرت ... من المشيب له عندي إمارات
يا ضيعة العمر لم أعمل لآخرتي ... خيراً ولا لي في دنياي لذات

وقوله من قصيدة طويلة في الحكمة والموعظة كما في أمل الآمل، وسمّاها النفحة القدسيّة لإيقاظ البريّة:

تحققتُ ما الدنيا عليك تحاوله ... فخذ حذر من يدري بمن هو قاتله
ودع عنك آمالاً طوى الموت نشرها ... لمن أنت في معنى الحياة تماثله
ولا تك ممن لا يزال مفكراً ... مخافة فوت الرزق والله كافله
ولا تكترث من نقص حظك عاجلاً ... فما الحظُّ ما تبغيه بل هو آجله
وحسبك حظ مهلة العمر أن تكن ... فرائضه قد تممتها نوافله
فكم من معافى مبتلى في يقينه ... بداء دوي ما طبيب يزاوله
وكم من قويٍّ غادرته خديعة ... ضعيف القوى قد بان فيه تخاذله
وكم من سليم في الرجال ورأيه ... بسهم غرور قد أصيبت مقاتله
وكم في الورى من ناقص العلم قاصر ... ويصعد في مرقاه من هو كامله
فيغري ويغوي وهو شر بلية ... يُشاركه فيها غنيٌّ يُشاكله

وقوله:

اختلف الأصحاب في محنتي ... وما الذي أوجب ليَ البلوى
فقيل طول النأي والبعد عن ... نيْل المنى من وصل من أهوى
وقيل لا بل صدغه لم يزل ... بالسحر يرمي القلب بالأسوا
وقيل سهماً لحظه إذ رنا ... لم يخطيا من جسدي عضوا
وقيل ضعف الطرف والخصر إذ ... عليه قلب الصب لا يقوى
وقيل بل كل له مدخل ... فيها وعندي أنه الأقوى

وأنك إذ تطالع أشعاره تراه في معظمها يرمز إلى مسائل فقهية لأن صناعته الفقه، والظاهر أن كل شخص يتمثل في شعره بصنعته، كما روي عن حداد وكان شاعراً فقال:

مطارق الشوق في قلبي لها أثر ... يطرقن سندان قلب حشوه الفكر
ونار كور الهوى في القلب موقدة ... ومبرد الحب لا يبقي ولا يذر

وقوله أيضاً:

ولقد نذرت صيام يوم لقائهم ... من أنه من أعظم الأعياد
نفسي فداء أحبّة في حبهم ... ذهب الزمان وما بلغت مرادي
لكنني متمسك بهدايتي ... لولاء أصحاب الكسا الأمجاد
أهل النبوة والرسالة والهدى ... للخلق بعد الشرك والإلحاد
أعني النبيّ المصطفى المبعوث من ... أم القرى بالحق والإرشاد
والطاهر الحبر الإمام المرتضى ... زوج البتول أخا النبيّ الهادي
والبضعة الزهراء والحسنين سا ... دات الورى بهم وبالسَّجَّاد
ومحمد وبجعفر وبكاظم ... ثم الرضا ومحمد والهادي
والعسكري ونجله المهدي من ... نرجوه يروي غلة الأكباد
يا آل أحمد حبكم لي منهج ... خلف عن الآباء والأجداد

وهي طويلة كما جاء في كشكول البحراني.

وله:

ما أومض البرق في داج من الضلل ... إلا وهاجت شجوني أو نمت عللي
وازداد أضرام وجدي حين ذكرني ... لذيذ عيش مضى في الأزمن الأول
إذ كنت من حادثات الدهر في دعة ... مبلغاً من لديه غاية الأمل
لله كم ليلة من العمر لي سلفت ... العيش في ظلها أصفى من العسل
ألقيت فيها عيون الدهر غافلةً ... عني وصرف الليالي عادم المقل
والجد يسعى بمطلوبي فما ذهبت ... من بعد ذا برهة حتى تنبه لي
فصوب الغدر نحوي كي يفل به ... صحيح حالي فأضحى منه في فلل
واستأصلت راحتي أيامه وغدا ... ربع اللقا والتداني موحش الطلل
فصرت في غمرة الأشجان منهمكاً ... لا حول لي أهتدي منه إلى حولي
أمسي ونار الأسى في القلب مضرمة ... لا ينطفي وقدها والقلب في شغل
كيف احتيالي ودهري غير معترف ... من جهله قيمة الأحرار بالزلل
حاذرت جهدي فلم تنجح محاذرتي ... لما رماني ولا تمت له حيلي
والحازم الشهم من لم يلفَ آونة ... في عشرة من مهنى عيشه الخضل
والغر من لم يكن في طول مدَّته ... من خوف صرف الليالي دائم الوجل

فالدهر ظلّ على أهليه منبسط ... وما سمعنا بظل غير منتقل
كم غرَّ من قبلنا قوماً فما شعروا ... إلا وداعي المنايا جاء في عجل
وكم رمى دولة الأحرار من سفه ... بكل خطب مهول فادح جلل
وظلَّ في نصرة الأشرار مجتهداً ... حتى غدوا دولة من أعظم الدول
وهذه شيمة الدنيا وسنّتها ... من قبل تحنو على الأوغاد والسفل
وتلبس الحر من أثوابها حللاً ... من البلايا وأثواباً من العلل
يبيت منها ويضحى وهو في كمدٍ ... في مدَّة العمر لا يفضي إلى جذل
فاصبر على مرِّ ما تلقى وكن حذراً ... من وغدرها فهي ذات الختل والقيل
واشدد بحبل التقى فيها يديك فما ... يجدي بها المرء إلا صالح العمل
واحرص على النفس واجهد في حراستها ... ولا تدعها بها ترعى مع الهمل
وانهض بها من حضيض النقص منتقياً ... صوارم الحزم لا التسويف والكسل
واركب غمار المعالي كي تبلغها ... ولا تكن قانعاً من ذاك بالبلل
فذروة المجد عندي ليس يدركها ... من لم يكن سالكاً مستصعب السبل
وكن أبيًّاً عن الإذلال ممتنعاً ... فالذلّ لا ترتضيه همّة الرجل
وإن عراك العنا والضيم في بلدٍ ... فانهض إلى غيرها في الأرض وانتقل
واسعد بنيل المنى فالحل معلنة ... بأن إدراك شأو العزّ في النقل
وحيث يعييك نقص الحظ فأطوله ... كشحاً فليس ازدياد الجد بالحيل
ودارنا هذه من قبل قد حكمت ... على حظوظ أهالي الفضل بالخلل
وكن عن الناس مهما استطعت معتزلاً ... فراحة النفس تهوى كل معتزل
ولو خبرت الورى ألفيت أكثرهم ... قد استحبّوا طريقاً غير معتدل
إن عاهدوا لم يفوا بالعهد أو وعدوا ... فمنجز الوعد منهم غير محتمل
يحول صبغ الليالي عن مفارقهم ... ليستحيلوا وسوء الحال لم يحل
تباعدت عن هوى الأخرى نفوسهم ... وفي اتباع الهوى حوشوا عن الفشل

وله:

أجهدني حمل النصب ... ونالني فرط التعب
إذ مُرّ حالات النوى ... عليَّ دهري قد كتب
لا تعجبوا من سقمي ... إن حياتي لعجب
عاندني الدهر فما ... يود لي إلا العطب

وما بقاء المرء في ... بحر هموم وكرب
لله أشكو زمناً ... في طرقي القدر نصب
فلست أغدو طالباً ... إلا ويُعييني الطلب
لو كنت أدري علةً ... توجب هذا أو سبب
كأنه يحسبني ... في سلك أصحاب الأدب
أخطأت يا دهر فلا ... بلغت في الدنيا أرب
كم تألف الغدر ولا ... تخاف سوء المنقلب
غادرتني مطرحاً ... بين الرزايا والنوب
من بعد ما ألبستني ... ثوب عناء ووصب
في غربة صماء إن ... دعوت فيها لم أجب
وحاكم الوجد على ... جميل صبري قد غلب
ومؤلم الشوق لدى ... قلبي المُعَنّى قد وجب
ففي فؤادي حرقةٌ ... منها الحشى قد التهب
وكل أحبابي قد ... أودعتهم وسط الترب
فلا يلمني لائمٌ ... إن سال دمعي وانسكب
واليوم نأي أجلي ... من لوعتي قد اقترب
إن بان عني وطني ... وعيل صبري وانسلب
ولم يدع لي الدهر من ... راحلتي غير القتب
ألم ترضَ يا دهر بما ... صَرْفك مني قد نهب
لم يبق عندي فضة ... أنفقها ولا ذهب
واسترجع الصفو الذي ... من قبل كان قد وهب
وكم على حُرٍّ بَغى ... فشاب منه وانحدب
تَبَّتْ يداك مثلما ... تبت يدا أبي لهب
فما يضاهيك سوى ... من نعتُها حَمْلُ الحطب!

وله أيضاً:

فؤادي ظاعن إثر النياق ... وجسمي قاطن أرض العراق
ومن عجب الزمان حياة شخص ... ترجَّل بعضه والبعض باقي
وحلَّ السقمُ في بدني وأمسى ... له ليل النوى ليل المحاق

وصبري راحل عمًّا قليل — لشدة لوعتي ولظى اشتياقي
وفرط الوجد أصبح لي حليفاً — ولمَّا ينو في الدنيا فراقي
وتعبث تارة بالروح حيناً — فيوشك أن يبلغها التراقي
وأظمأني النوى وأراق دمعي — فلا أروى ولا دمعي براقي
وقيدني على حال شديد — فما حرز الرقي منه بواقي
إلى الله المهيمن أن تراني — عيون الخلق محلول الوثاق
أبيت مدى الزمان لنار وجدي — على جمر يزيد به احتراقي
وما عيش امرىء في بحر غمٍّ — يضاهي كربه كرب السياق
يود من الزمان صفاء يوم — يلوذ بظله مما يلاقي
سقتني نائبات الدهر كأساً — مريراً من أباريق الفراق
ولم يخطر ببالي قبل هذا — لفرط الجهل أن الدهر ساقي
وفاض الكأس بعد البين حتى — لعمري قد جرت منه سواقي
فليس لداء ما ألقى دواء — يُؤمل نفعه إلا التلاقي

ومن شعره قوله:

قف بالديار وسلها عن أهاليها — عسى ترد جواباً إذ تناديها
واستفهمن من لسان الحي ما فعلت — أيدي الخطوب وماذا أبرمت فيها
فسوف تنبيك أن القوم قد رحلوا — ولم تكن بلغت منهم أمانيها
وغادرتها صروف الدهر خالية — قد هدمت أسفاً منها مغانيها
وناب عن عزها ذل الكآبة إذ — تغيرت بعدما بانوا معانيها

وله أيضاً ما ذكره بحر العلوم في رجاله:

يا راكباً عج بالغري وقف على — تلك الربوع مقبلاً أعتابها
وقل ابن زين الدين أصبح بعدكم — قد ألبسته يد الشجون ثيابها
عبثت به الأشواق ثمة أنشبت — فيه الصبابة بعدكم مخلابها
ودعت لواعجه الشديدة جفنه — يوم الفراق إلى البكا فأجابها
فدموعه إن رام حبس طليقها — غلبت عليه فلا يطيق غلابها

وله:

جاء الحبيب الذي أهواه من سفر — والشمس قد أثرت في وجهه أثرا
عجبت كيف تحلّ الشمس في قمر — والشمس لا ينبغي أن تدرك القمرا

ومن منثور كلامه ما قرظ به كتاب فرقد الغرباء وسراج الأدباء للشيخ حسن الحانيني فقال:

الحمد للّه وحده. وقفت على مودعات هذه الأوراق التي لا يعرف حقيقتها إلا الحذاق، فوجدت جداول عبارتها تتدفق بمحاسن الآداب، ورياض معانيها تتضوع بنشر الفضل العجاب، وكنوز فوائدها تتعهد بإعطاء الأثراء لمن أملق في فنها من أولي الألباب، ورموز مقاصدها تشهد بالارتقاء في صنعتها إلى أعلى درجات الأدباء والكتّاب، فاللّه تعالى ينجي بفضل منشئها ما مات من آثار الفضل، ويمدّه من جوده الوافر وكرمه الواسع بهبات الإنعام[1].

(١) **أعيان الشيعة**، ج٢١، ص ٤٠٩.

الشيخ أبو تراب عبد الصمد

ابن الشيخ حسين بن عبد الصمد بن شمس الدين محمد بن علي بن الحسن بن محمد بن صالح الحارثي الهمداني الجبعي العاملي الأصفهاني أخو الشيخ البهائي

وجدنا من يكني جده أبو تراب عبد الصمد، والظاهر أنه حصل اشتباه بين كنية أحدهما وكنية الآخر.

توفي سنة ١٠٢٠هـ في المدينة المنورة، في موسم الحج ونقل جثمانه إلى النجف الأشرف ودفن فيه.

كان عالماً فاضلاً، ولأجله صنّف أخوه البهائي الرسالة الصمدية المشهورة في النحو.

له تعليقات على رسالة الفرائض للخواجه نصير الدين الطوسي المسماة بالفرائض النصيرية. وفي اللؤلؤة له حواش لطيفة ذات فوائد، وتحقيقات منيعة على شرح الأربعين لأخيه البهائي. والظاهر أنه هو الذي ينتسب إليه آل مروة العامليون، لا إلى أخيه الشيخ البهائي لأنه كان عقيماً[(١)].

---

(١) أعيان الشيعة، ج٣٨، ص ٣٩.

الشيخ ضياء الدين عبد الصمد

ابن محمد بن علي بن الحسن بن محمد بن صالح العاملي اللويزي الجبعي جد البهائي

ولد لتسع بقين من المحرّم سنة ٨٥٥هـ. كما ذكر أبوه في مجموعته على ما روي عنه في البحار.

توفي في منتصف ربيع الثاني سنة ٩٣٥هـ. وعمره ثمانون سنة، وخلّف أربعة ذكور وأنثى وهم علي ومحمد وحسن وحسين. وهو والد البهائي، وهو أصغرهم.

وقال الشهيد الثاني في إجازته لوالده: الشيخ حسين عبد الصمد الشيخ الصالح العالم العامل، المتقي المتفنن في خلاصة الأخبار[1].

(١) **أعيان الشيعة**، ج٣٨، ص ٤١.

بهاء الدين العاملي الجبعي
٩٥٣هـ ـ ١٥٤٦م
١٠٣١هـ ـ ١٦٢٢م

نسبه:

هو محمد بن حسين بن عبد الصمد بن محمد الجبعي العاملي الحارثي الهمداني لقّب ببهاء الدين وهو المعروف بالبهاء العاملي، وأشهر من أطلق عليه لقب العاملي[١] وهو الحارثي نسبة للحارث الهمداني صاحب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام[٢].

مولده:

قيل: إنه ولد في بعلبك حيث أقام والده مدة من الزمن. ولعل هذا الوالد كان يتردد على مدرستها النورية ويأخذ عن كبار شيوخها، ومنهم الشهيد الثاني الشيخ زين الدين.

وولد البهائي عند غروب الشمس يوم الأربعاء لثلاثٍ بقين من ذي الحجة عام ٩٥٣هـ سنة ١٥٤٦م وانتقل به والده وهو صغير السن من البلاد العاملية إلى بلاد العجم.

ويظهر أن هجرته كانت أولاً إلى مدينة هراة حيث كان قلّده بها السلطان طهماز الصفوي مشيخة الإسلام، كما فوّض إليه أمر التدريس بعد أستاذه المحقق الكركي[٣] كما سيأتي ذكره.

(١) **دائرة المعارف**، بطرس البستاني.

(٢) **سلافة العصر**، ابن معصوم، ص٢٨٩.

(٣) المحقق الكركي.

تعريفه ووصفه:

عُدَّ بهاء الدين العاملي من ألمع العلماء، وأبعدهم صيتاً، وأكثرهم ذكراً في القرن الحادي عشر الهجري. فقد أخذ بأسباب الثقافة الإسلامية، وعُدَّ كذلك أحد الأئمة الكبار المنفردين بالعلوم والمعرفة في عصره. جمع إلى الفقه، والآثار والأصول والآداب والهندسة والحساب والجبر والفلك وجميع أقسام الرياضيات بإتقان عجيب وفهم غريب، كما جمع إلى كل ذلك الحكمة والكلام، وبعض العلوم التي لم يحم حولها سواه كما قيل[1].

وقد أفاض في إطرائه كثير من العلماء سوف نذكرهم في آخر الترجمة، الأمر الذي يدلّ على مكانته الاجتماعية، وشخصيته العلمية ذات الأثر الكبير في يقظة الجيل الذي عاصره، وفي الحركة العلمية الخلاقة المنتجة.

وحسب البهائي أثراً ونفوذاً علمياً أنه ظهر في تلك الفترة التي كانت فيها أكثر شعوب الأرض تغط في سبات عميق، قد تخدرت فيها المعرفة والفكر، وركدت فيها الحركة الثقافية، وعمّها الضعف والانحلال في أكثر جوانب الحياة، كل ذلك بسبب الأحداث والنوازل التي انصبت على كثير من الدول العربية والإسلامية في مختلف الأقطار التي شملها الضعف والوهن وحال ذلك دون نشاط الثقافة فيها[2].

وكان هناك في جنوب (لبنان) بقعة يطلق عليها اسم (جبل عامل) تتفجر فيها الطاقة العلمية، وتنشط فيها المعرفة من عقالها، وتستفيق من سباتها لتكون هذه البقعة (جبل عامل) منبت العلماء والمفكرين والهداة الميامين، الذين حملوا في تلك الفترة الدامسة مشعل العلم والفكر لتهتدي شعوب أخرى على سناه[3].

وحسبنا أن نذكر من هؤلاء السادة العلماء:

الشيخ علي بن عبد العالي الميسي الشهير بالمحقق الميسي العاملي، والشيخ علي بن عبد العالي الكركي المعروف بالمحقق الثاني صاحب المؤلفات القيمة، والشيخ زين الدين العاملي الجبعي المعروف بالشهيد الثاني الذي ألّف ما يزيد على ثمانين كتاباً في مختلف العلوم الفقهية والمدنية، والشيخ محمد بن مكي العاملي الجزيني الشهير بالشهيد الأول صاحب كتاب

(١) **روضات الجنات**، الخوانساري، ص ٥٣٢.

(٢) **فلاسفة الشيعة**، للعلامة الشيخ عبد الله نعمة، ص ٣٩٩.

(٣) **فلاسفة الشيعة**، للعلامة الشيخ عبد الله نعمة، ص ٣٩٩.

اللمعة الدمشقية وغيرها من المصنفات، والشيخ حسين عبد الصمد العاملي الجبعي والد البهائي، والسيد محمد نور الدين العاملي الجبعي صاحب المؤلف الشهير مدارك الأحكام وغيرها، والشيخ حسن زين الدين العاملي الجبعي صاحب كتاب معالم الأصول وغيره من التآليف.

والشيخ إبراهيم الكفعمي العاملي اللويزي الجبعي صاحب المؤلفات العديدة المنتشرة ومنها كتاب المصباح، والشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي الجبعي الشهير بالحر العاملي صاحب المؤلفات القيمة مثل كتاب أمل الآمل، والوسائل وغيرها. وأمثالهم كثيرون من روّاد العلم والفكر الذين أفادوا أجيالهم وأجيالاً طويلة من بعدهم بما خلفوه من آثار غنية بالطاقة العلمية الخصبة، وبالمدد الفكري العارم الذي لا يزال إلى اليوم مصدراً كبيراً للمعرفة في كثير من أنحاء العالم الإسلامي.

ومن نفس هذه الواحة الخصبة (جبل عامل) وفي هذه الفترة بالذات ظهر البهائي رائداً علمياً يتسع عقله لكل أنواع الثقافة التي عُرفت في عصره، وتفعل آثاره في تفكير المجتمع الذي عاشه فعل الكهرباء لما فيها من قوة علمية، ونشاط فكري في ميادين المعرفة والعلم(١).

وقد ظلّت آثاره في الهندسة والفلك والرياضيات وسواها زمناً طويلاً من بعده حتى الآن مرجعاً للعديد من علماء المشرق، كما أنها كانت منبعاً يستقي منه طلاب المدارس والجامعات، كما أن آثاره في الفلسفة والكلام والفقه والحديث، والأدب والشعر، لا تقل شأناً وأهمية عن آثاره في الفلك والرياضيات. على أن شهرته في هذه العلوم الأخيرة غلبت عليه، وبخاصة في العصور الأخيرة وذلك بسبب مؤلفاته في هذه المواضيع التي نالت إعجاب العلماء والطلاب على السواء، الأمر الذي دفعهم إلى شرحها والتعليق عليها وتدريسها في كثير من عواصم العالم الإسلامي(٢).

حياته:

لم نلاحظ بين المؤرخين من تتبع حياته ونسبته ونسبه بكثير من التمحيص والتدقيق، وفنّد الأخطاء والمقالات التي وردت في بعض التواريخ والتراجم سوى العلامة الشيخ عبد الله نعمة في كتابه فلاسفة الشيعة، حيث قال:

---

(١) **فلاسفة الشيعة**، للعلامة الشيخ عبد الله نعمة، ص ٤٠٠.

(٢) المرجع نفسه.

١ ـ أصل بهاء الدين من جبل عامل، وهو القسم الجنوبي من لبنان من بلدة (جبع) أو جباع، التي هي موطن آبائه وأجداده، وإليها ينتسب كل من والده الشيخ حسين عبد الصمد الجبعي العاملي وجده شمس الدين محمد الجباعي صاحب المجموعة الشهيرة التي ينقل عنها كثيراً بهاء الدين العاملي في الكشكول.

والبهائي نفسه يصرّح بأن أصله من جبل عامل، فقد نقل عنه محمد تقي المجلسي أن البهائي كان يقول: «آباؤنا وأجدادنا من جبل عاملة كانوا دائماً مشتغلين بالعلم والعبادة والزهد، وهم أصحاب كرامات. ولما شربنا ماء العجم سلبنا جميع ذلك». ولا زال إلى اليوم في جبل عامل بعض الأسر تنتمي إلى أخيه عبد الصمد وهي أسرة آل مروة[١].

وقد وهم كثير من الكتّاب والمؤرخين فنسبوه إلى (آمل) الواقعة في شمال إيران، وقال بعض هؤلاء: إنه ولد في بلدة (آمل) الخراسانية الواقعة على الضفة اليسرى لنهر جيحون.

وآخر من وقع في هذا الوهم الأُستاذ قدري حافظ طوقان في كتابه (تراث العرب العلمي) حيث قال:

أما القول بأنه ولد في بعلبك فبعيد عن الصواب بل هو خطأ محض، وأرجح أن قولهم هذا يرجع إلى الخلط بين جبل عامل في سوريا وبين آمل. وقد تكون هذا الخلط هو الذي جعلهم يقولون بمولده في بعلبك. وقد يكون أيضاً هو الذي جعل العلماء يسمونه بهاء الدين العاملي[٢]. وقد نشر هذا الخطأ في دائرة المعارف اللبنانية في مادة آمل، ولا ريب أن ما ذكره (طوقان) ليس بصواب حتماً وهو من الأوهام التي لم تعتمد على سند أو مرجع موثوق به.

ولسنا بحاجة كبيرة إلى الإثبات بأن البهائي هو (عاملي) لا (آملي)، ويكفينا الرجوع إلى ما كتبه عنه الحر العاملي في كتابه (أمل الآمل في علماء جبل عامل)، وما كتبه عنه (أحمد المنيني) في شرحه لقصيدة البهائي المسماة (وسيلة الفوز والأمان) وإلى مؤلفاته المطبوعة مثل (مفتاح الفلاح) و(كتاب الأربعين) و(الكشكول) التي يصرح فيها بنسبته إلى (جبل عاملة).

هذا بالإضافة إلى ما ذكره علماء الرجال وأصحاب التراجم من الشيعة مثل الخوانساري في (روضات الجنات)، والسيد علي خان في (سلافة العصر)، وما كُتب عن أبيه وأخوته وجده

(١) **أعيان الشيعة**، ج٢٦، ص ٢٥٩.

(٢) **تراث العرب العلمي**، ص ٤٢٧.

في كتب التراجم والرجال وهي كلها تثبت أنه كان عاملياً لا (آملياً) وبخاصة تصريحه (للمجلسي) الذي هو من المعاصرين له على ما سلف.

٢ - وانتقل به والده الشيخ حسين عبد الصمد العاملي إلى (إيران) وهو صغير وعمره إذ ذاك سبع سنوات، وقيل: أقل من ذلك، على أثر مقتل أستاذه الشيخ زين الدين العاملي الشهير (بالشهيد الثاني) الذي قتل ظلماً سنة ٩٦٦هـ.

نبذة من حياته في أسفاره:

بعد أن حلّ مع أهله في بلاد العجم بدأ يأخذ العلم عن والده وغيره من الجهابذة كالعلامة عبد الله بن حسين اليزدي المتوفى عام ٩٨١هـ من أساتذة المنطق والحكمة، وهو صاحب الحاشية في المنطق التي لا تزال تدرّس في جامعات (النجف) و(قم) وجميع العواصم العلمية الشرقية إلى اليوم. وطبيعي أن تكون ثقافة (البهائي) العامة قد أخذها عن عدّة أساتذة عادة وربما كان تعرّفه أثناء سياحته الطويلة على شخصيات علمية وأدبية وسواها قد أكسبه ثقافة وعلماً حتى فاق أقرانه، وتغلب على منابذيه الجهابذة، فأحرز شهرة واسعة في المعرفة وتولى مشيخة الإسلام(١)، كما كان قد تضلّع بالعلوم والآداب وتمكن من اللغة الفارسية وكتب بها ونظم وأجاد(٢).

ولقد كانت نفسه نزّاعة إلى العلم، راغبة في العزلة تأنس الوحشة، ولم يرو ظمأ نفسه إلى العلم معارف الفرس فرغب في السفر والسياحة «فترك المناصب ومال لما هو لحاله مناسب»(٣) كما صرّح بذلك عن نفسه.

واتّجه لحج بيت الله وزيارة النبي، وطوّف في البلاد ما يقرب من ثلاثين عاماً، فأتى مصر بزي الدراويش واجتمع بأهل الفضل فيها. ولقد لقي الأستاذ محمد بن أبي الحسن البكري. ولقد بالغ هذا في تعظيمه، فقال له البهائي مرّة: أنا درويش فقير فكيف تعظمني هذا التعظيم؟ فأجابه: شممت فيك رائحة العلم والفضل(٤). ثم غادر مصر إلى القدس، وتجنّب فيها الناس، ولبس لباس السائحين. ولكنه، وإن اعتزل في بيت المقدس مؤثراً الوحدة على الاجتماع

(١) **سلافة العصر**، ص ٢٩٠.
(٢) **العرفان**، المعلوف، ٥٤/٢٣.
(٣) **سلافة العصر**، ص ٢٩٠.
(٤) **معجم المطبوعات**، سركيس، ص ١٢٦٢.

بالناس، فإنه ما كان يضن بالإجابة على ما يوجه إليه من أسئلة، وما يُطلب إليه من إفادة وتدريس. ولقد اجتمع إليه بعض علماء القدس ومنهم الرضي ابن أبي اللطف المقدسي الذي سأله مسائل عديدة[1] أجاب عليها كلها أجوبة محكمة.

وغادر القدس إلى دمشق حيث نزل في حي الخراب، واجتمع فيها بالحافظ الحسين الكربلائي القزويني نزيل دمشق الذي استنشده شيئاً من شعره، كما ألحّ على مضيفه أن يسهل له الاجتماع بالحسن البوريني فأحضره له ذاك التاجر بدعوة وتأنقَ في الضيافة، ولما حضر البوريني لم يعره انتباهه ولم يلتفت إليه منصرفاً إلى الأحاديث والقصص. ولما بدأ البهائي بالكلام مورداً مسائل عويصة، مبدياً براعته في تحليلها بأسلوب بهر أسماع الحضور، نهض البوريني واقفاً وقال: إن كان ولا بد فأنت البهائي الحارثي إذ لا أجد في هذه المثابة إلاك[2].

وفي اليوم التالي توجّه إلى حلب متنكراً بصورة درويش وحضر حلقة الشيخ عمر العرضي الذي ربطته معه فيما بعد علاقات وصداقة ومفاخرة انتهت إلى خلاف كبير حول مسائل جذرية في الإسلام[3].

وقد سعى أبناء جبل عامل للذهاب إليه عندما حلّ ببلاد الشام، وتوافدوا عليه جماعات فخشي ظهور أمره وخرج من حلب[4] وختم تطوافه بالعودة إلى أصفهان حيث أقام البقية الباقية من حياته. واتصل بالشاه عباس الصفوي الذي أكرمه وأعلى مقامه وعهد إليه بمشيخة الإسلام في إيران. فعزّت به دولة العجم، واستنارت برأيه وكان سلطانها لا يفارقه سفراً أو حضراً وتبسمت له الأيام في مصاحبة هذا السلطان، فبسط يده للفقراء، وفتح أبوابه للمحتاجين. وكانت داره في أصفهان ملجأ للأيتام والأرامل[5].

وقد سكن البهائي بلدة (هراة) مدة طويلة، وأعجب بها وبمناخها وله أرجوزة يصف فيها هراة وهواءها وماءها وعنبها وأنواع أثمارها وهي أرجوزة طويلة يتحسّر في آخرها على فراقها ويقول:

---

(١) **خلاصة الأثر**، المحبي، ٤٢٢/٣.

(٢) **دائرة المعارف**، للبستاني، ٤٦٣/١١.

(٣) **خلاصة الأثر**، ٤٢٣/٣.

(٤) **الكشكول**، ص ٧٢٤.

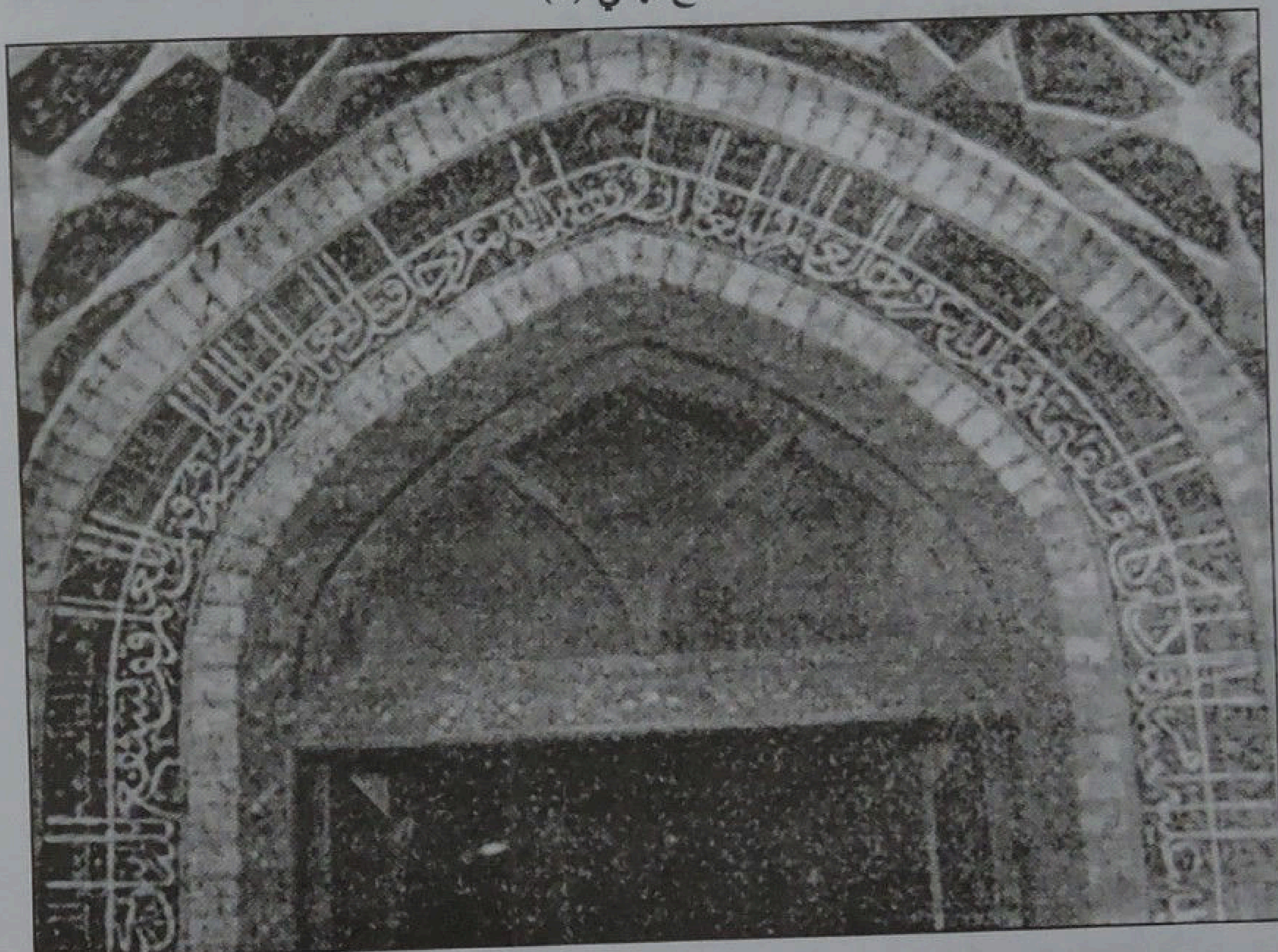
(٥) **سلافة العصر**، ص ٢٩٠.

يا حبذا أيامنا اللواتي — مضت لنا ونحن في الهراة
نسترق اللذات والأفراحا — ولا نمل الهزل والمزاحا
وعيشنا في ظلها رغيد — والدهر مسعفٌ بما نريد[(١)]

ولم ترق هذه الحياة بعيني (البهائي) فآثر العزلة والسياحة واستمرت سياحته حوالي ثلاثين سنة جاب في أثنائها مصر والعراق والحجاز وسوريا، والتقى في خلالها بشخصيات كثيرة علمية وأدبية، وألّف كتابه الكشكول في سياحته وهو في مصر ثم عاد إلى أصفهان.

وعندما علم الشاه عباس حاكم الدولة الصفوية بعودته إلى أصفهان ذهب إليها بنفسه وأحاطه بالتجلة والإكرام، وظلّ (البهائي) صاحب المقام الأول عند الشاه إلى أن وافاه أجله في مدينة أصفهان سنة ١٠٣١هـ.

شيخ بهائي (٢)



مدخل مزار البهاء العاملي في المشهد الرضوي بإيران

(١) **الكشكول**، ص ٧٣.

ويروي صاحب روضات الجنات الخوانساري أن سلطان العجم الشاه عباس الصفوي ركب يوماً إلى بعض نزهاته، وكان الشيخ البهائي والشيخ محمد باقر داماد الحسيني (المعروف بالأسترآبادي) في موكبه لأن السلطان كان لا يفارق هذين الشيخين، وكان الشيخ محمد باقر بديناً عظيم الجثة بخلاف الشيخ البهائي فإنه كان نحيف البدن في غاية الهزال، فأراد الشاه أن يختبر صفاء الخواطر فيما بينهما، فجاء إلى الشيخ محمد باقر وهو راكب فرسه في مؤخرة الجمع وقد ظهر على الفرس الإعياء والتعب من ثقل جثته، وكان جواد البهائي في المقدمة يركض ويرقص كأنه لم يحمل شيئاً. فقال الشاه للشيخ محمد باقر: ألا تنظر إلى هذا الشيخ يعني البهائي في مقدمة الركب كيف يلعب بجواده ولا يمشي على وقار بيننا مثل جنابك المتأدب، فقال له: أيها الملك إن جواد الشيخ البهائي لا يستطيع أن يتأنى بجريه من شغف ما يحمل ألا تعلم من الذي يمتطيه؟!

ثم إن السلطان قد أخفى الأمر إلى أن لحق بالشيخ البهائي وقاربه فقال له: يا شيخنا ألا تنظر إلى ما خلفك كيف أتعبت جثة هذا الشيخ الفرس من كثرة سمنته والعالم المطاع لا بد أن يكون مثلك ذا جسم رياضي خفيف الوزن، فقال الشيخ البهائي: لا أيها الملك إنما التعب الظاهر في الفرس من عجزه عن تحمل حمل العلم الذي تعجز عن حمله الجبال الرواسي. فلما رأى السلطان تلك الألفة التامة والمودة الخالصة بين علماء عصره نزل من على ظهر جواده بين الجمع وسجد لله تعالى شاكراً(١).

تلامذته:

للبهائي تلامذة كثيرون نهلوا من منهله العذب وأخذوا عنه حتى باتوا من أعلام عصرهم في العلم والمعرفة. ومن هؤلاء:

١ - **الشيخ جواد بن سعد الله البغدادي الكاظمي**: المعروف بالفاضل الجواد الكاظمي. درس على البهائي في أصفهان حتى أصبح من اللامعين في المعقول والمنقول والرياضيات وغير ذلك، وقد شرح بعض كتب أستاذه البهائي مثل خلاصة الحساب وزبدة الأصول(٢).

٢ - **ملا محسن الفيض الكاشاني**: المتوفى في عام (١٠٩١هـ) وهو من كبار الفلاسفة المعروفين.

---

(١) **الروضات**، ص ١١٥.

(٢) **الكنى والألقاب**، ج٣، ص ٦.

٣ ـ **السيد رفيع الدين محمد بن حيدر الطباطبائي**: الحسيني النائيني المتوفى (١٠٨٢هـ) من أئمة الفلسفة المشهورين.

٤ ـ **الشيخ محمد بن علي التبنيني العاملي**: من الأدباء العلماء ذوي القيمة علماً وفضلاً.

٥ ـ **الشيخ زين الدين بن محمد بن حسن بن زين الدين العاملي**: من علماء الفقه والآثار.

٦ ـ **صدر المتألهين الشيرازي**: من فقهاء عصره المعدودين.

٧ ـ **السيد ماجد البحراني**: وجماعة كثيرون غيرهم[١].

آثاره ومؤلفاته:

امتاز البهائي بشخصية علمية كبيرة، ومكانة رائعة في جميع ميادين العلم. وبلغ من شأنه العلمي لدى الناس حداً يكاد يلحقه في عداد الشخصيات الأسطورية. وقد نُسب إليه غرائب وعجائب ومعاجز وأساطير كثيرة تعبر تعبيراً واضحاً عن أثر (البهائي) العلمي ونفوذه البالغ وسيطرته على أفكار الناس. ومما يروى عنه أنه استطاع أن يحطم الذرة وأن يسيطر على طاقتها وأن يستخدمها في الحاجات[٢]، وأنه توصل إلى اكتشاف بعض قوانين الانعكاسات الصوتية (الصدى) (وهو ما عرف اليوم بعلم الرادار) وطبّقها في بعض مساجد أصفهان.

ووضع قوانين ضغط الماء وتساوي سطوحه[٣].

ووضع قواعد للأشكال الهندسية المسطّحة والمجسّمة.

وقيل: إنه أبدع في صنع (شمعة) أوقدها في أتون حمّام بأصفهان، وأنها كانت تكفي لتدفئة حمام بكامله مدة استمرت ثلاثة قرون وتزيد وظلّت حتى هدمها المهندسون الإنكليز لاكتشاف أسرار اختراعها. وينسب إليه أنه صنع (ساعة) دوامة الحركة دون أي حاجة إلى من يحركها.

كما يُنسب إليه غرائب كثيرة غير التي ذكرناها، رأينا أن نغض الطرف عن ذكرها خشية التطويل والأرجح أن شخصية (البهائي) في ميادين العلوم والفنون ومكانته الشهيرة من أكثر الثقافات التي عُرفت في عصره والتي تجاوبت أصداؤها في أنحاء العالم الإسلامي قد نسجت من حوله هالة رائعة كانت العامل القوي في أكثر ما يُنسب إليه من غرائب وأساطير[٤].

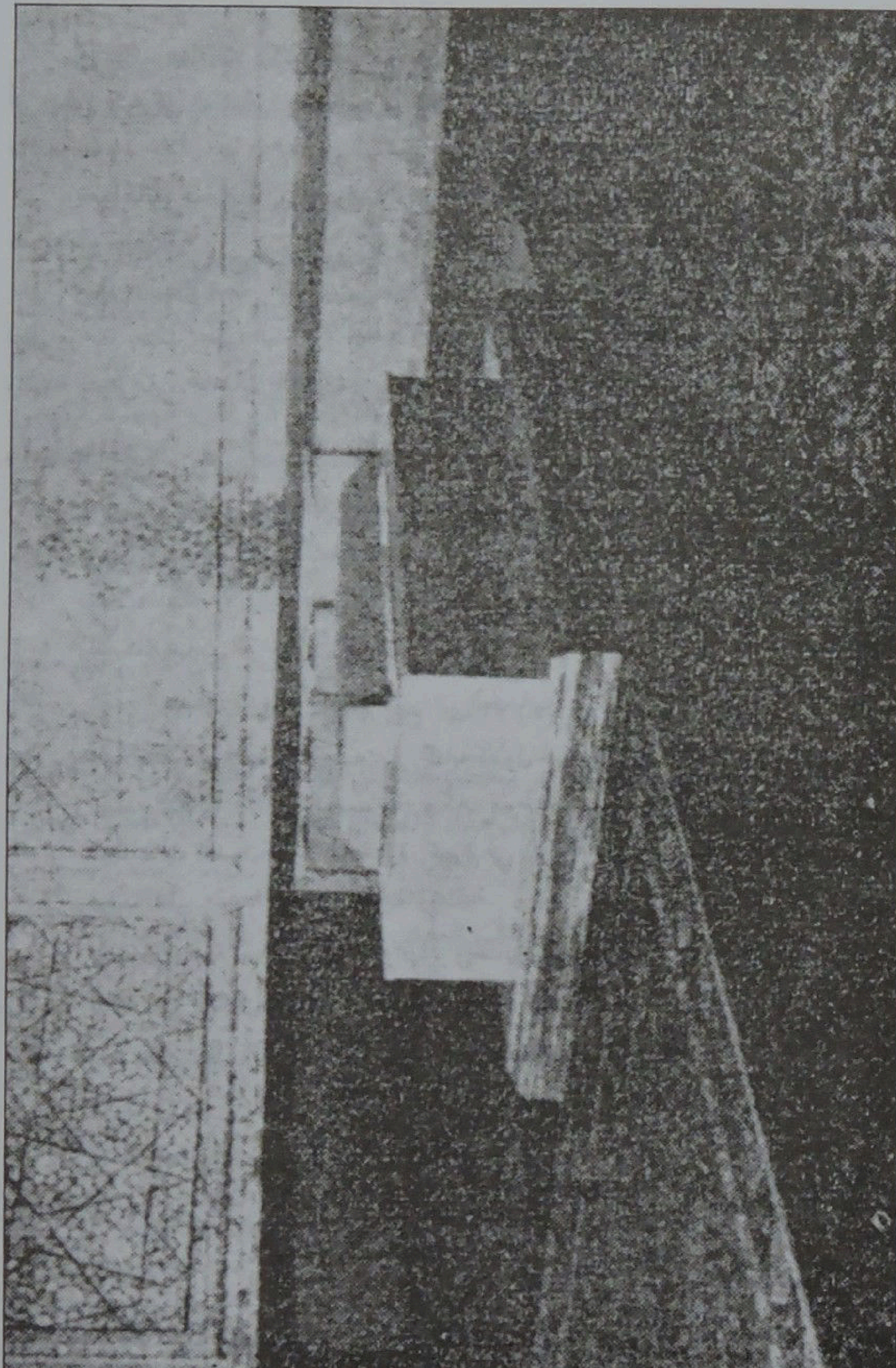
---

(١) **الروضات**، ص ٥٣٦.

(٢) **فلاسفة الشيعة**، ص ٤٠٧.

(٣) من محاضرة للعلامة السيد موسى الصدر في الندوة اللبنانية.

(٤) **فلاسفة الشيعة**، ص ٤٠٨.



ضريح الشيخ بهاء الدين العاملي في مشهد الرضا في إيران

وللبهائي مؤلفات وكتب قيّمة، حظيت باهتمام العلماء ودراستهم، وأكثرها مطبوع، كما أن بعض كتبه في الحساب والهندسة والفلك قد نال عناية كبيرة، فشُرحت وعُلق عليها، وتمتاز مؤلفاته بصفة عامة بأنها خالية من الحشو، وأن قارئها يخرج منها بعدة فوائد.

ومؤلفاته هذه تناولت جوانب كثيرة من الثقافة والفكر، وأتت على هذه الجوانب باستيعاب وهضم.

ويُعد «البهائي» من المخصبين في الإنتاج الفكري، فقد ترك أكثر من خمسين مؤلفاً، لا تزال مرجعاً يعتمد عليها الباحثون ويأخذ عنها طلاب المعرفة، ولا زال بعض كتبه في الحساب والهيئة يدرّس في جامعات النجف وإيران وغيرهما من الجامعات الشرقية حتى هذا اليوم.

ومن مؤلفاته:

(١) - «رسالة تحقيق جهة القبلة»، باللغة العربية، منها نسخة ضمن مجموعة في خزانة (كوركيس عواد)، ونسخة أخرى مخطوطة موضحة بأشكال فلكية كتبت في أواخر رجب سنة ١١٧٨هـ وهي موجودة عند صاحب (كتاب تاريخ علم الفلك في العراق)، الأستاذ عباس الغراوي[١].

(٢) - (بحر الحساب)، وهو كتاب كبير في الحساب[٢].

(٣) - «خلاصة الحساب»، لخّصه من كتابه الأول «بحر الحساب»، واشتهر أكثر منه، وهو أجمع كتاب لفنون الحساب، وكان موضع اهتمام ودراسة حتى اليوم في بعض الجامعات الشرقية، وأخذ شهرة كبيرة في الأقطار الشرقية بين الطلاب والعلماء وهو مرتّب على مقدمة وعشرة أبواب وخاتمة.

وطبعت (الخلاصة) في إيران والهند وإستانبول ومصر، كما ترجمت إلى الألمانية (سنة ١٨٤٣م) في «برلين» وإلى الفرنسية في عام (١٨٦٤م).

وقد حظي هذا الكتاب بشروح العلماء وتعليقاتهم، ومن ذلك:

١ - شرح المولوي عصمة الله بن أعظم بن عبد الرسول السهارنفوي المتوفى سنة (١٠٢٩هـ) والمعاصر «للبهائي» المؤلف.

٢ - شرح نظام الدين المرتضى بن حسن بن مرتضى العاملي الكاظمي اسمه «تشريح الحساب».

---

(١) **تاريخ علم الفلك في العراق**، ص ٢٩٧.

(٢) **الذريعة**، ج٣، ص٣٥.

٣ - شرح محمد علي الكرماني واسمه «تشريح الحساب» أيضاً.

٤ - توضيح خلاصة الحساب بالفارسية لمحمد أمين النجفي الحجازي القمي، وهو من تلاميذ «البهائي».

٥ - إيضاح الحساب لفخر الدين بن محمد علي الطريحي المتوفى سنة (١٠٨٥هـ) ألّفه في أصفهان وأتمّه سنة (١٠٨٣هـ). منه نسخة في خزانة آل الطريحي في النجف الأشرف.

٦ - حلّ الخلاصة لأهل الرياسة لرمضان بن أبي هريرة الجزري القادري، فرغ من تأليفه سنة (١٠٩٢هـ). منه نسخة بدار الكتب المصرية.

٧ - شرح جواد بن سعد بن جواد الكاظمي، منه نسخة بخط أبي الثناء محمود الألوسي مؤرخة في ١٥ شهر رمضان سنة (١٢٣٧هـ). وهناك نسخ أخرى في مكتبات بغداد.

٨ - تحفة الطلاب في حلّ خلاصة الحساب، لعبد الرحمن بن عبد الله الحلّي المشهور (بكاك حلي)، منها نسخة في خزانة الأوقاف العامة في بغداد من كتب نعمان خير الدين الألوسي، كتبها سنة (١١٨٦هـ).

٩ - توضيح الحساب وهي حواش على الخلاصة للمولى محمد تقي الدين بن حسن الهروي الأصفهاني المتوفى عام (١٢٩٩هـ). وغير ذلك من الشروح الكثيرة.

(٤) - (تشريح الأفلاك) مع حواشيه وهو مختصر طبع في الهند مراراً. ومنه نسخ مخطوطة كثيرة في مكتبات إيران والعراق وغيرهما، وقد نال عناية العلماء واهتمامهم، وتناولوه بالشرح والتعليق ومن ذلك:

١ - شرح القاضي نور الله التستري المرعشي المتوفى في القرن العاشر الهجري.

٢ - شرح الشيخ محمد بن عبد علي البحراني.

٣ - شرح السيد محمد الشرموطي.

٤ - شرح فضل بن محمد الشريف الكاشاني، ألّفه سنة (١٠٧٢هـ).

٥ - شرح فرج الله بن محمد بن درويش الحويزي، وهو من المعاصرين للحر العاملي.

٦ - شرح السيد شمس الدين علي بن محمد بن علي الحسيني الخلخالي من تلاميذ (البهائي) وألّفه في حياة أستاذه سنة (١٠٠٨هـ).

٧ - شرح السيد صدر الدين محمد بن محمد صادق القزويني (المعاصر للحر العاملي) واسمه (تفريح الإدراك في توضيح تشريح الأفلاك).

٨ - شرح المولوي عصمة اللّه بن أعظم بن عبد الرسول السهارنفوي المتوفى سنة (١٠٣٩هـ)، واسمه (باب تشريح الأفلاك).

٩ - شرح إمام الدين اللاهوري المهندس، واسمه (التصريح والتوضيح) طبع في دلهي (١٩١٢م) وفرغ من تأليفه سنة (١٣٠٣هـ).

١٠ - شرح المولى عبد الكاظم، اسمه (برهان الإدراك) أو (نهاية الإدراك).

١١ - شرح السيد علي الطباطبائي، طبع في الهند سنة (١٣٠٠هـ).

١٢ - شرح علي بن عبد اللّه العلياري التبريزي المتوفى عام (١٣٢٧هـ). وسوى ذلك من الشروح التي ذكرها الطهراني[١].

وقد ابتدأ «البهائي» كتابه تشريح الأفلاك بقوله:

«ربّنا ما خلقت هذا باطلاً...» وهو مرتّب على مقدمة وخمسة فصول وخاتمة.

(٥) - «جبر الحساب» مات قبل الفراغ منه. وفيه تفصيل لبراهين كثيرة من النظريات الهندسية وقوانين المساحات والحجوم، وعدد من المبادىء الحسابية، وأدخل فيه أيضاً طرقاً جديدة لحلّ مسائل مختلفة صعبة، تشحذ الذهن وتمرّنه على حلّ الأعمال المعقدة[٢].

(٦) - «الصفيحة في الإسطرلاب»، باللغة العربية منها نسخة في خزانة المتحف العراقي، وهي ستة أجزاء نقلت عن خط المؤلف[٣] وعليها شروح منها:

١ - «سوانح القريحة في شرح الصفيحة»، للسيد عبد اللّه الفخري الموصلي.

٢ - «رسالة في كيفية العمل بالصفيحة»، له أيضاً وهذان الشرحان منهما نسختان في خزانة الأوقاف في بغداد.

٣ - «نقش الصحيفة في شرح الصفيحة»، تأليف أحمد بن محمد بن خضر البغدادي.

(٧) - كتاب الإسطرلاب بالفارسية سمّاه «التحفة الحاتمية»، وهو مختصر من كتاب «بيست باب» لنصير الدين الطوسي، وقد طبع في إيران سنة (١٣١٦هـ).

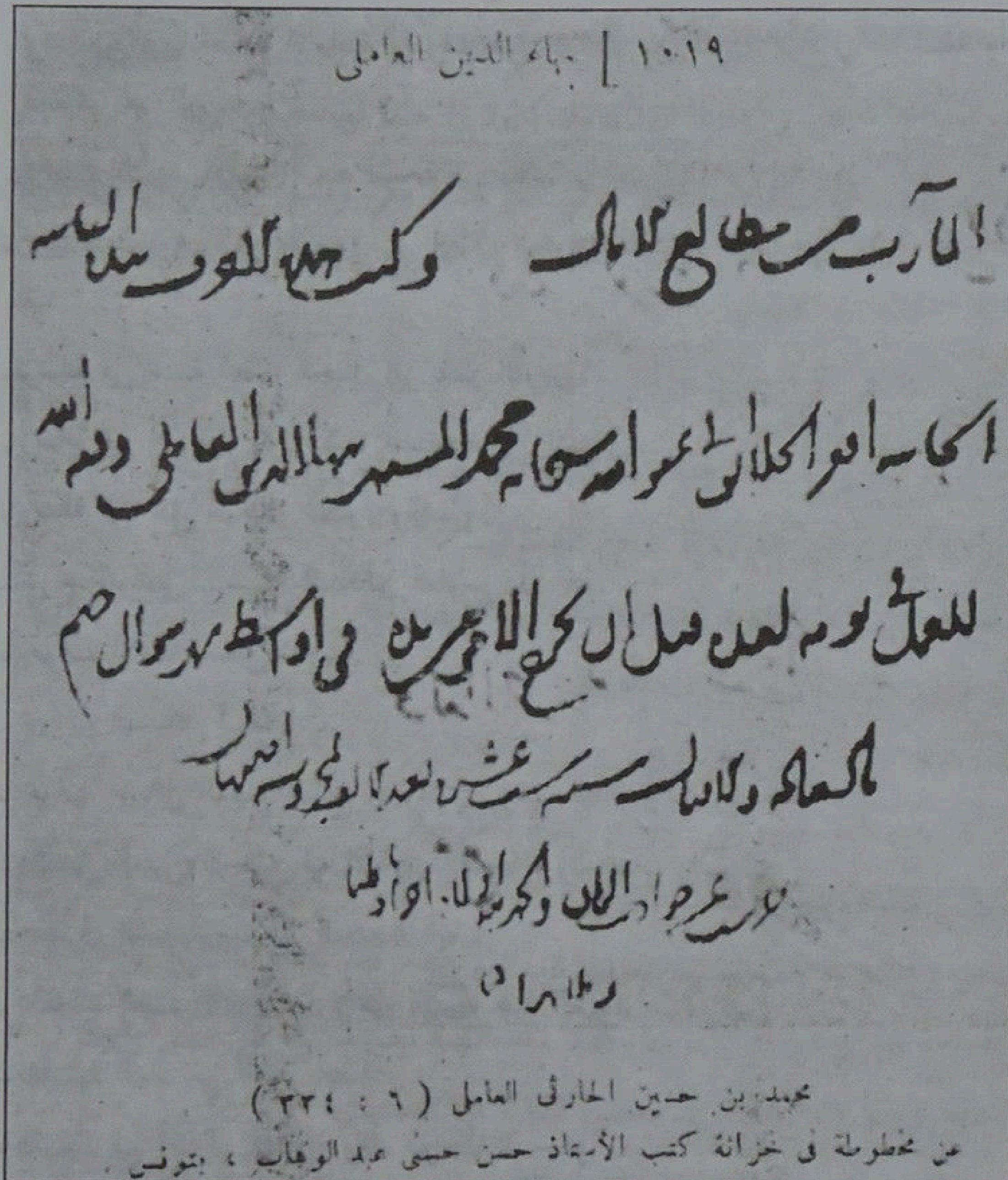
---

(١) **الذريعة**، ج٤، ص١٨٦.

(٢) **تراث العرب العلمي**، ص ٤٥٣.

(٣) **تاريخ علم الفلك في العراق**، ص ٣٠١.

(٨) - «الجفر»، صرّح باسمه ونسبه في الخطبة أوله: الحمد للّه الذي كشف علينا رموز الغرائب بفيضه، رتّبه على مقدمة وثلاثة فصول، وفي المقدمة ثلاثة مطالب ذكر فيها ما يتوقف عليه استخراج السؤال رآه الطهراني في كربلاء[1].



المآرب من مطالع الآمال وكتب هذه الأحرف بيده التائبة الجانية أفقر الخلائق إلى عفو الله سبحانه محمد المشتهر ببهاء الدين العاملي وفقه الله للعمل في يومه لغده قبل أن يخرج الأمر من يده في أواسط شهر شوال ختم بالسعادة والإقبال سنة ست عشرة بعد الألف بمحروسة أصبهان حرست عن حوادث الزمان، والحمد لله أولاً وآخراً وباطناً وظاهراً.

---

(١) **الذريعة**، ج٢، ص ٢٣٨.

(٩) - «شرح الجغميني في الهيئة»، ولعله شرحه على شرح الرومي على الملخص.

(١٠) - «الرسالة الاعتقادية»، مطبوعة في عام (١٣٢٦هـ) مع منظومة «مواهب المشاهد» لهبة الدين الشهرستاني.

وقد بيّن فيها عقائد الإمامية وميّزهم عن سواهم من الفرق الأخرى المشتقة وأصحاب العقائد غير المرضية[١].

(١١) - «إثبات الأنوار الإلهية»، منه نسخة في مكتبة راغب باشا في إستانبول[٢].

(١٢) - «رسالة الجوهر الفرد»، وهي في إبطال الجوهر الفردي، ذكره في كشكوله ونقل قطعة منه.

(١٣) - رسالة في نسبة أعظم الجبال إلى قطر الأرض.

(١٤) - رسالة في أن أنوار الكواكب مستفادة من الشمس.

(١٥) - رسالة في حلّ أشكال عطارد والقمر.

(١٦) - شرح الفرائض البصرية للمحقق الطوسي لم يتم.

(١٧) - جواب ثلاث مسائل عجيبة.

(١٨) - جواب المسائل المدنيات.

(١٩) - جواب مسائل الشيخ صالح الجزائري، وهي اثنتان وعشرون مسألة.

(٢٠) - «الحبل المتين»، جمع فيه الأخبار الصحاح والحسان والموثق.

(٢١) - «مشرق الشمسين»، في الحديث أيضاً.

(٢٢) - «الفوائد الصمدية»، ألّفها لأخيه الشيخ عبد الصمد.

(٢٣) - تهذيب البيان في النحو أيضاً.

(٢٤) - «الزبدة في أصول الفقه»، وقد شرحها المحقق جواد الكاظمي، وهي مختصرة جامعة، وهذه الكتب الخمسة الأخيرة كلها مطبوعة.

(٢٥) - حاشية على شرح العضدي على مختصر الأصول.

(٢٦) - رسالة في المواريث.

---

(١) **الذريعة**، ج٢، ص ٢٣٨.

(٢) **الذريعة**، ج٥، ص ٨٥.

(٢٧) ـ رسالة في علم الذرّية وهي مطبوعة في آخر أمل الآمل.

(٢٨) ـ «الكشكول» وهو في ثلاثة أجزاء، وقد طبع في إيران ومصر وهو مجموعة قيّمة، تحتوي على كثير من فصول علمية في الهندسة والفلسفة والأدب والشعر والتاريخ وعلم المناظر والضوء والجبر والحساب وسوى ذلك.

(٢٩) ـ «المخلاة» وهي مجموعة فيها فوائد كثيرة وطبعت في مصر وإيران.

(٣٠) ـ «توضيح المقاصد» فيما اتفق له في أيام السنة وفي وقائع الأيام وذكر فيه وفيات بعض العلماء، كما طبع في مصر سنة (١٣١٣هـ) مع شرح بائية الحميري، كما طبع في إيران سنة (١٣١٥هـ).

(٣١) ـ العروة الوثقى في تفسير القرآن.

(٣٢) ـ «شرح أربعين حديثاً»، وفيه تحقيق وفوائد جمّة، طبع في إيران سنة (١٣١٠هـ).

(٣٣) ـ الجامع العباسي ألّفه للشاه عباس الصفوي.

(٣٤) ـ شرح على اثني عشرية الشيخ حسن ابن الشهيد الثاني.

(٣٥) ـ حواش على كتاب مختلف الشيعة.

(٣٦) ـ حاشية على تفسير البيضاوي.

(٣٧) ـ كتاب سوانح سفره إلى الحجاز أكثره بالفارسية.

(٣٨) ـ عين الحياة وهو في تفسير القرآن.

(٣٩) ـ شرح الصحيفة المعروف (بحدائق الصالحين).

(٤٠) ـ مفتاح الفلاح في أدعية اليوم والليلة وأعمالهما وهو مطبوع في مصر وإيران.

(٤١) ـ حاشية على كتاب من لا يحضره الفقيه في الحديث.

(٤٢) ـ «حواشي على الزبدة»، لنصير الدين الطوسي.

(٤٣) ـ «حواشي على التذكرة»، في الهيئة للطوسي أيضاً، وله مؤلفات كثيرة غير الفقه والحديث وسواهما.

(٤٤) ـ الجبر والمقابلة.

❀ ❀ ❀

وتقوم شهرة البهائي في الأكثر على بعض مؤلفاته مثل «خلاصة الحساب» و«تشريح الأفلاك»، وقد عرفت شيئاً عنهما ومثل كتابه «الكشكول» الذي طبع مراراً في إيران ومصر.

وكتابه المذكور يُعد من أروع الكتب وأكثرها فائدة، وأجمعها لفنون المعرفة وقد اشتهر كثيراً في الأوساط العلمية والأدبية.

وجمع «البهائي» فيه من الشوارد العلمية، والفوائد الثقافية، والنوادر الأدبية، ما يغني عن كتب كثيرة في هذا الباب. وهو مجموعة قيّمة تشتمل على بحوث فلسفية وعرفانية وصوفية، كما تشتمل على مسائل مبسوطة من علم المناظر والرؤية، وعلى جانب كبير من الهندسة والجبر والحساب.

كما نجده قد تناول فيه التفسير لكثير من آيات القرآن، وعرض فيه لمسائل غير قليلة من الفقه.

أما الأدب والشعر والتاريخ فهو الشيء الكثير البارز، الذي يواجه القارىء.

كما جمع إلى ذلك ألغازاً حسابية وأعمالاً جبرية، وألغازاً شعرية وأدبية وسواها.

ويتمثل «البهائي» في كتابه «الكشكول» بروحه الصوفية، واتجاهاته العرفانية وتبرز فيه هذه الخصائص بروزاً واضحاً فهو يكثر من ذكر الصوفيين، وحكاياتهم وكلماتهم وأشعارهم وما إلى ذلك مما يتعلق بهذا الموضوع. ويتجلى فيه (البهائي) أديباً دقيق الملاحظة، وشاعراً له في الشعر الملكة القوية. وهو ينحو في شعره وجهة عرفانية وعلمية مسحة فلسفية ظاهرة. كما تناول فيه أيضاً معنى الموسيقى وأقسامها، والسحر وأنواعه، وبحث مسائل من علم الفلك بإسهاب.

كما تجد فيه بحوثاً فلسفية وكلامية كثيرة يلتقي بها القارىء في صفحاته.

ومن آثاره القيّمة رسالته في الجوهر الفرد. وقد ذكرها في كتابه «الكشكول» وهي في إبطال الجزء الذي لا يتجزأ، وقد أقام تسعة على إبطاله وروح هذه البراهين قائمة على أدلّة رياضية هندسية.

قال في «الكشكول» من «رسالتي الموسوعة بالجوهر الفرد»: وما سنح بخاطري في إبطال تركيب الجسم من الأجزاء التي لا تتجزأ سوى الوجوه الستة السابقة. أن نفرض مثلثاً مساوي الساقين كل منهما ثمانية أجزاء وقاعدته سبعة، فما بين طرفي ساقيه خمسة من قاعدته،

لاشتراك طرفيها، والثامن الذي هو رأس المثلث مشترك أيضاً، فما بين الساقين، إذا كان واحداً، فبين السادسين اثنان، وبين الخامسة ثلاثة، فبين الأولين سبعة، وقد كان خمسة، هذا خلف، وإن كان أكثر فالفساد وأشدّ فهو أقل من جزء فافهم.

اعتمدنا في ترجمة الشيخ البهائي على كتاب «فلاسفة الشيعة» للعلامة القاضي الشيخ عبد الله نعمة، ثم على كتاب «أعيان الشيعة» للمرحوم المقدس السيد محسن الأمين، ثم بقية المراجع كما ترى في الهامش.

أقوال العلماء فيه:

جاء في أمل الآمل: حاله في الفقه والعلم والفضل، والتحقيق والتدقيق، وجلالة القدر وعظيم الشأن، وحسن التصنيف ورشاقة العبارة، وجمع المحاسن، أجل من أن يذكر؛ وفضائله أكثر من أن تحصر. وكان ماهراً متبحراً جامعاً كاملاً شاعراً أديباً مُنشئاً عديم النظير في زمانه في الفقه والحديث والمعاني والبيان والرياضيات وغيرها.

وقال السيد مصطفى النفريشي في نقد الرجال: جليل القدر، عظيم المنزلة، رفيع الشأن، كثير الحفظ، ما رأيت بكثرة علومه ووفرة فضله، وعلو رتبته في كل الفنون الإسلامية، له كتب نفيسة، جيدة (اهـ).

وقال السيد عز الدين الحسين ابن السيد حيدر الكركي في بعض إجازاته:

شيخنا الإمام العلامة، ومولانا الهمام الفهامة، أفضل المحققين وأعلم المدققين، خلاصة المجتهدين بهاء الملة والحق والدين، كان أفضل أهل زمانه، بل كان منفرداً بمعرفة بعض العلوم الذي لم يحم حوله من أهل زمانه ولا قبله على ما أظن من يفضله.

وقال السيد علي خان في السلافة:

هو علم الأمة الأعلام؛ وسيد علماء الإسلام، بحر العلم المتلاطمة بالفضائل أمواجه، وفحل الفضل الناتجة لديه أفراده وأزواجه، وطود المعارف الراسخ، وفضاؤها الذي لا تحد له فراسخ، وجوادها الذي لا يؤمل له لحاق، وبدرها الذي لا يعتريه محاق، الرحلة التي ضربت إليها أكباد الإبل، والقبلة التي فطر كل قلب على حبها وجبل، فهو علامة البشر، ومجدد دين الأئمة على رأس القرن الحادي عشر، إليه انتهت رياسة المذهب والملّة، وبه قامت قواطع البراهين والأدلّة. جمع فنون العلم، وانعقد عليه الإجماع، وتفرّد بصنوف الفضل، فبهر النواظر

والأسماع، فما من فن إلا وله فيه القدح المعلّى، والمورد العذب المحلى. إن قال لم يدع قولاً لقائل، أو طال لم يأت غيره بطائل، وما مثله ومن تقدمه من الأفاضل والأعيان، إلا كالملة المحمدية المتأخرة عن الملل والأديان، جاءت آخراً ففاقت مفاخر. وكل وصف قلتُهُ في غيره فإنه تجربة الخواطر.

وقال الحاج محمد مؤمن الشيرازي في كتابه خزانة الخيال:

بهاء الحق وضياؤه، وعز الدين وعلاؤه، وأفق المجد وسماؤه، ونجم الشرف وسناؤه، وشمس الكمال وبدره، وروض الجمال وزهره، وبحر الفيض وساحله، وبر البرّ ومراحله، وواحد الدهر ووحيده، وعماد العصر وعميده، وعلم العلم وعلامته، وراية الفضل وعلامته، ومنشأ الفصاحة ومولدها، ومصدر البلاغة وموردها؛ وجامع الفضائل ومجمعها، ومنبع الفواضل ومرجعها، ومشرق الإفادة ومشرعها، وسلطان العلماء وتاج قمتهم، وبرهان الفقهاء وتتمة أئمتهم، وخاتم المجتهدين وزبدتهم، وقدوة المحدثين وعمدتهم، وصدر المدرسين وأسوتهم، وكعبة الطالبين وقبلتهم، مشهور في جميع الآفاق، وشيخ الشيوخ على الإطلاق، كهف الإسلام والمسلمين، مروّج أحكام الدين، العالم العامل الكامل الأوحد، بهاء الملّة والحق والدين.

وجاء في لؤلؤة البحرين ما يلي:

كان رئيساً في دار السلطنة، وشيخ الإسلام فيها، وله منزلة عظيمة عند سلطانها الشاه عباس، وصنّف له (الجامع العباسي). وقال الشيخ أحمد المنيني الدمشقي في شرح القصيدة الرائية للبهائي في حقه:

«صاحب التصانيف والتحقيقات، وهو أحق من كل حقيق يذكر أخباره، وتنشر مزاياه، وأتحف العالم بفضائله وبدائعه، وكان أمّة مستقلة في الأخذ بأطراف العلوم، والتضلّع من دقائق الفنون، وما أظن أن الزمان سمح بمثله ولا جاد بنده، وبالجملة قلّما تتشنف الأسماع بأعجب من أخباره».

وقد ذكره الشهاب في كتابيه وبالغ في الثناء عليه.

وقد أطال أبو المعالي الطالوسي في الثناء عليه، وكذلك البديعي (اهـ). وذكره تلميذه المجلسي الأول في شرحه العربي على الفقيه عند الكلام على مشيخة الكتاب فصرّح بأنه من مشايخه، وأنه من نسل الحارث الهمداني. قال: ذكره الشهيد الثاني في إجازته لأبيه، وذكر

جماعة من أجداده ومدحهم، ثم قال: هو شيخنا وأستاذنا، ومن استفدنا منه؛ بل كان الوالد المعظَّم، كان شيخ الطائفة في زمانه، جليل القدر، عظيم الشأن، كثير الحفظ، ما رأيت أحداً بكثرة علومه ووافر فضله، وعلو مرتبته، له كتب نفيسة.

وقال الشيخ محمد رضا الشبيبي:

لقد استرعى نظري وأنا أتصفّح مختلف الأسفار والتصانيف لتقييد ما يتصل منها بتاريخ الفلسفة الإسلامية.

إن جملة من كتب الشيخ بهاء الدين العاملي، رحمه الله، حافلة بفوائد وشوارد فلسفية، مضافة إلى بحوثه الأخرى في الرياضيات والفلكيات. لا تخلو كتب الطبقات والتآليف من التنويه بعلماء قليلين شاركوا في جملة من الفنون والعلوم، ولكن ما أندر الذين برعوا وحذقوا تلك العلوم والفنون التي شاركوا فيها جميعاً، وما أقل الذين جوّدوا التآليف ووضعوا الكتب فيها إذ ليس كل من شارك بذلك موفقاً ـ كما لا يخفى ـ ومن ذلك القليل النادر الإمام محمد بن الحسين بن عبد الصمد الحارثي الهمداني العاملي المعروف بالشيخ البهائي أو بهاء الدين العاملي، فإنه شارك مشاركة عجيبة في جميع العلوم والفنون المعروفة في زمانه، عقليةً، ونقليةً، ووفق في التأليف فيها، ومن جملتها الفقه، والأصول، والحديث، والتفسير، واللغة وعلومها، والحكمة، والفنون الرياضية، والفلكية. وقد كتب له التوفيق في مؤلفاته فذاعت وأقبل عليها العلماء والمتعلمون في القرون الأربعة الأخيرة. وندر أن يقدر لغيره ما قدر له من بقاء الذكر، وطيب الأحدوثة، وجميل الأثر. ونلاحظ أن الأثر الذي تركه في مختلف شؤون الحياة من دينية ودنيوية، مادية ومعنوية، نقول: إن ذلك الأثر الذي تركه لدى طبقات مختلفة من العالم الإسلامي لا يزال باقياً إلى اليوم.

ما أكثر التآليف والتصانيف التي اندثرت فعفى شأنها، وذهب زمانها، أما آثار الإمام العاملي على كثرتها فقد غالبت الأيام بجدتها وطرافتها في حقل تاريخ العلوم والحضارة الإسلامية، يذكر عدداً كبيراً من العلماء منهم من قصر جهده، وصرف فكره، على علم أو فن يعنيه.

فمنهم من انقطع لعلوم الدين، ومنهم من تجرّد لعلوم الدنيا، حتى عاش كل منهم داخل إطار معين من فنه لا يكاد يتعداه في الغالب. أما الإمام العاملي فقد طاف في كل مدرسة واخترق نطاقها، ومرَّ على رجالها، وشاركهم فيما يعنيهم كأنه واحد من القوم. وهذا سرّ من

أسرار تفوقه، وسبقه، وتقدمه، وأخذه بمجامع القلوب، فهو فقيه مع الفقهاء، ومحدّث مع المحدثين، وصوفي مع المتصوفة، وفيلسوف مع الفلاسفة، ورياضي مع أصحاب التعاليم، وهو نحويّ مع النُحاة، إلى غير ذلك.

ترجم للإمام العاملي كثيرون من متأخري المؤلفين وأصحاب المعجمات، وأطنب بعضهم في هذه الناحية ومع ذلك بقيت مصادر من صنف آخر قلما تناولها الباحثون. وفي هذا الصنف من المصادر نعثر على نبذ غير معروفة حتى الآن من أحوال الشيخ، وقوام هذا الصنف البقية الباقية من مخطوطات الإمام العاملي، والنسخ الأصلية المقروءة عليه من مؤلفات غيره، إذ لا يخفى أن الشيخ، رحمه الله، كتب ونسخ وعلّق الكثير. وتوجد جملة من مؤلفاته في مكتبات الديار الإيرانية وغيرها. ولا يُستبعد وجود بعض نسخ الأُصل من مؤلفاته وغيرها من المؤلفات التي نسخها بخطه في بلاد أخرى كالهند وأفغانستان والبحرين، عدا ما يوجد منها في دور الكتب والمتاحف الغربية. ومن يتصفح تلك النسخ المخطوطة وتعاليق الشيخ عليها، وصور إجازاته لمن قرأ كتبه، أعني إجازات روايتها، عثر بلا شكٍّ على فرائد ونوادر غير قليلة لها علاقة بسيرته، والتعريف بجملة من أصحابه الذين لم يَرد لهم ذكر في التاريخ.

وقال الأستاذ الشبيبي أيضاً في مناسبة أخرى:

أخذ الشيخ عن والده علوم العربية والفقه والأُصول والحديث والتفسير، ودرس عليه في قزوين في عصر من عصور ازدهارها ونهضتها، أي في العصر الأول من عصور الدولة الصفوية، وكانت قزوين قاعدة هذه الدولة الأولى، وقد شهدت حركة علمية واسعة في ذلك الزمان، وأنشئت فيها عدة مدارس؛ فثابر الشيخ على الدراسة هناك إلى أن غادرها أبوه إلى «هراة» فبقي هو في قزوين مُتبرّماً من طول الإقامة فيها، مفضلاً الانتقال منها إلى حيث يقيم والده. وقد أسعفه الزمان بالرحلة إليها بعد ذلك، وواصل هناك دراسته، وذاعت شهرته أول ما ذاعت في هذه المدينة. وله فيها ذكريات جميلة خلّدها في أشعاره ورسائله.

ولنا أن نقول: إن الإمام لم يترك ناحية من نواحي المملكة الإيرانية إلا وزارها. زار خراسان، وآذربيجان، وآران «قفقاسية»، سنة ١٠١٥هـ صحبة الشاه عباس الكبير، وكان ديدن الشيخ في سفره الأخذ عن الجهابذة. وأعظم حاضرة إيرانية رحل إليها وطابت له الإقامة فيها أخيراً حتى وافته منيته تغمّده الله بالرحمة هي مدينة أصفهان، وهي القاعدة الثانية للدولة الصفوية.

وفي أصفهان لقي جماعة من العلماء المتضلعين في مختلف العلوم والفنون فأخذ عنهم، وأخذوا عنه. وفي هذه المدينة على الأرجح وضع جملة من تآليفه المشهورة، وأسّس أكثر من مدرسة واحدة فيها حتى صارت إليها الرحلة من كثير من الأقطار الإسلامية، وأصبحت أصفهان بذلك دار العلم في ذلك العصر وما بعده إلى عصور غير قليلة ـ كما هو معروف ـ وما زالت تلك المدارس وغيرها من الآثار التي أنشأها الإمام العاملي في غير حاضرة من حواضر الدولة الصفوية قائمة حتى يومنا هذا.

ثم استطرد الأستاذ الشبيبي متحدثاً عن أخلاقه فقال:

خلق هذا الإمام مطبوعاً على حب الحرية والتخفف، ومجافاة التصنّع والتكلّف، مشغوفاً بمظاهر البساطة في الحياة «فطرة اللّه ومن أحسن من اللّه فطرة» ثائراً على المُتصنعين المتكلفين، وما أكثرهم في زمانه ومكانه.

ويقول بعض المؤرخين في معرض الاستدلال على مجافاته للتكلف والتصنع: إنه ما كان على جلالة قدره يتحرج من النزول إلى ميادين المدينة والاختلاط بالسواد، والوقوف مع المارة على حلقات الألعاب البريئة كألعاب الحواة، ومروّضي الحيوان، وغيرها من الألعاب، ضارباً بمظاهر التزمّت والتصنع عرض الحائط.

هذا ما قاله بعض المؤرخين. وفي رأينا أنه ـ رحمه اللّه ـ ما كان يقصد إلا المزيد من الاطلاع واكتناه الأسرار والفنون الكامنة في تلك الألعاب. ويستفاد من كثير من مؤلفاته وأشعاره أنه كان صوفي المشرب، ميالاً إلى الزهد والتقشّف. وقد رغب في أواسط عمره بالفقر والسياحة، وكان زيّه في أسفاره هذه زي «الدراويش» أو السائحين المغتربين، كما ورد في بعض كتب المؤرخين. وقد أمضى في السياحة أعواماً كثيرة ويعدّهُ بعض الباحثين أجل عرفاء أواخر المائة العاشرة، وأوائل المائة الحادية عشرة، ولا سيما في إيران، كما يعد من أكبر مشايخ هذه الطائفة. وقد لاحظ جمع من المنتسبين إلى العلم، أو المتصدرين للرياسة أن الشيخ أفرط في بعض اتجاهاته الصوفية، حتى زعموا أن والده أنكر عليه ذلك، وليس من السهل إثبات ما قيل عن والده في هذا الشأن، وهناك روايات أشبه بالأساطير تروى معززة بالصور والرسوم عن بعض أوضاعه في ثباته ورباطة جأشه. والمرجّح أن بعض هذه الروايات موضوعة...

كان الإمام العاملي عميق النظر، جوّال الفكر، حادّ الذكاء، جمّ النشاط، راغباً رغبة أكيدة في إصلاح ما فسد من الأخلاق والأوضاع العامة. انتقد الجمود والتقليد، وشنّ الحملة

تلو الحملة في شعره ونثره، على المتزعمين الجامدين، وعلى المرتزقين من الدجل والشعوذة والرياء. ومن هذه الناحية ناوأه من ناوأه من هذه الطبقة، بل وجهت إليه بعض المطاعن والتهم الباطلة.

وتاريخ العالم الإسلامي قديماً وحديثاً طافح بأخبار الصراع بين المصلحين ومناوئيهم، والمتحررين والجامدين، على صورة أدّت إلى حوادث دامية معروفة في التاريخ فلا عجب إذا اتفقت هذه المشادة بين الإمام العاملي، وهو قطب من أقطاب الحكمة والإصلاح والتجدد، وبين غيره من الجهلة المقلدين. ومن يقرأ شعره بالعربية والفارسية وهو كثير في هذا المعنى، يتضح له ذلك.

كان - رحمه الله - على جانب عظيم من رحابة الصدر، وسعة الأفق، اتصل بشتى الطوائف، وباحث مِللاً ونِحَلاً ولم يتحرّج من أخذ الحكمة أينما وجدت. وبذلك نال ثقة أبناء مختلف الملل والنِّحَل. وكان العصر الصفويّ بحاجة إلى إمام مثل هذا الإمام المجدد المصلح، بل كان مفتقراً إلى توجيهه وإرشاده في رتق الفتوق ورأب الصدوع الكثيرة في العصر المذكور. وقد عمل على توحيد الآراء، وجمع الشتات، وعوّلَ السلاطين والأمراء على آرائه في الإصلاح، وحسم مادة النزاع الداخلي بالوسائل السلمية على قدر الإمكان، وفي كثير من الأحيان.

وقال الأستاذ قدري حافظ طوقان في مجلة المقتطف: ولكنه اشتبه فلقبه «الآملي» على الرغم مما كانت عليه الدول العربية والإسلامية في مختلف الأقطار من الضعف وعلى الرغم مما أصابها من الانحلال ومما حلّ بها من المصائب، وما أحاطها من المتاعب التي تحول دون تقدم العلوم ودون ازدهار الفنون، أقول: على الرغم من كل ذلك فقد ظهر في بعض الحواضر من وجه بعضاً من عنايته إلى العلوم وتشجيع المشتغلين فيها. ومن هؤلاء الذين ظهروا في القرن السادس عشر للميلاد وبرزوا في العلوم الرياضية بهاء الدين محمد بن حسين بن عبد الصمد (العاملي).

وفاته:

كانت وفاته في الثاني والعشرين من شهر شوال ١٠٣١هـ - ١٦٢٢م بأصفهان، ونقل قبل دفنه إلى طوس، ودفن في داره القريبة من حضرة الإمام الرضا عليه السلام عملاً بوصيته(١).

(١) الغدير، ١١/٢٨٠.

وقد رثاه تلميذه السيد حسين نور الدين الموسوي ابن صاحب المدارك بقصيدة نورد منها:

شيخ الأنام بهاء الدين لا برحت سحائب العفو ينشيها له الباري
مولى به اتضحت سبل الهدى وغدا لفقده الدين في ثوب من العار
والمجد أقسم لا تبدو نواجذه حزناً وشق عليه ثوب أطماري
والعلم قد درست آياته وعفت عنه رسوم أحاديث وأخبار
كم بكر فكر غدت للكفو فاقدة ما دنستها الورى يوماً بأنظار
كم خرَّ لمَّا قضى للعلم طود علا ما كنت أحسبه يوماً بمنهار
وكم بكته محاريب المساجد إذ كانت تضيء دجى منه بأنوار
فاق الكرام ولم تبرح سجيته إطعام ذي سغب مع كسوة العاري
جلّ الذي اختار في طوس له جدثاً في ظلّ حام حماها نجل أطهار
الثامن الضامن الجنات أجمعها يوم القيامة من جود لزوار[1]

مكانته:

نتاج البهائي خليط ذكاء وقّاد وجُهيد متواصل، وهو وإن برع في العلوم وأسرار الفقه عزيمته فارس في الأدب مجرّب، بلغ القمة فيما سمح به عصره من إبداع. وقد اعتمد بالنسبة للأدب في جبل عامل بايين جديدين رباعيات فارسية وموشحات أندلسية وشّح بها جيد أدبه.

وهو في مجمل حياته مثال اللبناني النابغة المتحفّز للإبداع والذي سجّل خارج بلده كثيراً من الانتصارات، سواء في مجال العلم والمعرفة أم في غيرها من المجالات، فهو وإن ضنت عليه بلاده بالذكر فقد ترك لفارس تراثاً علمياً ما زالت تتصرف به، كما قدّم للبشر أجمع في بحوثه العلمية، وخاصة كتابه «خلاصة الحساب والهندسة» الذي ترجم إلى عدة لغات معيناً رياضياً ينهلون من لذيذ شرابه. فبات ما ترك ليس ملكاً لجبل عامل أو لبنان فحسب بل هو ينتمي إلى الوطن العلم الذي ليس له حدود ولكنه بالنسبة إلينا مفخرة من مفاخر لبنان[2].

فكما أن حسن كامل الصبّاح ترك للإنسانية جمعاء تراثاً خالداً أسهم في سعادتها اليوم

(1) **الروضات**، ص ٦٠٥.

(2) **كتاب الحركة الفكرية والأدبية**، ص ١٠٩.

بارع اختراعاته، فالبهاء العاملي العبقري أغنى المكتبة العربية والفارسية بمؤلفاته القيّمة في الفلك والفقه والرياضيات وغيرها[1].

ومن شعره هذه القصيدة العصماء يستعجل فيها قدوم المهدي عليه السلام نقلاً عن كتابه الكشكول:

سرى البرق من نجدٍ فهيج تذكاري ... عهوداً بجزوى والعذيب وذي قار
وهيّج من أشواقنا كل كامن ... فأجّج في أحشائنا لاعج النار
ويا جيرةً بالمأزمين خيامهم ... عليكم سلام الله من نازح الدار
خليليَّ مالي والزمان كأنما ... يطالبني في كل وقت بأوتار
فأبعد أحبابي وأخلى مرابعي ... وأبدلني من كل صفو بأكدار
وعادل بي من كان أقصى مرامه ... من المجد أن يسمو إلى عشر معشاري
ألم يدر أني لا أذل لخطبه ... وإن سامني بخساً وأرخص أشعاري
وأني امرؤ لا يُدرك الدّهر غايتي ... ولا تصل الأيدي إلى سبر أغواري
أخالط أبناء الزمان بمقتضى ... عقولهم كي لا يفوهوا بإنكاري
ويضجرني الخطب المهول لقاؤه ... ويطربني الشادي بعود ومزمار
ويصمي فؤادي ناهد الثدي كاعب ... بأسمر خطّار وأحور سحّار
وأني سخيٌّ بالدموع لوقفةٍ ... على طلل بال ودارس أحجار
وما علموا أني امرؤ لا يروعني ... توالي الرزايا في عشيّ وأبكار
إذا دك طود الصبر من وقع حادث ... فطود اصطباري شامخ غير منهار
ووجه طليق لا يُمل لقاؤه ... وصدر رحيب في ورود وإصدار
ولم أبده كيلا يُسرَّ بوقعه ... عدوي ويأسى منه خلي أو جاري
ومعضلة دهماء لا يهتدي لها ... طريق ولا يُهدى إلى ضوئها الساري
تشيب النواصي دون حل رموزها ... ويحجم عن أغوارها كل مغوار
أجلت جياد الفكر في حلباتها ... ووجهت تلقاها صوائب أنظاري
فأبرزت من مستورها كل غامض ... وثقفت منها كل قسور سواري
أأضرع للبلوى وأغضي عن القذى ... وأرضى بما يرضى به كل مخوار
وأفرح من دهري بلذة ساعة ... وأقنع من عيش بقرص وأطمار

(1) كتاب الحركة الفكرية والأدبية، ص ١٠٩.

إذاً لا ورى زندي ولا عزّ جانبي ... ولا بزغت في قمة المجد أقماري
ولا بلّ كفي بالسماح ولا سرت ... بطيب أحاديثي الركاب وأخباري
ولا انتشرت في الخافقين فضائلي ... ولا كان في المهدي رائق أشعاري
خليفة رب العالمين وظله ... على ساكني الغبراء من كل ديَّار
هو العروة الوثقى من بذيله ... تمسك لا يخشى عظائم أوزار
إمام هدى لاذ الزمان بظله ... وألقى إليه الدهر مقود خوار
ومقتدر لو كلف الصم نطقها ... بأجذارها فاهت إليه باجذار
علوم الورى في جنب أبحر علمه ... كغرفة كف أو كغمسة منقار
فلو زار أفلاطون أعتاب قدسه ... ولم يعشه عنها سواطع أنوار
رأى حكمة قدسية لا يشوبها ... شوائب أنظار وأدناس أفكار
بإشراقها كل العوالم أشرقت ... كما لاح في الكونين من نورها الساري
به العالم السفلي يسمو ويعتلي ... على العالم العلوي من غير إنكاري
أمام الورى طود النهى منبع الهدى ... وصاحب سرّ الله في هذه الدار
ومنه العقول العشر تبغي كمالها ... وليس عليها في التعلم من عار
همام لو السبع الطباق تطابقت ... على نقض ما يقضيه من حكمه الجاري
لنكس من أبراجها كل شامخ ... وسكن من أفلاكها كل دوار
ولانتثرت منها الثوابت خيفةً ... وعاف السرى في سورها كل سبَّار
أيا حجة الله الذي ليس جارياً ... بغير الذي يرضاه سابق أقدار
ويا من مقاليد الزمان بكفه ... وناهيك من مجد به خصه الباري
أغث حوزة الإيمان واعمر ربوعه ... فلم يبق منها غير دارس آثار
وأنقذ كتاب الله من يد عصبةٍ ... عصوا وتمادوا في عتو وإصرار
وعجل فداك العالمون بأسرهم ... وبادر على اسم الله من غير انتظار
تجد من جنود الله خير كتائب ... وأكرم أعوان وأشرف أنصار
إليك البهائي الحقير يزفها ... كغانيةٍ ميَّاسة القدّ معطار

ومن شعره أيضاً:

يا كراماً صبرنا عنهم محال ... إن حالي من جفاكم شر حال
إن أتى من حيكم ريح الشمال ... صرت لا أدري يميني من شمال
حبذا ريح سرى من ذي سلم ... عن ربى نجد وسلع والعلم

أذهب الأحزان عنَّا والألم ... والأماني أدركت والهم زال
يا أخلائي بجزوى والعقيق ... ما يطيق الهجر قلبي ما يطيق
هل لمشتاق إليكم من طريق ... أم سددتم عنه أبواب الوصال
لا تلوموني على فرط الضجر ... ليس قلبي من حديد أو حجر
فات مطلوبي ومحبوبي هجر ... والحشا في كل آن في اشتعال
من رأى وجدي لسكان الحجون ... قال ما هذا هوى هذا جنون
أيها اللوام ماذا تبتغون ... قلبي المضنى وعقلي ذو اعتقال
يا نزولاً بين جمع والصفا ... يا كرام الحيّ يا أهل الوفا
كان لي قلب حمول للجفا ... ضاع مني بين هاتيك التلال
يا رعاك اللّه يا ريح الصبا ... إن تجز يوماً على وادي قبا
سل أهيل الحي في تلك الربا ... هجرهم هذا دلال أم ملال
جيرة في هجرنا قد أسرفوا ... حالنا من بعدهم لا يوصف
إن جفوا أو واصلوا أو أتلفوا ... حبهم في القلب باق لا يزال
هم كرام ما عليهم من مزيد ... من يمت في حبهم يمضي شهيد
مثل مقتول لدى المولى الحميد ... أحمدي الخلق محمود الفعال

ورثى السيد(1) الأجل والد البهائي بقصيدة مطلعها:

جارتي كيف تحسنين ملامي ... أيداوي كلم الحشا بكلام(2)

وطلب منه القول على طرازها فقال مشيراً إلى بعض ألقابه(3):

خلياني بلوعتي وغرامي ... يا خليليَّ واذهبا بسلام
فدعاني الهوى ولبَّاه لبي ... فدُعاني ولا تطيلا مَلامي
إن من ذاق نشوة الحب يوماً ... لا يبالي بكثرة اللوام
خامرت خمرة المحبة عقلي ... وجرت في مفاصلي وعظام
فعلى الحلم والوقار صلاة ... وعلى العقل ألف ألف سلام
هل سبيل إلى وقوفي بوادي الجز ... ع يا صاحبي أو الماء
أيها السائل الملح إذا ما ... جئت نجداً فعجّ بوادي الخزام
وتجاوز عن ذي المجاز وعرج ... عادلاً عن يمين ذاك المقام

---

(1) لم يذكر الشيخ البهائي من هو هذا السيد.
(2) **الكشكول**، ص ٥٤.

وإذا ما بلغت جزوى فبلغ — جيرة الحيّ يا أخيَّ سلامي
وأنشدن قلبي المعنى لديهم — فلقد ضاع بين تلك الخيام
وإذا ما رثوا لحالي فسلهم — أن يمنوا ولو بطيف منام
يا نزولاً بذي الأراك إلى كم — تنقضي في فراقكم أعوامي
ما سرت نسمة ولا ناح في الد — وح حمامي إلا وحان حمامي
أين أيامنا بشرقيّ نجد — يا رعاها الإله من أيام
حيث غض الشباب وروض العيـ — ش قد طرزته أيدي الغمام
وزماني مساعدي وأيامي اللهو — نحو المنى تجر زمامي
أيها المرتقي ذرى المجد فرداً — والمرجَّى لفادحات العظام
يا حليف العلى الذي جمعت فيه — مزايا تفرّقت في الأنام
نلت في ذروة الفخار محلاً — عسر المرتقى عزيز المرام
نسب طاهر ومجد أثيل — وفخار عال وفضل سامي
قد قرنا مقالكم بمقال — وشفعنا كلامكم بكلام
عمرك الله يا نديمي أنشد — جارتي كيف تحسنين ملامي

وله من سوانح سفر الحجاز:

يا نديمي ضاع عمري وانقضى — قم لإدراك زمان قد مضى
واغسل الأدناس عني بالمدام — واملأ الأقداح منها يا غلام
واسقني كأساً فقد لاح الصباح — والثريا غربت والديك صاح
زوج الصهباء بالماء الزلال — واجعلن عقلي لها مهراً حلال
هاتها من غير مهل يا نديم — خمرة يحيا بها العظم الرميم
بنت كرم تجعلن الشيخ شاب — من يذق منها عن الكونين غاب
خمرة من نار موسى نورها — دنها قلبي وصدري طورها
قم ولا تمهل فما في العمر مهل — لا تصعب شربها فالأمر سهل
قل لشيخ قلبه منها نفور — لا تخف فالله تواب غفور
يا مغني إن عندي كل غم — قم وألق الناي فيها بالنغم
غن لي دوراً فقد دار القدح — والصبا قد فاح والقمري صدح
واذكرن عندي أحاديث الحبيب — إن عيش من سواها لا يطيب
واحذرن ذكرى أحاديث الفراق — إن ذكر البعد مما لا يطاق

ردّ لي روحي بأشعار العرب | كي يتم الحظ فينا والطرب
وافتتح منها بنظم مستطاب | قلته في بعض أيام الشباب
قد صرفنا العمر في قيل وقال | يا نديمي قم فقد ضاق المجال
ثم أطربني بأشعار العجم | واطردن هماً على قلبي هجم
قم وخاطبني بكل الألسنة | علّ قلبي ينتبه من ذي ألسنه
إنه في غفلة عن حاله | خابط في قيله مع قاله
كل آن فهو في قيد حديد | قائلاً من جهله هل من مزيد
تائهاً في الغي قد ضل الطريق | قط من سكر الهوى لا يستفيق
عاكفاً دهراً على أصنامه | تهزأ الكفار من إسلامه
كم أنادي وهو لا يصغي التَّنَاد | وافؤادي وافؤادي وافؤاد
يا بهائي اتخذ قلباً سواه | فهو ما معبوده إلا هواه

ومما كتبه الشيخ البهائي إلى والده وكان ساكناً في هراة:

يا ساكني أرض الهراة أما كفى | هذا الفراق كفى وحق المصطفى
عودوا عليَّ فربع أنسي قد عفا | والجفن من بعد التباعد ما غفا

خيالكم في بال والقلب في بلبال

إن أقبلت من نحوكم ريح الصبا | قلت لها أهلاً وسهلاً ومرحبا
إليكم قلب المتيم قد صبا | وفراقكم للروح منه قد سبا

والقلب ليس بخال من حب ذات الخال

يا حبذا ربع الحمى من مربع | فغزاله شب الغضى في أضلعي
لم أنسه يوم الفراق مودعي | بمدامع تجري وقلب موجع

والصب ليس بسال عن ثغره السلسال

وله من أبيات قالها عن لسان الحال:

أنا الفقير المعنى | ذو رقة وحنين
للناس طراً خدوم | إذا هم استخدموني
يعلو مقامي قدراً | إذا هم لمسوني
ولست أسلو هواهم | يوماً ولو قطعوني

هـذا ومـن سـوء حـظـي ... وحـسـرتـي وشـجـونـي
إن لـسـت أذكـر إلا ... عـقـيـب رفـع الـصـحـون

ومن شعره:

إن هـذا الـمـوت يـكـرهـه ... كـل مـن يـمـشـي عـلـى الـغـبـرا
وبـعـيـن الـعـقـل لـو نـظـروا ... لـرأوه الـرَّاحـة الـكـبـرى

وقوله:

ومائسة الأعطاف تستر وجهها ... بمعصمها لله كم هتكت سترا
أرادت لتخفي فتنة من جمالها ... بمعصمها فاستنأفت فتنة أخرى

وقوله:

وثقت بعفو الله عني في غدٍ ... وإن كنت أدري أنني المذنب العاصي
وأخلصت حبي في النبي وآله ... كفى في خلاصي يوم حشري إخلاصي(1)

وله:

يا بدر دجى خياله في بالي ... منذ فارقني وزاد في بلبالي
أيام نواك لا تسل كيف مضت ... والله مضت بأسوأ الأحوال

وله:

يا عاذل كم تطيل في إتعابي ... دع لومك وانصرف كفاني ما بي
لا لوم إذا أهيم بالشوق قلبي ... قلب ما ذاق فرقة الأحباب

وله:

كم بت من المسا إلى الإشراق ... في فرقتكم ومطربي أشواقي
والهم منادمي والنقل سهري ... والدمع مدامتي وجفني الساقي

وله مما كتبه إلى والده بالهراة من قزوين سنة ٩٨١هـ وأجاد:

بقزوين جسمي وروحي ثوت ... بأرض الهراة وسكانها
فهذا تغرب عن أهله ... وتلك أقامت بأوطانها

(١) **الروضات**، ص ٦٠٦.

ومن سوانحه نقلاً عن كتابه الكشكول ندوّنها للفائدة:

من أعزّ نفسه أذلّ فلسه، من سلك الجد أمن العثار، من كان عبداً للحق فهو حرّ، من بذل بعض عنايته لك، فابذل جميع شكرك له، ما صين العلم بمثل بذله لأهله، ربما كانت العطيّة خطية، والعناية جناية، لولا السيف كثر الحيف، لو صوّر الصدق لكان أسداً، ولو صوّر الكذب لكان ثعلباً، لو سكت من لا يعلم سقط الخلاف، من قاس الأمور فهم المستور، من لم يصبر على كلمة سمع كلمات، من عاب نفسه فقد زكّاها، من بلغ غاية ما يحب فليتوقع غاية ما يكره، من شارك السلطان في عز الدنيا شاركه في ذلّ الآخرة، الفقر يخرس الفطن عن حجته، المرض حبس البدن، والهمّ حبس الروح، الدهر أنصح المؤدبين، أسرع الناس إلى الفتنة أقلهم حياءً من الفرار، المنية تضحك من الأمنية، الهدية ترد بلاء الدنيا، والصدقة ترد بلاء الآخرة، الحر عبد إذا طمع والعبد حر إذا قنع، الفرصة سريعة الفوت بطيئة العود، اللسان صغير الجرم عظيم الجرم، يوم العدل على الظالم أشد من يوم الجور على المظلوم، مجالسة الثقيل حمى الروح، كلب جوّال خير من أسد رابض، ابتلاؤك بمجنون كامل خير لك من نصف مجنون، قد تكسد اليواقيت في بعض المواقيت، ارع من عظمّك من غير حاجة إليك، لا تشرب السم اتكالاً على ما عندك من الترياق، لا تبع هيبة السكوت بالرخيص من الكلام، الهمّ نصف الهرم.

الشيخ محمد علي المحمود
(الملقب بالمشغريّ)
١٠٩٠هـ ـ ١٦٨٠م

هو محمد بن علي بن محمود العاملي الملقب «بالمشغريّ». ويبدو أنه ولد في مشغرة. ثم انتقل مع عائلته آل المحمود عندما تحولت هذه العائلة مع عائلة آل الحرّ من مشغرة إلى «جباع»[1] ودرس في مدرسة جبع، وما لبث أن هاجر من وطنه مع الجموع التي هاجرت إلى إيران حيث عمل بالدرس والتدريس مدّة طويلة اكتسب بعدها شهرة واسعة تحكي عن علمه وفضله، وتشيد بمكانته، حتى وصلت هذه الشهرة حدود حيدر آباد. استدعاه سلطانها إلى حضرته حيث أقام في كنفه محاطاً بالنعمة والمجد. ولقد اتصل به خلال هذه المدة أحمد نظام الدين المدني والد ابن معصوم صاحب كتاب سلافة العصر، وأصبح بين ندمائه[2]، ولكنه لم يلبث أن غادر حيدر آباد قاصداً حَجّ البيت الحرام، فأقام في مكة سنتين، ثم عاد بعدها إلى حيدر آباد. ويبدو أنه اشتغل فيها بالتدريس، ثم غادرها ولم تشر المراجع إلى مكان وفاته ولكن زمانها كان سنة (١٠٩٠هـ ١٦٨٠م) ولم يترك من الآثار غير قصائد شعرية كثيرة جمع عدداً وافراً منها ابن معصوم في كتابه سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر.

خصائصه الشعرية:

وقد ذكره السيد علي إبراهيم في كتابه شعراء من لبنان فقال:

يبلغ الشاعر المرتبة الأولى عندما يكون صاحب طريقة تتميّز عن غيرها إذا قرأته عرفته،

---

(١) **العرفان**، قرى جبل عامل، ج٥، ص ٣٤٧.

(٢) **سلافة العصر**، ص ٣٢٤.

والتقيت به قبل أن يُذكر لك اسمه، أو تطلع على توقيعه، فإن وحدة المنهج، واستقامة الدرب، ونضوج الفكرة، والتملُّك من ناصية الموقف، كل ذلك يجعل من الشاعر سيداً لنفسه وفنّه مسيطراً على خياله لا يضطرب ولا تلتوي أمامه السبل، ولا يتيه بين المسالك والمنعطفات، وأن سَعة الأفق والإحاطة بأطراف المعرفة والبيان، واختيار الأسلوب الذي يتفق مع ذوقه ومزاجه وميوله، والرجوع لنفسه وذاته ووجدانه، لتمدّه بالرائع من آياتها، يخلق منه صاحب شخصية مستقلة ومدرسة معروفة، فما هو إلا أن يقول لتفهمه وتصافحه وتقرَّ به عينُك، فليس عن فكرك وقلبك ببعيد، تعوَّد أن يُطلَّ بنفس الهالة كما يبزغ الفجر الوليد، لا يلتبس عليك نوره ولا تضيع صُوره المختلفة وأشكاله المتباينة، جماله عارٍ مجرّد يشعُّ ويتألق لا لبس فيه ولا غموض، والمشغري مضافاً إلى أنه يتحلّى بالخصائص التي ذكرناها شاعر وجداني منصرف لذاته يستنطقها ويستلهمها وكلما ابتعد الشاعر عن ذاته قلَّ نصيبه من الشعر الصحيح، ولا بدَّ لك وأنت معه في شعره البديع الذي ترك من ملاحظة ناحية مهمّة لها شأنها وهي أنه نشأ في عصر انحطاط الشعر وفساده، يوم لم يكن من همِّ الشاعر غير عبادة الألفاظ والشغل بالجناس، والبديع والطباق وما أشبه ذلك، أعطانا شعراً صافياً في عهد قلَّ به الشاعر الحي، وتعوَّد الناس التلهي بالألفاظ، والاهتمام بالقشور، والانصراف للصناعة والتكلّف، وإهمال الجانب النفسي، والوجداني، وإغفال الروح وتوثبها ومحاولاتها للانطلاق من القيود والأغلال، فجاء شعره دليلاً على قوة النبع وتدفقه، ورهافة الحس وتألقه، شغل بالجوهر الباقي، ولم يهتم بالأعراض ونَبَذها لغيره من شعراء المناسبات، وهو وصّاف يجيد تصوير منازع النفس وخلجاتها يتوغل في حنايا النفس البشرية ويستخرج الدرر، غوّاص ماهر لا يطفو على السطح ولا يرسب، ولكنه صائل جوّال ومتفننٌ بارع يحنُّ لما سلف من أيامه الخوالي فيبكي ويستبكي ويذوب رقة وحنيناً، شقّ لنفسه في الغزل طريقاً أين منه جميل صاحب بثينة القائل:

خليليَّ ما أخفي من الوجد ظاهرُ ... ودمعي بما قلتُ الغداة شهيد
إذا قلتُ ما بي يا بثينة قاتلي ... من الحب قالت ثابتٌ ويزيد
وإن قلتُ ردّي بعض عقلي أعش به ... مع الناس قالت ذاك منك بعيد
فأفنيت عيشي بانتظار نوالها ... وأبليت فيها الدهر وهو جديد

فإن الشيخ يقول:

ولم أرَ مثل الغيد أعصى على الهوى ... ولا مثل قلبي للصبابة أطوعا
ومن شيمي والصبر منّي شيمة ... متى أرمِ أطلالاً بعينيَّ تدمعا

وقورٌ على يأس الهوى ورجاءه ... فما أتحسّى الهم إلا تجرُّعا
خليليَّ مالي كلما هبَّ بارق ... تكاد حصاة القلب أن تتصدَّعا
طوى الهجر أسباب المودة بيننا ... فلم يُبق في قوس التصبُّر منزعا
إلى الله كم أغضي الجفون على القذى ... وأطوي على القلب الضلوع توجُّعا
ألا حبَّذا الطيف الذي قصَّر الدُجا ... وإن كان لا يلقاك إلا مودّعا
ألمَّ كسرب الطير صادف منهلاً ... فأزعجه داعي الصباح فأسرعا
وناضلته باللحظ حتى إذا رمى ... بسطتُ له حبل الهوى فتذرَّعا
قسمت صفايا الودِّ بيني وبينه ... سواء ولكني حفظت وضيَّعا

وهو في وصف ليالي الأنس ومجالس الشراب مجيد مبدع يدنو من الحسن بن هاني القائل:

دع عنك ليلى ولا تطرب إلى هندِ ... واشرب على الورد من حمراء كالوردِ
كأساً إذا انحدرت في حلق شاربها ... أجْدَتْه خمرتها في العين والخدِّ
فالخمر ياقوتةٌ والكأس لؤلؤةٌ ... في كفِّ جارية ممشوقة القدِّ
تسقيك من يدها خمراً ومن فمها ... خمراً فما لك من سكرين من بُدِّ

وهو يقول:

فكأن الظلام نقعٌ مثارٌ ... وكأنَّ النجومَ ركبٌ حيارى
يا ليالي السرور طولي فإنّا ... قد شربنا الشموس والأقمارا
وارتشفنا من الكؤوس رضاباً ... واحتسينا من الثغور عقارا
خندريساً لولا حياء أبيها ... خطفت من عيوننا الأبصارا
من بنات المجوس تُطلع في ... جنبيَّ نارا وخدُّه جلّنارا

والذين تعرضوا لسيرته لم يذكروا أن الزمن ساعده بشيء أو نال من الدنيا نصيباً، نشأ في جبل عامل لا ندري أين ولا كيف على وجه التفصيل، ولا نعرف طفولته ومغداه ومَراحَه وهو فتى، ولكننا نعلم أن أسباب الظهور لم تتيسر له، لم تقبل عليه الدنيا ولم يلتفت إليه أبناؤها، ثم انقطع آخر أمره إلى شرفاء مكة، إلى بلاد مجدبةٍ قاحلة من الناحيتين العلمية والمادية، فانتقل من أرض يباب بعهد قاس ظالم لرجال العلم وأهل المعرفة، إلى ما هو أشق على النفس وألم للفكر والروح، لديارٍ بعيدة المدى، هو فيها غريب عن أهله ووطنه، ولا نعرف لنزوحه عن ربوعه سبباً، ولم يكن ذلك على كل تقدير ترفاً وسياحة، وطلباً للعلم، وتزوداً من الثقافة، وإنما كان عن مرارة وأسى.

ولله نفسه، وموهبته، وقدرته الشعرية، أي منجم لجواهر الكلم وروعات البيان هي، لو أخذت قليلاً من الحضارة، واستضاءت ببصيص من نور السعادة والطمأنينة، لاطلع في الآفاق العربية بدراً، وقف الباحثون أمام سناه يقتبسون من فيض النور اللألاء، ولا يكفيه هذا الحرمان المرير والجفاء الذي قابلته به الدنيا حياً، فإن التاريخ تآمر عليه بعد موته، لم يحفظه بغير زاوية منسية عفت عليها الأيام وكادت تطمث آثارها، ولا يستطيع الفكر أن يدرك سر هذا الذي نراه ونسمع به، ويعرض لنا، فإن الكثيرين من الجالسين في الصدر أحياء وأمواتٌ، والمهملين المنسيين، الذين لم يتركوا في الدنيا دوياً، «كأنما تداول سمع المرء أنمله العشر» كما يقول المتنبي، أجل إن كثيراً من هؤلاء يدعونا العدل والإنصاف لإعادة النظر بشأنهم، ويُلفت النظر بالشيخ المشغري هذه الطاقة العجيبة على الوصف والتصوير، والتخيُّل، ويبعث الحيرة بوجه خاص، وصفه الخمرة وتأثيرها على النفوس والأجسام، ومجالس الشراب، بدقة تلفت النظر، وتبعث على الدهشة، من شيخ جليل فاضل، لم يُعرف عنه غير الزهد والتقوى، وخلاصة ما أريد أن أقوله بهذه الكلمة العجلى: إن الشاعر يستدعي الدراسة الطويلة والتتبع والاستقراء، فهو موهوب صاحب طريقة محدّدة لم يهتد إليها رُوّاد الشعر وطلاب الأدب.

مختارات من شعره

في الغزل

أنت يا شاغل المحب الواجد ... قبلةُ الداعي ووجه القاصدُ
فتَّ آرام الفلا حسناً فما ... قابلتْ إلا بطرف جامدُ
شأن قلبينا إذا صحَّ الهوى ... يا حياتي شأن قلب واحدُ
أكثر الواشون فينا قولهم ... ما علينا من مقال الحاسدُ
لست أصغي لأراجيف العدى ... من يغالي في المتاع الكاسدُ

وقال:

رُبَّ ساقٍ غمزته فتغابى ... ثم أومى بناظر لا يطاقُ
قال لي والخمرُ يُرعد كفَّيه ... وروحي على يديه تراقُ
أنت لا شك هالك بجفوني ... قلت زدني فإنها ترياقُ
فانتضى الكأس من يديَّ وأهوى ... نحو فيه بالكأس وهي دهاقُ
قال لي هاكها شراباً طهوراً ... خلَّصتها من خبثها الأرياقُ

وقال:

قف بالمنازل حيث أوقفك الهوى ... وكل البكاء إلى الحمام الهيفِ
إني غسلت من العيون أناملي ... ونفضت من أثر البكاء كفوفي
وقفت بي الوجناء بين طلولهم ... لولا مكان الريب طال وقوفي
أرتاد في عرصاتهنَّ كأنني ... طيف ألمَّ بناظر مطروف
فصمتن حتى لا يُجبن مسائلي ... وعمين حتى لا يرين عكوفي

وقال:

داريـاها لعلَّها أن تدارى ... واحملاها على طباع العذارى

وأجلواها وفي الكؤوس بقايا ... قبل أن ترشف الصبا الأسرار
عللاني ولو بكأس هتار ... ما أقلت يداي كأساً هتارا[1]
إن قدحي من الهموم المعلّى ... فاملأ لي من الكؤوس الكبارا
هاتِها والزمان طلق المحيا ... وأديم الصبا يروق نجارا
فكأني به وقد جرَّد الشيب ... على مفرق الشباب غرارا
واسقنيها سقيتَ في ظل كرم ... قد جلاها عريشه إن هارا
لا تسمني عن السلاف اصطبارا ... لا وعينيك لا أطيق اصطبارا
إن ليل الضرير يوم نواها ... وحياة الملوك عيش السكارى
أجلساني على يمين نديم ... ألبَسَتْه على الشمال سوارا
زارني والدجى ينمُّ عليه ... والدياجي لا تكتم الأقمارا
فوفى لي ولات حين وفاءٍ ... في خفوت الكرى وصدّ جهارا
في ليالٍ كأنهن رياض ... اطلعت من كمائم أزهارا
بين زهر تخالهن أقاحا ... ونجوم تخالها نوارا
فكأن الظلام نقع مثارٌ ... وكأن النجوم ركب حيارى
يا ليالي السرور طولي فإنا ... قد شربنا الشموس والأقمارا
وارتشفنا من الكؤوس رضابا ... واحتسينا من الثغور عقارا
خندريساً لولا حياء أبيها ... خطفت من عيوننا الأبصارا
من بنات المجوس تطلع في ... جنبيَّ نارا وخدّه جلّنارا
يا لقوم أسيرهم لا يفادى ... لعيون قتيلها لا يوارى
فاتراتٍ لو لم يكنَّ نشاوى ... ما تشكّت جفونهنَّ الخمارا
ووجوه تخالهنَّ بدوراً ... في خدود تخالهنَّ سرارا
كل قدٍّ من الغصون معارٌ ... هزَّ ردفاً من النقا مستعارا

وقال:

أرأيت ما صنعت يد التفريق ... أعلمت من قتلت بسعي النُّوق
رحل الخليط وما قضيت حقوقهم ... بمنى النفوس ولا قضين حقوقي
علقوا بأذيال الرياح ووكّلوا ... للبين كل معرّج بفريق
وغدوت أصرف ناجذيَّ على النوى ... وأغص من غيض الوشاة بريقي

(١) هتارا: تذهب بالعقل.

هجروا وما صبغ الشباب عوارضي ... عجلان ما علق المشيب بزيقي(١)
لا رقَّ بعدهم الخيال لناظري ... إن حَنَّ قلبي بعدهم لرحيق
لعب الفراق بنا فشرَّد من يدي ... ريحانتيَّ صديقتي وصديقي
لله ليلتنا وقد علقت يدي ... منه بعطف كالقناة رشيق
عاطيته حلبَ العصير وصدُّنا ... عن وجه حاجتنا يد التفريق
أيقظته والليل ينفض صبغه ... والسكر يخلط شائقاً بمشوق
والنوم يعبث بالجفون وكلما ... رقَّ النسيم قست قلوب النوق
والبرق يعثر بالرجال وللصبا ... وقفات مصغ للحديث رفيق

وقال:

يا أخا البدر رونقاً وسناء ... وشقيق المها وترب الغزاله
ساعد الجد يوم بعتك روحي ... لا وعينيك لست أبغي إقاله
يا عليل الجفون علّلت قلبي ... زاد جفنيك علّة وذباله
ما لعينيَّ كلما عنَّ ذكراك ... تداعت جفونها الهطاله
جنّ طرفي مذ غاب عنه محيَّاك ... جنوني فلا تسل ما جرى له
كنتُ قبل الهوى ضنيناً بقلبي ... خدعتني لحاظك الختَّاله
لك قدُّ القنا وثغر الأقاحي ... وجفون المها وجيد الغزاله
من تناسى بالرقمتين ووادي ... فبعيني غصونه الميَّاله
ربَّ ليل قصَّرتُه بغرير ... حلَّ من عقد زلفه فأطاله
من عذيري في حب طفل لعوب ... عوَّدوه سفك الدما فحلاله
كلما صدَّ عن سواي دلالاً ... صدَّ عني تبرُّماً وملاله
لست أنسى يوم الفراق وقد ... أدرك من شملنا النوى آماله
غصب البين من يدي كل غصن ... سرق الغصن لينه واعتداله

وقال:

شرِّق على حكم النوى أو غرِّب ... ما أنت أول ناشب في مخلب
في كل يوم أنت نهبُ محاسن ... أو ذاهبٌ في إثر برق خلَّب
متألق في الجوِّ بين مشرِّق ... غضَّ الفضاء به وبين مغرِّب

---

(١) بزيقي: زينتي.

يبكي ويضحك والرياض بواسم ... ضحك المشيب على عذار الأشيب
أزعمت أن الذلّ ضربة لازب ... فنشبت في مخلاب باز أشهب
لعبت بلبّك كيف شاء لها الهوى ... مقل متى جدّ النواظر تلعب
زعمت عُتيمةُ أن قلبك قد صبا ... من لي بقلب مثل قلبك قلّب
قد كنت آمل أن تموت صبابتي ... حتى نظرت إليك يا ابنة يعرب
فطربت ما لم تطربي رغبت ما ... لم ترغبي وذهبت ما لم تذهبي
ولقد دلفت إليهم في فتية ... ركبوا من الأخطار أصعب مركب
جعلوا العيون على القلوب طليعة ... ورموا القفار بكل حرف دعلب(١)
ترمي الفجاج وقلبها متصوب ... في البيد أثر البارق المتصوب
هوجاء ما نفضت يداً عن سبسب ... إلا وقد غمست يداً في سبسب
تسري وقلب البرق يخفق غيرةً ... منها وعين الشمس لم تتنقّب
تطفو وترسب في السراب كأنها ... فلك يشقُّ عباب بحر زعرب
تفلي بنا في البيد ناصية الفلا ... حتى دُفِعتُ إلى عقيلة ربرب
وأتتك تخلط نفسها بلداتها ... والحسن يظهرها ظهور الكوكب
تمشي فتعثر في فضول ردائها ... بحياء بكر لا بنشطة ثيب

وقال:

باجتلاء المدام في الأقداح ... وبمرآة وجهك الوضّاح
لا تذرني على مرارة عيشي ... أكل واش ولا فريسة لاح
صاح كِلني إلى المدام ودعني ... والليالي تجول حول القِداح
لا تخف جور حادثات الليالي ... نحن في ذمة الظبى والرماح
صاح إن الزمان أقصر عمراً ... من بكاء بدمنة ونواح
رقّ عنّا ملاحف الجو فاسمح ... برقيق من طبعك المرتاح
يا مليك الملاح إن زماناً ... أنت فيه زمان روح وراح
طاب وقت المدام فاشرب عساه ... يا صباحي يطيب وقت الصباح
واسقينها سقيتَ في فلق الفجر ... على نغمة الطيور الفصاح
سامح الله من دمي وجنتيه ... وعفا الله عن بنانه الوضّاح
لا تؤاخذ جفونه بفؤادي ... يا إلهي كلاهما غير صاح

(١) دعلب: الناقة الفتية.

وقال:

ما بالتصابي على من شاب من باس ... أما ترى جلوة الصهباء في الكاس
الناس بالناس والدنيا بأجمعها ... في درّة تعطف الساقي على الحاسي
يئست واليأس إحدى الراحتين وكم ... جلوت عني صدى الأطماع باليأس
في كل غانية من أختها بدل ... إن لم تكن بنت راس فابنة الراسي
أودعت عقلي إلى الساقي فبدّده ... في كسر جفنيه أو في ميلة الكاس
لا أوحش الله من غضبان أوحشني ... ما كان أبطأ عن بري وإيناسي
سلمتُ يوم النوى منه وأسلمني ... إلى عدوّين نمّام ووسواس
ذكّرته وهو لاهٍ في محاسنه ... عهود لا ذاكراً عهدي ولا ناسي
وددت إذ بعثُته روحي بلا ثمن ... لو كنت أضرب أخماساً بأسداسي
يا ويح من أنت يا لمياء بغيتُه ... ما كان أغناه عن فكر ووسواس
قامت تغني بشعري وهي حالية ... به ألا حبّذا المكسو والكاسي
تقول والسكر يطويها وينشرها ... أي الشرابين أحلى في فم الكأس
يا حبذا أنت يا لمياء من سكن ... وحبذا ساكن البطحاء من ناس
ما إن ذكرتك إلا طار بي طربي ... وطاب ريح الصبا من طيب أنفاسي
ولا ذكرت الصبا إلا وأذكرني ... ليالياً أرضعتني درّة الكأس
وجيرة لعبت أيدي الزمان بهم ... أنكرت من بعدهم نفسي وجُلاسي
أيام أختال في ثوبي بَلَهَنية ... وميعةٍ من شباب ناعم عاس[1]
عار من العار حالٍ بالصبا كاسي ... كأنني والصبا في برد أخماس
أنضيت فيه مطايا الجهل واليأس ... عُرّيت منه وما عَرّيت أفراسي
في صبية كنجوم الليل أكياس ... كأن أيامهم أيامُ أعراس
أسمو إليهم سموّ النوم للرأس ... أدبُّ فيهم دبيب السكر في الحاسي
باتوا بميشاء صرعى لا حراك بهم ... وإنما صرعتهم صدمة الكاس
يا عاذلي أنت أولى بي فخذ بيدي ... فأنت أوقعتني فيهم على رأسي
ويا حمام الهوى هلا بكيت معي ... على زمان تقضي أو على ناس

(١) البلهنية: سعة العيش ورخاؤه.

وقال:

وقد جعلت نفسي تحن إلى الهوى ... حلا فيه عيش من بثينة أو مرًّا
وأرسلت قلبي نحو تيماء رائداً ... لي الخفرات البيض والشدُن العفرا
تعرَّف منها كل لمياء خاذل ... هي الريم لولا أن في طرفها فترا
من الطيِّبات الرُّود لو أن حسنها ... يكلمها أبدت على حسنها كبرا
وآخران عرَّفته الشوق راعني ... بصدٍّ كأني قد أبنت له وترا
أناشد فيه البدر والبدر غاير ... وأسأل عنه الريم وهو بي مُغرى
فما ركب البيداء لو لم يكن رشا ... ولا صدع الديجور لو لم يكن بدرا
لحاظ كأن السحر فيها علامة ... تعلم هاروت الكهانة والسحرا
أعاذلتي واللوم لؤم ألم تر ... كأنَّ بها عن كل لائمة وقرا
بفيك الثرى ما أنت والنصح إنما ... رأيت بعينيك الخيانة والغدرا
وما للصبا يا ويح نفسي من الصبا ... تبيت تناجي طول ليلتها البدرا
نطارحه والقول حقٌّ وباطل ... أحاديث لا تُبقي لمستودع سرا
وتُلقي على النمَّام فضل ردائها ... فيعرف للأشواق في طيِّها نشرا
يعانقها خوف النوى ثم تنثني ... تمزق من غيظ على قدّك الأزرا
ألمَّا تر بأن النقا كيف هذه ... تميل بعطفيها حنواً إلى الأخرى
وكيف وشى غُصن إلى غصن هوى ... وأبدى فنوناً من خيانته تترى
فمن غصن يدني إلى غصن هوى ... ومن رشاءٍ يوحي إلى رشاءٍ ذكرا
هما عذلاني في الهوى غير أنني ... عذرت الصبا لو تقبلين لها عذرا
هبيها فدتك النفس راحت تسرُّه ... إليه فقد أبدته وهي به سكرى
على أنها لو شايعت كثب النقا ... وشِيْح الخزامى إنما حُمِّلت عطرا

وقال:

إعفياني من وقفةٍ في الديار ... نمتري درَّة الجفون الغزار
ما انتفاعي بنظرةٍ تطرف ... العين بتلك الطلول والآثار
ما ترى البارق الذي صدع ... الجو سناه على رسوم الديار
خطفات كأنهنَّ خيول ... تجرح العين بالسيوف الهواري(١)

---

(١) الهواري: القواطع.

طال عمر الدجى عليَّ وعهدي بالليالي قصيرة الأعمار
ما احتسيت المدام إلا وغصّت لهواتُ الدجى بضوء النهار
حبَّذا طلعة الربيع وأهلاً بمجالي عرائس الأزهار

وقال:

هاتِها هاتِها سبيَّة حول قد توانت ولات حين تواني
كسقيط الندى على وجنات الورود أو كالدموع في الأجفان
في يدي شادنٍ رقيق الحواشي فوق خدَّيه وردة كالدهان
في ربوع كأنهنَّ سماء أطلعت أنجماً من الأقحوان
بين ورقٍ كأنهنَّ قيان ركّبت في حلوقهنَّ مثاني
وغصون كأنهنَّ نشاوى يترقصن عن خدود الغواني
وأقاح كأنهنَّ ثغور يتبسّمْن في وجوه الحسان
ونسيم الصبا يصحُّ ويعتلّ على برده وحرّ جناني
كلّما غنَّت البلابل فيها رقَّص الدّمع بالبكا أجفاني
أطرد النوم عن جفونٍ نشاوى بحديثٍ أرقّ من جثماني
وقوافٍ لو ساعد الجدّ نيطت موضع الدرّ من رقاب الغواني
سائراتٍ بُيوتُهنّ على الألسن مسير الأمثال في البلدان
قُصُدٌ كالفرند في صفحات الدهر أو كالشنوف في الآذان
عاصيات على الطباع ذلول يُتغنى بهنّ في الركبان
ساقطت والنوى يُطلُّ علينا من عيون المها حصا المرجان

وقال:

أرقتُ وصحبي بالفلاة هجود وقد مدّ جنح الظلام وجيد
وأبعدت في المرْمَى فقال لي الهوى رويدك يا شاميُّ أين تريد
أهذا ولمّا يبعد العهد بيننا بلى كل شيء لا يُنال بعيد
أراقوا دمي وما دمي بمحلَّل إذا لم ترقه أعين وخدود
أصبراً على ليلى وليلى بذي الغضا وصحبي بجزوى إنني لجليد
هي الظبية الأدماء والبانة التي تميد مع الأغصان حيث تميد
فتاة كقرْنِ الشمس أما ضياؤها فدانٍ وأما نأيُها فبعيد
وقفنا ومنا ممسكٌ بفؤاده وآخر محلول العزاء عميد

أقول وأمر البين قد جدّ جدّه — وحالت هضاب بيننا ووهود
أما تتَّقين اللّه في متهالك — على الحب حتى ما يقال وعيد
طوى كشحه طي السجل على الجوى — ويأبى وشيطان الهموم مُريد
إلى كم يدور الدهر بيني وبينه — وتبدي الليالي كيدها وتُعيد
فقد جعل الواشي وأنت تبعتَه — من البين يسعى بيننا ويزيد
يقول لقد أخلقتَ من جدَّة الصبا — على رسله إن الغرام جديد

وقال:

واستضحك الدهر قد طال العبوس به — لا يضحك الدهر حتى يضحك القدح
فقام والسكر يعطو في مفاصله — يكاد يقطر في أعطافه المرح

❀ ❀ ❀

وذي دلال كان اللّه صوره — من جوهر الحسن إلا أنه شبح
بتنا على غرَّة الواشي وغرَّته — اغتاظ منه بلا غيظ ونصطلح
جعلتُ عتبي إلى تقبيله سبباً — والسكر أغلق باباً ليس ينفتح

❀ ❀ ❀

ولا يطيب الهوى يوماً لمغتبق — حتى يكون له في اليوم مصطبح

ومن شعره في المشيب:

وكنت إذا نزعت إلى هناتٍ — جريت مع الصبا طلق الرياح
فقلدني المشيب على عذاري — لجاماً كفَّ رأسي عن جماحي
فقلت لعاذلي إيه فإني — وهبت اليوم سمعي للواحي
وما حسن العيون بلا بياض — وما ليل التمام بلا صباح
وما ضيفٌ أتاك بلا احتشام — وأنت من الرحيل على جناح

وما زال المشغريّ مجهولاً في شعره وديوانه، وترجمته لم تزل غامضة لم تكشف عنها مؤلفات معاصريه. وهو، شأن كلّ المفكرين من العامليين، إحدى دفائن الفكر والشعر في لبنان[1].

---

(١) **الحركة الفكرية في جبل عامل**، ص ١٣٥.

الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي المشغري الجبعي

مولده ونشأته:

هو محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن الحسين الحر العاملي. ولد عام (١٠٣٣هـ - ١٦٢١م) في مشغرة حيث كان يقيم والده ويدرس، ثم انتقل مع من انتقل من عائلة آل الحر إلى جباع، ودرس فيها، وقضى أيام حياته وشبابه. ولما بلغ الأربعين من عمره، قصد إيران سنة (١٠٧٣هـ - ١٦٦٢م) بعد أن زار العراق وحصل لنفسه مقاماً يُغبَط عليه. واتصل بالشاه سليمان الصفوي الذي جعله قاضي القضاة وشيخ الإسلام.

ترك من المؤلفات ما يقرب من ثمانية وعشرين مؤلفاً كبيراً وسبع وعشرين منظومة وحاشية، كما سيأتي تفصيله.

وفاته:

توفي في المشهد الرضوي الشريف بطوس (إيران) - حيث كانت إقامته الأخيرة - سنة (١١٠٤هـ - ١٦٩٢م) وذلك عن واحد وسبعين عاماً، ودفن في إيوان بعض حجر الصحن الشريف. وتاريخ وفاته منقوش على صخرة مثبتة على قبره[١]. وقد رثاه صنوه وصديقه الشيخ حسن زين الدين ابن الشهيد الثاني بقصيدة منها الأبيات التالية:

عليك لعمري ليبك البيانْ	**فقد كنتَ فيه بديع الزمان**
لئن عاند الدهر فيك الكرام	**فما زال للحر فيه امتحان**
وإن بان شخصك عن ناظري	**ففي خاطري حل في كل آنْ**

(١) أعيان الشيعة، ٦٠/٤١.

فـأنـت وفـرط الأسـى فـي الـحـشـا لِـبُـعْـدِكَ عـن نـاظـري سـاكـنـان

أساتنته وشيوخه:

تتلمذ الشيخ الحرّ العاملي على أساطين[١] العلم وكبار المدرّسين في عصره، وروى عن شيوخ الرواية والحديث في وقته، وليس معنى سرد أسماء بعض العلماء والشيوخ في هذه القائمة الحصر التام أو الإحاطة بكل من يمت المترجم إليه بصلة علمية، بل هي أسماء لامعة وصلت إلينا عن طريق كتب التراجم وما كتبه[٢] هو بنفسه، وهناك كثيرون[٣] قد أهملت أسماؤهم ولم تدرج ضمن أسماء الأساتذة والشيوخ فلم نقف عليها.

يقول شيخنا المترجم:

وأما المعاصرون فإننا نروي عن أكثرهم وكثيرون[٤] يروون عنا، وبعضهم يروون عنا ونروي عنهم[٥].

وإليك أسماء من وقفنا على اسمه من شيوخ الحرّ وأساتذته[٦]:

١ ـ والد الحرّ الشيخ حسن بن علي بن محمد الحر العاملي، قرأ عليه جملة من كتب العربية والفقه، ويروي عنه عن الشيخ بهاء الدين العاملي والشيخ علي بن محمد الحر العاملي المشغريّ جده[٧].

٢ ـ عمه الشيخ محمد بن علي بن محمد بن الحسين الحرّ العاملي المشغريّ الجبعي، قرأ عليه جملة من كتب العربية والفقه وغيرهما في قرية جبع، ويروي عنه عن الشيخ حسين بن الحسن العاملي المشغريّ[٨].

٣ ـ الشيخ زين الدين بن محمد بن الحسن بن زين الدين الشهيد الثاني، قرأ عليه جملة

---

(١) **أعيان الشيعة**، ٦٠/٤١.
(٢) المصدر السابق، ٢٦٠/٤٣.
(٣) المصدر السابق، ٢٠/٥٢.
(٤) المصدر السابق، ٢٠/٥٢.
(٥) المصدر السابق، ٩م ٢٨٩/١٠.
(٦) **أمل الآمل**، ٢٠/١.
(٧) **أمل الآمل**، ٦٥/١، ٧٨، ١٢٩، ١٤١.
(٨) المصدر السابق، ٢٩/١، ٣٢، ٩٢، ١٤١.

من كتب العربية والرياضي والحديث والفقه وغيرها، يروي عنه، عن محمد أمين الاسترآبادي، عن ميرزا محمد بن علي الاسترآبادي، عن الشيخ إبراهيم بن علي بن عبد العالي العاملي الميسي جميع كتب الحديث[1].

٤ - الشيخ حسين بن الحسن بن يونس الظهيري العاملي العيناتي، قرأ عنده جملة من كتب العربية والفقه وغيرها من الفنون، ومما قرأ عنده كثير ومختلف، ويروي عنه عن الشيخ نجيب الدين علي بن محمد بن مكي عن الشيخ حسن ابن الشهيد الثاني[2].

٥ - عم والد الحر وجدّه لأمه الشيخ عبد السلام بن محمد الحرّ العاملي المشغريّ، قرأ عليه وكان عمره نحو عشر سنين، ويروي عنه عن الشيخ حسن ابن الشهيد الثاني والسيد محمد ابن أبي الحسن العاملي عن الشيخ حسين بن عبد الصمد العاملي عن الشهيد الثاني[3].

٦ - خال والده الشيخ علي بن محمود العاملي المشغري، قرأ عنده عدة كتب في العربية والفقه وغيرهما، وأجازه إجازة عامة[4].

٧ - السيد حسن الحسيني العاملي[5].

٨ - الشيخ عبد الله الحرفوشي[6].

٩ - المولى محمد باقر المجلسي صاحب كتاب بحار الأنوار[7].

١٠ - الفيض الكاشاني صاحب كتاب الوافي[8].

١١ - المولى محمد طاهر بن محمد الحسين الشيرازي النجفي القمي[9].

---

(١) المصدر السابق، ١/٢٩، ٣٢، ٩٢، ١٤١.
(٢) المصدر السابق، ١/٣٢، ٥٩، ٧٥، ١٤٢.
(٣) المصدر السابق، ١/٥٩، ١٠٧، ١٠٩، ١٤١.
(٤) **أمل الآمل**، ١/٤٤، ١٣٤، ١٤١.
(٥) **سجع البلابل**، ص ٧.
(٦) **سجع البلابل**، ص ٧.
(٧) المصدر السابق.
(٨) المصدر السابق.
(٩) المصدر السابق.

١٢ - السيد محمد بن علي بن نعمة اللّه الموسوي الجزائري المشهور بـ «السيد ميرزا الجزائري النجفي»[١].

١٣ - الشيخ علي حفيد الشهيد الثاني وصاحب كتاب «الدرّ المنثور»[٢].

١٤ - السيد علي بن علي الموسوي العاملي[٣].

١٥ - المحقق الخوانساري آقا حسين شارح الدروس[٤].

١٦ - السيد هاشم التوبلي البحراني صاحب تفسير البرهان[٥].

١٧ - المولى محمد كاشي نزيل قم[٦].

تلاميذه والراوون عنه:

كان شيخنا المترجم من المدرّسين البارزين في مشهد الإمام الرضا عليه السلام حيث استقر به المنزل في تلك البقعة المباركة، فكان يشغل أوقاته كلها بمجالس التدريس وفي زوايا المكتبات للتأليف.

والذي يلقي نظرة فاحصة على كتاب «أمل الآمل» يرى أنه كان شديد الحرص على جمع المواد المختلفة من هنا وهناك لمؤلفاته، فمثلاً يذكر في كثير من التراجم أن كتاب كذا قد رآه في خزينة كتب المشهد الرضوي، وهذا دليل على فحصه الدقيق للكتب الموجودة في تلك المكتبة الكبيرة واعتنائه البالغ بضبط أسمائها ومشخصاتها لتكون هذه المعلومات المتنوعة نواة لما ينوي تأليفه.

وإلى جانب هذا يبدو مما كتبه المترجمون له، وما كتبه هو بنفسه أنه كان يدير حلقة كبيرة للتدريس يحضرها جماعات كثيرة العدد من سائر الأقطار للأخذ عنه والحضور عنده.

يقول المؤلف في ترجمة السيد حسين بن محمد بن أبي الحسن الموسوي العاملي

---

(١) المصدر السابق.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق.
(٥) المصدر السابق.
(٦) المصدر السابق.

الجبعي: «وكان مدرّساً في الحضرة الشريفة في القبة الكبيرة الشرقية وأعطيت التدريس في مكانه»[1].

والمكانة التعليمية التي تربع فيها لم تكن ميسورة إلا لمن كان في طليعة علماء خراسان كفاءة ومقدرة.

ويقول السيد الأمين في ترجمة الشيخ الحرّ:

«مما يلفت النظر في حياة المترجم ما ورد في كتاب روح الجنان للشيخ محمد الجزائري، الذي ذكر في هامشه أنه رأى المترجم في شيراز سنة ألف ونيف وتسعين. قال: ثم جاور المشهد فزرته بها سنة ١٠٩٩ وله حلقة عظيمة للتدريس في كتابه وسائل الشيعة، وكنت أحضره مدة إقامتي في المشهد»[2].

وإليك ـ بعد هذا ـ ثبتاً بأسماء بعض تلامذته والراوين عنه حسبما جاء في كتاب سجع البلابل مع اختصار منها:

١ ـ الشيخ مصطفى بن عبد الواحد بن سيار الحويز نزيل مشهد الرضا.

٢ ـ ابن المترجم الشيخ محمد رضا، قرأ عليه وروى عنه.

٣ ـ ابنه الآخر الشيخ حسن، قرأ عليه وروى عنه.

٤ ـ السيد محمد بن محمد باقر الحسيني الأعرجي المختاري النائيني.

٥ ـ السيد محمد بن محمد بديع الرضوي المشهدي.

٦ ـ المولى محمد فاضل بن محمد مهدي المشهدي.

٧ ـ السيد محمد بن علي بن محيي الدين الموسوي العاملي.

٨ ـ المولى محمد صالح بن محمد باقر القزويني الشهير بـ «الروغني».

٩ ـ المولى محمد تقي بن عبد الوهاب الاسترآبادي المشهدي المتوفى سنة ١١٥٨هـ.

١٠ ـ المولى محمد تقي الدهخوارقاني القزويني.

---

(١) **أمل الآمل**، ١/٧٩.

(٢) **أعيان الشيعة**، ٤٤/٦٤.

١١ - السيد محمد بن أحمد الحسيني الجيلاني.

١٢ - المولى محسن بن محمد طاهر القزويني الطالقاني.

١٣ - السيد نور الدين الجزائري المتوفى سنة ١١٥٨هـ.

١٤ - المحدث المولى محمد صالح الهروي.

١٥ - الحاج محمود الميمندي.

١٦ - الشيخ محمود بن عبد السلام المعني.

١٧ - العلامة المجلسي صاحب البحار.

١٨ - الشيخ أبو الحسن بن محمد النباطي العاملي.

١٩ - السيد محمد بن زين العابدين الموسوي العاملي.

٢٠ - المولى محمد فاضل ابن المولى مهدي المشهدي.

٢١ - المولى محمد صادق ابن الحاج قربا نعلي المشهدي.

٢٢ - المولى محمد حسين البغمجي المشهدي.

٢٣ - المؤرخ المير محمد إبراهيم الحسيني القزويني.

ما قيل فيه:

قال السيد علي صدر الدين المدني:

«علم عِلْمٍ لا تباريه الأعلام، وهضبة فضل لا يفصح عن وصفها الكلام، أرجت أنفاس فوائده أرجاء الأقطار، وأحيت كل أرض نزلت بها فكأنها لبقاع الأرض أمطار، تصانيفه في جبهات الأيام غرر، وكلماته في عقود السطور درر، وهو الآن قاطن بأرض العجم، ينشد لسان حاله:

أنا ابن الذي لم يخزني في حياته ... ولم آخذه لما تغيب بالرجم

يحيا بفضله مآثر أسلافه، وينشىء مصطحباً ومغتبقاً برحيق الأدب وسلافه، وله شعر مستعذب الجنا، بديع المجتلى والمجتنى»(١).

---

(١) **سلافة العصر**، ص ٣٦٧.

وقال المحدث الكبير الشيخ عباس القمي:

محمد بن الحسن بن علي المشغريّ، شيخ المحدثين وأفضل المتبحرين، العالم الفقيه النبيه المحدث المتبحر الورع الثقة الجليل، أبو المكارم والفضائل صاحب المصنفات المفيدة، منها الوسائل الذي منَّ على المسلمين بتأليف هذا الجامع الذي هو كالبحر لا بساحل، ومنها كتاب أمل الآمل الذي أخذنا عنه كثيراً في هذا الكتاب، جزاه اللّه تعالى خير الجزاء، لما قدم من خدمات عظيمة تهدف إلى تركيز دعائم الشريعة الغراء(١).

وقال نحو هذا في كتابه الفوائد الرضوية وسفينة البحار(٢).

وقال العلامة الشيخ عبد الحسين الأميني:

«هو مجدد شرف بيته الغابر، يعتبر من أعلام المذهب ورائداً من روّاد (الشيعة)، تقلّد مشيخة الإسلام في العهد الصفوي. اختصه المولى بتوفيق باهر، قل من ضاهاه فيه، فنشر أحاديث أئمة الدين (صلوات الله عليهم)»(٣).

وقال أخو الشيخ الحرّ الشيخ أحمد الحرّ العاملي في كتابه الدر المسلوك في بيان وفاته:

«كان مغرب شمس الفضيلة والإفاضة والإفادة، ومحلق بدر العلم والعمل والعبادة، شيخ الإسلام والمسلمين، وبقية الفقهاء والمحدثين، الناطق بهداية الأمة وبداية الشريعة، الصادق في النصوص والمعجزات ووسائل الشيعة...»(٤).

وقال المولى محمد الصادق المشهدي صاحب كتاب فهرس الكافي:

«شيخنا ومولانا وهادي ظلمة ضلالتنا، أفضل الأفاضل، وأكمل الأكامل، صاحب اللواء المستقيم، والهادي إلى طريق النعيم، ذو الطريقة الحسنى، المدقق المحقق الكامل، المحدث المعلم العامل، جامع أخبار الأئمة الهداة...»(٥).

وقال الشيخ حسن بن عباس بن محمد علي البلاغي النجفي في كتابه تنقيح المقال:

---

(١) **الكنى والألقاب**، ج٢، ص ٥٨.
(٢) انظر **سفينة البحار**، ٢٤١/١، **والفوائد الرضوية**، ص ٤٧٣.
(٣) **شهداء الفضيلة**، ص ٢١.
(٤) **سجع البلابل**، ص (يط).
(٥) المصدر السابق، ص (ك).

«ومنهم الشيخ محمد الحر العاملي - مدّ اللّه ظلّه - ثقة عين، صحيح الحديث، ثبت الطريقة في الأخبار، نقي الكلام، جيد التصانيف، له كتب عديدة في الحديث والرجال، وله على كتب الحديث الأربعة حواش شتى...»[١].

وقال السيد محمد باقر الموسوي الخونساري:

«هو صاحب كتاب «وسائل الشيعة»، وأحد المحمدين الثلاثة المتأخرين، الجامعين لأحاديث هذه الشريعة، ومؤلف كتب ورسائل كثيرة أخرى في مراتب جليلة شتى...»[٢].

وقال العلاّمة النوري في خاتمة المستدرك عند ذكر المشائخ:

«عن العالم المتبحّر الجليل الشيخ محمد بن الحسن بن علي بن الحسين الحرّ العاملي المشغريّ... صاحب التصانيف الرائقة التي منها كتاب «الوسائل» الذي هو كالبحر الذي ليس له ساحل»[٣].

وقال العلاّمة السيد شهاب الدين المرعشي:

«وممن حظي في ذلك بالسهم الوافر، واصطف في زمرة المكثرين المجيدين، العلامة الحبر المتبحر، خرّيت علمي الفقه والحديث، نابغة الرواية، مركز الإجازة وقطب رحاها، علم الفضل وعيلمه، النجم المضيء من القطر العاملي، أبو بجدة الآثار، نابغة يتيمة عقد النقل، جوهرة التقوى والعدالة، مولانا أبو جعفر الشيخ محمد بن الحسن آل الحر العاملي المشغري الجبعي»[٤] إلى غير ذلك من الصفات الحميدة الكثيرة التي أطري بها الشيخ الحرّ العاملي تغمّده اللّه برحمته ورضوانه.

ثقافته العالية:

كان مترجمنا الشيخ محمد بن الحسن الحرّ العاملي في طليعة علمائنا الذين حازوا المرتبة الأولى من العلم والفضل والثقافات الإسلامية التي كانت منتشرة في أيامهم.

---

(١) **سجع البلابل**، ص (ك).

(٢) **روضات الجنات**، ص ٦٤٤.

(٣) **مستدرك الوسائل**، ٣/٣٩٠.

(٤) **سجع البلابل**، ص (ج).

كما كان لشيخنا المترجم حظ وافر في مؤلفاته القيّمة الكثيرة، حيث أصبحت مرجعاً هاماً من المراجع التي يعتمد عليها في أخذ الأحكام الفقهية وغيرها.

وإلى جانب إكثاره في التأليف والتصنيف كان أيضاً مجيداً في الترتيب والتنسيق، وترصيف الأبواب والفصول، واختيار المواضيع الهامّة المحتاج إليها.

هذا كتابه «وسائل الشيعة» بينما تراه كتاباً حديثاً ضخماً تجده أيضاً كتاباً فقهياً فيه ألوان من الفقه الاستدلالي حينما يريد الجمع بين الروايات المختلفة، واستخراج الحكم الفقهي منها، وهو إلى جانب هذا وذاك كتاب يجمع أقوال كبار فقهاء الإمامية الذي يستند إلى أقوالهم، وعلى الأخص فتاوى وأقوال شيخ الطائفة الشيخ الطوسي ـ قدّس الله روحه الطاهرة ونفعنا ببركاته الزاهرة ـ .

وهذا كتاب «إثبات الهداة» رائعة من الروائع الحديثة الجامعة لتواريخ المعصومين عليهم السلام والروايات الواردة في شأنهم من طرق الشيعة والسنّة، بالإضافة إلى مقطوعات شعرية راقية من عيون الشعر العربي في المديح والرثاء.

وفي «أمل الآمل»، كما تراه آية في فن التراجم جامع لأكثر النقاط الهامّة في ترجمة كل من ترجم له في الكتاب، وهو في نفس الوقت بعيد عن المبالغات والسفسطات أو المسّ بكرامة المترجمين.

وديوان الحر جامع بين صفحاته كل الفنون الشعرية من المديح والرثاء والغزل والوصف والرجز وغيرها.

وأخيراً إن آثار الحر العاملي شاهدة على تضلّعه في العلوم الإسلامية، واطلاعه على العلوم السائدة في عصره وتبحّره فيها، وشدة اعتنائه بها، وكثرة معالجته لها.

ومن الطبيعي أن يقع في الموسوعات الكبيرة بعض الهنات والأخطاء لضخامة العمل وتشتت جوانبه، وكثرة أبوابه وفصوله، وهذا لا يقلل من قيمة تلك الموسوعات، ولا يحطّ من قدرها العلمي، إذ لم تكن تلك الأخطاء والهنات كثيرة تسبب التشويه والتشويش، ولذلك نرى أنه بالرغم من وجود بعض الاشتباهات الطفيفة في كتاب «الوسائل» مثلاً، لم يبتعد عن المجتمع العلمي، بل كان مرجعاً كبيراً يرجع إليه الفقهاء بأجمعهم من يوم تأليفه حتى يومنا هذا، وهذا دليل واضح على قوة تأليفه وشدة رعاية مؤلفه للقواعد الموضوعة لجمع الكتب الحديثة.

ويقول الميرزا النوري صاحب المستدرك في مكان آخر:

«إن العالم الكامل المتبحّر الخبير، المحدّث الناقد البصير ناشر الآثار وجامع شمل الأخبار، الشيخ محمد بن الحسن الحرّ العاملي، قد جمع في كتاب «الوسائل» من فنون الأحاديث الفرعية المتفرّقة في كتب سلفنا الصالحين والعصبة المهتدين، ما تشتهيه الأنفس وتقر به الأعين، فصار بحمد الله تعالى مرجعاً للشيعة، ومجمعاً لمعالم الشريعة، لا يطمع في إدراك فضله طامع، ولا يغني العالم المستنبط عنه جامع»(١).

إلى غير ذلك من الكلمات التي تدلّ على شدّة اهتمام كبار العلماء بمؤلفات الحرّ العاملي، ولا سيّما كتابه الكبير «وسائل الشيعة».

أقول: «لا يخفى أنه وإن كثرت تصانيفه ـ قدّس سرّه ـ كما ذكر إلا أنها خالية عن التحقيق والتحبير تحتاج إلى تهذيب وتنقيح وتحرير، كما لا يخفى على من راجعها»(٢).

سبحان من لا يحتاج كتابه إلى تهذيب وتنقيح، وليس بإمكان الإنس والجن أن يأتوا بمثله ﴿وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾.

اتجاه الحرّ الفقهي:

هناك اتجاهان لاستنباط الأحكام الشرعية الفقهية عند الإمامية يحمل كل اتجاه اسماً خاصاً، هما: «الاتجاه الإخباري» و«الاتجاه الأصولي». وفي الحقيقة ليس بين الاتجاهين فروق كبيرة تسبب التباعد بينهما وعدم أخذ أحدهما بأقوال الآخر واجتهاداته، فإن كلاً منهما يستند في استخراج الأحكام الشرعية إلى القرآن الكريم والسنّة الطاهرة على حدّ سواء، ولكن يختلفان بعض الاختلاف اليسير في كيفية الأخذ عن السنة الطاهرة.

إلا أنه ظهر بين الفريقين أناس متطرفون كان لهم الدور الفعّال في توسعة الشقة بينهما بما كتبوه من الكلمات النابية، والعبارات الخشنة، التي تسبب النفرة من كلا الطرفين.

وكان أشد الإخباريين شناعة على الأصوليين وأطولهم لساناً في التشنيع عليهم هو صاحب كتاب «الفوائد المدنية» الميرزا محمد أمين الأسترآبادي المتوفى سنة ١٠٢١هـ، فقد

---

(١) **مستدرك الوسائل**، ٢/١.

(٢) **لؤلؤة البحرين**، ص (٦٣ ـ ٦٤).

كتب في كتابه المذكور فصولاً طويلة حول الانتصار للمذهب الإخباري والتشنيع على المذهب الأصولي، وكان له الأثر البالغ في تنمية البغضاء في النفوس، بل تكفير كل فرقة الفرقة الأخرى.

والذي يبدو من المعتدلين من الفريقين أنهم لم يعبأوا بهذه الاختلافات اليسيرة التي كانت مجالاً واسعاً لتهويس المتطرفين، ولذا يقول الميرزا القمي صاحب «قوانين الأصول» عندما يريد تحديد معنى المجتهد الذي يعتبر ظنه في فروع الدين: «ومرادنا من المجتهد هنا مقابل المقلد والعامي لا المجتهد المصطلح الذي هو مقابل الإخباري، فإن العالم الإخباري أيضاً مجتهد بهذا المعنى»[١].

ومعنى هذا أن المجتهد الأصولي، يؤخذ بأقواله وفتاواه كما يؤخذ بأقوال وفتاوى المجتهد الإخباري على حد سواء، ولو كانا مختلفين بعض الاختلاف في طريق استنباط الأحكام الشرعية من الأحاديث المروية عن الأئمة الطاهرين عليهم السلام.

ومترجمنا الشيخ الحر العاملي كان إخبارياً صرفاً في اتجاهه الفقهي، إلا أنه لم يكن متطرفاً يشنّع على الأصوليين كالمولى الأمين الأسترآبادي، ولهذا نراه يذكر في كتبه ـ وخاصة في الوسائل وأمل الآمل ـ أعلام الفريقين بكل تجلة واحترام، ولا يحط من مرتبة أي واحد منهم لسبب اتجاهه الخاص في الفقه، إذا صحّ هذا التعبير.

نعم إن من جملة المسلمات عن الرجلين الإخباريين ـ يعني الحر العاملي والشيخ يوسف البحراني ـ كونهما في غاية سلامة النفس، وجلالة القدر، ومتانة الرأي ورزانة الطبع، والبراءة من التصلّب في الطريقة، والتعصب على غير الحق والحقيقة، والملازمة في الفقه والفتوى لجادة المشهور من العلماء، والموازنة للصدق والتقوى في مقام المعاملة مع كل من هؤلاء وهؤلاء، والتسمية لجماعة المجتهدين في غاية التعظيم، ونهاية التكريم والموافقة لسبكهم السليم[٢].

وبالرغم من أن صاحب القوانين أصولي كبير نراه يدافع عن شيخنا المترجم أشدّ الدفاع حيث يقول:

«والقول بإخراج الإخباريين عن زمرة العلماء أيضاً شطط من الكلام، فهل تجد من

---

(١) **روضات الجنات**، ص ٦٤٦.

(٢) المصدر السابق.

نفسك الرخصة في أن تقول: مثل الشيخ الفاضل المتبحر الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي ليس حقيقياً لأن يُقلد، ولا يجوز الاستفتاء عنه، ولا يجوز العمل برأيه لأنه إخباري؟!»[1].

وقد كتب شيخ الإخباريين الشيخ يوسف البحراني فصلاً طويلاً في كتابه «الكشكول» عن الأصوليين والإخباريين، والتنديد بالمتطرفين منهما الذين أوسعوا الشقة بينهما، نذكر فيما يلي مقطعاً من ذلك الفصل القيّم ليظهر للقارىء الكريم أن ليس هناك فرق يسبب الابتعاد والتباغض، قال:

«ألا أن الذي ظهر لنا بعد إعطاء التأمل حقه في المقام، وإمعان النظر في كلام علمائنا الأعلام، هو الإغماض عن هذا الباب وإرخاء الستر دونه والحجاب، وإن كان قد فتحه أقوام وأوسعوا فيه دائرة النقض والإبرام، لأن ما ذكروه في وجوه الفرق بينهما جلّه بل كله عند التأمل لا يثمر فرقاً في المقام.. والعصر الأول كان مملوءاً من المحدثين والأصوليين، مع أنه لم يرتفع صيت هذا الخلاف ولم يطعن أحد منهم على الآخر بالاتصاف بهذه الأوصاف... والأحرى والأنسب في هذا الشأن أن يقال: إن عمل الفرقة المحقة ـ أيدهم الله بالنصر والتمكين ـ إنما هو على مذهب أئمتهم، فإن جلالة شأنهم وسطوع برهانهم وورعهم وتقواهم المشهور، بل المتواتر على مرّ الدهور، يمنعهم من الخروج عن تلك الجادة القويمة والصراط المستقيم... وإنّا نرى كلاً من المجتهدين والإخباريين يختلفون في آحاد المسائل، بل ربما خالف أحدهم نفسه مع أنه لا يوجب تشنيعاً ولا قدحاً... ولم يرتفع صيت هذا الخلاف إلا من صاحب الفوائد المدنية ـ سامحه الله تعالى برحمته المرضية ـ وبالجملة فالأحسن والأليَق بالدين هو حسم هذه المادة وركوب ما ذكرنا من الجادة»[2].

ومن هنا نعرف شدّة ضعف قول بعض المترجمين للحر وسقوطه لأن مصنفات الحر لا يعتني بها، وفيها تخليط لأنه إخباري يستند على القواعد الإخبارية.

مؤلفاته القيّمة:

١ ـ «تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة» المشهور بـ «وسائل الشيعة والوسائل»، هو كتاب جليل يشتمل على قسم وافر من الأحاديث الصحيحة المعمول

---

(١) **روضات الجنات**، ص ٦٤٦.

(٢) **الكشكول**، للبحراني، ٢/٣٨٦ ـ ٣٨٩.

عليها عند العلماء الإمامية الاثني عشرية. وقد قسّمه المؤلف إلى عدة كتب بحسب ترتيب الكتب الفقهية من الطهارة إلى الديّات. وقد طبع أولاً في طهران في ثلاثة مجلدات سنة (١٢٦٩ - ١٢٧١هـ)، وسنة (١٢٨٣ - ١٢٨٨هـ)، وسنة (١٣١٣ - ١٣١٤هـ)، وسنة (١٣٢٣ - ١٣٢٤هـ)، ثم في تبريز في ثلاثة مجلدات أيضاً سنة ١٣١٣هـ. وبدأت المكتبة الإسلامية في طهران أيضاً بطبعه مصححاً محققاً مقسماً إلى أجزاء، أنجز حتى الآن طبع أربعة عشر جزءاً منه.

واستدرك المحدث الكبير المغفور له الحاج ميرزا حسين النوري الأحاديث التي فاتت الحر العاملي، وجمعها في كتاب سماه «مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل» وطبع في ثلاثة مجلدات كبيرة في طهران سنة ١٣١٨هـ وسنة ١٣٨٢هـ.

وجمع العلامة الحجة السيد محمد الشيرازي بين الوسائل والمستدرك وجعلها كتاباً واحداً، طبع حتى الآن خمسة أجزاء منه في القاهرة على نفقة مكتبة النجاح في النجف الأشرف.

٢ - «من لا يحضره الإمام»، وهو فهرس تفصيلي لكتاب وسائل الشيعة يشتمل على عناوين الأبواب وعدد أحاديث كل باب، ومضمون الأحاديث، وهو مطبوع مع الوسائل الطبعة الإيرانية الجديدة.

٣ - «تحرير وسائل الشيعة، وتحبير مسائل الشريعة»، يشتمل على بيان ما يستفاد من الأحاديث والفوائد المتفرقة في كتب الاستدلال من ضبط الأقوال وكتاب العبادات وكتاب الطهارة إلى مبحث الماء المضاف.

٤ - «تعاليق على وسائل الشيعة»، وهو كتاب يشتمل على بيان اللغات وتوضيح العبارات، أو دفع الإشكال عن متن الحديث أو سنده إلى غير ذلك، وهو غير الكتاب السابق.

٥ - «إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات»، وهو كتاب يجمع بين دفتيه الأحاديث الواردة في شأن النبي والزهراء والأئمة المعصومين عليهم السلام، والتي نقلها علماء الفريقين في مؤلفهم، وبلغت مصادر هذا الكتاب إلى ما يقرب من خمسمائة مصدر من أمهات المصادر الإسلامية الشيعية والسنّية.

وقام الأستاذان محمد نصر اللهي، ومحمد جنتي، بترجمة هذا الكتاب إلى الفارسية، وطبع الأصل مع الترجمة في «قم» في سبعة أجزاء سنة ١٣٧٨هـ.

٦ - «الفصول المهمة في أصول الأئمة عليهم السلام»، وهو يشتمل على القواعد الكلية المنصوصة في أصول الدين وأصول الفقه وفروع الفقه وفي الطب ونوادر الكليات، وقال المؤلف عنه: «فيه أكثر من ألف باب يفتح من كل باب ألف باب». طبع في تبريز سنة ١٣٠٤ وفي النجف الأشرف سنة ١٣٧٨هـ.

٧ - «بداية الهداية»، وهو في الواجبات والمحرمات المنصوصة من أول الفقه وآخره بصورة مختصرة جداً. طبع في طهران سنة ١٢٧٥ و١٣١٨ و١٣٢٥هـ، وطبع أيضاً في الهند بلكنهو سنة ١٣١١هـ.

٨ - «الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة»، وهو اثنا عشر باباً يشتمل على أكثر من ستمائة حديث وأربع وستين آية من القرآن الكريم، وأدلّة كثيرة، ومما قاله المتقدمون والمتأخرون والجواب عن الشبهات، طبع في «قم» سنة ١٣٤١هـ. مع ترجمة الأستاذ محمد جنتي.

٩ - «الجواهر السنية في الأحاديث القدسية»، وهو أول كتاب ألّفه الحر العاملي ولم يجمع أحد هذا الموضوع قبله. طبع في «بمبي» سنة ١٣٠٢هـ، وفي النجف الأشرف سنة ١٣٨٤هـ.

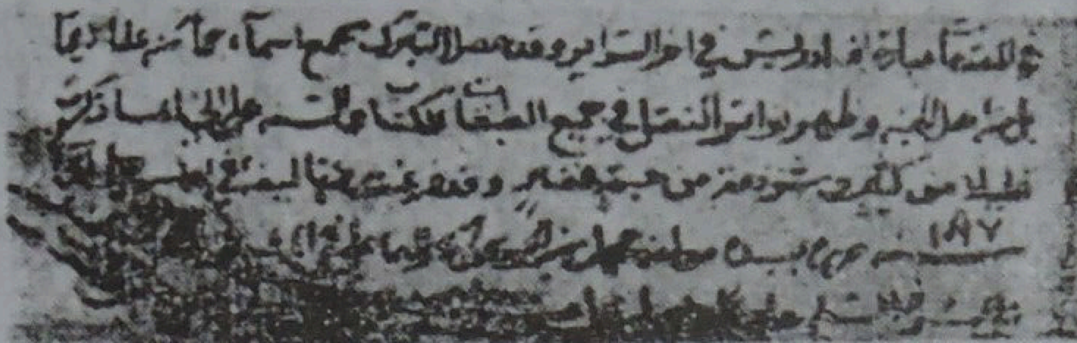
١٠ - «أمل الآمل»، وهو الكتاب الذي سنتحدث عنه فيما سيأتي مفصلاً. طبع مع كتاب منتهى المقال للشيخ أبي علي سنة ١٣٠٢هـ، وطبع أيضاً مع كتاب منهج المقال لميرزا محمد سنة ١٣٠٤هـ، وهذه هي الطبعة الثالثة التي ننقل عنها محققة.

١١ - «الصحيفة الثانية»، من أدعية الإمام السجّاد علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام الخارجة عن الصحيفة الكاملة. طبعت لأول مرة في الهند، وطبعت أيضاً في مصر سنة ١٣٢٢هـ بتصحيح وتعليق المغفور له العلامة السيد محسن الأمين العاملي.

١٢ - «الفوائد الطوسية»، خرج منه مجلد يشتمل على مائة فائدة في مطالب متفرقة، والذي يبدو من الحر في ترجمته إضافة على ما نقل أن في هذا الكتاب أيضاً رسائل متعددة طويلة نحو عشر يحسن إفراد كل واحدة منها. ومن هذا الكتاب نسخة نفيسة كانت في حيازة المحدث الكبير المرحوم الشيخ عباس القمي وهي الآن عند ذرّيته كما يظهر من هامش ترجمة المؤلف في كتاب الفوائد الرضوية. ومنه أيضاً نسخة عند العلامة السيد شهاب المرعشي كما يظهر مما كتبه في «سجع البلابل» ص (يج).

١٣ - «كتاب تراجم الرجال»، وهو غير التراجم التي هي مذكورة بحسب الحروف في خاتمة

١٠١٠] الحر العاملي



محمد بن الحسن ، الحر العاملي (٦ : ٣٢١)

عن الصفحة الأخيرة من مخطوطة كتابه « أمل الآمل » في مكتبة الجامعة الأميركية ببيروت ، رقم ٩٦ ويلاحظ في خطه هذا أن جملة « محمد بن الحسن » وقع فيها ذيل « بن » في آخر السين من « الحسن » فجعله شبيهاً بالحسين ، واسم « الحسن » ظاهر في أصل المخطوطة .

وسائل الشيعة. وقال الإمام آقا بزرك الطهراني في كتابه مصفى المقال ص ٤٠١: «وله أيضاً كتاب في تراجم الرجال من رواة الحديث عبّر عنه في أمل الآمل برسالة الرجال مع أنه في ضعفي الوجيزة للمجلسي». ومن هذا الكتاب نسخة في مكتبة آية الله الحكيم العامة في النجف الأشرف.

١٤ - أحوال الصحابة يعني صحابة النبي ﷺ الممدوحين وصحابة الأئمة ﷺ، وقد ذكره المؤلف في ترجمته بعنوان «رسالة أحوال الصحابة».

١٥ - «ديوان الحر العاملي»، وهو يقارب عشرين ألف بيت في مدح النبي ﷺ، ومنه نسخة نفيسة في مكتبة آية الله الحكيم العامة في النجف الأشرف، صححها وزاد عليها كثيراً من الأشعار المؤلف بنفسه وبخطه ولكن فيها خروماً ونواقص، وقد تبلّغ أبيات هذه النسخة عشرة آلاف بيت تقريباً، وترى صورة صفحة منها في آخر هذه الترجمة وفيها خط يد المؤلف.

١٦ - «هداية الأمة إلى أحكام الأئمة ﷺ»، وهو منتخب من كتاب «وسائل الشيعة» في ثلاثة أجزاء صغيرة.

١٧ - «الرد على الصوفية»، وهو رسالة تشتمل على اثني عشر باباً واثني عشر فصلاً في الرد عليهم عموماً وخصوصاً في كل ما اختصوا به.

١٨ - «خلق الكافر وما يناسبه».

١٩ - «كشف التعمية في حكم التسمية»، أي تسمية المهدي (عجّل الله تعالى فرجه).

٢٠ - «إثبات وجوب صلاة الجمعة عيناً»، وهو ردّ على العلامة المولى محمد إبراهيم النيسابوري الذي ردّ ما قاله الشهيد الثاني في رسالة صلاة الجمعة.

٢١ - «نزهة الأسماع في حكم الإجماع»، وهو رسالة ذكر فيها أقسام الاجماع وأحكامها.

٢٢ - «تواتر القرآن».

٢٣ - «تنزيه المعصوم عن السهو والنسيان»، وهو ردّ على الشيخ أبي جعفر الصدوق صاحب «من لا يحضره الفقيه».

٢٤ - «العربية العلوية، واللغة المروية»، وهذا اسم لكتاب واحد كما يظهر مما كتبه المؤلف في ترجمته، وما أثبته الشيخ آقا بزرك في الذريعة، ولكن السيد شهاب الدين المرعشي

جعل هذا الاسم اسماً لكتابين هما: «العربية العلوية» و«اللغة المروية»، فلاحظ.

٢٥ - «رسالة في أحواله».

٢٦ - «الوصية إلى ولده»، وهو على غرار كتاب «كشف المحجة لثمرة المهجة»، للسيد ابن طاوس.

٢٧ - «الإجازات»، جمع فيه كثيراً من الإجازات المختلفة.

٢٨ - «الرد على العامة».

٢٩ - «كتاب في المزار».

٣٠ - «الأخلاق»، وهو شرح لكتاب طهارة الأعراق لابن مسكويه، وأضاف عليه الروايات الواردة من طرق الأئمة عليهم السلام.

٣١ - «إبطال عموم مسألة المنزلة»، وهي مسألة ذهب إليها السيد محمد باقر الداماد الحسيني المرعشي وردّ عليه المؤلف في كتابه هذا.

٣٢ - «الأبحاث»، في مسائل الميراث.

٣٣ - «منظومة» في مسائل الهندسة والرياضيات، منها قطعة في ديوانه الموجود في مكتبة آية اللّه الحكيم العامة في النجف الأشرف، وهي من ورقة ٤٩ إلى ورقة ٥١ ظ، ونذكر أبياتاً منها في هذه الترجمة في فصل نماذج من شعره.

٣٥ - «منظومة» في مواليد الأئمة ووفياتهم ومناقبهم. منها قطعة تبلغ ٥٨ بيتاً في ديوان الحر الموجود في مكتبة آية اللّه الحكيم العامة، ومنها أيضاً نسخة كاملة عند العلامة السيد صادق الصدر في النجف الأشرف وهي بخط السيد أبو الحسن الصدر.

٣٦ - «منظومة» في الأخلاق والمواعظ.

٣٧ - «منظومة» في مسائل أصول الفقه.

٣٨ - «منظومة» في المسائل الكلامية.

٣٩ - «منظومة» في المسائل النحوية، وهي مناظرة لطيفة مع ابن مالك النحوي في منظومته الأليفة.

٤٠ - «منظومة» في علمي الصرف والاشتقاق، لخص فيها متن الشافية.

٤١ - «منظومة» في قواعد الخط والكتابة.

٤٢ - «منظومة» في علم النجوم والفلك.

٤٣ - «منظومة» في الفقه، لم تتم.

٤٤ - «منظومة» في صيغ العقود والإيقاعات.

٤٥ - «منظومة» في مسائل الرضاع.

٤٦ - «ديوان الإمام زين العابدين عليه السلام»، وهو مطبوع في الهند «بمبي».

٤٧ - «مقتل الحسين عليه السلام».

٤٨ - «حاشية على الكافي».

٤٩ - «حاشية على من لا يحضره الفقيه».

٥٠ - «حاشية على التهذيب».

٥١ - «حاشية على الاستبصار».

٥٢ - «جدول كبير في المحرمات الرضاعية وغيرها»، قال العلامة السيد شهاب الدين المرعشي: «والظاهر أنه قدّس سرّه أول من ابتكره في هذا الفن فيما علم».

٥٣ - «جدول في مسائل الميراث».

٥٤ - «تفسير على بعض الآيات الشريفة».

٥٥ - «مناظرة مع بعض العلماء العامة»، وهذه المناظرة كانت في سفر الحج.

نماذج من شعره

عالج الحر العاملي أكثر الفنون والأغراض الشعرية من المدح والهجاء، والرثاء، والغزل، والوصف والوعظ، والتخميس، والمحبوكة الطرفين والمحبوكة الأطراف، والتاريخ والمعمى، وغيرها...

وشعره - كأغلب الشعراء العلماء الذين لم ينصرفوا بكليتهم إلى الشعر - وشعره جيد مستعذب الألفاظ، راقي المعاني وفي مستوى عالٍ في بعض الأحيان، وواطىء ملتو المعاني ركيك الألفاظ في أحيان أخرى.

وربما كان ديوانه كله في المستوى العالي في اللفظ والمعنى لو كان يدع الإسراع في نظم الشعر وإذاعته، ولكنه كان متسرعاً في القول، غير مراجع له مرة بعد أخرى حتى يصقل القصائد ويغير ويبدل كما يفعله أكثر الشعراء القدامى والمحدثين.

يقول في أول قصيدته التي أولها «كيف تحظى بمجدك الأوصياء» ما نصه: «نظمت من أولها في يوم واحد ٩٣ بيتاً».

وهو بالإضافة إلى ذلك - من الشعراء المكثرين، حيث يبلغ ديوان شعره عشرين ألف بيت كما يذكره هو في ترجمته، ولكن الشعر الموجود الآن في الديوان الموجود منه نسخة نفيسة في مكتبة آية اللّه الحكيم العامة في النجف الأشرف لا يزيد على عشرة آلاف بيتاً تقريباً، وأما بقية شعره فُقِدَ وضاع..

وأكثر شعره يختص بمدح النبي ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام ورثائهم، ثم الوعظ وبقية الأغراض الشعرية المختلفة.

وقد ذكر الشيخ الحر في ترجمة نفسه نماذج من شعره، ولا بأس أن نذكر هنا بعض النماذج الأخرى من الفنون التي لم نتوسع فيها في ترجمته في هذا الكتاب.

جاء في أوائل الديوان ٢٩ قصيدة محبوكة الطرفين في مدح النبي ﷺ، وفي كل قصيدة ٢٩ بيتاً نذكر من كل منها فيما يلي ثلاثة أبيات:

أما ومحيا ذي سنا وسناءً ... سما فتخيلناه بدر سماء
إلى مثله يعزى الهوى ونظيره ... وإن كان في أمن من النظراء
أرى لضلال الحب عذباً عذابه ... كأن شقائي في هواه شفائي

❀ ❀ ❀

بمن حبه أهدى الغرام إلى قلبي ... ولم يهد لي يوماً تحية ذي عجب
بدت لوعتي وانهل من سحب مقلتي ... سواكب قد أربت على هاطل السحب
بل استعرت نار الغضا بين أضلعي ... وضاق لفرط الوجد بي أوسع الرحب

❀ ❀ ❀

تناهى اضطرام القلب في حب عزّة ... كما قد تناهت في ثناء وعزّة
تعوضت في حبي لها عن صبابتي ... بتصحيفها بين الورى بصبابتي

ترى هل يجود الدهر يوماً بقربها فينأى به كربي وتدنو مسرتي

❀ ❀ ❀

ثار الغرام بجد ما به عبث وانحل سلك دموعي فهي تنبعث
ثوى بقلب المعنى ما ثوى فغدا ميتاً وإن لم يكن قد ضمّه جدث
ثم الأماني لو جاد الحبيب بها لكن حبل الأماني منه منتكث

❀ ❀ ❀

جادت علينا عيون زانها الدعج جوراً به عصبة العشاق تبتهج
جنت لواحظها فينا وليس على الـ ـمريض فيما جنى إثم ولا حرج
جودي وجوري ومني واقطعي وصلي فالقلب راضٍ بما تقضين مبتهج

❀ ❀ ❀

حي حيا به وجوه الصَّباح كل وجه يفوق وجه الصباح
حملتني الغرام منهن خود أثخنتني لحاظها بالجراح
حرمت لذة الرقاد على عيني صدود أو كان بعض المباح

❀ ❀ ❀

خليلي أما حب سعدى فراسخ وإن حال دون القرب منها فراسخ
خذا عن حماها واحذرا إن مررتما به أعينا تذكي الجوى وهو بايخ
خفا لحظات الغانيات فلحظها لحكم الحجى والعقل والدين ناسخ

❀ ❀ ❀

دار سلمى سقاك صوب غواد رائحات بساحتيك غواد
دار أنس كانت لنا في حماها برهة لا تقاس بالآباد
دام لي بعدها ادكار وشوق أوريا في الفؤاد أي زناد

❀ ❀ ❀

ذهب الفراق بمهجتي أفلاذا والجسم أضحى من هواك جذاذا
ذاب الفؤاد بنار هجرك فاتئد في هجر من لم يبغ عنك لواذا

ذقت الهوى وخبرته فإذا به | تردي الأسود ظباؤه استحواذا

❀ ❀ ❀

رمتني بنبل المقلة المتواتر | فويل لقلبي من سهام النواظر
رماة لحاظ غادرتني صريعها | وكم صرعت مثلي عيون الجآذر
رنت فأرت سمر الرماح وأسهم الـ | رماة وصولات السيوف البواتر

❀ ❀ ❀

زفير يذل فؤاد العزيز | ويبدي من الوجد أخفى الرموز
زناد من الشوق وارٍ به | توَجج نار الجوى بالأزيز
زيارة طيف الكرى بغيتي | وقد لاذ مني بحصن حريز

❀ ❀ ❀

ساءك منها طلل دارس | فالقلب فيه للهوى دارس
سرك سارٍ ما له كاتمُ | والدمع جارٍ ما له حابس
سرُّك من قبل به غادة | تسبي البرايا قدها مايس

❀ ❀ ❀

شاع ما بي فسرُّ وجدي فاشي | كيف والدمع بالصبابة واشي
شابه الخدّ إذ جرى فيه دمعي | ودمي بين وابل ورشاش
شية ذات صفرة ولعت فيـ | ـها بتلوينها يد النقاش

❀ ❀ ❀

صروف زماني عن مرامي تنكص | تزيد همومي والمسرات تنقص
صفاء بأنواع الهموم مكدر | وعيش بأجناس الخطوب منغص
صدى ليس يروى بالأماني غليله | وظلّ من الدنيا سريع مقلص

❀ ❀ ❀

ضمن الفؤاد لطول البين جمر غضا | والجفن مذ فارق الأحباب ما غمضا
ضنوا عليّ بطيف في الكرى وبه | لما قنعت به عن مهجتي عوضا

ضيف كريم أرى إجلال حرمته في شرعنا معشر العشاق مفترضا

❀ ❀ ❀

طلب السلم واللواحظ تسطو ورؤوس القلوب منا تقط
طعّنته الرماح وهي قدود لا يوارى بهن في الطعن خط
طامحاً والكواكب السبع تبدو في المحيا كما الثريا قرط

❀ ❀ ❀

ظفرت بنظرة من حسن سلمى فكانت بعد بذل الروح حظي
ظعنت إلى حماها غير وانٍ فلم يظفر بحظ غير لحظي
ظميت إلى زلال الوصل منها ولم أزدد سوى ظمأ ولمظ

❀ ❀ ❀

عدني ودعني من زيارة بلقع يا أيها الحادي لهن بمرجع
عذبن جسمي بالنحول ومهجتي بالهجر واستمطرن صيّب مدمعي
عمداً وقد قطعن أفلاذ الحشا وأزلن قلبي بالجفا عن أضلعي

❀ ❀ ❀

غاب الرقيب وبدر القصر قد بزغا طوبى لصبّ إلى ربع المنى بلغا
غاب الوشاة خلا والاجتماع حلا والعيش والظل ظل الوصل قد سبغا
غنى الحمام فمال الصب من طرب به وأصغى إلى ألحانه وصغا

❀ ❀ ❀

فارقني من أحبه وجفا حسبي ما قد جنى الجفا وكفى
فقد غدا بالفؤاد نار غظى يذكي لظاها دمعي إذا وكفا
فقد حبيب أزادني كمداً دام وأذكى بمهجتي أسفا

❀ ❀ ❀

قاتلي بالغرام والأشواق جد وفاءً بفرقة للفراق
قطع القلب وجده بك يأساً كنّه بالعشي والإشراق

قد توطنت مهجتي وفؤادي | واستلبت الكرى من الآماق

❀ ❀ ❀

كتمت الهوى والحب بالقلب أملك | رأجمل من كتم الغرام التهتك
كفاني ما لاقيت في موقف الهوى | مقامي به يحيى المشوق ويهلك
كواعب أتراب تصدت لحربنا | ولسنا بتوحيد المحبة نشرك

❀ ❀ ❀

لولاك كنت عن الشقاء بمعزل | يا بهجة الدنيا وبدر المنزل
لما جفوت جفا الكرى جفني فهل | علقت جفني بالسماك الأعزل
لا تنكري إن بات حالي في الهوى | حال امرىء صب كئيب أعزل

❀ ❀ ❀

ما شام طرفي برقاً لاح من أضم | إلا وهلت دموع العين كالديم
من لي برد أويقاتٍ لنا سلفت | بين الأحبة في أكناف ذي سلم
مع كل فاترة هيفاء فاتنة | غيداء فاتكة في الحسن كالعلم

❀ ❀ ❀

ناح الحمام على فروع غصونه | فغدا يواسي المبتلى بشجونه
نبهت وجدي يا حمام فجد معي | بعد النوى من مدمع بمصونه
نحن الألى لا نستطيع تجلداً | عن سفح هاطل مدمع وهتونه

❀ ❀ ❀

ومن له الفؤاد أضحى يهوى | ولم يلذ من فعله بشكوى
وهى اصطباري والهوى يوهن لو | خامر رضوي الحب صبر رضوى
وفيت في حب فتاة ما وفت | لمغرم قد غادرته نضوا

❀ ❀ ❀

هو الحب لا فيه معين ترجاه | ولا منقذ من جوره تتوخاه
هو الحتف لا يفنى المحبين غيره | ولولاه ما ذاق الورى الحتف لولاه

هوى الغيد كم أردى محباً وأصماه ولوجدن بالوصل المؤمل أحياه

❀ ❀ ❀

لا الصب يسمع في الحبيب مقالا كلا ولا يجد الفؤاد كلالا
لا والذي يهواه قلبي المبتلى ما رمت في حبيبه قط ملالا
لام العذول فقلت لست أطيع في حبي ولو أوهى الحشا العذالا

❀ ❀ ❀

يا غزالاً شبيهه وحشي وهو لولا نفاره أنسي
يخجل البدر والكواكب والشمس محيا له مضيء بهي
يكتسي من قوامه الغصن النضير حيا والذابل الخطي

❀ ❀ ❀

وقال في منظومته في الهندسة:

فتستوي أيضاً الزوايا منهما كل لمثله كما قد علما
ويستوي المثلثان فاعلم وتاسع الأشكال فاسمع وافهم
إنّا نريد نخرج العمودا ولا يكون خطه محدودا
من نقطة في الخط فلنخط إلى بُعدين عنها بالسوا لنجعلا
ربعين من دائرة تقاطعا ونصل إلى النقطة والتقاطعا
فيحصل العمود والعاشران نخرجه من نقطة له بان
نجعل تلك المركز الدائرة تقطيع ذلك الخط وهي دائرة
ثم ننصف الذي داخلها بنقطة ونخرج الخط لها

وقال في منظومته في تاريخ النبي والأئمة عليهم الصلاة والسلام:

أما سمعت خبر ابن تعنب ينطق من مقصودنا بالعجب
وأنه محقق مشهور بثبته المدقق النحرير
قال جلست مع أناس شتى في المسجد الحرام يوماً حتى
مرّت بنا فاطمة بنت أسد حاملة بالمرتضى ذاك الأسد
فجاءها الطلق فطافت سبعاً ثم دعت أكرم رب يدعى
قالت إلهي إنني آمنت بك حقاً وصدقت جميع كتبك

وما على الخليل جدي أنزلا   وما به كل رسول أرسلا
ثم دعت خالقها بما سنح   فسهل الله العسير وانفتح
باب لها تجاه باب الكعبة   وذاك مستجار أهل الرهبة
ودخلت فيه فعاد مثل ما   كان وما زال مشيداً محكما
هذا وقفل الباب لم يفتح لنا   من بعد جهدٍ وعلاج واعتنا
فقلت إن ذاك أمر الله   فلم أكن عن ذكره باللاهي
فمكثت ثلاثة أياما   وخرجت فأعلنت كلاما
إني فضلت على النساء   دخلت بيت رافع السماء
ثم أكلت من ثمار الجنة   ورزقها فهو علي جُنه
فعندما وضعته ورمت أن   أخرج نادى هاتف بي بالعلن
سمي الذي وضعته عليا   فلن يزال قدره عليا

وقال في تخميس لامية العجم:

يا لائمي كف عن لومي وعن عذلي   فلست أعدل عن جدي إلى العلل
كلا وغير العلى لم يشف من عللي   إصالة الرأي صانتني عن الخطل
وحلية الفضل زانتني لدى العطل

فلي من المجد مصطاف ومرتبع   بل أهله ما بين الورى تبع
فنحن قوم لدين المجد قد شرعوا   مجدي أخيراً ومجدي أولاً شرع
والشمس راد الضحى كالشمس في الطفل

لذاك دهري لا ينفك يقصدني   بنبل ظلم وبالأسواق يقصدني
وعن مغاني أقصاني وغرّبني   فيم الإقامة بالزوراء لا وطني
بها ولا ناقتي فيها ولا جملي

أغدو وما لي بها أهل ولا ولد   ولا على بعدهم صبر ولا جلد
دان إلى قلبي الأشجان والكمد   ناءٍ عن الأهل صفر الكف منفرد
كالسيف عري متناه من الحلل

وقال معمى في (علي):

قال لي العذال دع حبه   ما فيه إلا شقوة أو أذى
فزاد ذا القول فؤادي أسى   ما ضرّ عذالي لو زال ذا

وقال معمى في (أحمد):

أفديه فرداً ما له من مشبه ... يسطو عليَّ بحسنه وبعجبه
داء السقام أضر بي في حبه ... هل من مجرد رأفة في قلبه

وقال ملغزاً في (١٣٤٤):

يا كاملاً أوصافه في العلى ... شاعت فلا تخفي ولا تنكر
يا فاضلاً آدابه روضة ... جاد ثراها العارض الممطر
ما بلدة صدر اسمها ما به ... بيض الظبى تخضب إذ تشهر
وقلبه إن أتمت صحفته ... ظرف زمان بينهم يُذكر
والقلب إن صحفته تلقه ... إحدى الحواس الخمس لا ينكر
كذاك قلب الاسم مع أنه ... فعل لمن أضحى به يأسر
وعجزها إهمال ثانية إن ... يقلب فصيح لم يكن يحصر
آخرها إن ضم مع أول ... علامة الفعل كما يؤثر
وقلبه معجم زائداً ... ستاً أخو الفهم به يفخر
مجموعها إن ينتقص أربعاً ... فهو خضاب شائع أحمر
أولها ثانٍ لها إن رقا ... ثالثها تلت له الآخر
رديفها مهملةُ مصدر ... يشتق منه فعل من يضجر
رديفها الآخر تصحيفه ... مستقبح في الوعد مستنكر
أجب جواباً شافياً وافياً ... وقيت ما يُخشى ويُحذر

وقال في تضمين بعض الآيات الشريفة:

طوبى لنفس نظرت ... في شأنها واعتبرت
وحاولت نجاتها ... إذا النجوم انكدرت
وفكرت ما حالها ... إذا الجبال سيرت
إذا العشار عطلت ... إذا الوحوش حشرت
إذا النفوس زوجت ... إذا البحار سجرت
إذا السماء كشطت ... إذا الجحيم سُعرت
إذا السماء انفطرت ... إذا القبور بُعثرت

وقال أيضاً مضمناً لبعض الآيات الكريمة:

لست أطيع واشياً حذّرني وأغرى
لا والذي شرفه رب السماء قدرا
والذاريات ذرواً فالحاملات وقرا
فالجاريات يسراً فالمقسمات أمرا
والصافات صفاً فالزاجرات زجرا
والمرسلات عرفاً فالتاليات ذكرا
فالعاصفات عصفاً فالناشرات نشرا
فالفارقات فرقاً فالملقيات ذكرا

من الأخبار (شعره):

قد عرفت أن ديوان شعره يحتوي على عشرين ألف بيت وقال صاحب السلافة: لا يحضرني من شعره الآن غير قوله ناظماً الحديث القدسي:

فضل الفتى بالبذل والإحسان والجود خير الوصف للإنسان
أوليس إبراهيم لما أصبحت أمواله وقفاً على الضيفان
حتى إذا أفنى اللهى أخذ ابنه فسخى به للذبح والقربان
ثم ابتغى النمرود إحراقاً له فسخى بمهجته على النيران
بالمال جاد وبابنه وبنفسه وبقلبه للواحد الديان
أضحى خليل الله جلّ جلاله ناهيك فضلاً خلة الرحمن
صح الحديث به فيا لك رتبة تعلو بأجمعها على التيجان

قال: وهذا الحديث رواه أبو الحسن المسعودي في كتاب أخبار الزمان قال: إن الله تعالى أوحى إلى إبراهيم عليه السلام أنك لما سلمت ما لك للضيفان وولدك للقربان، ونفسك للنيران، وقلبك للرحمن اتخذناك خليلاً. ومن شعره الذي أورد في أمل الآمل، قوله من قصيدة تزيد على أربعمائة بيت في مدح النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام، وكأنه أراد معارضة همزية البوصيري وليته لم يفعل:

كيف تحظى بمجدك الأوصياء وبه قد توسل الأنبياء
ما لخلق سوى النبي وسبطيـ ـه السعيدين هذه العلياء

وقوله من المحبوكات الطرفين في مدحهم ﷺ من قافية الهمزة وهي تسع وعشرون قصيدة:

أغير أمير المؤمنين الذي به — تجمع شمل الدين بعد تناءِ
أبانت به الأيام كل عجيبة — فنيران بأس في بحور عطاءِ

وقوله في قصيدة محبوكة الأطراف الأربعة:

فإن تخف في الوصف من إسراف — فلذ بمدح السادة الأشراف
فخر لهاشمي أو منافي — فضل سما مراتب الآلاف
فعلمهم للجهل شافٍ كافي — فضلهم على الأنام وافي
فاقوا الورى منتعلاً وحافي — فضل به العدو ذو اعتراف
فهاكها محبوكة الأطراف — فن غريب ما قفاه قافي

وقوله:

إن سر الصديق عندي مصون — ليس يدريه غير سمعي وقلبي
لم أكن مطلعاً لساني عليه — قط فضلاً عن صاحب ومحب
حكمه أنني أخلده في السـ — ـجن أعني الفؤاد من غير ذنب
لست أخفي سرّي وهذا هو الوا — جب عندي إخفاء أسرار صحبي

وقوله من قصيدة طويلة في مزج المديح بالغزل:

لئن طاب لي ذكر الحبائب أنني — أرى مدح أهل البيت أحلى وأطيبا
فهن سلبن العلم والحلم في الصبا — وهم وهبونا العلم والحلم في الصبى
هواهن لي داء هواهم دواؤه — ومن يك ذا داءٍ يرد متطببا
لئن كان ذاك لحسن يعجب ناظراً — فإنّا رأينا ذلك الفضل أعجبا

وقوله:

كم حازم ليس له مطمع — إلا من الله كما قد يجب
لأجل هذا قد غدا رزقه — جميعه من حيث لا يحتسب

وقوله:

كم من حريص رماه الحرص في شعب — منها إلى أشعب الطمّاع ينشعب

في كل شيء من الدنيا له طمع ... فرزقه كله من حيث يحتسب

وقوله:

سترت وجهها بكف خضيب ... إذ رأتني من خوف عين الرقيب
كيف نحظى بالاجتماع وقد عا ... ين كل إذ ذاك كف الخضيب

وقوله:

لا تكن قانعاً من الدين بالدو ... ن وخذ في عبادة المعبود
واجتهد في جهاد نفسك وابذل ... في رضى الله غاية المجهود

وقوله من قصيدة تبلغ ثمانين بيتاً خالية من الألف في مدحهم ﷺ:

وليّ عليّ حيث كنت وليه ... ومخلصه بل عبد عبد لعبده
لعمرك قلبي مغرم بمحبتي ... له طول عمري ثم بعد لولده

وقوله:

علمي وشعري اقتتلا واصطلحا ... فخضع الشعر لعلمي راغما
فالعلم يأبى أن أعدّ شاعراً ... والشعر يرضى أن أعدَّ عالما

وقوله:

حذار من فتنة الحسنا وناظرها ... ولا ترح بفؤاد منه مكلوم
فقلبها صخرة مع ضعف قوتها ... وطرفها ظالم في زي مظلوم

وقوله:

يا صاحب الجاه كن على حذر ... لا تك ممن يغتر بالجاه
فإن عزّ الدنيا كذلتها ... لا عزّ إلا بطاعة الله

وقوله:

خليلي ما لي والزمان معاندي ... بتكسير آمالي الصحاح بلا جبر
زمان يرينا في القضايا غرائبا ... وكل قضاءٍ منه جور على الحُرّ

وقوله من قصيدة:

طال ليلي ولم أجد لي على السهد ... معيناً سوى اقتراح الأماني

فكأني في عرض تسعين لما ... حلّت الشمس أول الميزان
ليت أني فيما يساوي تمام الميل ... عرضاً والشمس في السرطان

وقال يمدح النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام:

جدّ وجدي لفرقة وتنائي ... عن ربى أرض مكة الغراءِ
وشجاني بعد الحجاز خصوصاً ... عند بعدي عن طيبة الفيحاءِ
وعجبنا ما بين تلك المغاني ... لاعتناق السراء والضراءِ
ودعتني عند البعاد فتاة ... أفحمت منطقي عن الإفتاءِ
عانقتني الفتاة عند مشيبي ... قلت صيف معانق لشتاءِ
وبدا في الخدود ماءُ وتبر ... به وحظي التبران دون الماءِ
وتناءت فقلت معذورة أنـ ... ـت لعمري في مثل هذا التنائي
أفلا يعجبون كيف أضلت ... مقتدى الفاضلين والصلحاءِ
فتنت كل عاشق وخلٍّ ... منية الخلق في الملا والخلاءِ
ليتني كنت مبتلى ببلاءٍ ... واحد بل لديَّ ألف بلاءِ
كم رأينا بأرض بدر عجيباً ... حار في شأنه ذوو الآراءِ
ألف بدر يلوح في أرض بدر ... وأرى البدر واحداً في السماءِ
غادرتني تلك اللحاظ شهيداً ... إذ أردنا زيارة الشهداءِ
كحلت بالهوى العيون فضنت ... بهواها وحبها كل رائي
فقلوب الرجال وهي تفوق الصخر ... بأساً أسرى عيون النساءِ
كم طلبنا منها الوفاء فضنت ... واصطلى العاشقون نار الجفاءِ
كم رأينا من ليث غاب قتيلاً ... أو أسيراً في كف بعض الظباءِ
جزعت من لحاظ ظبي وكانت ... لا تبالي بالبأس والبأساءِ
رمت زوراً تعاد زوراً ببدر ... وغروراً من ساكني الزوراءِ
حدثوني عن اللقاء فسمعي ... كاد ينسى حديث ذاك اللقاءِ
أودعوني سر الغرام ولولا ... أدمعي لم يخف من الإفشاءِ
أنا راض منهم بطيف ومن لي ... بعدهم بالمنام والإغفاءِ
ربّ بدر بدا ببدر وشمس ... ثم تبدو في الليلة الظلماءِ
تارة تشبه الغزالة في الأفـ ... ـق وطوراً غزالة البيداءِ
أي شيء ألذّ في القلب من وصـ ... ـل حبيب في غفلة الرقباءِ

أسرتهم عين وحور فحاروا ... بين عين العيناء والحوراءِ
قد قتلن الأحباب يا ليت شعري ... أي شيء تركن للأعداءِ
كم فتاة غدت لها (حكمة العـ ... ـين) وعادت في غيرها في انتفاءِ
بين ألحاظها (كتاب الإشارا ... ت) وفي ريقها كتاب (الشفاءِ)
أضنت القلب بالجفاء وفاءت ... ثم صدّت فلم تجد بالوفاءِ
سكنت غرفة علت قلت أنتم ... ما سكنتم في الأرض بل في السماءِ
وكذاك البدور والشمس والأنـ ... ـجم ليست من ساكني الغبراءِ
قتلتنا إذ أقبلت بجفون ... ثم لما إن أعرضت بجفاءِ
قلت يوماً لو زرت ليلاً إذا ما ... غلب النوم أعين الرقباءِ
بأبي من أزورها وهي تأبى ... أن تزور المحب أيّ إباءِ
برحت في النوى سقى ربعها ها ... م ملت من أغزر الأنواءِ
حرسوها بأسهم ورماح ... ومواضي السيوف عن كل رائي
قلب تلك الحسناء صخر ولكن ... جسمها صيغ من هواءٍ وماءِ
ولها في القصور حيث تمشت ... لفتات الظباءِ في البيداءِ
قد خضبن البنان بالدم والبـ ... ـيض خضبن البنان بالحناءِ
أطلعت لي أسماء بدراً فخلنا ... بدر أسماءَ فاق بدر السماءِ
فأشارت بالطرف لا لا فقلنا ... زاوية اللحظ أكبر الآلاءِ
وزمان الوصال فصل ربيع ... وزمان الصدود فصل الشتاءِ
أو يئسنا لما ذللنا ولكن ... ما أذل الرجال مثل الرجاءِ
أعرضت والفؤاد مال إليها ... فصباحي من صدّها كمسائي
كم أذاب القلوب منا وكانت ... تشبه الصخر أعين الخنساءِ
قد نسيت الإحرام عنها وقلبي ... ليس ينسى يوماً طواف النساءِ
ونسيت طوساً ونجداً ومصراً ... وشآماً وقاعة الوعساءِ
وعراقاً وبصرة وقطيفا ... والمخا مع معاهد الإحساءِ
أيقظت كل مقلةٍ وأثارت ... كل وجه بمقلة نعساءِ
لو رأى الميت وجهها كاد يحيـ ... ـه فلا تسألوا عن الأحياءِ
حبذا غفلة الزمان الذي فا ... زت أسود فيها بصيد الظباءِ
وانقياد من الظباءِ إلى بذ ... ل الأماني منها بغير إباءِ
كم تعجبت من شبابي وشيبي ... أين ذاك الصباح من ذا المساءِ

لست أنسى عصر الصباحين أقبلـ ـن بدوراً في الأرض لا في السماءِ
فبلغن المنى ونحن بلغنا ها اغتناماً لغفلة الرقباءِ
وأضاءَ الجبين لي عند رشفي ظلم تلك الظلماء في الظلماءِ
تحفة الحسن ما لها مشبه تتها دى إلينا من أمنا حواءِ
غال حزني مسرتي وابتهاجي واصطلت مهجتي بنار الجفاءِ
لادكاري مصائبي وذنوبي مع ليالي اللقا ويوم اللقاءِ
كل ما يوجب المسرة والأفـ ـراح للناس موجب لبكائي
برحت بي شدائد قد أذاقتني طعم الحمام والبرحاءِ
يا إلهي وسيدي ورجائي فرّج الهم واستجب لي دعائي
سيدي أنت أنت غاية قصدي سيدي أنت أنت أقصى منائي
يا غياثاً للمستغيث أغثني جد وجدي جداً وطال عنائي
يا ملاذي يا ملجأي يا معيني يا مغيثي يا منقذي من بلائي
يا رجائي إذ لا يرام ولا يرْ جى ملاذ به يناط رجائي
بك أرجو كشف الشدائد عني وزوال البأساء والضرّاءِ
أنت يا سيدي غفور رحيم لا تكلني لرحمة الرحماءِ
بنبي فاق الخلائق فضلاً وعليّ وولده الأوصياءِ
مفزع الناس مرجع الخلق طراً منبع الفضل مجمع العلياءِ
بحر علم وطود حلم رزين معدن الجود منهل للظماءِ
إن تشكك في فضل مجد فاسـ ـأل جميع الأعداء والأولياءِ
يشهدوا كلهم فأكرم بفضل أثبتته شهادة الأعداءِ
حبذا حبذا وناهيك ناهيـ ـك بفخر وسؤدد وعلاءِ
مدحتهم أهل السماوات والأر ض وفي الأرض شاع بعد السماءِ
سل ثقات الرواة إن شئت أن تسـ ـمع عنهم غرائب الأنباءِ
ومجال المديح فيهم فسيح طال فيه تسابق الفصحاءِ
غير أن الأعداد تقصر عنه إن أرادوا ميلاً إلى الإحصاءِ
كلما قلت فيهم فهو صدق من جميل ومدحة غراءِ
فالأكاذيب في مديح علاهم غير مشهورة من الشعراءِ
بمديحي لهم تشاغل فكري لا بمدح الملوك والأمراءِ
ذكرهم عندنا يلذ ويحلو لا غناءٌ عن ظبية لا غناءِ

أنــا داع إلـيـهــم والــى الـلــ ـه بـهـم كـل مـن أجـاب دعــائـي
وجـزائـي شـفـاعـة مـنـهـم يـو م جـزائـي فـلـيـنـعـمـوا بـجـزائـي
وإبـائـي يـزداد عـنـد سـواهـم ولـدى عـزهـم يـزول إبـائـي

نماذج من نثره:

يلتزم الحر في نثره طريقة السجع، والمحسنات اللفظية التي كان القدماء يلتزمون بها، ونتيجة لهذه الطريقة التي التزمها في نثره جاء نثره ظاهر التكلف، معقداً في بعض الأحيان.

ولكن مع هذا لا يخلو نثره في معظم الأحيان من طلاوة في اللفظ، وطراوة في المعنى، ووقع حسن في النفس، يلتذ لسماعه الإنسان، ويود الاستمرار في القراءة إلى آخر الشوط...

يقول في مقدمة ديوانه:

«إني لما وقفت على مزية الشعر الواضحة والخفية، من رياضة الخواطر الأبية، وإثارة الهمم العلية، ومدح الفضائل والأفاضل، وذمّ الرذائل والأراذل، ورأيته يشجع الجبان، ويقوي الجنان، ويسخي البخيل، ويشفي الفكر العليل، ويفي بحسن ذوي الكمال، في وصف ما نالوه وأنالوه من الفضل والأفضال، ويقمع صولة الصائل بالباطل، ويردع الفاسق والجاهل، ويزيل الملال والكلال، ويغير بعض الطبائع والأحوال...».

ويقول فيها أيضاً:

«فنظمت قصائد كثيرة في مدح أهل البيت ﷺ، وغير ذلك من المقاصد التي اعتنى بها أرباب الألباب والافهام، عملاً بالأحاديث الكثيرة والأخبار المأثورة، والآثار المشهورة، في الحث على ذكرهم، وإيحاء أمرهم، وثواب ذكر فضلهم، وإنشاد الشعر وإنشائه في رثائهم ومدحهم...».

وقال في مقدمة كتابه إثبات الهداة:

«والذي دعاني إلى جمعه وتصنيفه، وصرف الفكر إلى تحريره وتأليفه، هو أني لم أظفر بكتاب شافٍ في هذا الباب، جامع لما يحرص على جمعه أولو الألباب، بل رأيتها مختفية في حيز الشتات، يحتاج من أراد الاطلاع عليها إلى صرف كثير من الأوقات، وإن كان مجموع الكتب المؤلفة في هذا الباب، نافية للشك والارتياب،... غير أن أكثر الناس قد غلب عليهم الوسواس، وصرفوا الهم والهمة، إلى غير علوم أهل العصمة، المنزهة عن كل زلة ووصمة...».

ويقول فيها أيضاً:

«ومن نظر في هذا الكتاب، وكان من أولي الألباب، وتأمل فيه، وظهر له بعض خوافيه، علم أنه لا ثاني له في فنه، ولا نظير له في حسنه، قد تردّى برداء الحق واليقين من برود الكتاب والسُّنّة، وخلع على من طالعه أنفس الخلع من سندس الجنة، فإن جميع أخبارهم ﷺ رياض قد أشرقت في أرجائها أنوار الأزهار، وحياز بل جنات تجري من تحتها الأنهار».

«وهذان النوعان منها ـ أعني النصوص والمعجزات ـ هما لطالب الحق المقصود بالذات، فهما أحسن ما أفْرَغته أفواه المحابر في قوالب الطروس، وأزين ما صاغته يد الأقلام، للتزين بحلية من الأفهام، محاسن كل عروس».

ويقول فيها أيضاً:

«فيا ذوي العقول والبصائر، ألا يفكر أحدكم فيما إليه صائر، إذا نزل به الموت ودفن تحت التراب، وحضر يوم القيامة موقف الحساب،هل ينفعه العناد والخروج عن الإنصاف، أو يدفع عنه التعصب للآباء والأسلاف، أو لا يذكر أنه نهي عن التقليد بنص القرآن، وقد أمر فيه بالإتيان بالبرهان. وأي حجة أقوى عند ذوي الفهم، من إقرار العدو واعتراف الخصم، والفضل ما شهدت به الأعداء، وهل تثبت نبوة أحد من الأنبياء، أو وصية أحد من الأوصياء، بدليل أقوى مما تضمنه هذا الكتاب، أو حجة أوضح منه عند ذوي الألباب، وهل يقدر مخالف الإمامية أن يدعي لغير أئمتنا نصاً أو إعجازاً، أو يروم إثبات حقيقة فيجد إليهما مجازاً...».

وقال في مقدمة كتابه وسائل الشيعة:

«لا شك أن العلم أشرف الصفات وأفضلها، وأعظمها مزية وأكملها، إذ هو الهادي من ظلمات الجهالة، المنقذ من لجج الضلالة، الذي توضع لطالبه أجنحة الملائكة الأبرار، ويستغفر له الطير في الهواء، والحيتان في البحار، ويفضل نوم حامله على عبادة العباد، ومداده على دماء الشهداء يوم المعاد. ولا ريب أن علم الحديث أشرف العلوم وأوثقها عند التحقيق بل منه يستفيد أكثرها بل كلها صاحب النظر الدقيق، فهو يبذل العمر النفيس فيه حقيق، وكيف لا وهو مأخوذ عن المخصوصين بوجوب الاتباع الجامعين لفنون العلم بالنص والإجماع، المعصومين عن الخطأ والخطل، المتنزهين عن الخلل والزلل، فطوبى لمن صرف فيه نفيس الأوقات، وأنفق في تحصيله بواقي الأيام والساعات، وطوى لأجله وثير مهاده، ووجّه إليه وجه

سعيه وجهاده، ونأى عما سواه بجانبه، وكان عليه اعتماده في جميع مطالبه، وجعله عماد قصره ونظام أمره، وبذل في طلبه وتحقيقه جميع عمره، فتنزه قلبه في بديع رياضة، وارتوى صداه من غير حياضة، واستمسك في دينه بأوثق الأسباب، واعتصم بأقوال المعصومين عن الخطأ والارتياب».

مكانته الاجتماعية والعلمية:

يبدو مما كتبه أرباب معاجم التراجم أن الشيخ الحر كان يتمتع بشهرة كبيرة في الأوساط العلمية والاجتماعية، وكان له مكانة مرموقة أينما حلّ ونزل، وكان موضع احترام كافة الطبقات في البيئات المختلفة، وكان الناس ينظرون إليه بعين الإكبار والتجليل، وهو ذو شخصية لامعة عند المؤالف والمخالف، لم يذكره أحد من المترجمين له إلا ويستصحب ذكره عبارات رقيقة تدل على عظمته وسمو مكانته في نفس الكاتب.

فقد أعطى منصب التدريس في الحضرة الشريفة في القبة الكبيرة الشرقية مكان السيد حسين بن محمد بن أبي الحسن الموسوي العاملي[1] وهو مكان كان يختص بأكبر بالمدرّسين في مشهد الإمام الرضا عليه السلام والمقدّم على علماء خراسان ـ كما سبق ذلك.

بل كان مجلس درسه غاصاً بالعلماء والفضلاء يؤمه طلاب الثقافة من سائر الأقطار كما يظهر من حديث مؤلف كتاب روح الجنان الشيخ محمد الجزائري حيث رأى أن له حلقة عظيمة للتدريس في كتاب وسائل الشيعة، وقد حضر درسه مدة بقائه في مشهد الإمام الرضا عليه السلام[2].

وهو في أصفهان يذهب إلى مجلس الشاه سليمان الصفوي ويجلس على ناحية من مسند الشاه ويجيب الشاه، جواباً جريئاً للغاية[3].

وهو قد مَنَّ على المسلمين بتأليف كتابه وسائل الشيعة الذي هو كالبحر لا يساحل[4].

وهو من جملة متعيني الشيعة في مكة حينما أثيرت فتنة الأتراك سنة ١٠٨٨هـ وقتلوا

(١) **أمل الآمل**، ٧٩/١.
(٢) **أعيان الشيعة**، ٦٤/٤٤.
(٣) **روضات الجنات**، ص ٦٤٦.
(٤) **الكنى والألقاب**، ١٥٨/١.

على أثرها جماعة من أكابر الشيعة هناك ووقع التفتيش على بعض المتعينين منهم(١).

وأعطي في مشهد الرضا عليه السلام منصب القضاء ومشيخة الإسلام(٢).

هذا كله يختص بمكانة الحرّ العلمية والاجتماعية في أيام حياته، أما بعد وفاته فله المكانة الكبرى عند العلماء الأعلام وسائر الطبقات المثقفة بما خلف وراءه من المؤلفات والكتب الضخمة التي تجعله من الخالدين في التاريخ الإسلامي المشرق.

أسفاره:

كان مولد المؤلف ومسقط رأسه قرية مشغرة من قرى جبل عامل كما أسلفنا ثم انتقل إلى جبع وفيها قضى أيام صباه وشبابه يحضر على والده المقدس وسائر أقاربه للارتواء من مناهلهم الروية، ثم أخذ يتجول في أرض الله للاستزادة من العلوم والأخذ من سائر الشيوخ، وزيارة المشاهد المشرفة والمراقد المقدسة:

وكان أول سفراته إلى زيارة بيت الله الحرام والحج في سنة ١٠٥٧هـ بصحبة الشيخ علي بن سودون العاملي(٣)..

وحجّ للمرة الثانية ١٠٦٢هـ(٤).

وزار أئمة العراق عليهم السلام(٥) قبل انتقاله إلى مشهد الرضا عليه السلام ومجاورته هناك ولكننا لا نعرف بالضبط تاريخ رحلته إلى العراق.

ثم رحل بعد زيارة أئمة العراق عليهم السلام إلى مشهد الرضا بطوس زائراً وبقي هناك مجاوراً سنة ١٠٧٣هـ(٦) ولا يبعد أن يكون بقاؤه هناك بسبب طلب أهالي خراسان من العلماء وغيرهم.

وسافر إلى أصفهان في سنة ١٠٨٥هـ وأجاز هناك الشيخ المجلسي إجازة رواية وأجازه المجلسي أيضاً إجازة رواية(٧).

---

(١) **خلاصة الأثر**، ٣٣٤/٣.

(٢) **الفوائد الرضوية**، ص ٤٧٦.

(٣) **أمل الآمل**، ١٢٠/١.

(٤) المصدر السابق، ٢٦/١ و٨١.

(٥) المصدر السابق، ١٢٤/١.

(٦) **أعيان الشيعة**، ٥٢/٤٤.

(٧) **سجع البلابل**، ص (يا).

ومن طريف ما ينقل عن الشيخ الحر عندما كان في أصفهان القصة الثانية التي يذكرها السيد الخونساري في روضات الجنات قال:

«ومن جملة ما حكي أيضاً من قوة نفس صاحب الترجمة عليه الرحمة أنه ذهب في بعض زمن إقامته بأصفهان إلى عالي مجلس سلطان ذلك الزمان الشاه سليمان الصفوي الموسوي أنار الله برهانه، فدخل على تلك الحضرة المجلة من قبل أن تحصل له رخصة في ذلك وجلس على ناحية من المسند الذي كان السلطان متكئاً عليه، فلما رأى السلطان منه هذه الجسارة وعرف بعد ما استعرف أنه شيخ جليل من علماء العرب يدعى محمد بن الحسن الحر العاملي الحر التفت إليه وقال له بالفارسية: شيخنا فرق ميان حروخر جقدر است؟ فقال له الشيخ بديهة ومن غير تأمل: يك مسند، يك مسند»(١).

وحج الحر حجته الثالثة سنة ١٠٨٧هـ وكان في هذه الحجة ماشياً من وقت الإحرام إلى أن فرغ، وحجّ معه جماعة مشاة نحو سبعين رجلاً.

وينقل المحدث القمي من خط يد المؤلف رؤيا في هذه الحجة نرى من الواجب إيرادها بنصها الحرفي حيث قال:

«فرأيت ليلة في المنام أن رجلاً سألني عن مشي الحسن عليه السلام والمحامل تساق بين يديه، ما وجهه مع أن فيه اتلافاً للمال لغير نفع وهو إسراف؟ فأجبته في النوم بأن في ذلك حكماً كثيرة منها: أن لا يكون المشي لتقليل النفقة، ومنها أن لا يظن به ذلك، ومنها بيان استحبابه، ومنها إنفاق المال في سبيل الله، ومنها سد خلل عرفات بها كما روي، ومنها احتمال الاحتياج للعجز عن المشي، ومنها أن يطيب الخاطر وتطمئن النفس بذلك فلا تحصل المشقة الشديدة في المشي، وهذا مجرب يشير إليه قول عليّ عليه السلام: (من وثق بماء لم يظمأ) ومنها الركوب في الرجوع، ومنها معونة العاجزين عن المشي، ومنها احتمال وجود قطّاع الطريق، والاحتياط إلى الركوب والحرب، ومنها حضور تلك الرواحل بمكة والمشاعر للتبرّك، ومنها إظهار حسبه وشرفه وجلاله، وفيه حكم كثيرة ومنها إظهار وفور نعم الله عليه ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ إلى غير ذلك فهذه أربعة عشر وجهاً في توجيه ذلك ويحتمل كونها كلها، أو أكثرها مقصودة له عليه السلام، هذا الذي بقي في خاطري مما أجبته ولما انتبهت كتبته»(٢).

وفي هذه الحجة شاهد الحر تلك المجزرة الدامية، والفجيعة العظمى، والفتنة الكبرى،

---

(١) **روضات الجنات**، ص ٦٤٦.

(٢) **سفينة البحار**، ٢١٣/١.

التي أثيرت على الشيعة في تلك البقعة المباركة، والتي كان من جرائها مقتلة كبيرة ذهب ضحيتها جماعة من العلماء وذرية الرسول ﷺ.

وإليك القصة كما أثبتها المحبي في ترجمة الحر في كتابه خلاصة الأثر قال:

(قدم مكة - أي الشيخ الحر العاملي - في سنة سبع أو ثمان وثمانين وألف، وفي الثانية منهما قتلت الأتراك بمكة جماعة من العجم لما اتهموهم بتلويث البيت الشريف بالأقذار، وكان صاحب الترجمة قد أنذرهم قبل الواقعة بيومين وأمرهم بلزوم بيوتهم، لمعرفته على ما زعموا بالرمل، فلما حصلت المقتلة فيهم، خاف على نفسه فالتجأ إلى السيد موسى بن سليمان أحد أشراف مكة الحسنين، وسأله أن يخرجه من مكة إلى نواحي اليمن فأخرجه مع أحد رجاله إليها. قلت: وهذه القصة التي قد ذكروها أفضح فضيحة وما أظن أن أحداً ممن فيه شمة من الإسلام، بل فيه شمة من العقل يجترىء على مثلها، وحاصلها: إن بعض سدنة البيت شرفه الله تعالى اطلع على التلويث، فأشاع الخبر وكثر اللغط بسبب ذلك، واجتمع خاصة أهل مكة وشريفها الشريف بركات، وقاضيها محمد ميرزا، وتداولوا الأمر، فانقدح في خواطرهم أن يكون هذا التجري من الرافضة، وجزموا به وأشاروا فيما بينهم أن يقتل كل من وجد ممن اشتهر عنه الرفض ووسم به، فجاء الأتراك وبعض أهل مكة إلى الحرم فصادفوا خمسة أنفار من القوم وفيهم السيد محمد مؤمن، وكان كما أخبرت به رجلاً مسناً متعبداً متزهداً، إلا أنه معروف بالتشيع، فقتلوه وقتلوا الأربعة الآخرين، وسرعان ما انتشر الخبر، فاختفى القوم المعروفون بأجمعهم، ووقع التفتيش على بعض المتعينين منهم، ومنهم صاحب الترجمة، فالتجأوا إلى الأشراف ونجووا. ورأيت بخط بعض الفضلاء أن صاحب الترجمة رجع بعد هذه المجزرة إلى العجم)[1].

أقول: كيف حصل لهم العلم بأن الشيعة هم الذين قاموا بتلويث البيت الشريف؟ ومن أين عرفوا أن هذا التجري كان من الرافضة وجزموا به؟ وهل هذا إلا التعصب الأعمى وحمل الأحقاد تجاه الشيعة؟ وهل يجوز إراقة الدماء البريئة في بيت الله الحرام بلا جرم ثابت أو دليل شرعي؟ تلك شنشنة أعرفها من أخزم).

وحج الحر أيضاً حجة رابعة، ولكننا لا نعلم تاريخها.

(١) خلاصة الأثر، ٣/٣٣٤.

كما أنه زار أيضاً أئمة العراق مرتين في مدة إقامته بخراسان[1]، ولم نقف على تاريخ هذه الزيارات بالضبط.

وسافر أيضاً إلى شيراز في نيف وتسعين وألف كما يظهر مما كتبه الشيخ محمد الجزائري في كتابه روح الجنان[2].

أختامه:

تختلف نصوص أختام الحر، وفي أكثرها نكات لطيفة مقصودة من قبله.

قال العلامة السيد شهاب الدين المرعشي: وأكثر ما رأيت من كتاباته صك خاتمة ونقشه هكذا (عبد أمام الزمن محمد بن الحسن)، ولا يخفى ما في هذا التعبير من اللطافة حسب قراءة (محمد)، مرفوعاً أو مجروراً، ورأيت في بعض المجامع نقش خاتمه هكذا «محمد ابن الحسن آل الحر»[3].

وأما خاتمه الموجود على نسخه ديوانه المحفوظة في مكتبة آية الله الحكيم العامة في النجف الأشرف فهو (العبد الحر).

مولده ووفاته:

كان مولده ـ رحمه الله تعالى ـ في قرية مشغرة ليلة الجمعة ثامن شهر رجب سنة ثلاث وثلاثين وألف[4].

وتوفي في اليوم الحادي والعشرين من شهر رمضان المبارك سنة ١١٠٤هـ وصلى عليه أخوه العلامة الشيخ أحمد صاحب الدر المسلوك تحت القبة جنب المنبر، واقتدى به الألوف من الناس، ودفن في إيوان حجرة من حجرات الصحن الشريف ملاصقة بمدرسة المرحوم الميرزا جعفر، وهو اليوم مشهور ويُزار، وعليه ضريح صغير من الصفر، يقصده المؤمنون بقراءة القرآن والفاتحة والتبرك به.

---

(١) **أعيان الشيعة**، ٦٤/٤٤.

(٢) **أمل الآمل**، ١٤٢/١.

(٣) **سجع البلابل**، ص (كا).

(٤) **أمل الآمل**، ١٤٤/١.

ورثاه وأرّخ وفاته أحد الشعراء بقوله:

في ليلة القدر الوسطى وكان بها ... وفاة حيدرة الكرار ذي الغير
يا من له جنة المأوى غدت منزلاً ... أرقد هناك فقلبي منك في سعر
طويت عنا بساط العلم معتلياً ... فاهنأ بمقعد صدق عند مقتدر
تاريخ رحلته عاماً فجعت به ... وأسرى لنعمة باريه على قدر(١)

ونقل الزركلي أن المحبي ذكر تاريخ وفاته سنة ١٠٧٩ بعد أن ذكر قدومه إلى مكة سنة ١٠٨٧، وأرّخ بروكلمان وفاته سنة ١٠٧٣، ثم صححها سنة ١٠٩٩(٢).

أمل الآمل

من قواميس التراجم التي احتلت مكاناً مرموقاً عند العلماء واشتهرت من يوم تأليفها اشتهاراً واسعاً هذا الكتاب أخرجه وحققه السيد أحمد الحسيني بحلة جديدة ننقل عنه قوله:

ولست بمبالغ إذا قلت: إن هذا الكتاب هو أوسع كتب التراجم الشيعية انتشاراً، إذ كان الإقبال عليه منقطع النظير وأصبح موضع تقدير كبار المؤلفين في التراجم من حين تأليفه، فكتبوا عليه شروحهم واستدراكاتهم وملاحظاتهم العلمية حتى أضحت هذه الشروح والاستدراكات والملاحظات تشكل قائمة طويلة نذكر طرفاً منها فيما بعد.

وقد خدم الحر العاملي خدمة جليلة بتأليفه هذا السفر القيم القائمين بالتأليف في التراجم في العصور المتأخرة، أنه حفظ أسماء كادت أن تنسى، وأثبت تراجم عديدة مفصلة ومختصرة من العامليين وغيرهم كدنا أن نفقدها لولا هذا الكتاب.

ولو أن كل شخص من العلماء كان يقوم بتأليف كتاب شبيه بكتاب أمل الآمل في جمع أسماء شخصيات قطر خاص لكان عندنا الآن ثروة لا يستهان بها من التراجم والآثار القيّمة وأسماء اللامعين ممن مضوا مع التاريخ ونسيت أسماؤهم واندرست آثارهم.

سبب تأليف الكتاب:

يقول المؤلف في الفائدة التاسعة من خاتمة كتابه هذا:

---

(١) **الفوائد الرضوية**، ص ٤٧٦ و**سجع البلابل**، ص (كا - كب).
(٢) **الأعلام**، للزركلي، ٦/٣٢١.

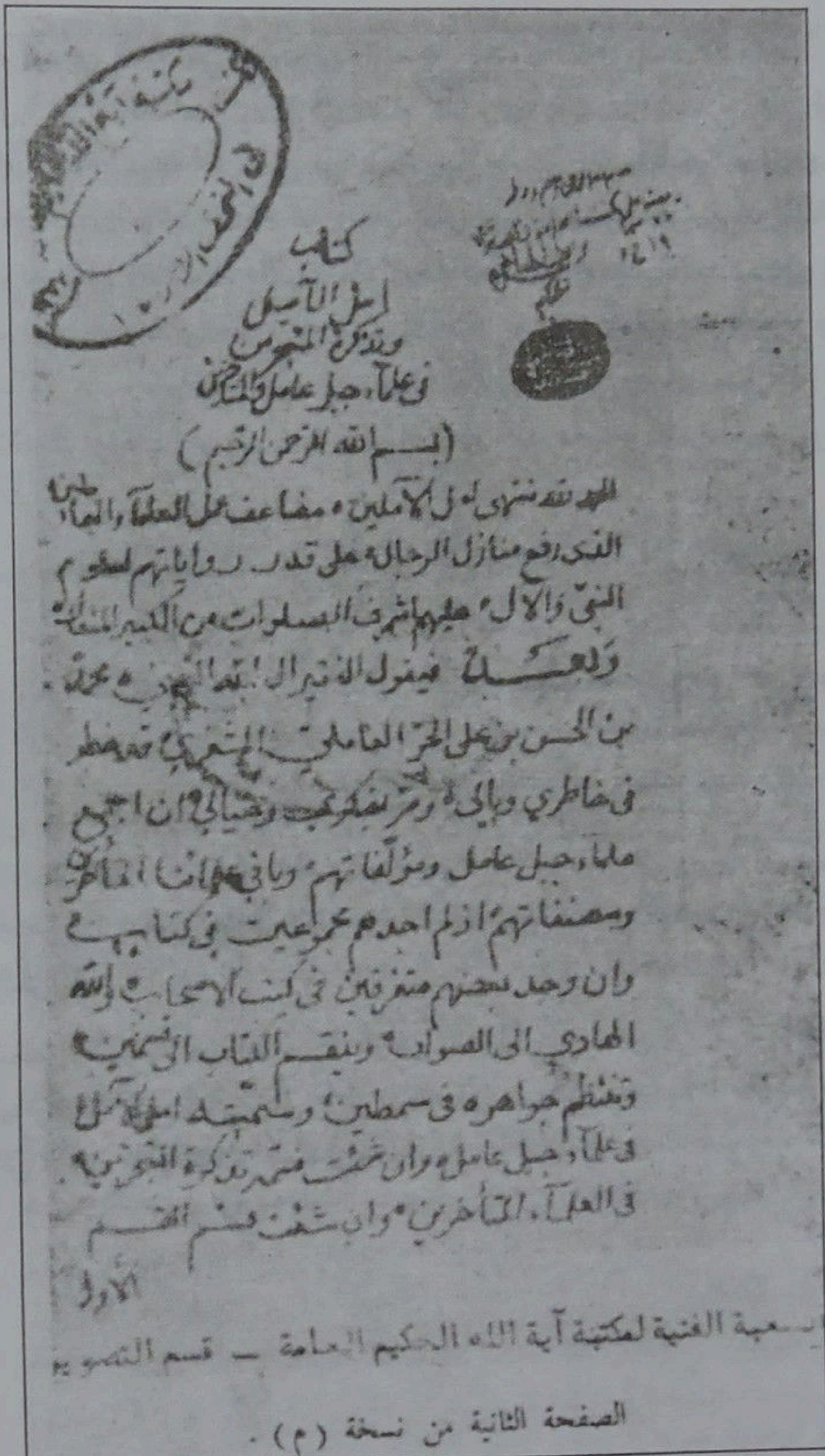
«اعلم أني في السنة التي قدمت فيها المشهد الرضوي ـ وهي سنة ١٠٧٣هـ ـ وعزمت على المجاورة به، والإقامة فيه، رأيت في المنام كأن رجلاً عليه آثار الصلاح يقول لي: لأي شيء لا تؤلف كتاباً تسميه أمل الآمل في علماء جبل عامل؟ فقلت له: إني لا أعرفهم كلهم ولا أعرف مؤلفاتهم وأحوالهم كلها. فقال: إنك تقدر على تتبعها واستخراجها من أماكنها، ثم انتبهت وتعجبت من هذا المنام وفكرت في أن هذا بعيد من وساوس الشيطان ومن تخيلات النفس، ولم يكن خطر ببالي هذا الفكر من قبل أصلاً، فلم ألتفت إلى هذا المنام، فإنه ليس بحجة شرعاً ولا هو مرجح لفعل شيء أو تركه، فلم أعمل به مدة عشرين سنة لعدم الاهتمام بالمنام وللاشتغال بأشغال أخر. ثم خطر ببالي أن أفعل ذلك لأسباب كثيرة أشرت إلى بعضها في المقدمات».

ويقول المؤلف في الأسباب التي دعته إلى جمع وتأليف الكتاب في مقدمته:

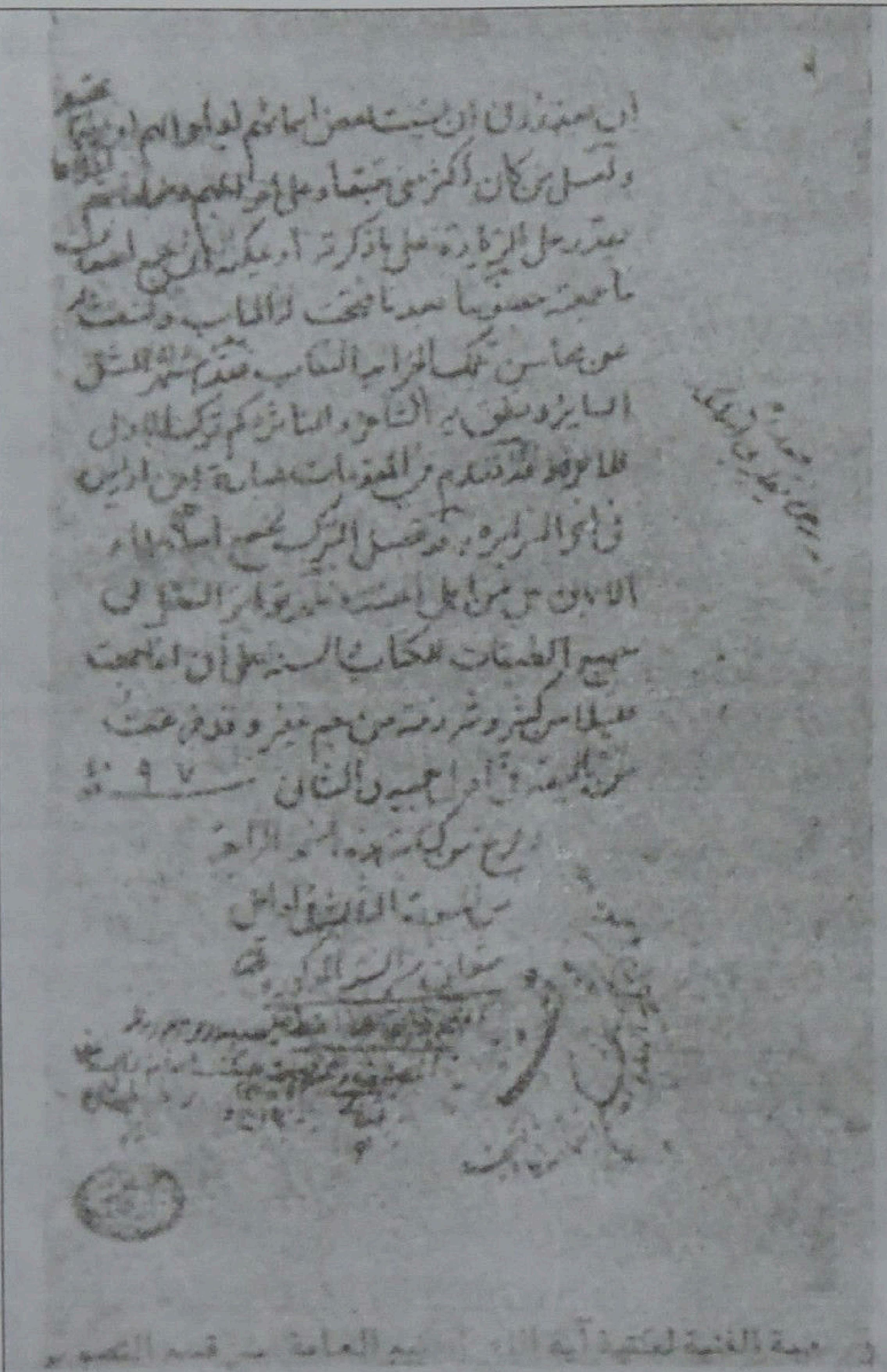
«قد خطر في خاطري وبالي، ومرّ بفكري وخيالي، أن أجمع علماء جبل عامل ومؤلفاتهم، وباقي علمائنا المتأخرين ومصنفاتهم، إذ لم أجدهم مجموعين في كتاب وإن وجد بعضهم في كتب الأصحاب».

ويأتي بعد معرفة السبب في تأليف الكتاب دور السؤال عن السبب الذي حدا الحر إلى تقديم علماء جبل عامل على سائر العلماء المتأخرين عن الشيخ الطوسي وذكر كل من الصنفين في قسم خاص به؟ فيضع المؤلف فائدة من فوائد المقدمة ـ وهي الفائدة السابعة ـ للإجابة على هذا السؤال:

وملخص الأسباب هو: قضاء حق الوطن ودخول جبل عامل في الأرض المقدسة، أو الاتصال بها وأقدمية تشيع أهالي جبل عامل بالنسبة إلى غيرهم وكونها بلاداً مباركة، وكثرة من دفن فيها من الأنبياء والأوصياء والعلماء والصلحاء.



مقدمة كتاب أمل الآمل بخط الحر العاملي



الصفحة الأخيرة من نسخة (م)

تابع مقدمة كتاب أمل الآمل بخط الحر العاملي مع ختمه وتوقيعه

تقسيم الكتاب:

قسّم شيخنا الحر هذا الكتاب إلى قسمين هما:

القسم الأول - يختص بتراجم علماء جبل عامل وأسماه بـ «**أمل الآمل في علماء جبل عامل**» وفيه ما يربو على مائتي ترجمة، وقد حاول المؤلف أن يجمع كل التراجم المختصة بعلماء جبل عامل، حتى الذين لم يقطنوا في جبل عامل بل كانوا ينسبون إليه فقط، أو الذين ليسوا من جبل عامل وإنما قطنوا فيه مدة من الزمن، بل أدخل في جبل عامل قرى وأماكن تعد خارجة من هذا القطر ولكنها مجاورة له.

ومما يستحسن من المؤلف أنه توسع في هذا القسم في كتابة التراجم فذكر المواليد والوفيات ونبذاً من الأشعار والمؤلفات وغيرها مما يختص بحياة المترجم له.

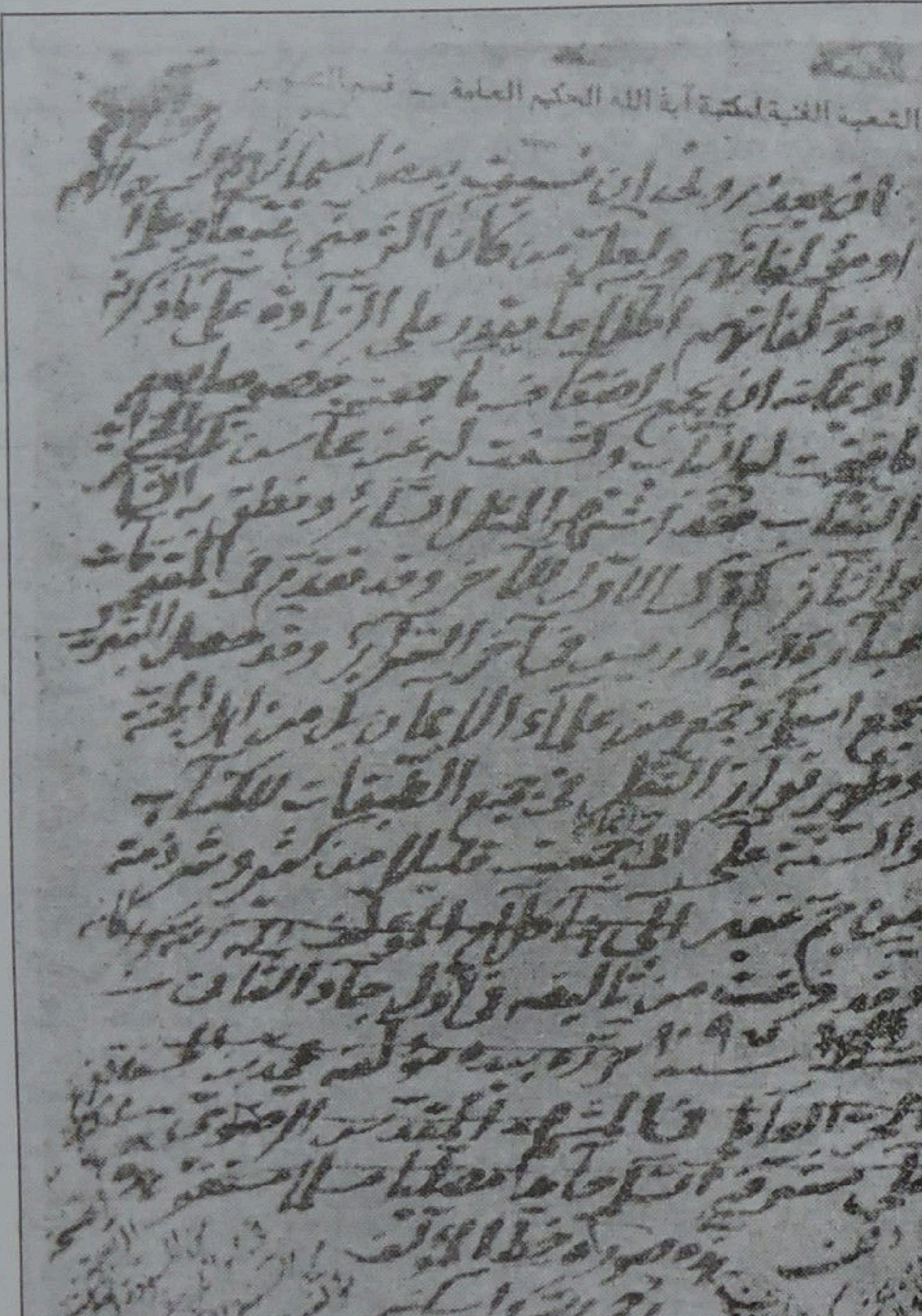
وقدّم للكتاب مقدمة طويلة فيها اثنتا عشرة فائدة، ذكر فيها: مكان الرواية والمحدثين وجواز الخوض في أحوال الرجال، وكيفية معرفة العدالة والتنديد بمن يرى لنفسه الفضل عندما يستدرك شيئاً على من سبقه وتفضيل المتقدمين على المتأخرين وبالعكس، ووجّه الاهتمام بجميع العلماء المتأخرين عن الشيخ الطوسي ووجّه تقدم علماء جبل عامل على غيرهم من العلماء وكثرة التتبع في أحوال العلماء المتأخرين، ووجوب العمل بأخبار الثقاة وأحاديث كتب الإمامية المعتمدة والمصادر التي ينقل عنها المؤلف وأن الشعر والفصاحة من مزايا العلماء، وأنه يروي عن أكثر معاصريه وهم يروون عنه.

القسم الثاني - ويذكر فيه العلماء المتأخرين عن الشيخ الطوسي وبعض المعاصرين له ومن قارب زمانه غير علماء جبل عامل حيث ذكرهم في القسم الأول وسمى هذا القسم (تذكرة المتبحرين في العلماء المتأخرين).

وفي هذا القسم ما يقارب الألف ترجمة ولكنه فات الحر أيضاً ذكر بعض التراجم فيه، وقد اعتذر عن عدم ذكر البعض بأنه أراد ذكر المهمّين فقط، فقال: «**واقتصرت على المعاصرين للشيخ والمقاربين لزمانه، ولم أذكرهم كلهم لأن الغرض الأهم ذكر المتأخرين عنه إلا في أهل جبل عامل**[1]».

---

(١) **أمل الآمل**، ١/٩١.



الصفحة الأخيرة من نسخة (ج)

صفحة مخطوطة من كتاب أمل الآمل للحر العاملي وفي الهامش نموذج من خطه

وتختلف طريقة المؤلف في كتابة التراجم في القسم الثاني عن طريقته في القسم الأول، إذ كان يهتم بالتوسيع في الترجمة وذكر النقاط الهامة في القسم الأول، وبالعكس في هذا القسم ذكر بعض التراجم بصورة مختصرة جداً حتى لا تتجاوز الترجمة عن سطرين أو ثلاثة أسطر، وأهمل كثيراً تاريخ الميلاد والوفاة، والنقاط الهامة التي كان من اللازم ذكرها مع وجودها في نفس المصدر الذي ينقل عنه.

ما ألف حول الكتاب:

لقد سبق ونوّهنا بأن هذا الكتاب نال إعجاب وتقدير المؤلفين في التراجم وأصبح مرجعاً هاماً يرجع إليه أرباب القواميس الرجالية من يوم تأليفه حتى الآن، وهذا الإقبال الشديد سبب كتابة كثير من التتمات والحواشي والتعليقات عليه، وكتب أناس بعض الانتقادات الواردة فيه.

نكتفي فيما يلي بذكر ما أثبته العلامة الحجّة الشيخ آقا بزرك الطهراني في كتابه (مصفى المقال في مصنفي علم الرجال).

١ - (تتميم أمل الآمل) للسيد الأمير إبراهيم التبريزي القزويني الحسيني المتوفى سنة ١١٤٩هـ[١].

٢ - (حواشي أمل الآمل) له أيضاً[٢].

٣ - (منتخب أمل الآمل) للشيخ محمد إبراهيم التبريزي الشيرازي من علماء القرن الرابع. انتخب كتابه هذا من مشهد الرضا عليه السلام سنة ١٢٩٩هـ[٣].

٤ - (التعليقة على أمل الآمل) للمولى محمد باقر المجلسي صاحب بحار الأنوار المتوفى سنة ١١١٠ أو ١١١١هـ[٤].

٥ - (منتخب أمل الآمل) للسيد حسن الصدر المتوفى ليلة الخميس ١١ ربيع الأول سنة ١٣٥٤هـ[٥].

---

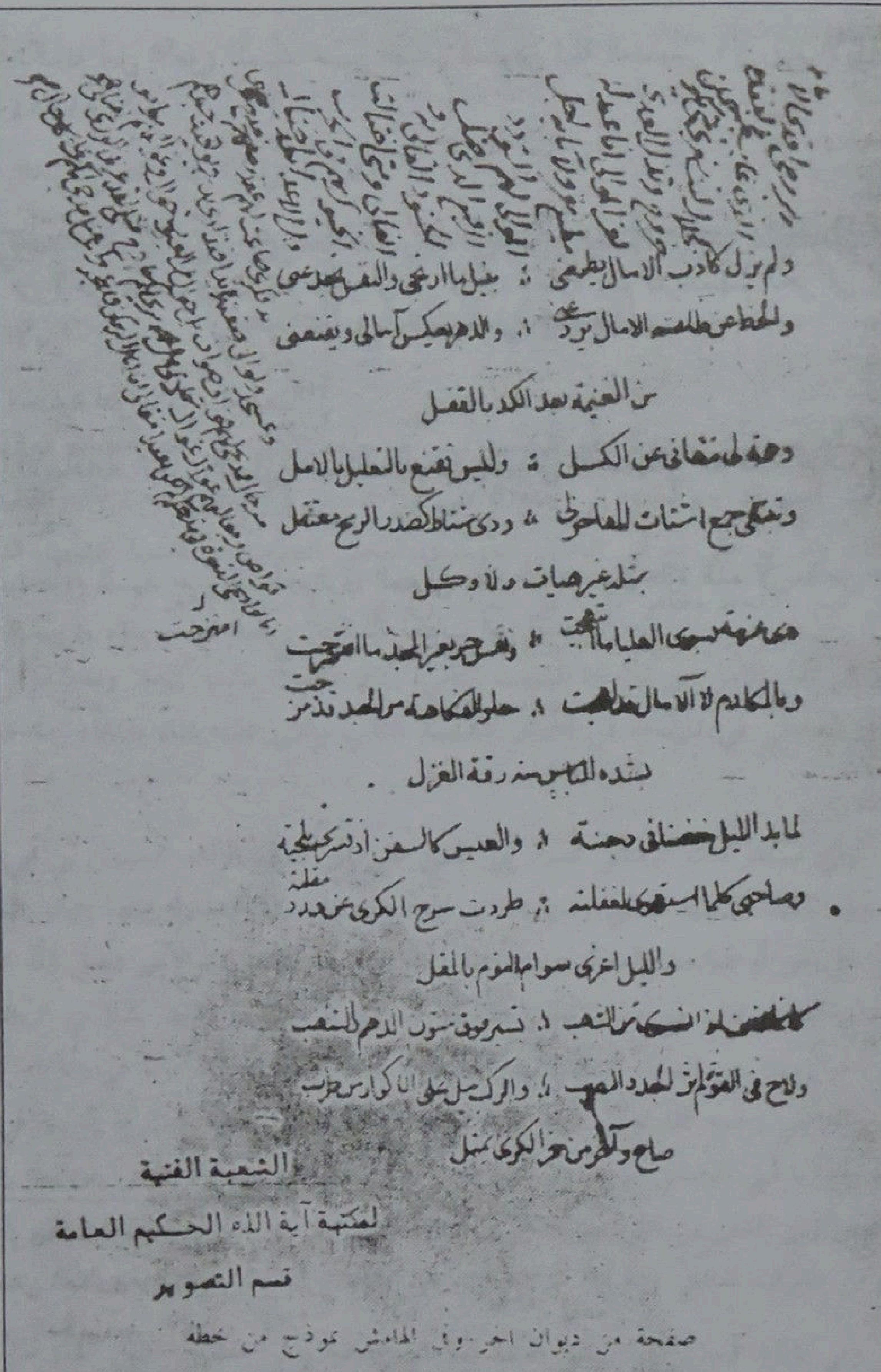
(١) **مصفى المقال**، ص ٧.

(٢) **مصفى المقال**، ص ٧.

(٣) **مصفى المقال**، ص ١١.

(٤) **مصفى المقال**، ص ٩٣.

(٥) نفس المصدر، ص ٩٨.


الشعبة الفنية
لمكتبة آية الله الحكيم العامة
قسم التصوير
صفحة من ديوان الحر وفي الهامش نموذج من خطه

صفحة من ديوان الحر وفي الهامش نموذج من خطه

٦ - (تكملة أمل الآمل) للسيد حسن الصدر المتوفى ليلة الخميس ١١ ربيع الأول سنة ١٣٥٤هـ[١].

٧ - (الحواشي على أمل الآمل) له أيضاً[٢].

٨ - (تتميم أمل الآمل) للسيد عبد العالي الطباطبائي الحائري أدرج فيه من ذكر في جامع الرواة من معاصري الشيخ الحر أو من قارب عصره ولم يترجمهم الحر في كتابه الآمل[٣].

٩ - (حاشية أمل الآمل) له أيضاً[٤].

١٠ - (اشتباهات الآمل) للميرزا عبد الله أفندي الجيراني الأصفهاني صاحب كتاب رياض العلماء[٥].

١١ - (إجازة) للسيد عبد الله الجزائري المتوفى سنة ١١٧٣ والإجازة هذه لأربعة من علماء الحويزة، وقد جعلها المجيز كتكملة لكتاب أمل الآمل[٦].

---

(١) نفس المصدر، ص ١٢١.

(٢) **مصفى المقال**، ص ١٣١.

(٣) نفس المصدر، ص ٢٣٢.

(٤) نفس المصدر والصفحة.

(٥) نفس المصدر، ص ٢٤٠.

(٦) نفس المصدر، ص ٢٤٦.

السيد نور الدين علي بن الحسين بن أبي الحسن الموسوي العاملي الجبعي

والد صاحب المدارك وأبو الحسن ليس هو جده الأدنى بل أحد أجداده العالية ولكن أصحاب كتب التراجم نسبوه إلى جده الأعلى أبي الحسن وكذا غيره من أولاده فاقتفينا أثرهم في ذلك ومرّ أن علي بن أبي الحسن الموسوي العاملي الجبعي من تلاميذ الشهيد الثاني وأن البعض جزم بالاتحاد وظاهر أمل الآمل التعدد. ولد في جبع سنة ٩٣١هـ.

في أمل الآمل من تلامذة الشهيد الثاني، كان فاضلاً عالماً كاملاً ومحققاً ذكره ابن العودي العاملي في تاريخه في أحوال الشهيد الثاني وأثنى عليه ثناءً بليغاً، ومدحه مدحاً عظيماً[١].

وفي مستدركات الوسائل السيد نور الدين علي ابن السيد الزاهد الحسين بن أبي الحسن الموسوي تلميذ الشهيد الثاني وصهره على ابنته والد صاحب المدارك منها ووالد السيد نور الدين علي من أم صاحب المعالم يروي عنه ولده صاحب المدارك والأمير فضل الله النقريشي والمحقق الداماد قال: في مسند بعض الأخبار المروية عن الأئمة عليهم السلام كما في الرياض ومن طريق آخر رويته عن السيد الثقة الثبت المركون إليه في فقهه، المأمون في حديثه علي بن الحسن العاملي رحمه الله تعالى قراءةً وسماعاً سنة ٩٨٨ من الهجرة المباركة النبوية في مشهد سيدنا ومولانا أبي الحسن الرضا صلوات الله وتسليماته عليه بسناباد طوس عن زين أصحابنا المتأخرين زين الدين بن علي بن أحمد بن محمد بن علي بن جمال الدين بن تقي الدين بن صالح بن مشرف العاملي رفع الله درجته في أعلى مقامات الشهداء والصديقين.

وفي لؤلؤة البحرين: كان من أعيان العلماء والفضلاء في عصره، جليل القدر من تلامذة

(١) **أعيان الشيعة**، ج٤١، ص ١٢٣.

شيخنا الشهيد الثاني تزوج ابنته في حياته فولد له منها ولده السيد محمد صاحب المدارك ثم تزوج بعد موته والدة الشيخ حسن فأولدها السيد نور الدين علي.

وفي بغية الراغبين أمه بنت الشيخ شمس الدين محمد بن مكي العاملي الشامي أحد شيوخ الشهيد الثاني قرأ أولاً على أبيه ثم لازم الشهيد الثاني وكانت شقيقته زوجة الشهيد الثاني، وتزوج كريمة الشهيد من زوجته الثانية فولد له منها صاحب المدارك، وتزوج بعد وفاة الشهيد زوجته الثالثة أم صاحب المعالم وفي سنة ٩٥٢هـ حج البيت الحرام وزار المدينة الطيبة وفي سنة ٩٨٨هـ تشرّف بزيارة الرضا عليه السلام إلى أن قال: واستجازه الشيخ محمد بن فخر الدين الأردكاني فأجازه، وكتب له الإجازة بخطه على نسخة من مصباح المتهجد تاريخها سنة ٩٩٩هـ يروي عنه تلميذه صاحب المعالم وولده صاحب المدارك، وذكره الشيخ علي الحفيد في الدر المنثور في أحوال جدي الشهيد الثاني فقال: ومنهم أي من تلاميذه السيد الإمام العلامة خلاصة السادة الأبرار، وعين العلماء الأخيار، وسلالة الأئمة الأطهار، السيد العالم الفاضل الكامل ذو المجدين علي بن الإمام السيد السند أوحد الفضلاء وزبدة الأتقياء السيد المرحوم المبرور عز الدين بن الحسن بمفرده وزوجه ابنته رغبة فيه وجعله من خواص ملازميه، قرأ عليه جملة من العلوم الفقهية والعقلية والأدبية وغيرها وأجازه إجازة عامة، ويروي عنه جماعات من أهل عصره.

السيد حيدر الموسوي الجبعي

هو السيد حيدر بن السيد نور الدين علي بن علي بن أبي الحسن الموسوي العاملي الجبعي (ابن أخي صاحب المدارك).

عن أمل الآمل أنه عالم فاضل فقيه صالح جليل القدر سكن أصفهان.

وفي كتاب بغية الراغبين، يروي عن أبيه وعن جدّه لأمه الشيخ نجيب الدين، في كتابه المسمى الكشكول فيقول: رأيت جدنا السيد محمد شرف الدين الكبير ينقل عنه في مجموعة له هي بخطه[1].

ومما نقل عنه حكايا عن دغفل بن حنظلة النسابة السدوسي الشيباني. ورأيت شيخنا المتتبع ميرزا حسين النوري ينقل هذه الحكايا في الفائدة الثالثة من خاتمة مستدركات الوسائل عن كشكول السيد حيدر.

وكان له ثلاثة أولاد في أصفهان من أهل الفضل والعلم، وهم: السيد كمال الدين والسيد مرتضى والسيد علي.

---

(١) **أعيان الشيعة**، ج٢٩، ص ٣٤.

الشيخ محمد بن الحسن زين الدين

ولد سنة ٩٨٠هـ وتوفي سنة ١٠٣٠هـ

هو الشيخ محمد بن الحسن زين الدين صاحب المعالم وحفيد الشهيد الثاني، ولد ضحى يوم الاثنين ١٠ شعبان سنة ٩٨٠هـ وقد نظم والده حسن المذكور تاريخ ولادته في بيتين من الشعر فقال:

أحمد ربي الله إذ جاءني محمد من فيض نعماه
تاريخه لا زال مثل اسمه بجوده يسعده الله[1]

ذكره صاحب أمل الآمل فقال: كان عالماً فاضلاً، متبحراً، ماهراً، محققاً، مدققاً، زاهداً، عابداً، ورعاً، فقيهاً، محدثاً، كاملاً، جامعاً للفنون والعلوم، جليل القدر، عظيم المنزلة.

وقد ذكره ولده الشيخ علي زين الدين في كتابه المسمى الدر المنثور، فقال: كان وهو في البلاد يذهب إلى دمشق ويقيم فيها مدة بعد مدة.

واختلط بفضلاء العامة، وصاحبهم، وعاشرهم أحسن عشرة؛ وقرأ عندهم في علوم شتى. وكان من جملة من قرأ عليهم رجل فاضل في علوم العربية والتفسير والأصول، اسمه الشيخ شرف الدين الدمشقي. واشتغل أولاً عند والده والسيد محمد صاحب المدارك. وعندما سافر إلى مكة المشرفة، ثم رجع إلى بلاده، وأقام بها مدّة قليلة ثم سافر إلى العراق ومضى مدة مشتغلاً بالتدريس ثم سافر إلى مكة المشرفة، ثم رجع منها إلى العراق ثم عاد إلى مكة وبقي فيها إلى أن توفاه الله بها ودفن في المعلى قريباً من مزار خديجة الكبرى عليها السلام سنة ١٠٣٠هـ[2].

---

(١) **أعيان الشيعة**، ج٤٤، ص ٦٥.

(٢) **روضات الجنات**، ص ٥٩٩.

ومن مؤلفاته:

ذكره صاحب أمل الآمل أنه ألّف كتباً كثيرة وعدّ منها:

١ - شرح تهذيب الأحكام وشرح الاستبصار في ثلاثة مجلدات.

٢ - شرح اللمعة في مجلدين.

٣ - كتاب الصلح.

٤ - حاشية المعالم.

٥ - حاشية أصول الكافي.

٦ - حاشية الفقه.

٧ - حاشية المختلف.

٨ - شرح الاثني عشرية لأبيه.

٩ - حاشية المدارك.

١٠ - حاشية المطول.

١١ - كتاب روضة الخواطر، ونزهة النواظر، في ثلاثة مجلدات.

١٢ - رسالة في تزكية الراوي.

١٣ - رسالة التسليم في الصلاة.

١٤ - وكتاب مشتمل على مسائل وأحاديث.

١٥ - كتاب مشتمل على مسائل جمعها من كتب شتى.

١٦ - حاشية كتاب الرجال للميرزا محمد.

١٧ - ديوان شعره.

١٨ - رسالة سماها تحفة الدهر في منازعة الغنى والفقر[1].

---

(١) روضات الجنات، ص ٦٠٠.

شعره:

لمّا توفي أستاذه السيد محمد نور الدين صاحب المدارك رثاه بقصيدة طويلة، نذكر منها قوله:

صحبت الشجى ما دمت في العمر باقياً   وطلّقتَ أيام الهنا والليـاليـا
وعني تجافى ضعف عيشي كما غدا   يناظر مني الناظر السحت باكيا
وقد قل عندي كثرة كنت واجداً   بفقد الذي أشجى الهدى والمواليا
فتى زانه في الدهر فضل وسؤدد   إلى أن غدا فوق السماكين راقيا
هو السيد المولى الذي تمّ بدره   فأضحى له نهج الكرامات هاديا
وللفقه نوح يترك الصلد ذائباً   كما سال دمع الجفن يحكي الغواديا

كما رثاه أيضاً تلميذه الشيخ حسن الحانيني بقصيدة نذكر منها:

هو الحزن ما بالدار وما نظم الشعرا   أديب وما طرف الدجى رمق الشعرى
أنوح وأبكي لا أفيق فتارة   أهيم بهم وَجْداً وأخرى بهم سكرا
وإني لكالخنساء قد طال نوحها   وقد عدمت من دون أمثالها صخرا
فقل لغراب البين يفعل ما يشا   فمن بَعدِ شيخي لا أخاف له غدرا
شريف له عين الكمال مريضة   علاها دخان العين فهي به عبرا
أأنسى من أنسى الفؤاد لأجله   مديد عذاب ما وجدت له قصرا

الشيخ سليمان بن محمد العاملي الجبعي

عالم فاضل، من تلاميذ الشهيد الثاني، قرأ عليه وروى عنه إجازة.

يروي صاحب أعيان الشيعة فيقول: رأيت في النجف الأشرف سنة ١٣١٣هـ بخطه عدة رسائل لشيخه الشهيد الثاني الشيخ زين الدين بن علي العاملي الجبعي، وهي نتائج الأفكار في حكم المقيمين في الأسفار، فرغ من نسخها غروب يوم الأربعاء ١٤ ذي القعدة سنة ٩٥١هـ ومنية المريد في آداب المفيد والمستفيد، وكشف الريبة في أحكام الغيبة، ومسكن الفؤاد عند فقد الأحبة والأولاد، رسالة الطلاق كلها بخط الشيخ سليمان المذكور؛ وعلى جملة منها خط الشهيد الثاني بيده. وفيه أنه قرأها عليه، وسمعها منه، وأجاز له روايتها. ويحتمل أن يكون هو جد آل سليمان المشهورين في جبل عامل كما ذكر في أعيان الشيعة ج ٢١ في حسن بن سليمان. والظاهر أنه غير الشيخ سليمان محمد بن أحمد المزرعي المتقدم لأن ذاك مزرعي وهذا جبعي، وقد يكون انتقل إلى جبع وبقي فيها من سنة ٩٥١هـ إلى سنة ١٠٢٨هـ[١].

---

(١) **أعيان الشيعة**، ج٣٥، ص ٣٧٠.

الشيخ حسين الظهيري العاملي العيناثي الجبعي

هو الشيخ حسين بن الحسن بن يونس بن يوسف بن محمد ظهير الدين ابن علي بن زين الدين بن الحسام الظهيري العاملي[1].

ذكره صاحب أمل الآمل، وتبعه صاحب الرياض:

كان عالماً، فاضلاً، صالحاً، ثقة، زاهداً، عابداً، ورعاً، فقيهاً، ماهراً، شاعراً. قرأ عنده أكثر فضلاء معاصريه، بل جماعة من المشائخ، وأكثر تلامذته صاروا فضلاء علماء ببركة أنفاسه. ويقول صاحب الوسائل قرأت عنده جملة من كتب العربية والفقه وغيرهما من الفنون.

ألف رسائل متعددة.

وكتاباً في الحديث.

وكتاباً في العبادات.

ورسالة في السؤال عن بعض المسائل المعضلة من الأصلية والفرعية.

يوجد منها نسخة في مكتبة السيد محسن الأمين.

ثم يقول: وهو أول من أجازني، وكان ساكناً في جبع؛ ومات ودفن فيها. وقوله: وهو أول من أجازني في سنة ١٠٥١ وفي الرياض فاضل، عالم، فقيه، كامل من أجلاء تلامذة المولى محمد أمين الأسترآبادي المحدث المشهور قرأ عليه بمكة المكرمة.

ثم يقول: وهو من أسباط الشيخ ظهير الدين بن الحسام العيناثي. وآل ظهير كانوا من علماء عصرهم.

هذا ولم نعثر على تاريخ مولده وفاته الظاهر أنه كان في حدود الألف هجرية والله أعلم.

---

(١) **أعيان الشيعة**، ج٢٥، ص ٣٣٥.

الشيخ نجيب الدين
علي بن محمد بن مكي العاملي

هو علي بن مكي العاملي الملقب بنجيب الدين. درس في جبع ثم ذهب إلى إيران. وكان شاعراً مجيداً في الغزل والحنين ووصف الرحلة. وقد قصّر شعره على الرحلات، وطوف في الحجاز والهند وإيران والعراق. ونظّم بذلك أرجوزة تبلغ حوالي ألفين وخمسمائة بيتاً عثر عليها حديثاً[1] وقد تضمنت مواعظ وحكماً وقد أنهى حكمته بأن حطّ الركاب في بلاده.

حتى وصلنا لدمشق الشام ... والحمد لله على التمام

كما قال:

ضاعت الأوقات في أرض العجم ... فتدارك بعضها قبل النوم

وتوفي ١٠٥٠ هـ - ١٦٤٠م[2].

وقيل عنه في أمل الآمل: الشيخ نجيب الدين علي بن محمد بن مكي العاملي الجبيلي الجبعي كان عالماً فاضلاً، فقيهاً محدثاً، مدققاً، متكلماً، شاعراً، أديباً منشئاً، جليل القدر. قرأ على الشيخ حسن زين الدين، والسيد محمد نور الدين، والشيخ بهاء الدين العاملي، وغيرهم.

له شرح رسالة الاثني عشرية للشيخ حسن. وجمع ديوان الشيخ حسن زين الدين المذكور. وله رحلة منظومة لطيفة في نحو ألفين وخمسمائة بيت. وله رسالة في حساب الخطأين وله شرح جيد. ويروي عن أبيه، عن جدّه، عن الشهيد الثاني، ويروي عن مشايخه المذكورين وغيرهم وله إجازة.

---

(١) **مجلة الدراسات الأدبية**، السيد حسن الأمين، السنة الثانية، العدد الأول، ص ١٠٩.

(٢) **الحركة الفكرية**، ص ٨٦.

ومن جملة أشعاره الرائعة قوله في وصف مليحة حسناء:

مدَّت حبائلها عيون العين — فاحفظ فؤادك يا نجيب الدين
في هجرها الدنيا تضيع ووصلها — فيه إذا وصلت ضياع الدين

وقد عارض صاحب أمل الآمل بقوله:

إني لأخضع إن سطت — تلك الجفون الفاتره
ضاعت بها الدنيا وأ — خشى أن تضيع الآخره

وله:

لي نفسٌ أشكو إلى اللّه منها — هي أصلٌ لما أنا فيه
فمليح المقال لا يرتضيني — وقبيح الخصال لا أرتضيه

وللشيخ نجيب الدين مخمساً قصيدة[1] الشيخ حسن زين الدين صاحب المعالم:

يا سادة حبهم ديني وإيماني — جفا الكرى لأليم البعد أجفاني
وعهدكم وهو عندي عقد إيماني — طول اغترابي وفرط الشوق أضناني
والبين في غمرات الوجد ألقاني

وللنوائب أدناني وقرّبني — ومن أهيل الولا والودّ أبعدني
باللّه دع كل خير ما يروعني — يا بارقاً من نواحي الحي عارضني
إليك عني فقد هيّجت أشجاني

أضرمت في باطن الأشواق نار غضى — يحكى تأججها فيها شواظ لظى
ذكراً بسالف عيش في الزمان مضى — فما رأيتك في الأزمان معترضا
إلا وذكرتني أهلي وأوطاني

ولا رأيت فضول الشام رائحة — بل ما شممت لها في الأرض رائحة
إلا وأضحت بسر العين بائحة — ولا سمعت شجى الورقاء نائحة
في الأيك إلا وشبت منه نيراني

وجدت من سحب أجفاني تصيبها — كي ينطفي من فؤادي بعض لاهبها

(١) كشكول البحراني، ص ٢٩١.

يا ويح نفسي فلم تضفر بمطلبها   كم ليلة من ليالي البين بت لها
أرعى النجوم بطرفي وهو يرعاني

كأنهم لي من غمض العيون نهو   أو غلفوا الجفن منها بالسماك فلو
أردتُ طيفها ما استطعت ذاك نأوا   كأن أيدي خطوب الدهر منذ نأوا
عن ناظري كحلت بالسهد أجفاني

يا حادي العيس هل حُملت لي خبراً   منهم فدمعي دَماً مما لقيت جرى
ووصف حالي كما تدري به وترى   ويا نسيماً سرى من حبهم سحرا
في طيّها نشر ذاك الرند والباني

لا أنت مما عدا الأحباب بغيته   وفيك من بعض ما تلقاه راحته
لولاك أودت به في الأرض غربته   أحييت ميتاً بأرض الشام مهجته
وفي العراق له تخييل جثماني

وفي الحجاز غدا حيناً وفي اليمن   وفي ضفار وقبل الشحر في عدن
وحضرموت وأرض الفرس والدكن   وكم حييت وكم قدمت من شجن
ما ذاك أول أحبابي ولا الثاني

ضيعت عمري في الدنيا فوا لهفي   والدين من قبل ذا آتي على طرفي
كأنما الدهر مطبوع على تلفي   شابت نواصي من وجدي فوا لهفي
على الشباب فشيبي قبل أباني

والنفس من قبل أن تلقاه حائرة   والعين أيضاً لحر الوجد ساهرة
فيا لها كرة أقسمت خاسرة   وألهف نفسي حصون البين عامرة
وربع قرب التلاقي ما له باني

إلى متى صرف هذا الدهر يقصدني   وللمصائب والأحزان يسلمني
لا وأخذ الله عمراً ليس يعذرني   يا لائمي كم بهذا اللوم تزعجني
دعني فلومك قد والله أغراني

فهل رأيت محباً قد قلا فقلا   أم هلا سمعت بصب قد سلا فسلى

بتهتكي كلما مُرُّ الملام حلا — لا يسكن الوجد ما دام الشتات ولا
تصفو المشارب لي إلا بلبنان(1)

هناك يسكن دمعي من تصببه — وينطفي حرُّ قلبي من تلهبه
ويستقر فؤادي من تكربه — في ربع أنسي الذي حلّ الشباب به
تمايمي وبه صحبي وخلاني

من عترة إن ترم نيل السعادة من — وأهله بوفور الاحترام فدن
واخفض لهم جانباً ترفع به وألن — كم قد عهدت بهاتيك المعاهد من
أخوان صدق لعمري أي أخواني

فخاننا الدهر والأيام خائنة — وخيرها عن جميع الناس صامتة
فكم أحلت بنا للبين كامنة — وكم تقضت لنا بالحي أزمنه
على المسرة في كرم وبستان

يا عاذلي لست في عذلي بمنتبه — لوم الملوم مصاب في مصائبه
فدع مقالك في دمعي وساكبه — لم أدر حال النوى حتى علقت به
وأوقعتني بلومي قبل عرفاني

جهلي بحال الهوى والعيش يرفقني — وليس لي منقذ عن ذاك يبعدني
ويلاه لو كانت الأيام تتركني — حتام دهري على ذا الهوى تمسكني
هلا جنحت لتبريح وإحسان

يا ويح قلبي كم الآمال تكذبني — لكنها من مهاوي البأس تخرجني
وما التداوي بما أهوى فعللني — أقسمت لولا رجاء القرب يسعفني
فكلما مت بالأشواق أحياني

وكلما نالني من نحوه وضب — أو حلّ من أذى يؤذي به وصب
عللت نفسي فهذا كله وصب — لكدت أقضي لها نحبي ولا عجب
كم أهلك الوجد من شيب وشبّان

---

(1) وقد وجدنا في هذه الأشعار وفي أشعار الكثير من العلماء العامليين الأولين يحنون دائماً في غربتهم إلى وطنهم لبنان وبهذا تحس شعوراً طيباً في هذا المجال منذ أربعة قرون وحجة دامغة على تعلق أهل جبل عامل (الجنوب) اليوم بلبنانيتهم منذ أمد بعيد.

أهيل ودي صلوا بالله عبدكم — فقلبه كله والله عندكم
رقت لما بي العدا من بعد صدّكم — يا جيرة الحي قلبي بعد بعدكم
في حيرة بين أوصاب وأشجاني

مستوحش عن سواكم عنه منهزم — وساكن القلب أنتم فهو منحزم
وفي محبتكم بالحرم محترم — يمضي الزمان عليه وهو ملتزم
بحبكم لم يدنسه بسلوان

مستمسك بعرى الود القديم كما — عهدتم بل به زاد الهوى وشما
لم يمض في غير ما ترضونه قدما — باق على العهد راع في الذمام فما
ليوم عهدكم يوماً بنسيان

لكن ذكراكم أوهى قوى جلدي — وأجج النار في قلبي وفي كبدي
وزاد في حزني أيضاً وفي كمدي — فإن براني سقامي أو نأى رشدي
فلاعج الشوق ألهاني وأوهاني

الشيخ أبو القاسم نور الدين علي بن عبد الصمد العاملي عم الشيخ البهائي

وكان عالماً فاضلاً فقيهاً محدثاً يروي عن الشهيد الثاني وهو أحد تلامذته الأجلاء. وقرأ في أول أمره على المحقق الكركي. ووجدت بعض مصنفات المحقق الكركي بخطه في عصره، ويروي عنه بالإجازة أيضاً. حكى عن صاحب رياض العلماء أنه قال: رأيت إجازة الشيخ المذكور على ظهر الرسالة الجعفرية له وصورتها: وبعد فقد قرأ علي جملة والرسالة الموسومة الجعفرية في فقه الصلاة وسمع معظمها الصالح الفاضل الشيخ نور الدين ابن الشيخ الفاضل عمدة الأخبار ضياء الدين عبد الصمد بن المرحوم المقدس قدوة الأجلاء في العالمين الشيخ شمس الدين محمد الجبعي أدام اللّه له التوفيق وسلك به سواء الطريق وقد أجزت له روايتها عني ورخصته بالعمل بما نظمته من الفتاوي التي استقر عليها رأيي وقوي عليها اعتمادي. فليروها كما شاء وأحب موفقاً وكتب هذه الأحرف بيده الفانية الفقير إلى اللّه تعالى علي بن عبد العالي بالمشهد المقدس الغروي في شهر رجب سنة ٩٣٥هـ. ووصفه في روضات الجنات بالفاضل العالم، الجليل، الفقيه، الشاعر، له نظم ألفية الشهيد سماه (الدرة الصفية في نظم الألفية)[1].

(١) أعيان الشيعة، ٤١/٢٩٣.

الشيخ زين الدين ابن
الشيخ محمد بن الحسن زين الدين
توفي ١٠٧٤هـ - ١٦٥٤م

هو الشيخ زين الدين ابن الشيخ محمد شارح الاستبصار ابن الشيخ حسن صاحب المعالم ابن الشيخ زين الدين الشهيد الثاني العاملي الجبعي[١].

ولد في جبع سنة ١٠٠٩هـ. وتوفي في مكة المكرمة ٢٩ ذي الحجة سنة ١٠٧٤هـ، ودفن مع والده بالمعلى عند أم المؤمنين خديجة الكبرى.

حدثنا في كتاب الرياض عن خط أخيه الشيخ علي زين الدين صاحب الدر المنثور، وذكره صاحب أمل الآمل في تاريخ جبل عامل فقال: شيخنا الأوحد كان عالماً، فاضلاً، كاملاً، متبحراً، محققاً، ثقة، صالحاً، عابداً، ورعاً، شاعراً، منشأ أديباً حافظاً، جامعاً لفنون العلوم العقلية والنقلية، جليل القدر، عظيم المنزلة، لا نظير له في زمانه. قرأ على أبيه وعلى الشيخ الأجل بهاء الدين العاملي، وعلى المولى محمد أمين الأسترابادي وجماعة من علماء العرب والعجم، وجاور بمكة مدّة وتوفي فيها. ثم يقول: قرأت عليه جملة من كتب العربية والرياضيات والحديث والفقه وغيرها. وكان له شعر رائق وفوائد وحواشي كثيرة، وديوان شعر صغير رأيته بخط يده.

وذكره أخوه الشيخ علي زين الدين في كتابه الدر المنثور فقال: كان فاضلاً، ذكياً، ورعاً لوذعياً، كاملاً، رضياً، عابداً، تقياً، اشتغل في أول أمره في بلادنا على تلاميذ أبيه وجده، ثم سافر إلى بلاد العجم فأنزله الشيخ بهاء الدين العاملي في بيته، وأكرمه إكراماً تاماً. وبقي

---

(١) **أعيان الشيعة**، ج٣٣، ص ٣٠٢.

عنده مدة طويلة، مشتغلاً عنده قراءة وسماعاً لمصنفاته وغيرها. وكان يقرأ عند غيره من الفضلاء في تلك البلاد في العلوم الرياضية وغيرها ثم سافر إلى مكة في السنة التي انتقل فيها الشيخ بهاء الدين، فأقام فيه. ثم رجع إلى بلاده. ثم عاد إلى مكة، إلى أن توفي بها في سنة ١٠٧٤... وذكره المحبي في خلاصة الأثر فقال: أحد فضلاء الزمان. وذكره صاحب سلافة العصر فقال: زين الأئمة، فاضل الأمة، شرح الله صدره للعلوم شرحاً وبنى له من رفيع الذكر صرحاً، إلى زهد أسس بنيانه على التقوى والصلاح، أهل به على ربعه فما أقوى، وآداب تحمر خدود الورود من أنفاسها خجلاً. رأيته في مكة والفلاح يشرق من محياه، وطيب الأعراق يفوح من نشر رياه[1].

إلى أن يقول: له شعر خلب به العقول وسحر، وحسدت رقته أنفاس نسيم السحر.

وقال في أمل الآمل: شعره كله جيد ما رأيت له بيتاً واحداً ردياً كما قالوه في شعر الرضي. (أقول) شعره مقبول ولا يقايسه بشعر الرضي من له معرفة بالشعر، فمن شعره قوله:

إن خنت عهدي إن قلبي لم يخن | عهد الحبيب وإن أطال جفاءه
لكنه يبدي السلو تجلداً | حذراً من الواشي ويخفي داءه

وقال:

وحق هواك ما حال المعنى | بحبك عن هواك ولا يحول
ولو قطعت بالهجران قلبي | وأحشائي، وأفناني النحول

وقال أيضاً:

ولما رأيت منزل الحب قد عفا | وشطت أهاليه وأعفت معالمه
لبسنا جلابيب الكآبة والأسى | وأضحى لسان الدمع عيًّا يكالمه

وقال أيضاً:

أودعكم ولي جسد نحيل | وصبر راحل وجوى مقيم
وقلب كلما ذكرت ليال | نهيناها بقربكم يهيم

وقوله:

لا تحسبونا وإن شطَّ المزار بنا | وعاند الدهر في تفريقنا وقضى

---

(١) أعيان الشيعة، ج٣٣، ص ٣٦٠.

نحول عن منهج الود القديم لكم ... أو نبتغي بالتنائي عنكم عوضاً

وقوله:

سقياً لليلة وصلنا من ليلة ... ما راعنا فيها حضور رقيب
وأبيح لي فيها المنى حتى بدا ... في لمة الظلماء بياض مشيب
كادت لفرط تقاصر في طيها ... يأتي الصباح بها قبيل غروب
أملت لو مدت بكل شبينة ... وسواد أحداق لنا وقلوب

وله من قصيدة طويلة:

هل من معين في الهول أو مسعد ... فلقد فني صبري وبان تجلدي
وتطاولت مدد الفراق فهل يرى ... للوصل عند أحبتي من موعد
فاستخبرا رشائي لأي جناية ... قطعت بجفوته حبال توددي
وحرمت رشف برود رائق ريقه ... ظلماً فوا ظمئي لذاك المورد
واستعطفاه على حليف صبابة ... ظام إلى سلسال مرشفه صدي

وله من قصيدة طويلة يمدح بها بعض الرؤساء:

سئمت لفرط تنقلي البيداء ... وشكت لعظم ترجلي الأنضاء
ما أن أرى في الدهر غير مودع ... خلا وتوديع الخليل عناء
فقدت لطول البين عيني ماءها ... فبكاؤها عوض الدموع دماء
أبلى النوى جلدي وأوقدني في الحشا ... نيران وجد ما لها إطفاء
فارقت أوطاني وأهل مودتي ... وحبائباً غيداً لهن وفاء
من كل مائسة القوام إذا بدت ... لجمال بهجتها نفار ذكاء
ما أسفرت والليل مرخ ستره ... إلا تهتك دونها الظلماء
ترمي القلوب بأسهم تصمي وما ... لجراحهنّ سوى الوصال دواء
شمس تغار لها الشموس مضيئة ... ولها قلوب العاشقين سماء
هيفاء تختلس العقول إذا رنت ... فكأنما لحظاتها الصهباء
ومعاشر ما شان صدق ولائهم ... نقض العهود ولا الوداد مراء
ما كنت أحسب قبل يوم فراقهم ... أن سوف يقضي بعد ذاك بقاء
فسقى ربى وادي دمشق وجادها ... من هاطل المزن الملث حياء
فيها أهيل مودتي وبتربها ... لجليل وجدي والسقام شفاء
ورعى لياليناالتي في ظلها ... سلفت ومقلة دهرنا عمياء

أترى الزمان يجود لي بإيابها ويباح لي بعد البعاد لقاء
فإلى متى يا دهر تصدع بالنوى أعشار قلبي ما لهن قواء
وتسومني فيك المقام بذلة ولهمتي عما تسوم إباء
فأجابني لولا التغرب ما ارتقى رتب المعالي قبلك الآباء
فاصبر على مرّ الخطوب فإنما من دون كل مسرة ضراء
واترك تذكرك الشآم فإنما دون الشآم وأهلها بيداء(1)

وقال:

شام برقاً لاح بالأبرق وهنا فصبا شوقاً إلى الجزع وحنا
وجرى ذكر أثيلات النقا فشكا من لاعج الوجد وأنا
دنف قد عاقه صرف الردى وخطوب الهدر عمًّا يتمنى
شفه الشوق إلى بان اللوى فغدا منهمل الدمع معنى
أسلمته للردى أيدي الأسى عندما أحسن بالأيام ظنا
طالما أمل إلمام الكرى طمعاً في زورة الطيف وأنى
كلما جن الدجى حن إلى زمن الوصل فأبدى ما أجنا
وإذا هبّ نسيم من ربى حاجر أهدى له سقماً وحزنا
يا غريباً بالحمى لولاكم ما صبا قلبي إلى ربع ومغنى
كان لي صبر فأقصاه النوى بعدكم يا جيرة الحي وأفنى
قاتل الله النوى كم قرحت كبداً من ألم الشوق وجفنا
كدرت مورد لذاتي وما تركت لي من جميل الصبر ركنا
قطعت أفلاذ قلبي والحشا وكستني من جليل السقم وهنا
فإلى كم أشتكي جور الهوى وأقاسي من هوى ليلى ولبنى
قد صحا قلبي من سكر الهوى بعد ما أزعجه السكر وعنى
ونهاني عن هوى الغيد النهى وحباني الشيب إحساناً وحسنا(2)

وله من قصيدة:

كم ذا أداري الجوى والسقم يبديه واحبس الدمع والأشواق تجريه

---

(1) خلاصة الأثر، ٢/١٩١.

(2) خلاصة الأثر، ج٢، ص ١٩١.

شابت ذوائب آمالي وما نجحت وليل هجرك ما شابت نواصيه
رفقاً بقلبي المعنى في هواك فما أبقيت بالهجر منه ما يعانيه
وكيف يقوي على الهجران ذو كبد جرت لطول التنائي من مآقيه
ما زال جيش النوى يغزو حشاشته حتى طواه الضنى عن عين رائيه
يا من نأى وله في كل جارحة مني مقام إذا ما شط يدنيه
لقد تمادى الجوى فينا ورقّ لنا قاسي قلوب العداء مما نقاسيه
فهل لنا اليوم بعد اليأس من فرج أو راجع من لذيذ العيش صافيه

وقد ذكره معظم رجال المعاجم كالمحبي، وابن معصوم، وصاحب أمل الآمل، والبحراني وأخوه في الدر المنثور.

وهو شاعر من الطبقة الأولى في عصره وقد كان شعره معارضة للشعر القديم وهو يميل إلى استعمال الغريب في قصائده.

للشيخ إبراهيم بن فخر الدين العاملي البازوري:

من قصيدة يمدح بها الشيخ زين الدين بن محمد بن الحسن بن الشهيد الثاني:

كمولاي زين الدين لا زال راكباً سوابق مجد في يديه زمامها
إذا انقض منكم كوكب لاح كوكب به ظلمات الجهل يجلي ظلامها
فما نال مجداً نلتم من سواكم ولا انفك منكم للبرايا إمامها
مطايا العلى ما انقدن يوماً لغيركم وموضعكم دون البرايا سنامها
حللتم بفرق الفرقدين وشدتم رسوم عليّ قد طال منها انهدامها
محط رحال الطالبين جنابكم وما ضربت إلا لديكم خيامها
إذا تليت في الناس آيات ذكركم لها سجدت أخيارها وطغامها[1]

(١) أمل الآمل، ١/٢٦.

السيد نور الدين علي أخ صاحب المدارك ابن نور الدين علي بن الحسين

ابن أبي الحسن الموسوي العاملي الجبعي نزيل مكة المكرمة.

ولد بجبع سنة ٩٧٠هـ وتوفي بمكة المكرمة لثلاث عشرة بقين من ذي الحجة سنة ١٠٦٨هـ وصلى عليه ولده السيد زين العابدين ودفن بالمعلى. وهو أخو الشيخ حسن صاحب المعالم لأمه فإن والده كان قد تزوج ابنة الشهيد الثاني في حياته فولد له منها صاحب المدارك. ثم تزوج أم الشيخ حسن بعد شهادة أبيه التي هي غير أم زوجته فولد له منها صاحب الترجمة، ذكره السيد علي خان في سلافة العصر فقال في حقه: طود العلم المنيف، وعضد الدين الحنيف، ومالك أزمة التأليف والتصنيف، الباهر بالرواية والدراية، والرافع لخميس المكارم أعظم راية، فضل يعتز في مداه مقتفيه، ومحل يتمنى البدر لو أشرق فيه، وكرم يخجل المزن الهاطل، وشيم يتحلى بها جيد الزمن العاطل، وصيت حل من حسن السمعة بين السحر والنحر.

فسار مسير الشمس في كل بلدة وهبّ هبوب الريح في البر والبحر

وكان له في مبدأ أمره بالشام مكان لا يكذبه بارق العز إذا شام بين إعزاز وتمكين ومكان صاحبها مكين. ثم قطن مكة، شرفها الله، وهو كعبتها الثانية يعتقد الحجيج قصده من غفران الخطايا وينشد بحضرته (تمام الحج أن تقف المطايا) وقد رأيته بها وقد أناف على التسعين، والناس تستعين به ولا يستعين، والنور يسطع من أسارير جبهته والعز يرتع في ميادين جدهته «اهـ»[1].

وفي أمل الآمل: كان عالماً فاضلاً أديباً شاعراً منشئاً جليل القدر عظيم الشأن، قرأ على

(١) **أعيان الشيعة**، ج٤١، ص ٣٤٩.

أبيه وأخويه صاحبي المدارك والمعالم. وقد رأيته في بلادنا، وحضرت درسه بالشام أياماً يسيرة، وكنت صغير السن، ورأيته بمكة أيضاً أياماً وكان ساكناً بها أكثر من عشرين سنة. ولما مات رثيته بقصيدة تبلغ ستة وسبعين بيتاً نظمتها في يوم واحد منها:

لحا الله قلباً لا يذوب لفادح   تكاد له صمّ الصخور تذوبُ

(أقول) لو نظمها في حول لما كانت إلا على هذا النول. وفي لؤلؤة البحرين:

كان فاضلاً مدققاً مشاراً إليه في وقته توطن بمكة المشرفة وله إجازة للشيخ صالح بن عبد الكريم البحراني تاريخ ثاني عشر ذي الحجة سنة ١٠٥٥هـ.

له (شرح المختصر النافع) أطال فيه المقال والاستدلال (لم يتم).

(الفوائد المكية في مداحض الخيالات المدنية) رداً على الملا محمد أمين الأسترابادي الإخباري صاحب الفوائد المدنية والأنوار البهية في شرح الاثني عشرية في الصلاة للبهائي. (رسالة) في تفسير قوله: قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى. (غنية المسافر عن النديم والمسافر) يشتمل على فوائد وأخبار ونوادر وأشعار وتعليقات كثيرة على كتب الفقه والأصول والحديث وأجوبة وسؤالات وغيرها.

وكانت في ذلك العصر الكلمة والغلبة بمكة المكرمة لعلماء الإمامية. وكانت الإمامة في المسجد الحرام لهم كما يدل عليه كلام ابن حجر في أول صواعقه حيث ذكر أنه التمس على أقرانها بمكة حيث إن مجتمع الروافض بها، وقال: طهر الله البيت منهم، ويدل عليه أيضاً ما في تكملة أمل الآمل من أن عنده نسخة من كتاب المحاسن للبرقي في أحاديث أهل البيت عليهم السلام بخط الإمام بمقام إبراهيم الخليل عليه السلام بالمسجد الحرام بمكة المشرفة السيد شريف عبد الله بن محمد علي الحسيني الطبري فرغ من نسخها يوم الأحد المبارك من شهر جمادى الأولى من ١٠٤٤ من الهجرة النبوية على صاحبها آلاف صلاة وآلاف تحية (اهـ). وعن ابن شدقم أنه ذكر المترجم وأولاده الخمسة السيد جمال الدين والسيد زين العابدين والسيد علي والسيد حيدر والسيد أبا الحسن «اهـ».

وذكره السيد ضامن بن شدقم المذكور في كتابه وأثنى عليه وقال: منشؤه في الشام ثم عطف عنان عزمه إلى البيت الحرام تشرفنا برؤيته مراراً بمكة المكرمة سنة ١٠٦٨ وله أشعار حسنة منها قوله:

يا من مضوا بفؤادي عندما رحلوا ... من بعدما في سويد القلب قد نزلوا
جاروا على مهجتي ظلماً بلا سبب ... فليت شعري إلى من في الهوى عدلوا
وأطلقوا عبرتي من بعد بعدهم ... والعين أجفانها بالسهد قد كحلوا
يا من تعذب من تسويفهم كبدي ... ما آن يوماً لقطع الحبل أن تصلوا
جادوا على غيرنا بالوصل متصلاً ... وفي الزمان علينا مرّة بخلوا
كيف السبيل إلى من في هواه مضى ... عمري وما صدني عن ذكره شغل
واحيرتي ضاع ما أوليت من زمن ... إذ خاب في وصل من أهواهم الأمل
في أي شرع دماء العاشقين غدت ... هدرى وليس لهم ثأراً إذا قتلوا
يا لرجال من البيض الرشاق أما ... كفاهم ما الذي بالناس قد فعلوا
من منصفي من غزال ما له شغل ... عني ولا عاقني عن حبه عمل
نصبت أشراك صيدي في مراتعه ... والصيد فني ولي في طرقه حيل
فصاح بي صائح خفض عليك فقد ... صيد الغزال الذي تبغيه يا رجل
فصرت كالواله الساهي وفارقني ... عقلي وضاقت عليّ الأرض والسبل
وقلت بالله قل لي أين سار به ... من صاده علهم في السير ما عجلوا
فقال لي كيف تلقاهم وقد رحلوا ... من وقتهم واستجدت سيرها الإبل(١)

وله مادحاً بعض الأمراء(٢):

سموت على عالي المجرة رفعة ... ودارت على قطبي علاك الكواكبُ
وحزت رهان السبق في حلبة العلى ... فأنت لها دون البرية صاحبُ
وجلت بحومات الوغى حول باسل ... فردت على أعقابهنّ الكتائبُ
بيض المواضي يدرك المرء شأوه ... وبالسمر إن ضاقت تهون المصاعب
لأسلافك الغير الكرام قواعد ... على مثلها يثنى العلى والمناصب
بنو عمكم لما أضاءت مشارق ... بكم أشرقت منهم علينا مغارب
وفيكم لنا بدر من الغرب طالع ... فلا غرو إن كانت لديه العجائب
هو الفخر مدّ الله في الأرض ظلّه ... ولا زال تجلى من سناه الغياهب
إلى حلب الشهباء مني بشارة ... تعطرها حتى تفوح الجوانب
إذا ما مضى من بعد عشر ثلاثة ... من الدور فيها تستتم المآرب

---

(١) خلاصة الأثر، ١٣٣/٣.

(٢) خلاصة الأثر، ١٣٢/٣.

لقد حدثت عنها أولو العلم مثلما جرى وانقضت تلك السنون الجواذب
بدا سعدها لما علي بدا لها ويا طالما قد انحست وهو غائب
وفوز علي بالعلى فوزها به فكل إلى كل مضاف مناسب
كأني بسيف الدولة اليوم وافد إليها يلاقي ما جنته الثعالب
لقد جدها صوب الحيا بعد محلها وشرفها من أحكمته التجارب
كريم إذ ما أمحل الغيث أمطرت أياديه جوداً منه تصفو المشارب
أريب أديب لو نصور لفظه أصابته عقداً للنحور الكواعب
مدحتم والمدح فيكم تجارة بها تثمر النعمى وتغلو المكاسب
إلى باب علياكم شددت ركائبي ويا طالما شدت إليه الركائب
بها الفضل منشود بها الجود وافد بها فتح من سدّت عليه المذاهب

ووجد على جامع في جبع ما صورته:

قد وفق الله لهذا البنا ولم يكن في الوسع تيسيره
فهو بحمد الله قد تمّ في أحسن ما قد كان تصويره
من بدوره أحكم بنيانه بالخير والتقوى وتفسيره
فجاء تاريخ به معبد كان لوجه الله تعميره

عمّر هذا المسجد بعد اندراسه وجدده بعد انطماسه راجي عفو ربّه وغفرانه نور الدين ابن علي بن الحسين الشهير بابن أبي الحسن الموسوي، تجاوز اللّه عن سيئاتهم؛ بُدِىءَ في ختام سنة ١٠٢٩هـ تسع وعشرين بعد الألف من الهجرة.

السيد علي ابن السيد نور الدين علي «أخ صاحب المدارك» بن علي بن الحسين

ابن أبي الحسن الموسوي العاملي الجبعي ساكن مكة المكرمة. ولد في مكة المعظمة سنة ١٠٦١ وتوفي سنة ١١٩ﻫ ثامن عشر ذي الحجة في مكة المكرمة وأرّخ وفاته ولده السيد مصطفى يقول: (دخل الجنات) وكان أبوه استوطن مكة المكرمة ثم مات أبوه وله سبع سنين. فكفله أخوه السيد زين العابدين، فعلّمه القراءة والكتابة. ولما بلغ اثني عشر عاماً توفي أخوه أيضاً فتولى تربيته جماعة من تلامذة أبيه، وأخذ العلم عنهم وعن غيرهم من علماء الخاصة والعامة. وفي أمل الآمل: فاضل، صالح، شاعر، أديب، «اهـ». وفي تكملة أمل الآمل يروي عن أخيه لأبيه صاحب المدارك وأخيه لأمه صاحب المعالم وقيل: يروي عن أبيه ويروي عن الميرزا محمد الرجالي وعن الشيخ البهائي ويروي عنه جماعة لأنه كان حلة للأجلة، وشيخ علماء الجلة؛ ويروي عنه الشيخ علي السبط، والشيخ قاسم الفقيه الكاظمي، والشيخ علي بن سليمان البحراني المعروف بأم الحديث، والسيد هاشم بن الحسن بن عبد الرؤوف الإحسائي وغيرهم «اهـ» وذكره المحبي في خلاصة الأثر في آخر ترجمة أخيه السيد جمال الدين فقال: كما أخبرني بذلك أخوه روح الأدب السيد علي بمكة المشرفة «اهـ» وذكره ولده السيد عباس في نزهة الجليس بأسجاع كثيرة نذكر خلاصتها مع حذف الأسجاع فقال: جهبذ عزيز، فاضل تفرد بعلم البديع والمعاني، وتوحد بالنحو والصرف، وتعزز في اللغة وعلوم الأوائل، وتبحر في سائر العلوم إلى كرم يخجل قطر المطر، وأخلاق ألطف وأرق من نسمة السحر، أفضل من نثر من البلغاء، ونظم، كان بمكة المشرفة كالحجر الأسود، موقراً مكرماً عند السادة آل الحسن، وجميع الرؤساء والوزراء والأكابر. ومن شعره قوله:

عجبت لجسم كالحرير منعم ... يضم فؤاداً قدّ من حجر صلد
لها الله من رعبوبة سفكت دمي ... لمرهف ماضي اللحظ منها على عمد

تعشقتها أخت المهاة خريدة ... ثوى حبها في القلب مذ كنت في المهد
فعني إليك اليوم يا لائمي اتئد ... أتحسب أن اللوم في حبها يجدي
وأقسم بالمسود من مسك خالها ... وبالشفق المحمر من صفحة الخد
وبالمقلة النجلاء والمبسم الذي ... تستر بالياقوت والمرشف الشهدي
لو أنك تشكو ما بقلبي عذرتني ... وما لمت لكن بقلبك ما عندي

وقوله معارضاً كافية البهائي التي أولها (يا نديمي بمهجتي أفديك):

رحمة يا معذبي لفتى ... نفسه من أذى الردى تفديك
لم يزل في الهوى أخا شجن ... يا منى القلب مستهاماً فيك
والذي قد كساك ثوب بهاء ... أنا راض بكل ما يرضيك
نم قريراً فإن لي مقلاً ... لم تذق لذة الكرى وأبيك

وترك صاحب الترجمة ثلاثة أولاد هم: السيد مصطفى، والسيد سليمان، والسيد عباس. (أما السيد سليمان) فذكر أخوه السيد عباس في نزهة الجليس أنه اجتمع به في مكة المكرمة عام ١١٣١ وأنه توفي بمكة عام ١١٣٤، وأخوه المذكور ببلاد الهند، وأنه رثاه بأبيات أولها:

ألا إن هذا الخطب للقلب جدّعا ... وواصل من عيني ما عشت أدمعا
ويا شامتاً بالموت والموت خلفه ... فلا بدّ من أن نجيب إذا دعا

وأما السيد مصطفى فترك أربعة أولاد هم: السيد علي، والسيد حيدر، والسيد نور الدين، والسيد مرتضى، وفي «بغية الراغبين»: إن الأخير جدّ السادة المعروفين بآل مرتضى المقيمين بمدينة صور، وأما السيد عباس فمذكور في بابه[1].

---

(١) **أعيان الشيعة**، ج٤١، ص ٣٥٢.

السيد حسين الموسوي العاملي الجبعي
«ابن صاحب المدارك»

هو السيد حسين بن محمد بن علي بن علي بن الحسين بن أبي الحسن الموسوي العاملي الجبعي المتوفى سنة ١٠٦٩هـ.

يذكر صاحب أمل الآمل فيقول: رأيت نسبة بخطه هكذا: حسين بن محمد بن علي بن حسين بن محمد بن حسين بن علي بن محمد بن أبي الحسن بن محمد بن عبد اللّه بن أحمد بن حمزة بن سعد اللّه بن حمزة بن محمد بن محمد بن علي بن عبد اللّه بن محمد بن ظاهر بن حسين بن إبراهيم بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام(١).

وقال: كان عالماً، فاضلاً، فقيهاً، ماهراً، جليل القدر، عظيم الشأن، قرأ على أبيه صاحب المدارك، وعلى الشيخ بهاء الدين وغيرهما من معاصريه، وسافر إلى خراسان، وسكن فيها، وتولى مشيختها، ثم أصبح قاضي القضاة بالمشهد المقدس.

وكان مدرساً في الحضرة الشريفة في القبة الكبيرة الشرقية.

وفي كتاب اللؤلؤة أن له حاشية على ألفية الشهيد.

ومن تلامذته السيد محمد بن محيي الدين الموسوي العاملي - قاضي المشهد الرضوي وشارح شواهد شرح الألفية لابن الناظم.

من شعره قصيدة رثى بها أستاذه بهاء الدين العاملي نورد منها:

شيخ الأنام بهاء الدين لا برحت ... سحائب العَفو يُنشيها له الباري
مولى به اتضحت سُبلُ الهدى وغدا ... لفقده الدين في ثوب من العار

---

(١) أعيان الشيعة، ج٢٧، ص ٢١٣.

والمجد أقسم لا تبدو نواجذه حزناً وشق عليه ثوب أطمار
والعلم قد درست آياته وعفت عنه رسوم أحاديث وأخبار
كم بكر فكر غدت للكفؤ فاقدة ما دنستها الورى يوماً بأنظار
كم خرّ لمّا قضى للعلم طود عُليّ ما كنت أحسبه يوماً بمنهار
وكم بكتهُ محاريبُ المساجد إذ كانت تضيءُ دُجىً منه بأنوار
فاق الكرام ولم تبرح سجيته اطعام ذي سغب من كسوة العاري
جلّ الذي اختار في طوس له جدثاً في ظلّ حام حماها نجل أطهار
الثامن الضامن الجنات أجمعها يوم القيامة من جود لزوار[1]

(١) الروضات، ص ٦٠٥.

الشيخ حسين زين الدين العاملي الجبعي

هو الشيخ حسين بن علي بن محمد بن الحسن بن زين الدين الشهيد الثاني العاملي الجبعي.

ولد سنة ١٠٥٦هـ وتوفي في أصفهان سنة ١٠٧٨هـ ودفن في المشهد الرضوي.

وفي أمل الآمل: كان فاضلاً صالحاً محققاً، قرأ على أبيه. وذكره في كتابه الدر المنثور وأثنى عليه، وهو من هذه الذريّة التي جميع أفرادها علماء أفاضل[١].

السيد حسين بن أبي الحسن الموسوي العاملي الجبعي

ذكره أمل الآمل: كان عالماً، فاضلاً، فقيهاً، جليلاً، مقدماً، معاصراً للشهيد الثاني. وكان السيد علي من تلامذته، وكان الشهيد الثاني صهره. هكذا ترجم في أمل الآمل، وأيضاً في نسخة مخطوطة.

قال: النسبة إلى أعرق الأجداد معروفة، وكل هذه الأسرة تعرف ببني أبي الحسن وهذا الحسين هو جد جد السيد نور الدين جد السادة الموسوية المعروفين بآل نور الدين، وصدر الدين، وشرف الدين.

قيل: وله كتب الشهيد الثاني رسالة في عدم جواز تقليد الميت[٢].

---

(١) **أعيان الشيعة**، ج٢٧، ص ٧٥.

(٢) المرجع نفسه، ج٢٥، ص ٣٠.

الشيخ حسين بن الحسن المشغري العاملي الجبعي

جاء في أمل الآمل: كان فاضلاً صالحاً جليل القدر، شاعراً، أديباً، قرأ على الشيخ البهائي، وعلى الشيخ محمد بن الحسن ابن الشهيد الثاني. سافر إلى الهند، ثم إلى أصفهان، ثم إلى خراسان وسكن فيها حتى مات.

إلى أن يقول صاحب أمل الآمل: كان عمي الشيخ محمد بن علي بن محمد الحر العاملي يصف فضله، وعلمه، وفصاحته، وكرمه. رأيت جملة من كتبه منها كتاب الزواج من التذكرة وعليه خط شيخنا البهائي بالإجازة له. وروى عن عمي عنه.

وذكره صاحب الرياض في موضعين من كتابه فقال في أحدهما: كان رأس العلماء العامليين، ورئيس المحدثين في عصره، وكان قريباً من عصرنا. رأيت خطه الشريف على ظهر نسخة من كامل ابن الأثير بتاريخ ١٠٢٧، ورأيت بعض المطالب من الكشاف بخطه الشريف بهراة في مجموعة كتبها تذكرة للمولى محمد حسين المدرس الكاشي الهروي، وخطه لا يخلو من جودة، وتاريخها أواخر رمضان أوائل العشر الخامس من المائة الحادية عشرة.

وقال في موضع آخر الفاضل العلامة تلميذ البهائي وغيره. ومن تلاميذه الشيخ عبد الكاظم الكاظمي ورأيت إجازة منه له بخطه تاريخها أوائل المائة الحادية عشرة. ثم نقل كلام أمل الآمل المتقدم وإجازته للشيخ عبد الكاظم الكاظمي.

أوردها صاحب الرياض في ترجمة المجاز كتبها بالمشهد الرضوي أواخر ربيع الأول من أوائل السنة الحادية عشرة. وفي كتاب الذريعة أنه وجد خطه على ظهر نسخة من استقصاء الاعتبار في شرح الاستبصار للشيخ محمد حفيد الشهيد الثاني[1].

---

(١) **أعيان الشيعة**، ج٢٥، ص ٢٩٥.

السيد زين العابدين نور الدين

هو السيد زين العابدين بن السيد نور الدين علي بن علي بن حسين بن أبي الحسن الموسوي العاملي الجبعي «ابن أخي صاحب المدارك»

وُلد في جبع في مستهل المحرم سنة ٩٦٦هـ وتوفي سنة ١٠٧٣. وعن كتاب الشريف ابن شدقم أنه توفي بمكة ودفن بالمعلى عند قبر أبيه السيد نور الدين علي المتوفى سنة ١٠٤٣هـ.

وفي أمل الآمل: كان عالماً، فاضلاً، عابداً، عظيم الشأن جليل القدر، حسن المعشر، كريم الأخلاق، قرأ على والده وعلى عدد من مشايخنا وغيرهم. ولما مات رثاه أخو الشيخ زين العابدين الحر بقصيدة طويلة جاء فيها(١):

يا عين جودي بالبكا والسهاد … لما عرا ذا المجد زين العباد
مضى بعرض في الورى أبيض … فألبس المجد لباس السواد
قد خلت الدنيا فما مثله … من حافظ عهداً وراع وداد
قد راعني الناعي فأنشدته … إنشاد محزون جريح الفؤاد
«الموت نقاد على كفه … جواهر يختار منها الجياد»
وقد أتى تاريخه: سيّداً … قد ألبس الدهر ثياب الحداد

---

(١) أعيان الشيعة، ج٣٣، ص ٣٣٣.

الشيخ زين العابدين الحر

هو الشيخ زين العابدين بن الحسن بن علي بن محمد الحر العاملي المشغري الجبعي أخو صاحب أمل الآمل.

توفي في صنعاء سنة ١٠٧٨هـ.

ذكره أخوه في أمل الآمل فقال: كان فاضلاً، عالماً، محققاً، صالحاً، شاعراً، منشئاً، عارفاً بالعربية، والحديث والرياضيات، وسائر الفنون[1].

له شرح رسالة الحجية للشيخ بهاء الدين العاملي سماها المناسك المروية في شرح الاثني عشرية.

ورسالة في الهيئة سماها متوسط الفتوح بين المتون والشروح.

رسالة في التقية.

تاريخ بالفارسية.

وديوان، يقارب خمسة آلاف بيت.

توفي بصنعاء بعد رجوعه من الحج سنة ١٠٧٨هـ.

ومن شعره قوله:

أرقت لدهري ماء وجهي لأجتني ... له جرعة تروي فؤادي من البحر
وأمّلت بعد الصبر شهداً يلذ لي ... فألفيته شهداً أمرّ من الصبر

(١) **أعيان الشيعة**، ج٣٣، ص ٣٢٧.

وقوله في النبي (ص):

هو خاتم الرسل الكرام محمد ... كهف المؤمل منجح المأمول
رب المناقب والبراهين التي ... قادت لطاعته أسود الفيل
نطقت بفضل علومه الآيات في الفر ... قان والتوراة والإنجيل
لولاه ما عرف الورى رباً سوى ... أصنامهم في الفضل والتفضيل
كلا ولا اتخذوا سوى ناقوسهم ... بدلاً من التكبير والتهليل

ويروي إجازته عن المجلسي بتاريخ ١٠٧٥هـ سافر إلى العجم والعراق واليمن والحجاز، وذكره صاحب نسمة السحَر.

السيد جمال الدين الموسوي العاملي الجبعي

هو السيد جمال الدين ابن السيد نور الدين علي بن علي بن الحسين بن أبي الحسن الموسوي العاملي الجبعي، «وأبوه أخو صاحب المدارك». توفي سنة ١٠٩٨هـ في حيدر آباد (الهند).

وعن أعيان الشيعة نقلاً عن أمل الآمل: إنه عالم فاضل، محقق مدقق، ماهر، أديب، شاعر، كان شريكاً في الدرس عند جماعة من مشايخنا سافر إلى مكة، وجاورها ثم توجه إلى مشهد الرضا عليه السلام، ثم إلى حيدر آباد وسكن فيها، ولم يلبث أن أصبح مرجع فضلائها وأكابرها.

ذكره في روضات الجنات في آخر ترجمة السيد جمال الدين الحسيني الجرجاني فقال: إنه ابن السيد نور الدين أخي صاحب المدارك لأبيه وصاحب المعالم لأمه ومن شركاء درس الحر العاملي كان يدور في البلاد غالباً وله أشعاره كثيرة.

وذكره ابن أخيه السيد عباس بن نور الدين الحسيني الموسوي العاملي المكي في رحلته التي سماها (نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس) المطبوعة بمصر فقال:

إمام الأفاضل، ودرّة تاج السادة الأماثل:

عين ذوي البلاغة واللسن، صاحب الذكر الجميل والثناء الحسن، السيد جمال الدين بن نور الدين بن أبي الحسن.

فاضل له في سائر العلوم الباع الأطول، وهمام عليه في كل المهمات معول. إن تكلم في سائر العلوم شنف المسامع وأحيا القلوب، أو لفظ إلى ساحله جواهر الألفاظ، شهد له بأنه بحر البلاغة الجوهري، وأقرّ له ابن يعقوب.

وأما في النظم والنثر فإليه يُشار بالأكف بين بلغاء العصر. تغرّب عن وطنه مكة المشرفة إلى الهند حيث لا ليلى ولا سعاد ولا هند!

ثم أقام بالدكن واختارها مقراً وسكناً.

وما زال بها مقيماً بعز وسؤدد وجاه، ومكان مكين في جانب سلطانها أبي الحسن قطب شاه.

يقصده الثقات من كل مكان، فيعمهم بالفضل والإحسان. وما برح في دولة ورياسة وإكرام وكرم يخجل قطر الغمام، إلى أن دعاه إلى قربه رب العباد فنقله إلى الجنة من حيدر آباد. وذكره المحبي في خلاصة الأثر فقال:

السيد جمال الدين بن نور الدين بن أبي الحسن الحسيني الأديب الشاعر. الذي كان ألطف أبناء وقته دماثة خَلْق وخُلُق وحسن معاشرة، لطيف الصحبة، شهي النكتة والنادرة، قرأ في دمشق، وحضر مجلس العلامة السيد محمد بن حمزة نقيب الأشراف، فأخذ عنه من المعارف ما تنافست عليه به الآراء. ثم هاجر إلى مكة، وأبوه ثمة في الأحياء فجاورها مدة ثم دخل اليمن أيام الإمام أحمد بن الحسن، فعرف حقه من الفضل، وراجت عنده بضاعته. ثم فارق اليمن ودخل الهند، فوصل إلى حيدر آباد وصاحبها يومئذٍ الملك أبو الحسن. فاتخذه نديم مجلسه، وأقبل عليه بكلية. هذا الملك كما بلغني في هذا العصر الأخير من أفراد الدنيا وفور كرم وميلٌ للأدب وأهله. فأقام عنده في أرغد عيش وصفاء عشرة حتى طرقت أبا الحسن النكبات من طرف سلطان الهند الأعظم السلطان محيي الدين الشهير بأرونك زيب. وقد قبض عليه وحبسه هناك. فانقلب الدهر على السيد جمال الدين وبقي مدة في حيدر آباد، وقد ذهب أنسه إلى أن مات، كما أخبر بذلك أخوه روح الأدب السيد علي بمكة المشرفة.

وفي بغية الراغبين أنه قرأ على أبيه وجماعة. وروى عن أبيه وعن جده لأمه الشيخ نجيب الدين، واختار السياحة إلى أن قبض عليه كما مرّ عام ١٠٨٣هـ.

وعن أمل الآمل: له شعر كثير من معميات وغيرها وله حواش وفوائد كثيرة. فمن شعره قوله:

قد نالني فرط التعب ... وحالتي من العجب

فمن أليم الوجد في ... جوانحي نار تشب

ودمع عيني قد جرى ... على الخدود وانسكب
وبان عن عيني الحمى ... واستحكمت أيدي النوب
يا ليت شعري هل ترى ... يعود ما كان قد ذهب
يفدي فؤادي شادناً ... مهفهفاً عذب الشنب
بقامة كأسمر ... بها النفوس قد سلب
ووجنة كأنها ... جمر الغضا إذا التهب

وقوله من أبيات بعث بها إلى الحر العاملي صاحب أمل الآمل:

أبث من الأشواق ما لو تجسمت ... لضاق بأدنى بعضها كل فدفد
وأهدي سلاماً قد تناثر عقده ... فأصبح يزري بالجمان المنضد
إليك الورى ألقت مقاليد أمرها ... فأبل الليالي والأنام وجدد
ودم سالماً في طيب عيش ونعمةٍ ... مطاعاً معافىً طيبَ اليوم والغد
وإن تسألوا عنّا فإنّا بنعمة ... وعافية فيها نروح ونغتدي
ونرجو من اللّه المهيمن أنكم ... تكونون في خير وعزّ مؤبد

وأورد له المحبي في خلاصة الأثر قصيدة يمدح بها إمام اليمن أحمد بن الحسن وهي هذه:

خليليَّ عودا لي فيا حبذا المطل ... إذا كان يُرجى في عواقبه الوصل
خليليَّ عودا وأسعدني فأنتما ... أحق من الأهلين بل أنتما الأهل
فقد طال سيري واضمحلت جوارحي ... وقد سئمت فرط السرى العيس والإبل
فعادا وقالا صح ما بك من جوى ... وفي بعض ما لاقيته شاهد عدل
ولكن طول السير ليس بضائر ... وغايته كنز الندى أحمد الشبل
أبانت به الأيام كل عجيبة ... يسير بها الركب اليماني والفضل
فنيران بئس في بحار مكارم ... ومن فعله وصل وفي قوله فصل
أفول وقد طفت البلاد وأهلها ... بلوتهم قولاً يصدقه العقل
إذا ما جرى ذكر البلاد وحسنها ... فتلك فروع والفراس هي الأصل
وإن عددوا فضل ومجد مؤثل ... فاحمد من بين الأنام له الفضل
فلا غرو إن قصرت طول مدائحي ... ففي البعد قصر الفرض جاء به النقل
إليك صفي الدين مني خريدة ... فريدة حسن لا يصاب لها مثل
فحقق رجاها وأحل عاطل جيدها ... بما أنت يا نجل الكرام له أهل

وله ملغزاً في قيان:

ما اسم رباعي الحروف إن حذفت منه حرفين بقي واحد، وإن أتيت رأسه بان باقيه، أوله جبل عظيم، وآخره في البحر مقيم، وطرفاه سورتان في القرآن، ومجموع عدده يساوي مفرد الأكفان، ومعكوس وسطيه في أسماء الشهور، ومشددهما نبات في القرآن مذكور، وعكس نصفه نوع من الهوام، وإن نقصت منه حرفاً فهو نوع من الشجر، وأزيدك وضوحاً له وتبيان، إنه لجميع الأشياء كالميزان؟

ومن شعره:

نسيم الصبا ربع الأحبة يَمِّما ... وحيِّ به الصحب الكرام وسلِّما
سلاماً زكياً طيباً مُتعطِّراً ... تمسك بالبيت العتيق وزمزما
ولاذ بأكناف المقام وبالصفا ... وبالحجر السرُّ المصون تذمما
وخبر أهيل الود عن ذي صبابة ... سقته النوى من أكؤس البين علقما
وبث لهم شكوى غريب فؤاده ... أقام به الحزن المقيم وخيَّما
أخلائي جفني لا يمل من البكا ... وناري لا تزداد إلا تضرما
بمكة نصف القلب والنصف عندكم ... فما حال صب قلبه قد تقسما
رعى الله أياماً مضت بربوعكم ... فما كان أحلاها عليَّ وأنعما
وحيِّ الحيا تلك المعاهد والربا ... وجاد ثراها صوب عادية هما
فكم لي فيها من أخ وابن والد ... وخل وفيٍّ بعده القلب كلما
وصحب كرام ما تناسيت ودهم ... وجيران أنس ذكرهم قد تقدما
وكم قد حللنا روضة سندسية ... بها زهر المنثور أضحى منظما
بكى في نواحيها السحاب عشية ... فأصبح بزهو زهرها متبسما
عسى ما تقضى يا جيرة الحي بالنوى ... يمن علينا بالتلاقي تكرما
ويجبر جمع الشمل بعد تفرق ... وترجع هاتيك المسرات مثلما
فدونكموها بنت فكر مشتت ... ونظرة مشتاق مشوق إلى الحما
عليكم سلام الله يا من لأجلهم ... على ناظري أضحى الرقاد محرما
ولا زلتم في طيب عيش ونعمة ... تلاحظتم عين العناية حيثما

الشيخ علي زين الدين

هو الشيخ علي بن زين الدين بن محمد زين الدين الشهيد الثاني العاملي الجبعي المعروف بالشيخ علي الصغير في مقابلة عمه الشيخ علي بن محمد بن الحسن بن زين الدين[1].

ذكره في أمل الآمل بقوله: فاضل، عالم، شاعر، أديب معاصر، قرأ على عمه وغيره. سكن أصفهان.

وله شرح الصحيفة السجّادية فرغ منه في صفر سنة ١٠٨٩هـ، وقد يكون توفي في حدود ١١٠٠هـ.

---

(١) **أعيان الشيعة**، ج٤١، ص ٣٦٩.

الشيخ علي بن محمد زين الدين

هو الشيخ علي بن محمد بن حسن بن زين الدين الشهيد الثاني ولد سنة ١١٠٣هـ.

قال في الروضات: ذهب من جبل عامل في أواسط حاله إلى بلاد العجم، وسكن بأصفهان، واعتلى أمره بها، وقرأ عليه فيها جملة من العلماء.

كان من العلماء الزهاد في عصره. توفي بأصفهان، وقد طعن بالسن وبلغ تسعين سنة.

وقال في أمل الآمل: أمره في العلم والفضل والفقه والتبحر والتحقيق وجلالة القدر أشهر من أن يذكر.

مؤلفاته وكتبه عديدة منها:

(الدر المنثور من المأثور وغير المأثور).

(الدر المنظوم من كلام المعصوم)، وهو شرح الكافي خرج منه كتاب العقل، وكتاب العلم «مجلد».

حاشية شرح اللمعة (مجلدان).

رسالة في الرد على الصوفية، سمّاها السهام المارقة من أغراض الزنادقة.

رسالة في الرد على من يبيح الغناء.

حواشي الفوائد المدنية.

حاشية على الصحيفة الكاملة، وتعليقات كثيرة على كثير من الكتب.

وذكر أن له مؤلفات كثيرة، وقد كتب بخط يده سبعين كتاباً.

الشيخ نور الدين علي بن أحمد العاملي الجبعي
يعرف بابن الحجة النحاريري والد الشهيد الثاني

كان فاضلاً جليلاً، قرأ عليه ولده مدة طويلة كما تقدم، ويروي عن الشيخ علي الميسي.

الشيخ علي بن الحسن بن علي بن محمد الحر
«أخو صاحب الوسائل»

كان فاضلاً صالحاً، زاهداً عابداً، قرأ على أبيه وعلى أخيه صاحب الوسائل، وتوفي في طريق مكة المكرمة راجعاً بعد ما حج ثلاث مرات متوالية في ثلاث سنين سنة ١٠٧٨هـ[١].

الشيخ صالح بن مشرف العاملي الجبعي
«جد الشهيد الثاني»

كان فاضلاً عالماً فقيهاً، من تلامذة العلامة الحلي[٢].

الشيخ علي بن زهرة العاملي الجبعي

كان عالماً فاضلاً صالحاً، من تلامذة الشهيد الثاني على ما يظهر من رسالة ابن العودي[٣].

---

(١) **أمل الآمل**، ص ١١٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٠٢.

(٣) **أمل الآمل**، ص ١٢٠.

السيد محمد بن حيدر بن أبي الحسن الموسوي العاملي الجبعي

فاضل عالم مدقق، معاصر لصاحب الوسائل، ماهر في أكثر العلوم العقليات والنقليات(١).

الشيخ إبراهيم بن علي العاملي الجبعي

فاضل صالح شاعر أديب، معاصر للحر العاملي، له رسالة في الأصول، وأرجوزة في المواريث، وغير ذلك(٢).

الشيخ حسن بن مهريز العاملي الجبعي

كان فاضلاً صالحاً، عارفاً بالقراءات والتجويد، معاصراً للشهيد الثاني.

السيد حسين بن علي الحسيني الجبعي

فاضل عالم صالح، من تلامذة الشيخ حسن زين الدين صاحب المعالم: رأيت الإرشاد بخطه، وله في آخرها ما يدل على أنه قرأ عند الشيخ حسن زين الدين وتاريخ قراءته ١٠٠١هـ(٣).

الشيخ أحمد الكفعمي

أحمد بن علي بن الحسن بن محمد بن صالح بن إسماعيل الكفعمي العاملي الجبعي، أخو الشيخ إبراهيم الكفعمي صاحب مصباح الكفعمي، مرَّ الكلام عنه في ترجمته.

توفي في حياة أخيه، له كتاب (زبدة البيان) في عمل شهر رمضان، ينقل عنه أخوه المذكور في كتابه البلد الأمين، وعد في آخر مصباحه من الكتب المأخوذة منها كتاب زبدة البيان. وقال: إنه لأخي الشيخ جمال الدين أحمد الجبعي، وذكره أخوه في حواشي كتابه المعروف بالمصباح(٤).

---

(١) المصدر السابق، ص ١٦٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٩.

(٣) **أمل الآمل**، ج١، ص ٧٧.

(٤) **أعيان الشيعة**، ج٩، ص ٩٦.

الشيخ أحمد بن الحسن الحر العاملي

(والحر) بضم الحاء المهملة وتشديد الراء، لقب لهذه السلسلة وهو اسم لأحد أجدادهم سمي باسم الحر الشهيد بكربلاء وكونهم من أولاد الحر الشهيد لا دليل عليه. وهم يذكرون نسباً لهم يتصل بالحر الرياحي والله أعلم بصحته، وهو على ما كتبه لنا بعض أفاضلهم هكذا[1].

إن الجد الذي تجتمع عليه فروع هذه العائلة هو الحسين بن عبد السلام بن عبد المطلب بن علي ابن عبد الرسول بن جعفر بن عبد ربه بن عبد الله بن صدر الدين بن نور الدين بن صادق بن حجازي بن عبد الواحد ابن الميرزا شمس الدين ابن الميرزا حبيب الله بن علي بن معصوم بن موسى بن جعفر بن حسن بن علي بن المرتضى بن حجازي بن محمد بن باكير بن الحر بن يزيد بن يربوع الرياحي.

وعن أمل الآمل للحر العاملي: عالم فاضل صالح، عارف بالتواريخ، له كتاب تفسير القرآن، وتاريخ كبير، وتاريخ صغير وحاشية، والمختصر النافع، وجواهر الكلام في الخصال المحمودة في الأنام، ثم يقول: وله كتاب الدر المسلوك في أخبار الأنبياء والأوصياء والخلفاء والملوك. رتبه على ترتيب تاريخ ابن الشحنة الحلبي المسمى بروض المناظر في تاريخ الأوائل والأواخر.

ثم يروي صاحب أعيان الشيعة فيقول: ولعله أحد التاريخين المتقدمين في عبارة أمل الآمل. رأيت منه نسخة مخطوطة في مكتبة البرلمان الإيراني بطهران. فرغ من كتابته في ربيع الأول سنة ١٠٩١هـ وكتب عليها أنه فرغ من تأليفه سنة ٨٠٦هـ وهذا التاريخ لا يصح فإن مولد أخيه الحر العاملي صاحب الوسائل ١٠٣٣هـ وعلى ظهر تلك النسخة أنها تأليف الشيخ أحمد بن الحسن الحر العاملي مولداً الخراساني الهجرة الإمامي مذهباً أخي الشيخ الحر العاملي.

ويروي عن بعض فضلاء الإيرانيين أنه رأى نسخته في مكتبة الشيخ عبد الحسين في خراسان بخط المؤلف وبعض صفحاته بخط غيره في مجلدين صغيرين، وذكر في ديباجته أنه رتبه على مقدمة وخمسة أركان وخاتمة.

---

(١) **أعيان الشيعة**، ج٧، ص ٤٨٢.

فالمقدمة في ابتداء خلق الأرض وما فيها من عجائب الخلق والركن الأول في أحوال الأنبياء، والثاني في أحوال الأئمة المعصومين، والثالث في ملوك إيران والأمم الخالية، والرابع في الخلفاء الراشدين والحكام والسلاطين، والخامس في أحوال الصحابة والتابعين وباقي المسلمين وحوادث الدنيا والدين، والخاتمة في أمور شاهدها وفي حوادث أخرى[١].

السيد حسين بن علي الحسيني العاملي الجبعي

ذكره أمل الآمل أنه فاضل، عالم صالح من تلاميذ الشيخ حسن زين الدين ابن الشهيد الثاني. وقال: رأيت كتاب الإرشاد بخطه، وفي آخره ما يدل على أنه قرأ على الشيخ حسن تاريخ قرأته سنة ١٠٠١هـ[٢].

الشيخ حسن بن محمد زين الدين العاملي الجبعي

هو الشيخ حسن بن زين الدين بن محمد الحسن بن زين الدين الشهيد الثاني العاملي الجبعي[٣].

توفي سنة ١١٠٤هـ كما هو مذكور في كتاب شهداء الفضيلة وفي أمل الآمل عالم فاضل صالح معاصر لصاحب أمل الآمل. سكن أصفهان. قرأ على عمه وغيره، وعمه هو الشيخ علي ابن الشيخ محمد.

(١) **أعيان الشيعة**، ج٧، ص ٤٤٨.

(٢) **أعيان الشيعة**، ج٢٧، ص ٣٢.

(٣) **أعيان الشيعة**، ج٢٧، ص ٣٢.

الشيخ محمد رضا ابن
الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي الجبعي
«صاحب الوسائل»

كان عالماً، يجري مجرى أبيه في الفضل والعلم، وقام مقامه في المشهد الرضوي. كان في الفقه والتبحر في العلوم مثالاً لأبيه. جمع أشعار البهائي في ديوان أسماه «مطلع الشمس».

توفي في شعبان ١١١٠هـ برواية الفاضل النصيري في تاريخ الشاه حسين الصفوي سنة وفاة العلامة المجلسي؛ ودفن في جوار أبيه في بعض حجرات الصحن الشريف في المشهد الرضوي[١].

الشيخ عبد السلام الحر بن الحسن بن
محمد بن علي بن محمد الحر العاملي الجبعي[٢]
توفي سنة ١١٣٨هـ

ذكره الشيخ علي بن سعيد الحر العاملي الجبعي في كتابه مهذب الأقوال، فقال: كان عالماً، فاضلاً، ماهراً، ورعاً، متبحراً، شاعراً، أديباً، منشئاً وكان بينه وبين عثمان باشا ـ والي صيدا ـ صداقة وصحبة كبيرة. وكان يستشيره، وإذا حضر مجلسه يكرمه إكراماً زائداً. وكان حاكم جبل لبنان يومئذٍ الأمير حيدر بن موسى الشهابي وهو صديق الشيخ عبد السلام أيضاً، فحضر الشيخ ذات يوم عند الباشا في صيدا فأسر إليه أن مراده أن يرسل إلى الأمير حيدر لأجل تلبيس الخلعة ويقبض عليه، وحين حضر الشيخ إلى جبع أرسل كتاباً إلى الأمير حيدر يعلمه بحقيقة الحال ويحذره من مواجهة الباشا.

---

(١) **أعيان الشيعة**، ج٣٨، ص ٣٧.

وأرسل الباشا إلى الأمير بالحضور لتلبيس الخلعة فلم يحضر فأرسل إليه يلومه ويقول: ما مرادي من حضورك إلا أن أخلع عليك وأكرمك. فلما ألحّ عليه أرسل له رسالة الشيخ عبد السلام الحر، فلما نزل الشيخ إلى صيدا حسب عادته وحضر عند الباشا قال له الباشا: «يا شيخ إذا ائتمن أحد شخصاً على شيء فخانه ما يجب عليه! قال: إذا كان مثل دولتكم وائتمن أحداً فخانه يجب على الخائن القتل، وكان الشيخ قد نسي القضية فأعطاه الكتاب بخطه وخاتمه فأسقط في يده، فقال له: أنت قد أوجبت على نفسك القتل ولكنا عفونا عن قتلك، وأمر به إلى السجن، وذلك ١١٤٤هـ وقيل: ١١٢٢هـ. وكان في السجن علي منصور المنكري ورجل من بيت يزبع فقدر اللّه أن الباشا نقل إلى البصرة فأخذ المسجونين معه الشيخ عبد السلام وعلي منصور وابن يزبع فحبسهم في البصرة.

وفي بعض الليالي حرك الشيخ القيد فانفك، وفك قيد رفيقيه أيضاً وهربوا جميعاً حتى وصلوا بيت امرأة: فذكروا لها قصتهم فوضعتهم في مخدع وجعلت عندهم زاداً وماء وثبتت باب المخدع.

وشدّد الباشا في التفتيش عليهم حتى أنهم جاءوا إلى بيت تلك المرأة فلم يعثروا عليهم. وبقوا في المخدع ثلاثة أيام حتى سكن الطلب ثم أخرجتهم فتوجهوا إلى المشاهد، وزاروا الأئمة عليهم السلام. ثم توجهوا إلى بلاد العجم ثم عادوا في تلك السنة إلى بلادهم ورجع الشيخ وعلي منصور إلى جبع.

فاتفق أن عثمان باشا أعيد تلك السنة إلى ولاية صيدا فجعل طريقه على جبع ونزل في محل يسمى مرج رأس العين وأرسل وراء الشيخ وأمنه فهرب من البلد. فسأل الباشا هل له ولد؟ قالوا: له بنت عمرها خمس سنوات، فخلع عليها، وتوجه إلى صيدا ثم أرسل إلى الشيخ وأعطاه الأمان وأقسم له على ذلك فحلف الشيخ أن لا يواجهه ما دام حياً.

الشيخ سعيد بن محمد الحر العاملي الجبعي

هو سعيد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن الحسن بن محمد بن علي بن محمد بن الحسين آل الحر العاملي الجبعي(1).

ولد في بعلبك سنة ١٢١٩هـ وتوفي سنة ١٢٦٩هـ. وكان أبوه قد هرب من فتنة الجزّار الرهيبة إلى بلاد بعلبك؛ والتجأ إلى أمراء الحرافشة، فأكرموه. وصادف يوم ولادته يوم هلاك الجزّار، وجاءته البشارة بهلاك الجزّار فسماه سعيداً بهذه المناسبة كما ذكر في ترجمة أبيه. وكان من أهل العلم والفضل، وكان نائباً على قضاء جبع بمرسوم من عبد الله باشا ابن علي باشا الخزندار صاحب عكا مؤرخ سنة ١٢٤٠هـ.

ونقلاً عن الشيخ محمد آل مغنية في كتابه «جواهر الحكم» وممن عاصرته: كان سعيد ابن الحر جواداً كريماً، حسن الأخلاق، واسع النفس، رحب الصدر، طلق المحيا، أمره في البذل والعطاء وقرى الضيوف فوق الوصف.

لو سردت بعض مكارم هذا الشيخ الوقور لقلت: بالغ، وكما يعلم الله مهما حررت وسطرت لكان الجزء من المئين.

كان جبل عامل بمدة العشائر وما عليه من الرونق والتقدم والعمران وشيخ مشايخ العشائر يومئذٍ حمد البيك الشهير، صاحب الاسم في جميع الأنحاء، حاكماً بقضاء جبع علاوة على تبنين وملحقاتها، يلزم الأمر إلى اجتماع عمومي في نفس جبع لأنها أم القرى، فمتى تجتمع الوفود ترى هذا الشيخ مقبلاً ضاحكاً، مستبشراً، غير منهمك، ولا ضنك، تمر القضية بضعة أيام، وتتوجه الناس على طبقاتهم ومنازل اعتبارهم شاكرين غرقى المكارم والألطاف كلاً ينشر مدائحَ وشكراً.

---

(1) **أعيان الشيعة**، ج٣٥، ص ٥٣.

هؤلاء هم العلماء والسادة النجباء الذين أنجبتهم بلدة جباع. وهم كما وصفهم المرحوم العلامة السيد محسن الأمين في خطط جبل عامل[1]:

ملأت علومهم البلاد وقد غدت ... فيها تسير مسير ريح زعزع
في كل عصر لم تزل ذكراهم ... تحيا ويعبق نشرها في الأربع
سل (مشغرى) عنهم وسل جبعاً وسل ... ميساً وعيناثاً تجبك بما تعي
سل عنهم ظلم الدياجي كم بها ... من قانت متوسل متضرع
لبس الخشوع وقد تأزر بالتقى ... يُمسي ويُصبح خاشعاً في خُشع
أو قائم في ليله متهجد ... أو صائم بنهاره متطوع
يزهو به محرابُهُ من ساجد ... في ساجدين وراكع في ركع
قنعوا من الدنيا ببلغتهم وعن ... أخراهم ما أن لهم من مقنع
أو شاعراً أمست بمنظوماته ... تحدي الركاب بكل قفر بلقع
تغدو بأرض الشام ثم تبيت في ... نجد ويصبح ذكرها في لعلع
أو كاتب ترفض من أقلامه ... درر بكل منمق ومسجّع
صبروا على جور الزمان وظلمه ... صبر الكرام على العظيم المفظع
وحموا حقيقتهم على جهد البلا ... والصبر للأحرار خير المفزع
ومشوا بنهج الحق لم يتأخروا ... عن نهجه الملحوب قيد الأصبع
هجروا لإدراك العلى أوطانهم ... فرقوا بذاك إلى المحل الأرفع
في الهند أو أرض العراق وفارس ... في أي قطر نجمهم لم يطلع
طبعت على كسب العلاء طباعهم ... وعلى سوى كسب العلى لم تطبع
نالوا العلوم بجدهم وبكدهم ... بين البلاء وبين فقر مدقع
ورقوا بهمتهم على درج العلى ... تحت الصوارم والرماح الشرع

---

(١) **خطط جبل عامل**، للسيد محسن الأمين، ص ٦٢.

الشيخ حسين الكركي العاملي الجبعي

توفي في النجف الأشرف في المائة الثالثة عشرة ولم نعثر على تاريخ وفاته بالضبط. أصل أجداده من الكرك، فلهذا تنتسب عائلته إليها. أما هو فلم يكن منها وإنما كان من أهل جبع[1].

كان عالماً فاضلاً، وأديباً شاعراً. قرأ أولاً في جبع في مدرسة الشيخ عبد الله نعمة الكبير ثم هاجر إلى العراق لطلب العلم في النجف الأشرف، حتى عرف بالعلم والفضل. فطلبه أهل دمشق ليكون عندهم، وأرسلوا إليه مبلغاً من المال لنفقة سفره، وشراء الكتب. ولكنه لأمر ما، لم يقبل دعوتهم، وبقي في النجف وتوفي فيها عن ولد هو الشيخ عباس، سكن الكاظمية وتوفي فيها ولم يعقب.

وذكره الشيخ أحمد رضا أنه كان شريك الشيخ محمد علي عز الدين في الدرس، وبينهما مراسلات نظماً ونثراً، مذكور بعضها في سوق المعادن كان يرسلها الشيخ الكركي إليه من العراق إلى جبل عامل[2].

وذكره الشيخ علي السبيتي العاملي في بعض مجاميعه فقال: الشيخ حسين الكركي العاملي الجبعي عالم بارع، قرأ عليَّ ألفية ابن مالك، والمطول في البيان، ولاحظه الحظ فطار عني إلى النجف لطلب العلم. وكانت قراءته عليه في جبع.

وذكره صاحب جواهر الحكم فقال: هو من الشيوخ الكبار، أهل السبق والفضل، لا يجارى ولا يبارى في حلبة الفضائل. كان كاتباً أديباً، بارعاً منشئاً تقياً، زاهداً. قرأ مدة في بلدته جبع على الشيخ الأكبر برفقة آل عز الدين وآل السبيتي. ثم توجه إلى العراق، وبقي

---

(١) **أعيان الشيعة**، ج٢٧، ص ١١٥.

(٢) **أعيان الشيعة**، ج٢٧، ص ١١٥.

يطلب العلم ويفيده لمريده نحواً من ثلاثين سنة إلى أن انتقل إلى رحمته تعالى وغفرانه.

وله شعر جيد في مراسلة إخوانه، وشكوى زمانه، منه ما قاله مادحاً صديقه المتبحر السيد كاظم الأمين الحسيني العاملي النجفي المتوفى سنة ١٣٠٣هـ:

يا سيّد الصيد وابن السادة الغُرَر ... وأشرف الناس من بدو ومن حضر
أصفيتُكَ الودَّ لا غراً بموقعه ... ما الجهل بالحب من شأني ومن وطري
أكرُّ بالطرف فيما استريب به ... حتى أرى العين تهديني إلى الأثر
وأوقف القلب عن ورد وعن صدَر ... حتى يطابق بين الخير والخبر
وقد رأيتك تبدي للعلى هِمماً ... بها تحك مناط الأنجم الزهر
حتى بلغت من العلياء منزلة ... جاذبت أردانها الأشراف من مُضَر
كنت المحكم في نفسي وما ملكت ... خلاله من نعيم السمع والبصر
فأدرأ بها ما تشا عمَّا تشاءُ وإن ... قلَّ الفِداء فقد بالغت في العذر
رقيتَ بالفضل مرقى لا تُلام بأن ... تقابل البدر فيه غير مستتر
جللت في الناس حتى كل ذي رشد ... يعيبك بالقلب إجلالاً عن النظر
وإن تكن بين هذا الخلق لا عجب ... فأنت فيهم مناط الشمس والقمر
أضاء نورهما في كل ناحية ... وجلّ شأنهما عن فخر مفتخر
من راح يطلب مجداً أنت مدركه ... آبتْ مطامعه في حاسر البصر
يُفديك ذو حنق غادرت مهجته ... تهفو أسى كجناح الطائر الذعر
أصماه بعد العلى عن ظل ساحته ... حتى تراه أكيل البيض والسمر

وله أيضاً:

من لي بنقل ركائبي لمناقل ... فيهنّ أسواق الكمال تُقامُ
أعني معالم بالعراق أو أهلاً ... للصيد في أرجائهن زحام
من كل ميمون النقيبة ماجد ... خصب المرابع والسحاب جهام
سهل الخليقة ما اجتنى بفضاضة ... ينقض رضوى دونها وشمام
هيهات حالت دونهن مهامه ... من دونهن مهامه وأكام
يعيي المراسيل النجائب قطعها ... مشياً فتخبو والرغاء بغام
قد أبدلوني عنهم بمعاشر ... لم يرج فيهم للنزيل ذمام
فتراهم في راحة مما له ... تعبت لإدراك السباق كرام

وله أيضاً:

من ناشد لي بين أهل المغرب   قلباً تنكب في السرّ عن مذهبي
حتام أسكن للأماني طامعاً   في الإلفِ بين مشرق ومغرب
فرعاً إلى الأوهام تبلغ بي المنى   فزع الظماء إلى بروق الخلب
والدهر ينكب عن قضاء مآربي   كالسيف ينكب عن يمين الأعضب
تلوى الوجوه صوارفاً عني كما   صدّ الصحاح عن الطلي الأجرب
إني أحن إلى منازل أسرتي   شوق المطي إلى الحداء المطرب
من كان أيام الشبيبة عيشه   نكداً وصدع فؤاده لم يرائب
هل يرتجي بالشيب لم خصاصة   أو لين صعبة مقودٍ لم تركب

ومما كتبه إلى العالم السيد كاظم الأمين:

طربتُ وما داع الغرام استفزني   ولا رغد في العيش يلهي ويُطرب
ولا هاجني تذكار عين نوافر   كريمات أطراف أبوهن يعرب
بعيدات مهوى القرط قد قصر الحيا   مدى خطوها إذ طال منها التحجب
ولا زمني أسدى إليَّ جميله   أصعد طرفي نحوها وأصوب
ولكن وإن جلت لدي صروفه   وأثار في أحشائي ناراً تلهب
أرى ساعة أرتاح فيها لذكركم   أجل زمان في أغانيه أطرب
وها إنني ثلج الفؤاد بوصلكم   أسرح فيه ناظري وأقلب
أياد بها طوقت جيدي على النوى   تغالبني المعروف إذا أنت أغلب
كفعل أخيك الغيث عند انسكابه   سواء عليه من يقيم ويعزب
جلوت على عيني سطوراً بها انجلت   غياهب ليل أنت عنه المغيب
كررت عليها اللثم طوراً وتارة   أصيخ لما عنه من الفضل تعرب
أقابلها بالشكر والعجز دونه   فكيف بأن أقوى وأنت لها أب
شربت بها عذب الرضاب على الصبا   كنيل أمان من أياديك تطلب
إذا كان قلبي في الشراب مخيراً   فهن له أحلى الشراب وأعذب
وجوباً أرى أفراد علياك بالولا   لأنك فرد في الأنام مهذب
رضيت بأن ترضى ودادي وإن يكن   زماني وأهلوه عليَّ تألبوا
وحسبي بها يا ابن المناجيب منحةً   من الدهر لا أشكو ولا أتعتب
وليس علو الجد فيما أناله   من المال ينمو في يدي ويخصب
وغاية كدحي في مساعيه بلغة   من العيش أو حمق على العقل يغلب

الفصل الثاني

الحوادث والكوارث
التي جرت على جبع في عهد الإقطاع
١١٦٣هـ - ١٧٥٠م

كانت جبع في العصر الإقطاعي قاعدة لحكام إقليم التفاح المنكريين، أي آل منكر الذين عُرفوا فيما بعد بآل الجواد، وأصابها من نكبات ذلك العهد ما أصاب غيرها من قرى جبل عامل، أو بالأحرى كانت تعاني من شدائدها وويلاتها أعظم مما يعانيه غيرها نظراً لوقوعها في أطراف لبنان الغربي ولكونها محاطة شرقاً وشمالاً بأملاك الجنبلاطيين ومنطقة نفوذهم، ولأنها أقرب قواعد الحكام العامليين إلى قاعدة حكام الشوف الذين كانت الحرب سجالاً بينهم وبين العامليين، ولأنها أيضاً ممر الجيوش الزاحفة إلى جبل عامل[١]. ففي سنة ١١٦٣هـ - ١٧٥٠م هاجمها الأمير ملحم بمجموعة فالتقاه مشايخها المناكرة برجالهم. فكان له الظفر بهم، وقتل منهم ثلاثمائة رجل، وفرّ الباقون إلى مزار هناك[٢] فتحصنوا به، فوجّه إليهم الأمير كتيبة من جيشه بأمر الأمير مراد اللمعي والشيخ قبلان الخازن، ففازوا عليهم وظفروا بهم، وأهلكوهم جميعاً. ثم شنّ الغارة على باقي تلك الديار ورجع إلى بلاده، هذه الحادثة رواها الأمير حيدر والشدياق والمطران الدبس.

وأما رواتها من العامليين فقد رووها كما يلي[٣]:

---

(١) **تاريخ جبل عامل**، لمحمد جابر.

(٢) هو الحصن المعروف الذي ما زالت بقاياه موجودة على تلة فوق قرية عين قانا.

(٣) **تاريخ جبل عامل**.

سرق لرجل من الشوف بغلة، فاتهم بها عاملي، فاعتدى بعض الشوفيين على عاملي غير المتهم، فجرحوه. ولما نما الخبر إلى الشيخ ظاهر النصّار بعث ببعض رجاله فترصدوا جسر (الأولي) على الشوفيين، فقتلوا منهم بضعة رجال، فاغتاظ من ذلك الأمير ملحم وزحف بعسكره على جبل عامل، فأحرق قرية جبع وقتل كثيرين من سكانها وسكان ما جاورها من منطقة التفاح، وبالغ في تخريب البلاد. فاجتمع مجاهدو الشيعة في النبطية، وكانوا ثمانمائة فارس، فزحفوا على (الخربة والقليعة) لمحاربة الأميرين نجم وسيد أحمد الشهابيين المرابطين فيها بعسكرهما، فطردوا الأميرين بعد أن قتلوا من عسكرهما ما يربو على الألف، ورجعوا منتصرين. فعظم الأمر على الأمير ملحم فأحرق إقليم التفاح ومشى بعسكره إلى بلاد الشقيف فأحرقها، ثم قصد بلاد بشارة فالتقاه من الشيعة سبعون فارساً بأرض (دير قانون) فحدثت معركة أسفرت عن قتل الشيخ مراد النصّار، وأحرق الأمير قريتي (شحور، ومارون) وبعض القرى[1].

فاستنجد المشايخ العامليون بالشيخ ظاهر العمر، فأنجدهم بالصفويين. ولما بلغ الأمير خبر مجيئهم بجيشهم لقتاله، تراجع بعسكره عن البلاد، بعد أن أوغل فيها، وخرّب ما خرّب، وحرق ما حرق.

وفي سنة ١١٨٥هـ - ١٧٧٠م زحف الأمير يوسف الشهابي بعساكره الجرارة على جبل عامل، فقصد قرية جبع، وأحرق أكثر قرى إقليم التفاح، إلى أن بلغ بلدة جباع، فنهبها وأحرق قسماً من بيوتها، وهدم الباقي بعد أن قطع أشجارها، وبات فيها ليلتين. ثم توجّه إلى صحراء (المأذنة) بجيش كثيف يزيد على الأربعين ألف مقاتل.

وكتب الشيخ علي الفارس إلى الشيخ ناصيف النصّار شيخ مشايخ جبل عامل يبسط له القضية، ويستنجده للدفاع عن البلاد، وحماية أبناء طائفته. فهبّ ناصيف للنجدة، وأرسل الرسل لجمع الجنود، وكتب إلى حليفه الشيخ ظاهر العمر الزيداني صاحب فلسطين يطلب النجدة منه.

وصول الجيش المهاجم إلى النبطية:

وكان جيش الأمير يوسف في أربع فرق: فالفرقة الأولى، وهي المقدمة، فيها الأمير يوسف في أول الجيش، والفرقة الثانية، وهي الجناح الأيمن، كانت تسير في طريق (جباع -

(١) **تاريخ جبل عامل**، لمحمد جابر.

فحومين - فحبوش - فالنبطية). والفرقة الثالثة، وهي الجناح الأيسر، كانت تسير في طريق (العرقوب - فالمئذنة - فالجرمق - فكفرتبنيت - فالنبطية). والفرقة الرابعة، وهي القلب، كانت تسير في طريق (جرجوع - فعرب صاليم - فالنبطية).

وكانت قوى الشيخ علي الفارس وأخيه الشيخ حيدر الفارس (الذي كان في بدء الخلاف مقيماً في جباع)؛ فوافى أخاه إلى النبطية للاشتراك في الدفاع مع جنود مقسمين إلى فرقتين: فرقة الفرسان وعددها خمسمائة من الأبطال المجربين، كانت تقيم معه في (قلعة الشقيف)، وفرقة المشاة وعددها ألف مقاتل من الشبان المتمرنين على تسديد الرماية من النبطية وضواحيها. وعسكر الشيخان بجيشهما في الضاحية الشرقية الشمالية من البلدة في أرض تسمى (قلادس) التي دعيت بعد المعركة (بعريض القهوة) ولم تزل تعرف بهذا الاسم إلى اليوم، لأن الجيش العاملي شرب فيها قهوة النصر.

ولما وصلت طلائع الجيش المهاجم إلى (جباع) وأحرقتها وقطعت أشجارها، بعث الشيخ علي الفارس رسولاً آخر إلى الشيخ ناصيف النصّار يُخبره بحركة العدو وما فعله من الفظائع، ويستعجل قدومه، وأرسل كشافاً يستطلع طلائع الجيش المهاجم، ويرقبُ حركاته ويقدّر قوته. وعاد الكشاف يهول بكثرة المهاجمين ووفرة معداتهم. فانتهره الشيخ، وصاح به: «اسكت قطع اللّه لسانك». وأمر بسجنه.

وأرسل كشافاً آخر ورجع هذا - وقد تعلّم الأمثولة - يهوّن الخطب، ويُزري بالعدو، وبسيره غير المنظم، وأن قسماً منه غير مسلّح رافق الجيش للسلب والنهب، وأن الفوز سيكون حليف المسلمين الشيعة حتماً. فأثنى عليه الشيخ وأمر له بخلعة.

ديوان المشورة وتقرير خطة الدفاع:

وعقد الشيخ علي الفارس ديوان مشورة من خواصه وكبار رجاله، وخيّرهم بين التسليم والحرب، بل بين الموت الذليل والحياة العزيزة، بين حرب مجزية أو سلم مخزية وراءها سبي النساء والاستعباد، وأخيراً دمار البلاد. فاختاروا الحرب والدفاع إلى آخر نسمة من حياتهم، وصلُّوا جميعاً صلاة الموت، ودعوا اللّه أن ينصرهم ويخذل العدو الباغي. وبدأ الاستعراض، ودبّ الحماس في النفوس، وارتفعت الأصوات بالحداء العربي والأغاني العسكرية الحماسية. ووصلت مقدمة المهاجمين صباحاً إلى النبطية وفيها الأمير يوسف الشهابي فاحتلت الضاحية الغربية من البلدة، ونصب الأمير سرادقاً كبيراً على البيدر الأعلى قرب الجبانة، ولم تكن الدور

والأبنية اتصلت بالجهة المحتلة كما هي اليوم، واجتمعت فرق الجيش كله في كفررمان واتخذتها مركزاً.

انقلاب خطة الدفاع إلى الهجوم:

ولما انفرد الأمير الشهابي عن الجيش وسار في المقدمة، أوى إلى سرادقه آمناً مطمئناً كأنه يسير في نزهة، معتزاً بقوة جيشه، غير حاسب لخصومه حساباً مما يخالف أبسط القواعد الحربية ويدل على الغرور وضعف الرأي.

رأى القائد الصعبي، وهو الباسل المحنك أن الفرصة سانحة، فعوّل على الهجوم بالفرسان بعد أن كانت الخطة دفاعية كما سبقت الإشارة، وخشي بادرة الحماس من الشبان المشاة فأمر بحجزهم في خان الميري الواقع في جوار بيت آل الفضل في النبطية، وأمر قائدهم الشيخ دندش ـ ابن أحمد الفارس ـ أن يوصد الأبواب ولا يدع أحداً يتحرك إلا بإشارته، لأنه لم يكن على ثقة أن جيشه القليل يفوز على ذلك الجيش العرمرم. وعبأ خيالته تعبئة حربية محكّمة، فأحاطت بفرقة الأمير من جهات ثلاث، من الغرب، والشرق والجنوب، تاركاً جهة الشمال ليسهل الفرار والانسحاب.

بدأت المعركة بإطلاق الرصاص، فذُعر الأمير يوسف، ورأى الخطر المحدق به، فارتبك، وتشوشت جنوده، وضيّق المهاجمون الحلقة عليه، فلجأ إلى الفرار لا يلوي على شيء. وكانت الأوامر قد أعطيت بعدم قطع الطريق عليه وعدم مسّه بسوء، ولما سمع الشباب المحصور في خان الميري أزيز الرصاص اشتدّ هياجه فنقب جدار الخان الشمالي وتعقّب العدو فاشتبك معه في ساحات ثلاث (الجزائر) شمالي البلدة، ووادي بو نعيم شرقيها، وبين زيتون كفررمان، وكان جيش الشيخ ناصيف المؤلف من ثلاثة آلاف مقاتل قد وصل إلى قرب قرية شوكين، وهناك التقى بكشاف يصيح (علق الشر، علق الشر) أي دارت رحى الحرب، فأسرع برجاله سالكاً طريق (زبدين) ودخل البلدة من الجهة الغربية ليداهم مقدمة الجيش المخيّمة غربي البلدة كما قدمنا، وتنكب عن طريق (نبعة حبيب) لأنها مضيق واقع بين جبلين فخاف الكمين وسار بخيله خبباً إلى ساحة العراك، ورأى الحرب قائمة على قدم وساق، فهجم هجوم المستميت ولم يلبث العدو أن لوى عنانه متقهقراً إلى كفررمان، ولما مالت الشمس إلى المغيب تحاجز الفريقان وأسدل الليل سدوله، فانتشر جيش الشيعة على تلك الروابي والتلال يوقد نار الحرب، ويهزج بالعتابا والأغاني الحماسية.

وفي صباح اليوم التالي دارت رحى القتال بشدّة وكان جيش العدو قد فقد حماسته وخمدت جذوته، فانسلّ من حيث أتى راضياً من الغنيمة بالإياب، وثبتت قليلاً بعض الفرق

بقيادة المشايخ النكديين، وهجم الشيعيون بالسلاح الأبيض فانهزم الجيش كله انهزاماً تاماً، فراحوا يصعدون في جبل (العرقوب) وروابي (سجد) المطلة على سهل (الميذنة) (وعقبة جرجوع) وصارت الشيعة تعمل في أقفيتهم وتذبحهم ذبح النعاج، ومات أكثرهم خوفاً وتعباً.

وكانوا إذا علق رداء أحدهم بغصن أو جب شجرة، طرح سلاحه ووقف كالمذهول حتى يأتي من يقضي عل حياته، وشاعت عنهم الكلمة التي صارت مثلاً يتداولها الناس إلى اليوم وهي قول العالق بأغصان الشجر: «يا شيخ جب ارخيني خذ القبق والسكيني».

ويقول المؤرخ العاملي الشيخ علي رضا: إن الشيخ ناصيف النصّار تعقّب بنفسه الأمير يوسف الشهابي فأدركه في (عقبة جرجوع) فوكز رأسه بالرمح وأنزله عن ظهر بغلته إلى الأرض، وألبسه الفرو مقلوباً، وقال له: عفوت عنك، رأفة بشبابك، واحتراماً لأسرتك، وأنا ابن نصّار. فأجابه الأمير يوسف: (قدها أولاد أم علي) أي إنكم أهلاً للعفو، وأولاد أم علي هو لقب كان يطلق على الشيعة وكانوا يفخرون به[1].

أما عدد القتلى فيقول الأمير حيدر الشهابي في تاريخه مجلد أول صفحة ٩١: إنه ألف وخمسمائة قتيل، وإن الأمير يوسف لما وصل إلى (كفررمان) أحرقها وسار إلى (النبطية) فالتقى بطارش عسكر المتاولة بنحو خمسمائة خيال فانكسر عسكر الدروز كسرة عظيمة، ولم يكن في الزمان انكسر مثل تلك الكسرة، ولولا ثبات الشيخ كليب نكد ووصول الأمير إسماعيل الشهابي لأجهز المتاولة على الجيش كله لأنهم كانوا كالغنم بين أيدي الذئاب[2].

ويقول مؤرخو جبل عامل: إن جيش الأمير يوسف ترك في ساحة القتال ما يزيد عن ثلاثة آلاف قتيل[3]، حتى قيل: إنه كان بين القتلى أربعمائة زوج أخوة، أي كل اثنين لأب وأم واحدان، ونقلاً عن رواتها ممن شهدوا المعركة وكانوا في معمعانها: أن الفتيات كنّ يمددن عسكر الشيعة بالماء والزاد، ويسرن زرافات من فرقة إلى فرقة يثرن نخوة المقاتلين وحميتهم بالزغاريد والأغاني الحماسية كقولهن: (وين راحوا أولاد أم علي!) - (وين سياج العذارى؟) - (وين بني متوال يا عز الرجال؟) - وأن فرسان الشيعة كانت تطلق طلقاً واحداً من بنادقها ثم يضع كل واحدٍ بندقيته وراء ظهره ويهاجم العدو ويقاتله بالسلاح الأيض وينقض عليه انقضاض

(١) **تاريخ جبل عامل**، ص ١٣٠.
(٢) **الأعيان**، للشدياق صفحة في حوادث سنة ١٧٦٨م، ١١٨٢هـ.
(٣) **تاريخ جبل عامل**، ص ١٣٠.

البزاة على الطير، وأن جثث القتلى غطّت ضواحي (النبطية وكفررمان وسهل الميذنة)، وكن إذا ذهبن إلى نبع الميذنة لغسل ملابسهن لا يستطعن البقاء طويلاً لفظاعة تلك المناظر الرهيبة، ولبس الشوف أثواب الحداد حتى كانت النساء تُرى كالغربان.

ولشعراء جبل عامل قصائد وزجليات في وصف هذه المعركة الطاحنة ما زال البعض يتداولونها إلى اليوم[١].

هذا ما أوردناه من تلك الحوادث، وما ذكرناها إلا لأن لجباع صلة بها، ونالت من ويلاتها أكبر نصيب.

وفي حوادث ١٢٧٧هـ - ١٨٦٠م أصاب جبع نصيبها الكبير من ويلات هذه الحوادث بسبب حماية علمائها وزعمائها ووجهائها اللاجئين من المسيحيين، وقد احتمل كبير علماء ذلك العهد العلامة الشيخ عبد اللّه نعمة، وعلماء مشايخ آل الحر، وآل محمود وسراتهم، وبعض أشرافها في ذلك السبيل من النهب والسلب، من قبل الدروز الذين كانوا يتعقبون المسيحيين لقتلهم كما هو معروف وما دوّنه لهم تاريخ تلك الحوادث المؤلمة واستحقوا عليه رضى الخالق وشكر المخلوق[٢].

ويروي أبو شقرا في كتابه الحركات في لبنان فيقول:

لما استوطنت عشائر الدروز في بلاد الشوف واستولت على مقاطعاتها، كانت عشائر الشيعة مستوطنة إقليم جزين، ومستولية عليه مع ناحيتي (جبل الريحان وإقليم التفاح).

وكانت تلك الأنحاء برمتها مأهولة بالشيعة، أما العشائر الشيعية فكان أهمّها الخزرجيون، وكانت جزين قصبة لهم يملكون ما يجاورها من القرى والضياع. ثم المشايخ آل برو أصحاب (كفرحونة، وناحية جبل الريحان) وهؤلاء كانوا ذوي وفر جزيل وثروة عظيمة، ثم آل الجواد (الحكام المنكريين) أصحاب جباع الحلاوة وما يتبعها من إقليم التفاح، غير أنه قد كان في إقليم التفاح، عيال كريمة أخرى، وكانت لهم يد على بعض المزارع والعقارات في تلك الناحية[٣].

---

(١) **تاريخ جبل عامل**، ص ١٣١.

(٢) **العرفان**، مجلد ٨، ج٥، ص ٣٤٨.

(٣) **تاريخ أحمد باشا الجزّار**.

جزين ونيحا يختلفان:

ولما كان الأمير يوسف الشهابي متولياً كرسي دير القمر كان كبير المقدمين في جزين هو المقدم علي المحمد الخزرجي (وهو علي الأول) وكان جباراً قوياً عاتياً، وقد حدث بين بعض شيعة جزين وبعض دروز نيحا خصومات ومشاجرات لا بد من حدوثها بين الرعايا من المتجاورين، فجعل الشيعة يغزون الدروز ويشنون الغارة عليهم فحدثت مناوشات بينهم.

ولما عظمت المشاحنات بين (الجزينيين) من الشيعة (والنيحيين) من الدروز، جعلت كل فئة منهما تتربص بجارتها شراً، غير أن الشيعة كانوا يكيلون للدروز صاعاً كلما كال الدروز لهم حفنة، وذلك لأن طريق سوق الخان وحاصبيا مارة في وسط (جزين) و(كفرحونة) ولا غنى لأكثر الدروز عن المرور الدائم بهذه الطريق العامة[1].

جزين مركز علم وأدب:

وقد كانت جزين في ذلك العهد قصبة مهمّة محشودة بالسكان من الشيعة وفيها جامع كبير ومئذنة رفيعة، وفيها علماء كثيرون، ولذا كانت جزين محطاً لرحال طلبة العلم، ومنتجعي الأدب، ثم كثرت بين أهل جزين وأهالي الشوف الحوادث والمنازعات التي آلت إلى استعار نار حرب كانت سبباً في تقلّص ظلّ الشيعة عن معظم أنحاء جزين الثلاث، أي إقليم (جزين)، (والتفاح)، و(جبل الريحان).

حرب الشيعة والدروز في جزين:

ولما جرى ما جرى بين الدروز والشيعة من الحوادث والمنازعات، جعلت كل طائفة تهذي وتتكهن بحدوث حرب شديدة، وغدا الكل بين قيل وقال في إعداد وتأهب، ولا بدع فإن أسلافنا أهل ذلك العصر كانوا ذوي ولع وغرام بالحرب والقتال، ولأخف مسألة، كنت تراهم يتقلدون العدد، ويستمدون المدد، فيخوضون الأهوال، ويوقدون نار الفتنة والقتال، حتى أنك ترى تاريخ لبنان الحديث أشبه برواية حماسية وسلسلة من الحروب الأهلية، أخذ بعضها برقاب بعض وهلم جرا.

ثم في سنة ١١٧١هـ - ١٧٥٧م أخذ المقدم علي يجنّد الكتائب ويجيّش الجيوش في

(١) **الحركات في لبنان**، ص ١٥٣.

جزين، ثم وافاه الشيخ (جهجاه برو) والشيخ (علي الجواد)،بجيش من شيعة جبل الريحان وإقليم التفاح، وهكذا فعل الأمير يوسف الشهابي والشيخان (خطار يونس جنبلاط) و(عبد السلام عماد)، (صاحب الباروك)، فقد جيّشوا من أهالي الشوف الدروز عسكراً عرمرماً، ثم زحف العسكران كل نحو الآخر فالتقيا تحت قلعة (نيحا) واقتتلا ساعة من الزمن دارت فيها الدائرة على الدروز، فتقهقروا إلى نبع (باتر) فلما وصلوا إلى المحلة المذكورة، إذ باثني عشر رجلاً من بني أبي شقرا وشاهين ويونس وكنعان ومعضاد، وبوصول هذه النجدات من عائلات الدروز التي انضمت إلى بعضها، قويت شكيمتهم حتى حلّت الهزيمة بعسكر الشيعة، وتقهقروا وتبعهم الدروز حتى أدخلوهم جزين وكانت الشمس قد دنت من الغروب.

وبعد قتال مرير أخلى الشيعة مواقعهم وتخلوا عن مواطنهم في ذلك الليل الحالك، فأدى بعضهم السرى إلى (جباع الحلاوة)، وبالبعض الآخر إلى (زحلتا)، و(أبي سوار)، ودخل الدروز جزين وأخذوها عنوة، وقيل: إن عدد القتلى من الشيعة بلغ مائة قتيل، منهم سبعون قتلوا في نفس جزين، وثلاثون خارجها، وفقد الدروز أربعين قتيلاً وبضعة جرحى.

وفي اليوم التالي لمّ الشيعة شعثهم وتألبوا من كل فجّ وانقلبوا نحو جزين، يحاولون إخراج الدروز من عاصمتهم المنيعة، وتقدم عسكر الدروز أيضاً نحوهم فالتقى العسكران في (جل الشوك) سهل واقع بين جباع الحلاوة و(الرمانة).

موقعة جل الشوك:

هناك اصطدمت الكتائب من الفريقين، وتزاحمت المناكب، وتلاطمت أمواج العسكرين، فتلاحمت الخيل والرجال، وقد دوى الجو بصدى ضربات السيوف والطبنجات والطبريات، وانسدت منافس الفضاء من عثير الخيل وغبار الهيجاء، فكان يوماً كثرت فيه الأهوال والنوائب، وعظمت فيه الكوارث والمصائب، وقد لبثت الحرب على هذه الحال ساعات من النهار حتى إذا كان الأصيل، أخذت فوارس الشيعة في الوهن وفوارس الدروز في التشدد، ثم ظهر الدروز عليهم، فألمّ بهم الفشل فتقهقروا إلى (جباع الحلاوة) فلحقهم الدروز إليها ودخلوها عنوة، فأخلتها الشيعة منكفئين نحو كفررمان، فصاحت نساء آل الجواد (ويقال لهم: آل منكر أيضاً)(١) برجالهن كيف تذهبون متخلين عنّا وتتركونا سبايا بين أيدي الغزاة، فقال لهنّ

(١) **الحركات في لبنان**، ص ١٥٤.

رجالهنّ: إن عقيد الدروز هو الشيخ خطار جنبلاط (وكان بين الجنبلاطيين والمناكرة صداقة متينة الأسباب) فمتى دخل بعسكره فاصرخن قائلات نحن نساء آل الجواد بوجهك يا ابن جنبلاط، فيحميكنّ ويمنع عنكن الأذى.

فلما دخل الشيخ خطار (جباع الحلاوة) هرعت السيدات من بني الجواد إليه صارخات بوجهك يا سيد جنبلاط، فرقّ الشيخ خطار لهنّ مانعاً عنهنّ كل أذى وضرر وللحال أمر رجاله بعدم مسّ بيوت الجواديين والتعرّض لهم بشيء واحد، وأقام على حراسة بيوتهن أربعة رجال ممن يعتمد عليهم من رجاله، وأوصاهم بصيانة حقوقهن وحقوق رجالهنّ ثم ترك القرية متقدماً في طريقه.

خلاف الدروز سبب انكسارهم وهزيمتهم:

قيل: فاتفق بعد اجتياز الشيخ خطار لقرية جباع، أن دخلها الشيخ عبد السلام عماد بمن معه من الجماعة اليزبكية، فأباح لهم سلب بيوت آل الجواد ونهبها غير ملتفت إلى الحرس القائم على بيوتهم بأمر زميله الجنبلاطي، فأسرع الحراس الأربعة إلى سيدهم وهم مهشمون فأخبروه بما كان من انتهاك الشيخ عبد السلام المذكور لحمايته واستباحته لأموال بني الجواد وإهانته لهم، وعدم اكتراثه بهم وبكلامهم، فأخذ الكدر منه مأخذاً عظيماً، وبلغ منه الحنق أن أمر رجاله فكفوا عن القتال وانتحت عن «كفررمان» ناحية، فلم يبق لمحاربة عسكر الشيعة إلا جماعة الشيخ عبد السلام فاستهانوا بهم وانقلبوا على الدروز مهاجمين، فانقلبت في الحال كفة ميزان القوى وأحرز الشيعة على الدروز فوزاً عظيماً وقتلوا منهم مقتلة اختلف الرواة في إحصاء العدد الذي قتل من الدروز في تلك الموقعة كما سيأتي ذكره فيما بعد.

نصيب جباع من حوادث أحمد باشا الجزّار

في سنة ١١٩٧هـ ـ ١٧٨٣م بعد رجوع الجزّار إلى عكا، أخذ يسعى ويهتم للاستيلاء على بلاد بشارة كما استولى على بلاد صفد.

أمّا مشايخ جبل عامل من الشيعة، فقد كانوا على علم بقصده وتدابيره، لذلك تحصنوا بالقلاع واستعدوا للقتال، وهؤلاء المشايخ كانوا ثلاثة من ثلاث عائلات هم: بيت علي الصغير، الشيخ ناصيف النصّار وأخوانه، وبيت منكر، الشيخ محمد الحسن وعائلته، وبيت الشيخ حيدر الفارس. فسارت عساكر الجزّار وجرت بينهما مواقع شتى، وحروب صعبة تشيب لهولها الأطفال(١).

وكان عسكر الجزّار مؤلفاً من عدد وافر، وكذلك الشيخ ناصيف البطل(٢) الفتاك، فقد

---

(١) **تاريخ الجزّار**، ص ٨٢، و٨٣.

(٢) **ناصيف النصار**، كان يحكم المقاطعات الجنوبية من جبل عامل وهي المنطقة المعروفة ببلاد بشارة، وكان مركز حكمه في قلعة هونين. توفي في ٥ شوال ١١٩٥هـ ١٧٨١م في معركة يارون دفاعاً عن بلاده ضد الجزّار، كان بطلاً مغواراً خاض معارك طاحنة دفاعاً عن وطنه. وكانت له الغلبة. وقد أشاد شعراء جبل عامل بوصف المعارك التي كان يخوضها الشيخ ناصيف ضد ظاهر العمر. وهي وقعة (تبريخا) (١) ووقعة (سخنين) وغيرها. منهم إبراهيم الحاريص الشاعر الموهوب الذي خلّد بشعره هذه المعارك فقال فيه من قصيدة:

وافى بها في يوم تبريخا وقد ... جاست خيول الدارعين خلالها

أنسيتم أيام سخنين التي ... لم ينسكم طول المدى أهوالها

والصقر لولا الخوف من عقبانها ... ما أزمعت عن أرضكم ترحالها

ومنهم الشيخ علي مروة ابن الشيخ حسين مروة جد الشيخ علي ابن الشيخ محمد المقيم في حداثا المتوفى سنة ١٢٨٠ في بولاق في القطر المصري وهو في طريقه إلى الحج.

وله هذه القصيدة من عيون الشعر المسجع ومن اللون الطروب الذي لم تشهد مثله نظمها في مدح حمد بك الناصيف سنة ١٢٤٤هـ:

=

كان جمع رجاله وفرسانه واجتمعت عنده فرسان الشيعة من المشايخ الثلاثة، فاشتدّ الحرب وكثر الضرب عليهم واقتحموا الموت بجنان قوي[1] والتحموا مع عسكر الجزّار فالتقاهم الشيخ ناصيف، وفتك بأبطالهم، ولأجل نفوذ الأقدار وقصر الأعمار، قتل الشيخ ناصيف من رصاص وقع على رأسه، فتوفي في الحال، ثم من بعده قتل أخوه الشيخ أحمد الذي كان يُعد بمائة فارس مقدام وقت الصدام[2].

وبوفاة هذين البطلين، تشتت شمل الشيعة وأخلوا البلاد، ودخلت عساكر الجزّار بلاد

= احبس ركابك بين البان والعلم ... ميمماً نحو ذات الضال والسلم
واخلع نعالك إن وافيت مجتنباً ... وطى الثرى وارع منه حرمة الحرم
وانزل على شاطىء الوادي وحط به ... وعن رحال تصب ما شئت فاغتنم
في منزل ترف بالزهر متصف ... بالعز مكتنف بالأهل والحشم
أقماره طلعت أنواره سطعت ... غلمانه رتعت في ظله العمم
غزلانه سنحت ورقاؤه صدحت ... أنهاره طفحت بالبارد الشبم
قامت دعائمه هبت نسائمه ... باتت حمائمه في أحسن النظم
شطت مطارحه طابت روائحه ... تشدو صوادحه في صوتها الرخم
الوحش ساكنه والطير قاطنه ... أمست معاطنه مألوفة الرخم
سناره نظر في وسطه نهر ... حصباؤه درر يغنيك عن إرم
مع كل ناجبة الجدين ناعمة ... الخدين ناهدة الثديين في هضم
زج حواجبها سود ذوائبها ... بيض ترائبها في حمرة العنم
في لفظها رتل في ردفها ثقل ... في مشيها كسل أعيت على الأمم
وسناء في دعج لعساء في فلج ... حمرا في بلج تغشاك في الحلم
وعدي مماطلة بالجور عاملة ... عني مزائلة سفاكة لدمي
زارت على عجل تختال في حلل ... كالبدر في ضلل من حندس الظلم
والشوق سائقها والمسك سابقها ... والنجم رافقها في زي متهم
والحي من أرج الأردان خلت به ... عدت مآثر قوم عند ذكرهم
أبناء ناصيف حقاً ليس يجهلهم ... إلا حليف عمي عن واضح اللقم
إن كنت جاهلهم فانزل منازلهم ... واسأل منازلهم عن يوم بأسهم
عزت نظائرهم طابت سرائرهم ... تزهو عناصرهم في الأعصر الدهم
زكت مناسبهم عمت مواهبهم ... ذاعت مناقبهم العرب والعجم

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

بشارة وتسلموا القلعة، قلعة (هونين) وأقاموا بها وحاصروا قلعة شقيف (أرنون) وكان بها الشيخ حيدر الفارس.

وبعد مدة من الحصار استولى عليها عسكر الجزّار، وقتل من كان بها، ثم تسلّم قلعة «جباع»[١].

وفي سنة ١٧٨٤م - ١١٩٩هـ تحرك الجزّار ضد الأمير يوسف الشهابي، فطلب منه السلاح الموجود في البلاد، فراجعه الأمير يوسف ودفع له ثلاث مائة كيس لأخذ خاطره، فلو يرض بل أمره لإرسال السلاح فرفض الأمير يوسف وحكام البلاد هذا الطلب، واستعدوا للحرب مع الجزّار فوجّه لهم عسكر، وجمع الأمير يوسف عسكره أيضاً وتلاقوا في أرض (جباع) فوق مدينة صيدا[٢]، واشتدّ الحرب وبدأ (القواص) والطعن والضرب وتصلّب عسكر الأمير يوسف بالقتال، حتى انكسر عسكر الجزّار وقتل منهم مائة نفر فولوا الأدبار[٣].

ثم بعد ذلك بعدة سنوات، أي في حوالي ١٢١٩هـ - ١٨٠٥م قام الطاغية الجزّار بهجوم شامل على جبل عامل فاكتسح بجيوشه الجرارة البلاد العاملية وعاث فيها فساداً، وصدق من لقبه بهذا الاسم، لأنه كان حقاً جزّاراً، ولكن للبشر، فاستفحل شره، وكانت حياته سلسلة فواجع وقبائح، ونكبات متصلة الحلقات، وقد ضرب بشدّة بطشه وجوره وظلمه للعباد، المثل، فقيل: (أظلم من الجزّار).

وعندما دكت بموته معالم الظلم والجور والفساد قال بعضهم:

يا طاغياً جعل الحياة جهنماً ... في هول قسوته وفي إرهابه
خسئت جيوش أنت قائد ظلمها ... أن تصرع الحق المنيع بغابه

ولنعد إلى (جباع) التي احتلتها جيوش الطاغية الجزّار وزبانيته من سكانها فنزحت عنها جميع عائلاتها وتشتتوا في البلاد هرباً من الظلم والتنكيل والاضطهاد.

فيروي لنا العلامة المرحوم الشيخ سليمان ظاهر في أحد أعداد العرفان الصادرة عام ١٩٥٠ عن حوادث جباع فيقول:

---

(١) تاريخ الجزّار، ص ٨٤.

(٢) تاريخ الجزّار، ص ٣٩٤.

(٣) تاريخ الجزّار، ص ٣٩٤.

إن من الأسر العاملية الوجيهة التي فرّت من مظالم الجزّار بعد مقتل الشيخ ناصيف النصّار أسرة الحر فنزحت من بلدها جباع قاعدة إقليم التفاح من أعمال صيدا إلى مدينة (بعلبك) معتصمة بحماية أمرائها الحرافشة. وكان كبير هذه الأسرة في ذلك الحين من العلماء الأعلام الشيخ عبد السلام، وكان من عطف أولئك الأمراء عليهم في موطنهم الجديد ورعايتهم لهم ما أنساهم موطنهم القديم فأمنوا سطوة الجزّار الجبار، ولما لهم من المكانة العلمية في البلاد، ولما كانت تتمتع به من نفوذ ديني، فكان ذلك مما حمل الجزّار على عتوه أن يصدر مرسوماً يبذل لهم الأمان ودفع الأذى عنهم باسم كبيرهم الشيخ محمد الحر وهذه صورته:

فخر أمثاله محسوبنا الشيخ محمد الحر، لتحيطوا علماً بعد السؤال عن أحوالك نعرفك أنه قد تقرر لدينا نزوحكم من محلكم، المراد من وصول مرسومنا هذا حالاً تقوم فتحضر إلى محلك من غير عاقة، أنت وسائر الرعايا الذين توجهوا صحبتكم، وتكونوا مطمئني القلوب والخواطر من سائر الوجوه، وإن شاء اللّه لم تشاهدوا من طرفنا إلا ما يسر الخاطر، (؟) من وجه الحماية والصيانة، فاعلم ذلك واعتمده عرفناك والسلام.

وهو موقّع بتوقيع أحمد باشا الجزّار، ومؤرخ في ٢٥ شوال سنة ١٢١٧هـ.

ثم يقول: ـ وما زال القول للشيخ سليمان ظاهر ـ ولقد وقفت على مرسومين أحدهما يتضمن إسناد النيابة الشرعية «القضاء الشرعي» على قضاء «جباع» إلى الشيخ أحمد الحر موقّع بتوقيع عبد اللّه باشا والي صيدا ومتصرّف غزة ويافا مؤرخ سنة ١٢٤٠هـ بعد وفاة والده الشيخ محمد بناءً على إنهاء متسلم «جباع» الحاج علي والسماح له في مال ميري أملاكه في جبع والغازية من ضواحي مدينة صيدا وبالمرسوم للمتسلم المذكور إقرار ذلك له.

وثانيهما بإسناد هذه النيابة للشيخ سعيد الحر صاحب كتاب (منتهى المقال) وهو مؤرخ في المحرم سنة ١٢٦٨هـ وكانت وفاته سنة ١٢٦٩هـ بعد توليه النيابة بعام.

ومرسوم مؤرخ في ٢ صفر سنة ١٢٧٧هـ هذا نصّه:

إلى مدير قضاء جباع «حميتلو» إسماعيل بك، اطلعنا على تحريركم وعلى التقرير المرسول ضمنه من طرف مشايخ بيت الحر الساكنين في قضاء جباع، المتضمن الإفادة عن صفة الحال الحاصلة لهم، بأمر المعاش، والتماس المساعدة، والتبصر بحالهم، وكل ما وضحتموه بهذا الخصوص صار معلوماً. ولدى إحالة الكيفية إلى مجلس الإيالة الكبير صاحب الإفادة بمضبطه من المجلس المذكور بأنه ولئن يكن معلوماً أن المشايخ المومى إليهم

سينالون الحقانية وبدون اشتباه بظل السطوة السنية الملوكانية المتجاسرين على إجراء الحالات السابقة بحقهم ليصير تأدبهم وتربيتهم واسترداد الأموال المنهوبة، إنما حيث المشايخ المذكورون وجدوا من عائلة معتبرة ومن اللازم الآن أن بظل الرحمة الملوكانية تصير وقايتهم من الضرورة، فلذلك صار القرار بإحالة هذه المادة لقوميسيون الإعانة، وبناءً عليه صار إحالة الكيفية إلى القوميسيون المذكور، فمقتضى منكم أن تبادروا بتأمينهم وتطمينهم بأنه إن شاء اللّه تعالى في عهد قريب ليصيروا مظهراً للعقوبة والجزاء ولأجل ذلك اقتضى تنظيم شقتنا هذه.

إن هذه الوثيقة الصادرة في هذا التاريخ وهو عام الستين الذي حدثت فيه الثورة في جبل لبنان وامتدت إلى بعض البلاد الشامية وإلى دمشق نفسها، ونال جبل عامل منها قسطاً غير قليل من الاعتداء وخاصة القرى المتاخمة للقرى اللبنانية التي التجأ إليها المسيحيون ومنها جباع، فقامت بواجب حماية اللاجئين كما مرّ ذكره.

مساهمة جباع بالحركات الاستقلالية عام ١٨٧٧م

لقد مرّ بنا كيف أن هذه القرية «جباع» قد أسهمت على صغرها إسهاماً كبيراً في البناء الحضاري والبذل الفكري، خلال قرنين من الزمن، وكيف انتشر علماؤها في كثير من الأقطار الشرقية ينشرون اللغة العربية والثقافة الإسلامية.

فقد أسهمت أيضاً بالحركات التحريرية الاستقلالية بشخص الزعيم المعروف يومئذٍ الشيخ علي الحر الجبعي، الذي كان العضو البارز في أول مؤتمر عربي عقد عام ١٨٧٧م وكان من رواد الحركات الاستقلالية. ففي هذا العام قامت حركة تدعو للاستقلال وسلخ البلاد العربية عن السلطنة العثمانية التي شاخت وأصبحت تُدعى «الرجل المريض»، واتخذت لها هذه الحركة بيروت منطلقاً ومركزاً لنشاطها، وكان الداعي لها ومحركها الرئيسي الرجل الكبير أحمد باشا الصلح جد الأسرة الصلحية مع ولده منح بك الصلح، وقام أحمد الصلح يدعو لها سراً، مع من يثق بهم من الزعماء المخلصين لوطنهم.

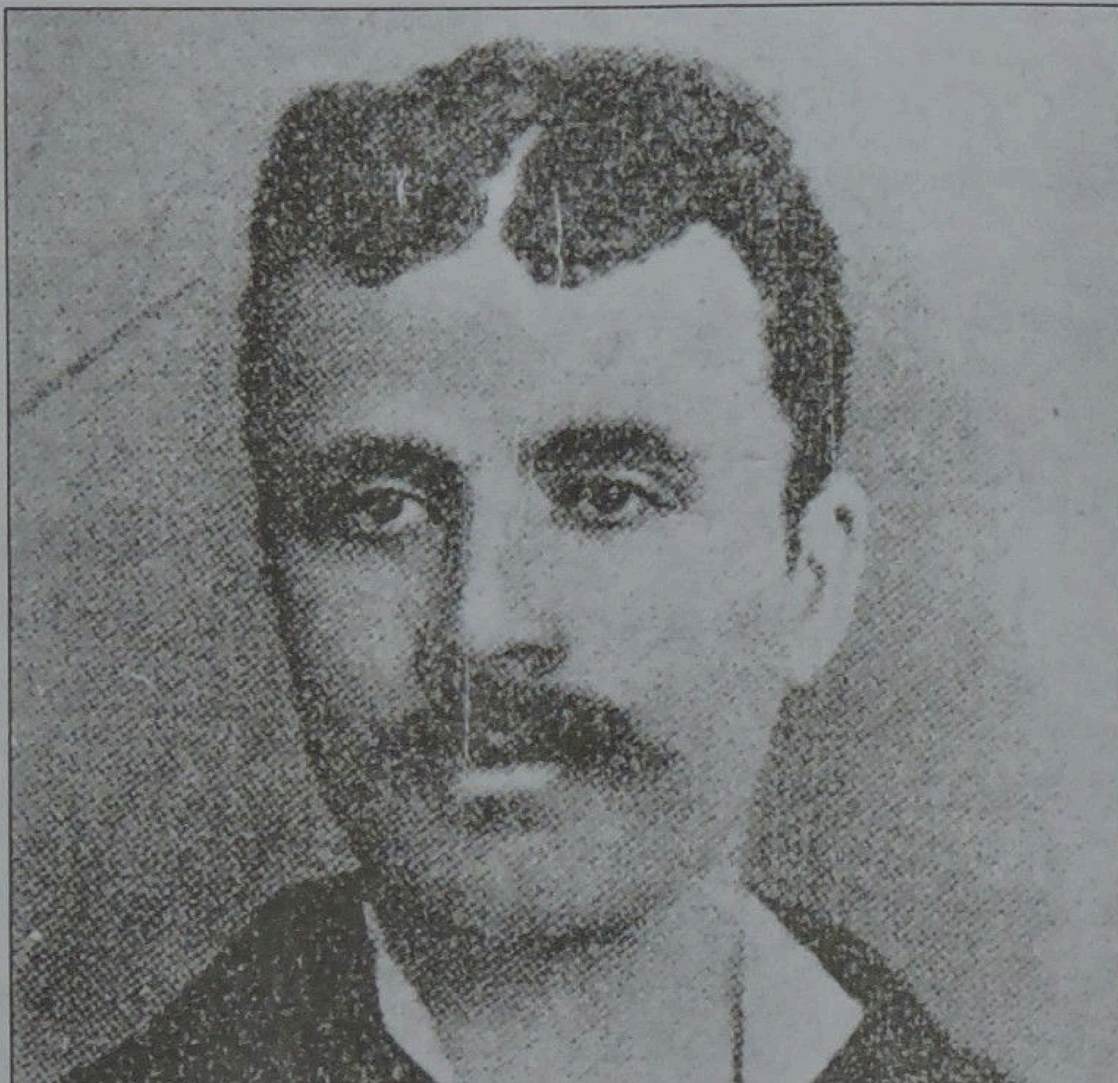
ونروي هنا من كتاب «سطور من الرسالة» أو تاريخ حركة استقلالية قامت في المشرق العربي عام ١٨٧٧م، تأليف عادل بك الصلح حفيد أحمد بك الصلح فيقول:

كان الوعي العربي قبيل الحرب الروسية العثمانية عام ١٨٧٧ - ١٨٧٨م وأثناءها، ينمو في سوريا باضطراد، وكانت الدولة العثمانية في هذه الفترة من الزمن تبدو مشرفة على الزوال. فالشعوب البلقانية: «البلغار، والجبل الأسود، والصرب، ورومانيا والألبان»، تطالب بمنحها المزيد من مقومات السيادة الوطنية. و«الأرناؤوط» يطلبون صيانة بلادهم من الاحتلال الأجنبي، و«الولايات الأرمنية» تطالب بإصلاحات إدارية، و«النمسا» تطمع بالاستيلاء على ولايتي «البوسنة والهرسك» تشيكوسلوفاكيا اليوم. والروس يطمعون باحتلال بعض الولايات في شمال شرقي الأناضول... إلخ.

فكان وضع الدولة المضطرب والوعي القومي النامي في سوريا حافزين أهابا بأهل البلاد ليتداولوا فيما يجب عمله لتجنيب وطنهم المصير السيىء، - ومن أفجع صوره وقوع احتلال أجنبي - وقامت لتأمين هذا القصد حركة فكريّة، ثم حركة عاملة فاعلة، اتخذت لها بيروت منطلقاً. وكان من أسباب هذا الاختيار أن الرجل الذي كان محركها الرئيسي هو أحمد باشا الصلح مقيماً في هذه المدينة. وكان أحمد الصلح قد اعتمد في سره الحل الذي أيقن أنه السبيل الأصلح لبلوغ الغاية المرجوة. وكان يدرك خطورة ما قرر الإقدام عليه، لذلك راح يُكاشف فيه بعض أصدقائه ويجمع من يثق به من خلصائه، ويعد معهم الخطط السرّية التي تؤول إلى إنجاح هذا الحل. وبعد أن قضى ما يقارب الثلاثة أشهر في تهيئة وسائل النجاح، سافر إلى صيدا يرافقه بعض العاملين المؤيدين وولده منح الصلح وحلّوا ضيوفاً في بيت الحاج إبراهيم آغا الجوهري، ثم سافر منح الصلح إلى جبل عامل، حيث كان له ولوالده أحمد الصلح روابط وصداقات وثيقة، إلى جانب ما كان لهما من ممتلكات ومزارع، فاجتمع إلى بعض زعماء الجبل وعاد إلى صيدا بصحبة عدد منهم. وفي صيدا مكث الجميع قرابة شهرين في الاجتماع والتداول، ثم جاء أحمد الصلح والسيد محمد الأمين، والشيخ علي الحر، ومنح الصلح إلى بيروت، ومنها تابعوا طريقهم بعد استراحة قليلة فيها إلى دمشق وتخلّف في بيروت الشيخ علي الحر ضيفاً على الحاج حسين بيهم، ونزل الوافدون إلى دمشق في دار مفتي المدينة ونقيب أشرافها في ذلك الوقت السيد حسن تقي الدين الحصني، وشرعوا بالاتصال ببعض أصحاب الرأي والمكانة من رجال دمشق، وعرضوا عليهم الفكرة التي جاءوا من أجلها، فلاقوا منهم التحبيذ والتأييد، ثم قصدوا بعد ذلك إلى دمّر، مصيف الأمير عبد القادر الجزائري وقضوا في ضيافته ثلاثة أيام تباحثوا خلالها معه بالأوضاع المرتبكة في البلاد وعواقب هذا الارتباك ووسائل إنقاذها منه.

وكان القصد من هذه الرحلة الشامية، تبادل الرأي مع الأمير عبد القادر، وعدد من الزعماء والتزوّد بآرائهم في الاجتماعات التي ستجري في بيروت.

وبعد أن أتمّ هؤلاء مهمتهم في دمشق عادوا إلى بيروت. وتابع أحمد الصلح منها الاتصال بمعظم زعماء البلاد الشامية فكان يبعث بالرسائل والرسل إلى من يصح الركون إليه من رجالاتها، ويدعوهم للحضور إلى بيروت للتشاور.



منح بك الصلح
ابن أحمد باشا الصلح

مؤتمر دمشق:

وبعد أن تدارس الزعماء الأمر على مختلف وجوهه وأشبعوه تدقيقاً تمّ الاتفاق على ما يجب السعي لتحقيقه.

ويذكر محمد جابر آل صفا في كتابه «تاريخ جبل عامل» أسماء ممثلي الجبل في هذا المؤتمر فيقول:

وكان يمثل جبل عامل، في ذلك المؤتمر العالم الجليل السيد محمد الأمين. من الأشراف الحسينيين سكان شقرا ـ جبل عامل ـ والنبيل الحاج علي عسيران، رأس الأسرة العسيرانية المعروفة في صيدا، والشيخ علي الحر الجبعي، وشبيب باشا الأسعد الوائلي. وكان هذا المؤتمر اشترك فيه الشيعيون للنظر في استقلال سوريا وفصلها عن جسم المملكة العثمانية، عقد سراً في دمشق في نهاية الحرب العثمانية سنة ١٨٧٨م.

وكان الأمير عبد القادر قد بلغ في ذلك الحين مقاماً جعله قبلة الأنظار، وألف الناس في بلاد الشام الرجوع إليه كلما وقع فيها أمر جلل، أو ألمّت بها أزمة خطيرة، وكان للاحترام والتقدير اللذين نالهما في المحافل الدولية، لا سيما في أعقاب حوادث سنة ١٨٦٠ الشامية أثر كبير في المنزلة الرفيعة التي تبوأها في العالمين العربي والإسلامي. وقد بدا الفريقان على صورة تعيد إلى الذهن مخايل «صلاح الدين الأيوبي» من حيث تسامحه وكرم خلقه وسجاياه الحافلة بالفروسية.

فلما داهمت الدولة العثمانية أحداث سنة ١٨٧٧م أخذ اسمه يروج كرائد للحركة الوطنية، لأن الصفات التي تميز بها الأمير والمؤهلات التي توافرت له تنسجم انسجاماً كاملاً مع مؤهلات الرائد.

وفي الاجتماع الذي عيّنه زعماء البلاد الشامية لوضع القواعد والأسس للمواضيع التي تدارسوها في اجتماعاتهم، تقرر العمل لتحقيق استقلال البلاد الشامية «وهي ما تعرف اليوم بسوريا والأردن وفلسطين ولبنان».

وقدّم أحمد الصلح اقتراحاً بترشيح الأمير عبد القادر الجزائري ليتولى الملك على هذه البلاد، فوافق المجتمعون على هذا الاقتراح، وبتكليف من المؤتمر حمل أحمد الصلح القرار إلى الأمير.



السيد محمد الأمين

وفي ذلك يقول محمد جابر: «إن المؤتمرين أقروا اختيار الأمير عبد القادر الجزائري أميراً على سوريا ونقل القرار للأمير المغفور له أحمد باشا الصلح».

وفي اليوم التالي للاجتماع الذي اتخذ فيه قرار تولية الأمير، قصد أحمد الصلح إليه في قصره في دمّر، وأبلغه ما اتفق عليه أعيان البلاد، ورغم ما احتواه هذا التكليف من ثقة وتقدير، رأى الأمير أن لا يقطع فيه قبل التروي والتبصر.

واقتضى لذلك مشاورات ومفاوضات بين الطرفين كان يقوم بها منح الصلح، ومن النقاط الرئيسية التي جرى البحث بشأنها:

١ ـ الخلافة.

٢ ـ البيعة.

٣ ـ ماهية الاستقلال المنشود.

وكان رأي الأمير أن يظل الارتباط الروحي بين البلاد الشامية والخلافة العثمانية قائماً، وأن يبقى الخليفة العثماني خليفة للمسلمين وأن تتم للأمير البيعة من أهل البلاد جميعاً.

وقد وافقه على رأيه في موضوع الخلافة أكثر الجماعة، واتفقوا جميعاً على تحبيذ ما طلبه بشأن البيعة وتعهدوا بتنفيذه.

وأما فيما يتعلق بالبند الثالث، فإن المؤتمرين جميعاً اتفقوا على إقرار مبدأ السعي لتحقيق استقلال البلاد الشامية، وتأجيل البت في مدى هذا الاستقلال، إلى انتهاء الحرب الروسية العثمانية، وانجلاء وضع الدولة ومصيرها، واعتمدوا في ذلك خطة التريث، ريثما يتبين لهم الموقف الدولي المشوّش، وتظهر التطورات المتوقع حدوثها في السياسة العامة.

وكانت انكسارات الدولة العثمانية في حربها مع الروس، واشتدت الحركات الاستقلالية الانفصالية في بلاد البلقان، وما كان واضحاً من عطف الدول، على هذه الحركات وتأييدها، واهتمامها بدرس خصائص وأشكال الحريات المراد منحها للشعوب البلقانية، مضافاً إلى ذلك ما كان يداخل نفوس الأهلين عندنا من القلق والخوف على مصائر بلادهم، كل ذلك كان حافزاً لزعماء البلاد على النهوض والسعي لدرء الخطر والشر، والعمل على إنقاذ الوطن من الاحتلال الأجنبي، قبل أن يطرأ ما يدعو الدول الأجنبية إلى بحث شؤون البلاد العربية والبت بقضاياها، بشكل لا يتفق ومصلحتها القومية. وكان على هؤلاء الزعماء أن يتابعوا مجرى



شبيب باشا الأسعد

الاتجاهات السياسية طوال الحرب الروسية العثمانية، التي بدأت في ٢٤ نيسان سنة ١٨٧٨م.

وكان كذلك على رجال مؤتمر دمشق، أن يراقبوا ما يجري في مؤتمر برلين، ليتخذوا على ضوء ذلك موقفهم الأصوب، وكان يروج بين العاملين أنه إذا تبين أن إحدى الدول الأجنبية تهدف إلى الاستيلاء على بلادنا، كما كانت نيّة النمسا في البوسنة والهرسك وروسيا في بعض الولايات الشرقية من الأناضول، وكما هي نيّة بريطانيا في قبرص، فلا بدّ من طلب الاستقلال التام، أما إذا تبيّن أنه ليس ثمة من عزم على احتلال البلاد فتكون الغاية تحقيق الاستقلال الذاتي كما هي الحال في مصر وفي بعض بلاد البلقان.

واتفق الأمير والمؤتمرون على المضي في تهيئة الأسباب وتمهيد الأجواء لإعلان استقلال البلاد، عندما تكتمل هذه الأسباب، وأن تكون بداية ذلك قيام الأمير عبد القادر بجولات في المناطق الشامية، تمهيداً لتنفيذ البيعة المطلوبة، ثم إرسال وفد إلى الأقطار الأوروبية، يعمل لكسب تأييد دولها للقضية الاستقلالية.

وكان من الأشخاص الذين تقرر أن يعهد إليهم بهذه المهمة، رسل ودعاة ممن كانوا يقيمون خارج البلاد، على أن يعمل هؤلاء بسرية تامة في بادىء الأمر وعلى أن يقوموا بالدعاية للقضية في الصحف والمجتمعات، عندما يحين الوقت المناسب لنشر المطالب والترويج لها.

الحركة في أعقاب مؤتمر برلين:

وفيما كان أهل الرأي في البلاد الشامية يتسقطون أخبار الحرب الناشبة ويرقبون ما ينتج عنها، بانتظار اليوم الموعود، وبينما الدولة العثمانية تعاني المتاعب الكثيرة، وتحيق بها الأخطار نتيجة للمعاهدة التي فرضتها عليها روسيا في شهر آذار سنة ١٨٧٨م تقدمت الحكومة الإنكليزية لمساعدتها، وتدخلت لدى روسيا لتعديل هذه المعاهدة، فكان لها ما أرادت، وقد تمّ ذلك التعديل في مؤتمر برلين في ١٣ تموز سنة ١٨٧٨م. ومنحت فيه شعوب العرب والجبل الأسود ورومانيا استقلالها التام، وأعلنت بلغاريا إمارة تابعة للسلطان، ذات استقلال داخلي، وحكومة مسيحية، وجيش وطني محلي.

وبعدما أزال هذا المؤتمر وطأة الكابوس عن السلطان عبد الحميد واستقرت أوضاع الدولة الخارجية نوعاً ما، حوّل السلطان اهتمامه نحو أمورها الداخلية، وكان قد أصبح الحاكم المطلق بعد ما عطل الدستور الذي كان قد أعلنه في ٢ تشرين الثاني سنة ١٨٧٦م.

ويبدو أن حديث الحركات التحريرية النامية في سوريا، وأهمها حركة ١٨٧٨م الاستقلالية وتنصيب الأمير عبد القادر الجزائري ملكاً على بلاد الشام، بلغ مسامع السلطان ورجال الدولة، وما كان لهذا الأمر الخطير أن يظل سراً من الأسرار زمناً طويلاً، فقامت السلطات في سوريا باتخاذ تدابير احترازية كثيرة. ففرضت الإقامة الجبرية على زعماء الحركة في مناطق نائية، ونفت إلى خارج البلاد بعضاً منهم، وأخذت تحت الرقابة الشديدة الأشخاص الذين أيّدوا الحركة، ثم منعت هذه السلطات الاختلاط بين الأمير وأحمد الصلح، ونفت السيد محمد الأمين أحد أركان الحركة إلى طرابلس.

وقد جعل اتفاق الدول الأجنبية فيما بينها في مؤتمر برلين، ومهادنتها للدولة العثمانية من جهة، والتدابير التي لجأت إليها السلطات وحملات التقويض على أبناء البلاد من جهة أخرى؛ كل ذلك جعل متابعة أعمال المؤتمر، وتنفيذ قراراته في تلك الظروف أمراً مستحيلاً.

ويشير محمد جابر في كتابه «تاريخ جبل عامل» إلى المصير الذي انتهى إليه المؤتمر فيقول:

«فلما دارت الدوائر على الدولة العثمانية وانتصر الروس عليها في تلك الحروب الدامية وكادت القسطنطينية ـ العاصمة ـ تقع في أيديهم، فكّر بعض الأعيان العرب في مصير سوريا فقصدوا مؤتمر دمشق السري للبحث في هذه الشؤون.

ثم تطورت سياسة الدول، فصدّت الروس عن الآستانة، وعضدت الدولة العثمانية وحالت دون سقوطها، فتأخر حلّ المسألة الشرقية، ومن ثم طويت صحيفة المؤتمر».

لماذا أغفلت هذه الحركة في التاريخ؟

لقد أحيطت حركة سنة ١٨٧٧م وهي حركة أول مؤتمر عربي في الديار الشامية بسياج كثيف من الكتمان، وبقيت صفحاتها مطوية فلم يأت على ذكرها مؤرخ، ولا رواها مدوّن أو ناشر، إلا بعض تنويهات قليلة مقتضبة كالتي ذكرها السيد محسن الأمين في موسوعته «أعيان الشيعة» ومحمد جابر في «تاريخ جبل عامل». حتى أن ابن الأمير عبد القادر الأمير محمداً، لم يذكر عنها شيئاً في كتابه «تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر» وهو كتاب يتضمن أموراً كثيرة عن حياة الأمير السياسية، والنضالية والعلمية والأدبية والدينية.

فهذه الحركة وإن كان الداعي لها ومسيّرها أحمد باشا الصلح إلا أن معظم قادتها

ومؤيديها ماشوها بحماس شديد هم من أعيان جبل عامل، وقد حمدنا لحفيد أحمد الصلح اليوم عادل بك الصلح الذي أرّخ هذه الحركة ولو مؤخراً في كتابه الذي نقلنا عنه هذه الوقائع وهو كتاب (سطور من الرسالة) أو تاريخ حركة استقلالية قامت في المشرق العربي سنة ١٨٧٧م أخرجه سنة ١٩٦٦.

الفصل الثالث

العهد الثاني من تاريخ جُبَاع

الشيخ عبد الله نعمة الكبير

نسبه ومولده:

هو الشيخ عبد الله أبو الحسن بن علي بن الحسين ابن الشيخ عبد الله بن علي بن نعمة العاملي الجبعي.

ولد سنة ١٢١٩هـ وتوفي فجر الثلاثاء لأربع بقين من شهر ربيع الثاني سنة ١٣٠٣ في جبع، ودفن فيها وعمره سبع وثمانون سنة.

حياته ودراسته:

ـ كما ورد في «أعيان الشيعة» ـ.

كان عالماً جليلاً، وشاعراً أديباً، ذا أخلاق سامية، وصفات جليلة، لطيف المعشر، حاضر النكتة، بهي الطلعة، صبيح الوجه، حسن السمعة. قرأ في جبل عامل ثم هاجر إلى العراق فقرأ في النجف الأشرف على كثير من علمائها المبرزين. لا سيما أولاد الشيخ جعفر، وتفقّه بهم. وكان مسلكه في الفقه مسلكهم، وطلب أهل مدينة «رشت» بإيران عالماً مرشداً يكون عندهم، فاختاره لهم شيخه الشيخ علي ابن الشيخ جعفر، فنهاه الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر عن ذلك، وكانا حينئذٍ في الحجرة المدفون بها صاحب مفتاح الكرامة، فقال له: إني طُلبت إلى إيران، فنهاني صاحب هذا القبر وقال لي: إني أتوسم فيك مخايل الرئاسة. فابق في النجف ولا تخرج

منها تكن من الرؤساء. قال المترجم: فخالفته وذهبت إلى رشت، وقد ندمت لمخالفته، وبقي في رشت نحو اثنتي عشرة سنة ثم عاد إلى جبل عامل فسكن جبع وأصل عائلته من حبوش.

وكان حسن الحديث، لسناً طلق اللسان، حلو العبارة والإشارة، عذب الألفاظ، لو جالسته الدهر لما أحدث لك طول مجالسته مللاً بل تود أن يكون لكل جارحة منك سمع.

ولما عاد إلى جبل عامل وسكن جبع رأس في جميع البلاد ورجعت إليه الناس في جميع الأمور الدينية، وكانت له الرئاسة المطلقة الدينية في جبل عامل وجميع بلاد الشيعة في سوريا، ونال عند الناس مقاماً وموقعاً في النفوس لم يصل إليه غيره حتى صارت تضرب به الأمثال، فإذا أرادوا التبرّم ممن يطيل الصلاة قالوا له: هل صلاتك صلاة الشيخ عبد اللّه نعمة؟ وإذا مدّت المرأة يدها إلى كوارة الحب أو الطحين تقول: «يا بركة اللّه وبركة الشيخ عبد اللّه». وسبّ الدين قصّاب في بلدة النبطية التحتا، فأخبر الشيخ بذلك، فنهى عن أكل ذبيحته، فلم يشتر منه أحد، فجاء إلى الشيخ خاضعاً، ذليلاً، تائباً، نادماً، فكان عبرة لغيره. وكانت له في كل سنة دورة على عموم بلاد الشيعة، فيأتي إلى بلاد بشارة وجبل لبنان وبلاد بعلبك ودمشق وبلاد حمص وحلب وغيرها. وكان كثيراً ما يصوم شهر رمضان في دمشق، لكن لا يصل إليه إلا وجوه الشيعة وشيوخهم فتقل بذلك الفائدة من وجوده. وكان يذهب في أموره مذهب علماء العجم لسكناه مدة في بلادهم، ورأيت ورقة بخطه في دمشق يثبت فيها نسب آل الشجاع الدمشقيين وأنهم من ذرية الفاطميين، ويثبت نسب الفاطميين، كما رأيت خط عم والدي السيد أحمد ابن السيد محمد بن الأمين في دمشق بإثبات نسبهم.

وكان حسن الإدارة لأملاكه وأمواله يقوم عليها بنفسه، ويقتني بغالاً يحمل عليها نواتج أرضه وأشجاره. وأنشأ بستاناً في جبع اسمه الكسارة كان يضرب المثل في عمرانه، وفيه دفن. ثم أصبح بعد وفاته أثراً بعد عين قد استولى عليه الخراب. وكان له جاه عظيم عند أمراء البلاد، لا سيما علي بك الأسعد صاحب تبنين وابن عمه محمد بك. فكان إذا جاء إلى بلاد بشارة يستقبلانه مع أتباعهما ووجوه البلاد إلى جسر القعقاعية على نهر الليطاني، فيحضر معهما إلى تبنين ولا يصعد إلى القلعة مقر إمارة علي بك، ولا يقبل دعوته، ولا يأكل طعامه، ويقول له: أنت ظالم، لا أدخل منزلك ولا آكل زادك. وينزل في دار رجل صالح متفقه يسمى الشيخ حمود في قرية تبنين، ومع ذلك فعلي بك يُعظمه تعظيماً لا يصل إليه أحد فيستقبله إلى الجسر مسافة نحو أربع ساعات، وإذا كتب إليه الشيخ كتاب شفاعة في أحد أو لأمر من الأمور قصّهُ سطوراً واستشفى به للمرضى، فيذيبه في الماء ويسقيه لهم أو يعلقه على صدورهم.

وتخلف بولد واحد هو الشيخ حسن وستمر ترجمته في بابها.

وقال صاحب أمل الآمل في حقه: فاضل فقيه ماهر في العلوم الدينية غير مدافع كان شيخ كل البلاد الشامية، ولو كان في النجف لكان شيخ كل البلاد الإسلامية، حدثني السيد العالم الفاضل الثقة العدل الضابط السيد محمد الهندي قال: كنت جالساً تحت منبر شيخنا صاحب الجواهر مع العلماء، فجاء الشيخ وصعد المنبر وقبل الشروع في الدرس قال: قد كتب إلى بعض الأخوان من طهران إن الشاه محمد القاجاري في صف السلام قال إن عند الشيخ محمد حسن النجفي مصبغة الاجتهاد يضع فيها الطلبة ويرسلهم إلى إيران مع أنه يعلم أني لم أشهد باجتهاد اللهم هؤلاء الذين كتبت بالرجوع في المسائل والقضاء إليهم، فإن مذهبي في المسألة معروف، إني أجوز القضاء بالتقليد، نعم ما شهدت في كل عمري باجتهاد أحد إلا أربعة: الشيخ عبد الله نعمة العاملي، والشيخ عبد الحسن الطهراني، والشيخ عبد الرحيم البلوجردي، والحاج ملاً علي الكني، (قال): والغرض أن الشيخ عبد الله نعمة من المسلّم لهم عند الأساطين، وقد سمعت من حجة الإسلام الشيخ محمد حسن آل يسن الكاظمي طاب ثراه ثناءً عظيماً بالنسبة إلى الشيخ عبد الله نعمة، وهو صاحبه وشريكه في الدرس، وكان له معه أخوة خاصة وبالجملة كان هذا الشيخ الجليل في تلك البلاد مجهول القدر مع ذلك (اهـ).

مشايخه:

قرأ أولاً على الشيخ حسن القبيسي العاملي في الكوثرية ثم ذهب إلى العراق فتلمذ على الشيخ علي ابن الشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء كما عرفت، وتلمذ على الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر، وتلمذ في جبل عامل على أساتذة لم تحضرنا أسماؤهم وكذلك في العراق غير من ذكر.

تلامذته:

عرفنا منهم الشيخ محمد علي عزّ الدين[1] مؤسس مدرسة حنويه.

---

(١) ولد في كفرة ودرس في مدرسة حدّاثا إحدى قرى جبل عامل ودرس في مدرسة جبع على العلامة الشيخ عبد الله نعمة، كان فقيهاً وشاعراً كبيراً توفي (١٣٠١هـ ١٨٨٤م) وله قصيدة يذكر بها جبع منها:

وعن جبع لا تسألن فإنها ... معاهد أحبابي ومنزل إخواني
عرفت بها عزي وفضلي وسؤددي ... ونلت بها علمي وأحرزت عرفاني
خدمت بها شيخ الهدى سيد الورى ... أبا حسن غوث الصريخ رجا الجاني

الشيخ علي السبيتي[١].

الشيخ موسى شرارة[٢] مؤسس مدرسة بنت جبيل.

السيد حسن يوسف مكي[٣] مؤسس المدرسة الحميدية في النبطية.

الحاج علي الزين والد صاحب العرفان، الشيخ عبد الكريم الزين، الشيخ مهدي شمس الدين، الشيخ محمد سليمان الزين، الشيخ حسين أبو خليل الزين، الشيخ علي الحر، الشيخ محمد الحسين المحمد، السيد مهدي الأمين، السيد عبد الله الأمين، الشيخ حسين المحمد، الشيخ عبد السلام الحر، السيد محمود الأمين، الشيخ محمد حسين فلحة الميسي وغيرهم.

مؤلفاته:

له رسالة صغيرة في الطهارة وتعليقات على قواعد العلامة.

موقفه في فتنة الستين:

جاء في كتاب مجمع المسرات تأليف الدكتور شاكر الخوري، أنه في حادثة الستين، التي كانت بين الدروز والنصارى سنة ١٨٦٠م الموافقة ١٢٧٧هـ أنه عمل معروفاً مع النصارى لا يُقدّر: وتفصيل هذا الذي أشار إليه الدكتور الخوري، هو أن المترجم آوى جماعة منهم في

---

(١) الشيخ علي السبيتي كبير بين البارزين من أعلام هذا الدور كان فقيهاً ونحوياً وشاعراً وكاتباً ومؤرخاً ولد في قرية كفرة قرب صور، درس في النميرية وممن قرأ في جبع على الشيخ عبد الله نعمة ثم اشتغل بالديوان عند آل الأسعد توفي (١٣٠٣هـ - ١٨٨٦م).

(٢) الشيخ موسى شرارة درس في جبع على الشيخ عبد الله نعمة ثم سافر إلى النجف فأكمل تحصيله وآب منها ١٢٨٩هـ. وذكر أن له جملة مؤلفات، منها: منظومة في الأصول تسمى الدرة وأخرى بالمواريث وكتاب بالفقه لم يتم ورسالة في تهذيب النفوس ولد ١٢٦٧هـ، وتوفي ١٣٠٤هـ.

(٣) هو السيد حسن بن يوسف بن إبراهيم بن علي مكي ولد في قرية حبوش سنة ١٢٦٠هـ ١٨٤٤م تلقى علومه الأولى في مدرسة جبع على الشيخ عبد الله نعمة، ثم أكمل تعليمه في جامعة النجف الأشرف حيث أقام فيها اثنين وعشرين عاماً أحرز درجة عليا في الاجتهاد ورجع إلى وطنه عام ١٣٠٩هـ - ١٨٩١م. وبعدها أسس المدرسة الحميدية في النبطية وتولى القيام بالشؤون العامة إلى جانب عنايته بالتدريس وأمور الدين فصارت له شهرة واسعة كما كان جريئاً في المدافعة عن حقوق أبناء وطنه تجاه الدولة العثمانية.

(٤) **الحركة الفكرية في جبل عامل**، ص ٢٦.

داره وأكرمهم، ولكن أهالي الشوف لما علموا بوجودهم في جبع، هجموا عليها ودخلوا دار الشيخ عبد الله نعمة، وفتكوا بمن التجأ إليها ونهبوا داره، ولما جاء فؤاد باشا من إستانبول، لقمع هذه الفتنة وعمل مجلساً فوق العادة، وكان علي بك الأسعد أمير جبل عامل من أعضائه، وجاء علي بك إلى دمشق مع ألف خيال من رجاله، جاء الشيخ عبد الله نعمة إلى دمشق، يطالب بمنهوباته ودخل مجلس فؤاد باشا، وفيه علي بك فأجلّه علي بك كثيراً، وعرّف به فؤاد باشا إلا أنه لم يرجع له شيئاً من منهوباته ولا عوض عنها، ثم قال الدكتور الخوري: إن مشايخ المتاولة، عملت كل معروف مع النصارى، وكانوا يصرفون من أموالهم الخاصة عليهم، فلذلك يلزم أن تكون النصارى مدينة بالمعروف والجميل لهم، ولا ينسوا حسين بك الأمين، والشيخ فضل وولده حسين بك، والشيخ علي الحر، والشيخ عبد الله نعمة، من جباع إلى آخره، ولأولادهم إلى من يأتي من نسلهم فيما بعد.

شعره:

له عدة قصائد ومقطوعات منها قوله:

لي الله كم يممت نجداً وقلعة ... وكم روّضت عيني محول المرابع
خليلي هل قلب يباع فإنني ... فقدت فؤادي بين تلك الأزارع
وهل وقفة تشفي الغليل ونظرة ... وإن كان حتفي من بروق لوامع
وهل قائل للصب بشرى بعودة ... تبوح بها نار الجوى من أضالعي

وقوله:

دعها تشن إلى العلى غاراتها ... حتى تقوم على ربى كوفان
إخوان صدق لو نزلت بحيهم ... فاحت عليك روائح الإخوان

وله:

عصيت هوى نفسي صغيراً وعندما ... أتتني الليالي بالمشيب وبالكبر
أطعت الهوى عكس القضية ليتني ... خلقت كبيراً ثم عدت إلى الصغر

ومن قصيدة نظمها في مهجره يحن فيها إلى وطنه جبع:

رعى الله عهداً قد نشأت بظله ... وحياه من صوب الغمام بنافع
فإن به داري ومنزل جيرتي ... وملعب أترابي وروض مراتعي
لقد برّح الشوق الملح بناظري ... وأذكى لهيبات الفضا في أضالعي

أبى الوجد إلا أن يبيض ناظري كما ابيض فودي واستصمت مسامعي
وما أنا إن شط المزار بذاهل عن الود حتى يحتويني مصارعي
يروم اتصالاً بالحبيب وبيننا مهامه بيد لا ترق لضارع
أأنسى رياض الحي وهي مريعة وشادي العلا يشدو بتلك المجامع
وأنسى ظباء الحي وهي أوانس تلوذ بظبي مسفرات البراقع
عسى نفحة تسري إلى الحي بكرة فيصبح محظور الثرى بمدامعي
فيا برق يمم سفح لبنان قاصداً ربوح أحبائي الكرام وسارع
وبلغ سلامي في السفيح لمعشر هجرت لهم بعد الفراق مضاجعي
سقى اللّه أياماً تقضت بعامل فقد كان مسراها كوثب المسارع
وقل لهم ذاك الكئيب الذي نأى على رغمه عن عهده غير راجع
وحدث حديثي للديار وأهلها فإن حديثي من غريب الوقائع
لعل عيوناً من صخور جوامد تفوه جواباً عن ديار بلاقع

وله أيضاً متذكراً أيام اجتماع التلامذة عليه:

إذا ذكرت نفسي زماناً تصرمت لياليه بالد هنا وشملاً تجمّعا
هتفت بهاتيك الصحاب كأنني وليد تمنى بالعشية مرضعا

وله أيضاً:

ولما افترقنا والقلوب من الجوى تذوب ونار الشوق ملء الأضالع
سمحت بدمع من جفون قريحة ومكنت سني من رؤوس الأصابع

وله أيضاً:

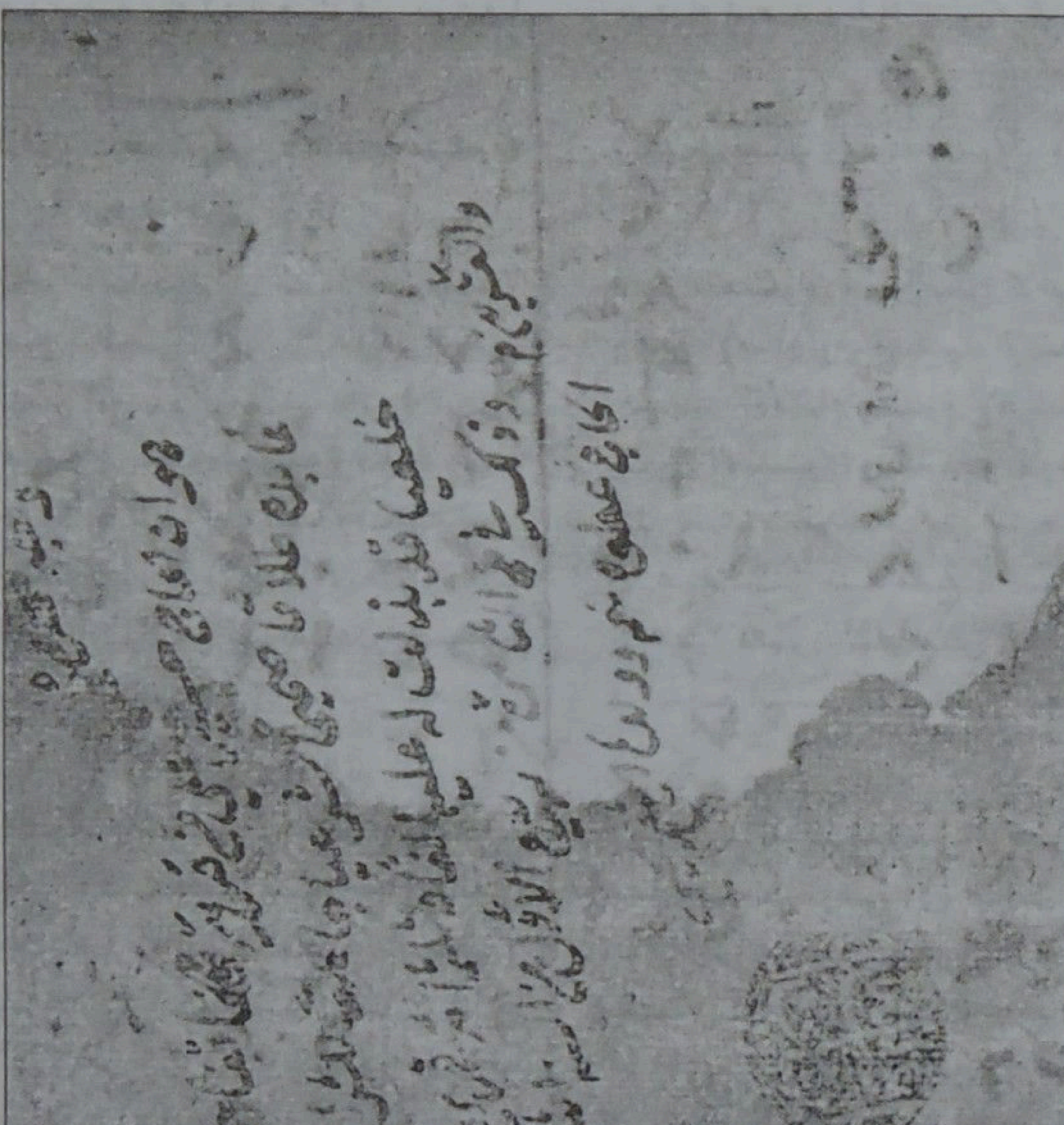
لا تكثرن من الشكاية إن أتى أمر الإله وأظلمت تلك اللجج
واصبر كما صبر الكرام فربما جرّت إليك عواقب الصبر الفرج

وله:

لئن منعت عني كلاماً أحبه فإني ورب الراقصات لهالك
وإن أسبلت دوني الحجاب فإن لي عيون فؤاد بالحجاب سوالك

وله:

يا رب ما لي غير بابك ملتجأ أنت الرجاء وأنت نعم المرتجى
كم شدّة شدّت علي ومحنة طالت وكان نهارها مثل الدجى



مخطوطة رعي رثية طلاق بخط الشيخ عبد الله نعمة وخاتمه وتوقيعه

أوليت عبدك يا إلهي صرفها — مناً فعاد ظلامها متبلجا
هذي الفتاة تتابعت في بيتها — حتام تعد يا إلهي مفرجا

وله:

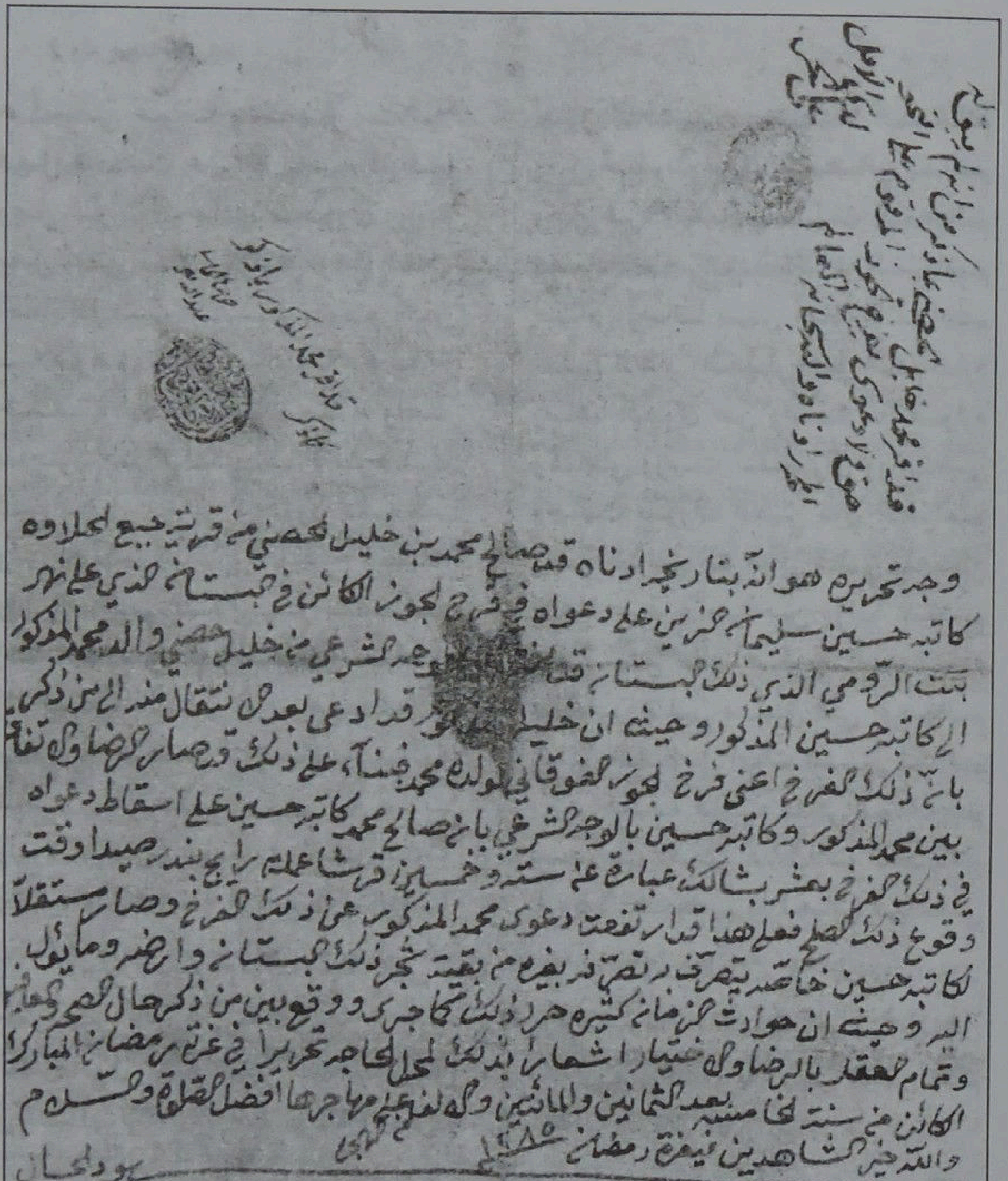
لعل الحمى يوماً تعود سعوده — فيخضر واديه ويورق عوده

وله متشوقاً إلى العراق:

يا راكباً يطوي الفلاة ميمماً — أرض العراق مواطن الأخوان
عج بالغريّ مقبلاً تلك الربى — ركن الأمان ومنبت الإيمان
قبر الأمير وقطب دائرة العلا — خير الأنام وعزة الإنسان
عجلان يحدو حسرة قد شقّها — طول السرى وتذكر الأوطان
خرقاء تدرّع الربا وتشقها — شق النسيم شقائق النعمان
ولهان ما ترك الهوى من حاله — إلا عقيق مدامع الأجفان
حيران ليس له أنيس صبابة — إلا تذكر سابق الأزمان
يرنو بعين فؤاده نحو الحمى — فالدمع أيسر ما يلاقي العاني

وله أيضاً:

خليليَّ هل تدري الديار وأهلها — بأن عيوني للعقيق سوافح
وهل علمت أهل السفيح بحالتي — وهل سمعت نوحي وذو الوجد نائح
وهل عثرت عند الصبوح بمهجتي — فإن فؤادي طوحته الطوائح
وهل سمعت عمر الزمان بنازح — يصابحه مرّ النوى ويراوح
لك الخير إن جزت السفيح فقف به — وقوف كئيب للعذول يكافح
وقيل ترى ذاك السفيح وطالما — ترشف منه الترب غاد ورائح
يئن كما أن الحمام ويشتكي — شآبيب نار في الحشا لا تبارح
وبلغ سلاماً لو أبوح ببعضه — لضاعت على هام السماك روائح
وإن ضلت النهج القويم روازح — فعرف شذا تلك البطائح فائح
مشوق ولولا ما جنى البين لم أكن — أقيم على هذا الجوى وأسامح
يزيد إذا هبّ النسيم تسعراً — وينشق عرف الشيح والطيب فائح
وقص غرامي بالعقيق وأهله — وعدد من الأحوال ما هو واضح



مخطوطة عبارة عن «حجة» بيع موقعة من الشيخ عبد الله نعمة والشيخ علي الحر وخاتميهما

وله أيضاً قصيدة:

خليليّ عرجا بالديار وسائلا أهيل الحمى عن عهدنا المتقادم
فهل أنعمت عيشاً بعيد فراقنا وهل أمطرت تلك الهضاب بناعم
وهل غرس الحادي بجزوى ورامة وهل غرّد الشادي بتلك المعالم
وهل روض الوادي الأنيق وهل غدت تفور الأقاحي ضاحكات المباسم
أحنّ إذا هبّ النسيم ولم أكن بناس زماناً بين أهل التراجم
سلام وهل يجدي السلام لنازح على الدار والديّار أهل المكارم
حلفت لكم بالله ما أم واحد رماها النوى عن وصله بالصوارم
باحزن من قلبي غداة ترحلت ركابي وزمّت للفراق رواسمي
لئن بخل الدهر الخؤون بقربكم وحالت صروف البين دون المراسم
وقد أحكم القدر المتاح قضاءه وسدّ طريق الوصل عني بصارم
وإن رجائي للأمير بفكه كما صدّ عمراً من ذؤابة هاشم
إمام له في كل فخر سوابق ومن كل عزّ أخذه بالمقادم
إذا افتخر الناس الكرام بمفخر ففخر عليّ سابق في العوالم
شواهد فضل للإمام وكم له على الفضل آيات تبين لنائم
فكم آية نصت وكم آية هدت وكم حكمة قامت لغير المخاصم
ولولا ادكاري للغري لما غدت سحائب دمعي هاطلات الحنائم
رعى الله أيام القرى فإنما إليها حنيني وارتعاش قوائمي

وبوفاة الشيخ عبد الله نعمة انتهى العهد الثاني من النهضة العلمية في جباع، وأعقبها جمود كلي عفى على تلك المدارس والنوادي التي كانت تزخر بها جباع، ولم يبق فيها من العلماء سوى الشيخ حسين المحمد وبعض الفقهاء الذين قرأوا عليه، وقد ذهب البعض منهم إلى النجف لإكمال دراسته العلمية والبعض الآخر تعذّر عليه الذهاب فبقي في جباع.

الشيخ محمد حسين مروة الجبعي

ولد في جبع وكان من العلماء الأجلاء والفقهاء الكاملين. كان مشهوراً بالتقى والورع، هاجر إلى النجف الأشرف فتلمذ على العلماء الأكابر، والمدرّسين الأفاضل، حتى برع في الفقه والأصول وغيرهما، وبعد رجوعه إلى بلاده نزل دمشق الشام بطلب من الطائفة الشيعية من أهلها، فكان مرجعاً إلى أن توفي في أواخر العشر الثانية بعد الثلاثمائة والألف[1].

الشيخ حسين الزين العاملي

١٢٥٢ ـ ١٣١٩

هو الشيخ حسين الشهير بأبي خليل بن سليمان بن علي بن حسن أبي خليل بن موسى ابن يوسف الأنصاري الخزرجي من علماء عصره.

نشأ في جبع فقرأ مقدمات العلوم في مدرسة العلامة الشيخ عبد اللّه نعمة الكبير عدة سنين حتى نال فيها حظاً من العلوم، ونبغ في اللغة العربية نبوغاً باهراً وأتقنها جيداً، فكان من أجل ذلك كان يلقب (بسيبويه الثاني)، انتقل من جبع إلى «جبشيت» فسكنها وكان معروفاً بالفضل والعلم والصلاح والتقى والعبادة والزهد، وخشونة العيش، وتوفي راجعاً من زيارة سامراء وحمله ولده الشيخ عبد الكريم الزين إلى النجف فدفن فيها، وترجم له في «شهداء الفضيلة» ص ٢١٩ فقال: كان من العلماء الفطاحل موصوفاً بالزهد والتقى له مؤلفات في الفقه والنحو وغيرها، استقدمه صاحب الجلالة ناصر الدين شاه القاجاري لزيارة إيران فلبث فيها ما ينيف على سنة. وقد أجازه شيخ الطائفة الأنصاري، وكان يسكن «جبع» تارة و«جبشيت» أخرى، وتوفي بالكاظمية «سنة ١٣١٩هـ»[2].

---

(١) **طبقات أعلام الشيعة**، ج١، ص ٥٨٧.

(٢) **طبقات أعلام الشيعة**، ص ٥٨٧.

الشيخ علي الحر
١٣٢٢هـ

هو العلامة الزعيم المفكر الذي جمع زعامة الدين والدنيا، وكان من أشهر رجالات جبل عامل وزعمائها في العهد الثاني. اشتهر بأصالة الرأي وبُعد النظر والكرم الحاتمي، والغيرة على مصالح الطائفة ونزاهة القصد. وكان له الحظوة لدى رجالات الحكم التركي، وكان في الاستقبالات الرسمية الحكومية (التشريفات) متقدماً جميع زعماء جبل عامل، وله مواقف مشهورة لدى الوزراء والولاة، لا سيما موقفه المعروف في حضرة فؤاد باشا في حوادث سنة ١٨٦٠، وأبوه الشيخ أحمد وجده الشيخ محمد وأسلافهم من قبل كانوا يتولون القضاء في جبل عامل تحت اسم نائب البشارتين، والشيخ علي الحر كان من رجال الحركة العربية وعضو مؤتمر دمشق في عهد مدحت باشا التركي.

والدليل على احترام السلطات التركية له ذلك الحادث الذي جرى عنده ولو جرى عند غيره لما سلم من بطش الأتراك.

فقد حلّ ضيفاً عنده ذات ليلة سنة ١٣١٢هـ الموافق سنة ١٥٩٤م مفتي صيدا الحاج عثمان الزين، وبينما كان نائماً في غرفة خاصة أفردت له، تسلل بعض الأشخاص في منتصف الليل وأطلق على المفتي عيارين نارين من جفت صيد أفرغهما في عينيه فتوفي للحال، فبادر الشيخ علي وأعلم السلطات في صيدا بالحادث، حيث أجروا تحقيقاً دقيقاً لم يتعرضوا خلاله للشيخ علي بأي سوء، وإنما ألقيت التهمة على شخص يدعى حسن حجازي وقيل: إنه كان مدفوعاً من قبل محمود بشير الصعبي من وجوه قضاء النبطية وصاحب بلدة كفررمان بسب خلاف بين المفتي ومحمود بشير على التزامات الأعشار في ذلك الحين، وقيل: إن محمود بشير كان قد هدد المفتي بالقتل. وقد حكم على محمود بشير بالحبس مدة خمسة عشر عاماً، ونفذت فيه العقوبة، وفي نهاية الخمسة عشر عاماً التي قضاها المذكور في السجن جرى إعدامه شنقاً وقيل كان ذلك بموجب فتوى صدرت من مفتي الآستانة.

ومن أعماله الإنسانية أنه آوى جمعاً غفيراً من النصارى في داره إبان حادثة الستين وهي الحادثة التي وقعت بين الدروز والنصارى سنة ١٨٦٠م - ١٢٧٧هـ، وحماهم وأكرمهم وقام بما يجب لهم من الرعاية[١].

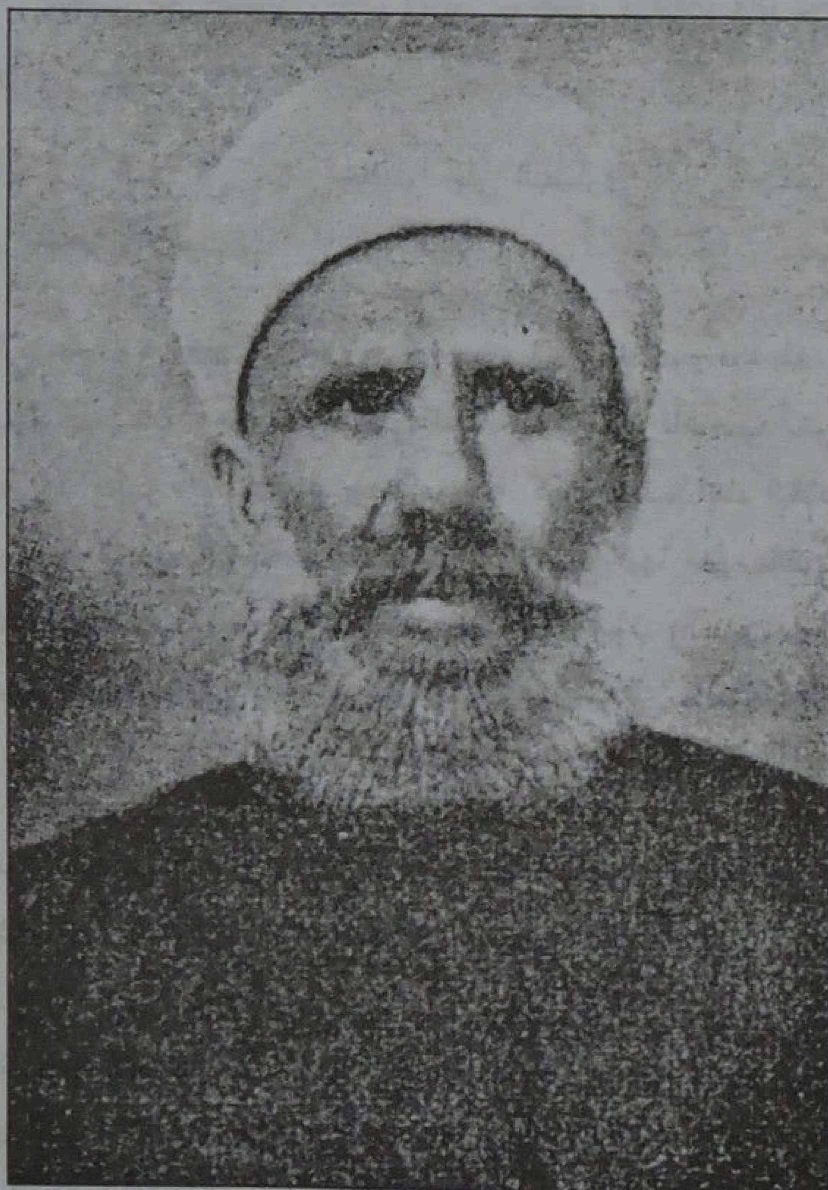
---

(١) **العرفان.**

ففي كتاب (مجمع المسرات) تأليف الدكتور شاكر الخوري بعدما ذكر أنه أقام في النبطية مع جمع غفير من النصارى خمسة عشر يوماً في تلك الحوادث.

قال: وفي أثناء ذلك ورد لنا خبر عن والدتي وإخواني وخالتي وأولاد عمي أنهم في جباع الحلاوة مع جماعة من النصارى في بيت الشيخ علي الحر، وهو رجل عظيم جداً من أكابر قومه عمل معروفاً مع النصارى لا يُقدر، فحماهم من القتل وكذلك الشيخ عبد الله نعمة الذي عمل نفس المعروف.

فأرسل حسين بك الأمين (حاكم النبطية) خياله إلى جباع فأحضروا والدتي وأقاربنا الذين كانوا هناك.



صورة الشيخ علي الحر

وقد أخبرتني والدتي أنها بينما كانت في جباع مشغولة الأفكار بسبب زوجها وأخوتها وأولادها لا تدري أهم أحياء أم أموات؟ وبينما كانت تقضي ليلها ونهارها بالنحيب، إذ بسيد من أهل جباع تبدو عليه الهيبة والاحتشام والتأدب، واسمه السيد إبراهيم يطلب مقابلتها، ثم أخبرها أنه بينما كان في مزرعة الرهبان في جبل طورا شاهد خمسة رجال من بكاسين مختبئين هناك، وهم منصور مبارك الخوري ورفاقه يعيشون على القمح الفريك، فسأله منصور عمن عندهم في جباع من أهل الإقليم، فأخبره بوجود والدتي هناك، فقال له منصور: أرجوك أن تخبرها بسلامتنا وأننا في ضنك عظيم وبنفس الوقت أرجوها أن تعمل لنا طريقة مع الشيخ علي الحر ليوصلنا إلى جباع. فحضرت والدتي إلى الشيخ علي وأخبرته بذلك، فأحضر بدوره السيد إبراهيم وأمره بأن يذهب مع خمسة رجال ويأتوا بمنصور ورفاقه، وأن يحافظوا عليهم تمام المحافظة، فذهبوا وأحضروهم بسلام.

ثم ذكر أن بيت الحر في جباع حافظوا على النصارى الذين اجتمعوا عندهم في حادثة الستين وعاملوهم بالخير والإحسان.

وفي حوالي عام ١٨٥٠م - ١٢٦٦هـ أمّ جباع زائراً الدكتور فانديك مؤسس الإرساليات الأميركية الإنجيلية في لبنان وحلّ ضيفاً على مشايخ آل الحر فأعجب بموقع جباع ومناظرها كثيراً، وعرض على الأهالي بأنه يريد أن يفتح مدرسة كبيرة لتعليم أبناء البلاد، ومما قاله يومئذ: إنه إذا تمّ له بناء هذه المدرسة وفتحها للتدريس، فسيصبح فيها مدرستان، إذ بمجرد أن تفتح الإرسالية الأميركية الإنجيلية مدرسة سوف يبادر حالاً اليسوعيون (الجزويت) لفتح مدرسة أخرى نظراً للتنافس الذي كان قائماً في لبنان بينهما، وقيل: إن الأهالي مانعوا بذلك الوقت بفتح هذه المدرسة.

وتروى عن الدكتور (فانديك) نادرة لطيفة أثناء وجوده في جباع وهي أنه بينما كان مدعواً على العشاء في دار المشايخ ومبالغة في تكريمه دعيت جميع المشايخ لتناول العشاء معه، وأثناء العشاء بعد أن فرغ فانديك من طعامه وشبع ناوله أحد المشايخ قرص كبة فأكله، وناوله آخر قطعة كوسا محشي فأكلها وهكذا أخذ المشايخ الموجودون يناوله كل منهم قطعة طعام فيأكلها ظناً منه أن هذا تقليد يجب أن يُراعى ولا يجوز له رفض شيء قدم له حتى أتخم بالعشاء، لا سيما وقد تناول أطعمة لم تعتد معدته عليها، فلم ينم تلك الليلة من سوء الهضم وتلبك المعدة، فأخذ يتناول المهضمات كالكربونات وغيرها.

وفي صباح اليوم التالي عندما همّ بالرحيل واكبه المشايخ لتشييعه خارج البلدة كما جرت العادة مبالغة في تكريم زائر كبير، وكانت واسطة السفر يومئذٍ حماراً قبرصياً، ولما قارب الموكب ساقية المياه قرب الساحة هجم الحمار على الساقية وأخذ يشرب حتى ارتوى ورفع رأسه، فتقدم فانديك من الحمار وقال له: كرمال فانديك، كرمال الشيخ فلان، وكرمال الشيخ فلان، اشرب بعد. فلم يأبه الحمار، عندئذٍ التفت إليه فانديك وقال له: صحيح أنك حمار ولكن تبين أنك تفهم أكثر من فانديك، فأنت عندما ارتويت لم تكارم أحداً على حساب معدتك بما يزيد عن حاجتها.

الشيخ محمد حسين المحمد العاملي الجبعي

هو الشيخ محمد حسين ابن الشيخ حسين بن محمد بن حسين بن محمد بن علي بن محمود العاملي الجبعي عالم فقيه، وأديب بارع، ولد في جبع ١٢٣٤هـ؛ ونشأ بها ثم هاجر إلى النجف الأشرف فتتلمذ على فقهائها الأعلام حتى حصلت له الإجازة من الشيخ المرتضى الأنصاري؛ وعاد إلى بلاده متفرغاً للوعظ والإرشاد والقيام بمهمات الشرع إلى أن توفي سنة ١٣٢٤هـ[١].

(وآل المحمد) من أقدم أسر العلم في جبل عامل وأجلها، أنجبت عدداً كبيراً من أكابر الفقهاء وأفاضل العلماء منذ القرون العديدة، وكان هذا البيت يعرف سابقاً بآل محمود وقد نزحوا مع من نزح من عائلة آل الحر إلى موطنهم الحالي جباع.

(١) **طبقات أعلام الشيعة**، ج١، ص ٥٧٠.

الشيخ حسين المحمد

هو الشيخ حسين بن حسن بن حسين بن محمد بن حسين بن محمد بن علي بن محمود ابن يوسف بن إبراهيم المنتسب إلى الشيخ شمس الدين محمد بن زين الدين بن علي ابن شمأل من أساتذة الكفعمي كما جاء في أمل الآمل.

ولد في ١٦ ربيع الأول سنة ١٢٦٦هـ وتوفي في العاشر من صفر سنة ١٣٣٤هـ - ١٩١٦م. قرأ في جبع على بعض الأساتذة المقدمات وقرأ الأصول والفقه على العلامتين الشيخ عبد الله نعمة وعمه الشيخ محمد حسين المحمد، وهاجر إلى النجف الأشرف لطلب العلم سنة ١٢٩٢هـ وقرأ على أساطين العلماء، ولما اشتهر فضله اهتم بأمر إيابه الحاج حسن عسيران وكان إيابه سنة ١٣١٩هـ وأسس المدرسة الحميدية في بلدته جبع، ومن تلامذته من تولى القضاء بعد إيابهما من النجف الشيخ منير عسيران رئيس المحكمة الشرعية الجعفرية والشيخ محيي الدين عسيران الذي كان قاضياً لبعلبك، وممن قرأ عليه في النجف الشيخ محمد دبوق وفي جبع الشيخ عبد الله الحر والشيخ محمد حسين الحر والشيخ محمد علي نعمة والشيخ محمد أمين شمس الدين والشيخ عبد الغني الحر والشيخ إبراهيم مروة، وممن قرأ عليه من الفضلاء الشاعر الشيخ محمد أمين مروة والشيخ عبد اللطيف مروة والشيخ عبد الرؤوف المحمد والشيخ صادق الحر والشيخ عبد الحميد الحر والشيخ كامل الحر والشيخ عبد اللطيف شمس الدين والشيخ خليل البعلبكي وغيرهم، وله أرجوزة في المواريث وقد نشرت ترجمته في الجزء الأول من المجلد الثلاثين في العرفان، وقد ترجم في كتاب أعلام الشيعة للآغا بزرك الطهراني عد ٨٩٨ باسم الشيخ حسن الحر، وعد ٨٨٩ باسم الشيخ حسن الحر، وقد ترجم في أعيان الشيعة وفي تكملة أمل الآمل للسيد حسن الصدر النجفي.

الشيخ حسين نعمة

هو الشيخ حسين ابن الشيخ حسن ابن العلامة الكبير الشيخ عبد الله بن علي نعمة العاملي الجبعي(١).

عالم أديب كان من فضلاء أسرته (آل نعمة)، قرأ مقدمات العلوم في جبل عامل، ثم هاجر إلى النجف الأشرف فحضر على الشيخ محمد كاظم الخراساني وغيره من علماء عصره حتى حاز من الفقه والأصول قسطاً وافراً، وكان بالإضافة إلى ذلك أديباً شاعراً خفيف الروح جيد النظر له مع بعض أخوانه مطارحات ومراسلات، ثم عاد إلى بلاده من النجف ١٣٣٣هـ إلى أن توفي ١٣٣٤هـ ودفن في حبوش(٢).

---

(١) **طبقات أعلام الشيعة**، آغا بزرك الطهراني، ج١، ص ٥٦٤.

(٢) المرجع نفسه، ج١، ص ٥٦٥.

الشيخ محمد نعمة

هو الشيخ محمد ابن الشيخ حسن ابن الشيخ عبد الله نعمة الجبعي العاملي، كان عالماً فاضلاً، شاعراً، أديباً، ذكياً، طريفاً، انتقل من بلدته جباع إلى البازورية وسكن بها حتى توفاه الله عام ١٣٣٩هـ ومن شعره[1]:

أبرق بدا أم ضوء غرتك الأسنى ... أم الصبح أم آيات طلعتك الحسنى
أم الشمس أم نار الكليم توقدت ... على طور سينا وجنتيك لها شمنا
فما الحسن بين الناس إلا مقولة ... سواك لها لفظ وأنت لها معنى
فتنت قلوب العاشقين بأسهم ... براها الهوى في لحظ أجفانك الوسنا
أخذت عن الشمس المنيرة غرّة ... ومن هالة البدر الملاحة والحسنا
ومنك استعار الظبي جيداً ولفتةً ... وسحر القنا من قدك الفتك والطعنا
وقد راح أبناء الورى فيك هوماً ... وها نحن يا ظبي النقا معهم همنا
وساروا حيارى في معانيك وُلَّهاً ... ونحن على منهاج سيرتهم سرنا

ومن شعره قصيدة يحن فيها إلى جباع مسقط رأسه ويبكيها:

حيّ جباعاً بدمع رائح غادي ... فيها منازل آبائي وأجدادي
تلك المنازل إني لست أجحدها ... أصبو إليها بتحنان وترداد
فكم تقضى لنا في سفحها زمنٌ ... يُسلي المراضع عن بعل وأولاد
ريّان أرفل في ثوب الصبا مرحاً ... عند الرُويس الذي أربى على الوادي
يا منزل السفح من لبنان في جبع ... حيّاك صوب الغمام الرائح الغادي

(١) من كتاب أعيان آل نعمة المخطوط للعلامة الشيخ عبد الله نعمة.

هل أنت تذكر أياماً لنا سلفت — والدار مملوءة من خيل وقاد
لا يذكر الماء إلا حنَّ ذو ظمأ — ليس التذكر يروي غلة الصادي
لا يستقر لجنبي مضجع أبداً — مذ غبت عنك لظلم الجازم العادي[1]

(١) من كتاب أعيان آل نعمة المخطوط للعلامة الشيخ عبد الله نعمة.

الشيخ عبد الغني الحر

نسبه:

هو عبد الغني بن أحمد ابن الشيخ علي بن أحمد بن محمد بن أحمد الحر، ولد في جبع سنة ١٣٠٠هـ ونشأ في حضن والده بكنف جدّه الشيخ علي الذي كان يحبه لذكائه ودينه، وقد أوصى له أن يكون له سهم في تركته كأحد أولاده.

وقد قرأ القرآن وتعلم تجويده على أشهر القرّاء في جبع وصيدا وكان سريع الحفظ، وقد تلقى علومه في النحو والصرف والمنطق والمعاني والبيان والبديع والعروض على المرحوم الشيخ عبد الرؤوف المحمد، والأصول والفقه على العلامة الحجة الشيخ حسين المحمد، وبعد ما توفي جده سنة ١٣٢٢هـ الذي كان يرغب في سفره إلى العراق لإكمال دروسه، فامتثالاً لرغبة المرحوم جده صمم النية وسافر إلى النجف الأشرف سنة ١٣٢٤هـ ومكث بها ما ينوف عن ثلاثين عاماً قضاها في التحصيل. وكان جيد النظم وله شعر كثير، وانقطع أخيراً إلى مديح آل البيت عليهم السلام. وله ديوان شعر طبع في النجف سماه (منتظم الدرر) في مديح الإمام المنتظر عليه السلام، وكان ينظم الشعر بداهة وقصائده في مديح الإمام عليه السلام طويلة منها القصيدة (الكافيَة الكافية) وتبلغ أبياتها خمسمائة بيت أو تزيد، وتوفي سنة ١٣٥٥هـ ودفن في الرواق الحيدري بجانب الشيخ الأردبيلي شمال الحضرة الشريفة الحيدرية عليه السلام، وقد أقيم له في جبع ذكرى الأربعين حضره جمع غفير من أجلاء العلماء العامليين والسراة، وتلي بها قصائد جمّة رثي بها عليه الرحمة.

شعره:

قلنا: إنه نظم الكثير وخصوصاً في مدح الأئمة عليهم السلام وله بمديح الإمام الثاني عشر عليه السلام عدة دواوين لم يطبع منها سوى أحدها المسمى (بمنتظم الدرر) وليس لدينا الآن من شعره إلا اليسير من كتاب كتبه لأحد أرحامه معزياً:

كم تجرعت من شجون ولكن مثل هذي الشجون لم أتجرع
كلما قلت يا جفوني أحبسي الد مع ولا تظهري الذي بي تدمع
وإذا قلت للفؤاد ترفق واجعل الصبر جُنّة يتقطع
ولصبري إذ قلت عدني طوداً قال هيهات كل صبر يتضعضع
حق لي أن أهيم وأني كل يوم من عارض الحزن أصرع
إقرار ولي لواعج نار من شجون لا تنطفي وهي تلذع
أين لا أين ربع لهوي وأنسي بعد أن كان آهلاً عاد بلقع
كيف ذاك الشمل الذي قد عهدناه كعقد منضد قد تصدع
أين بدر العليا غاب وقد كان كبدر السما يبدو ويطلع
بعد ربع الأحباب إذ كان غضا ليس إلا ربع الأسى لي مربع

ثم قال بعد جملة من الكتاب:

أرى الصبر أولى للأنام من الحزن وإن كنت من فرط الأسى قارعاً سني
فما الصبر غير درع حصينة وجُنّةُ تحصين من الإنس والجن
وفيه رضا الرحمن إذ حثّنا به وعرَّفنا أن الأسى هو لا يغني
لنا أسوة في آل طه إذا ابتلوا وقد صبروا صبر النبي بلا وهن
وأحسن شيء للورى في زماننا وفيه لهم إن أخلصوا أعظم الأمن
توجههم لله ثم انتظارهم أتمّ هدى يجلو سناه دجى الدجن

الشيخ عبد الله الحر

هو الشيخ عبد الله بن عبد السلام بن سعيد الحر، ولد عام ١٢٨٤هـ وقرأ المبادىء على والده الشيخ عبد السلام وشيئاً من الفقه والأصول على خال والده العلامة الشيخ محمد الحسين المحمد، ولما حضر العلامة الشيخ حسين المحمد ورأس المدرسة الحميدية في جبع قرأ عليه في علمي الفقه والأصول، وكان رفيقه في التحصيل الشيخ محمد أمين مروة. ثم سافر إلى النجف سنة ١٣١٦هـ وآب منها سنة ١٣٢٤هـ وأقام بقية أيامه في بلدته جبع، وأصبح المرجع الديني الوحيد في جبع ومنطقتها. وكان عالماً تقياً ورعاً جليل القدر ذا مهابة محترمة، وتوفي سنة ١٣٦٠هـ.



العلامة الشيخ عبد الله الحر

الشيخ عبد الكريم الزين

مولده ونسبه:

هو ابن الشيخ حسين المشهور بالشيخ أبي خليل ابن الحاج سليمان ابن الشيخ علي الزين الأنصاري الخزرجي العاملي. ولد سنة ١٢٨٤هـ وتوفي سنة ١٣٦٠هـ.

وقد ولد في جبع أعظم بلد علمي في جبل عامل يومذاك حيث كانت مدرسة الشيخ عبد الله نعمة حافلة بطلاب العلوم الدينية وغيرها من العلوم الإسلامية[١].

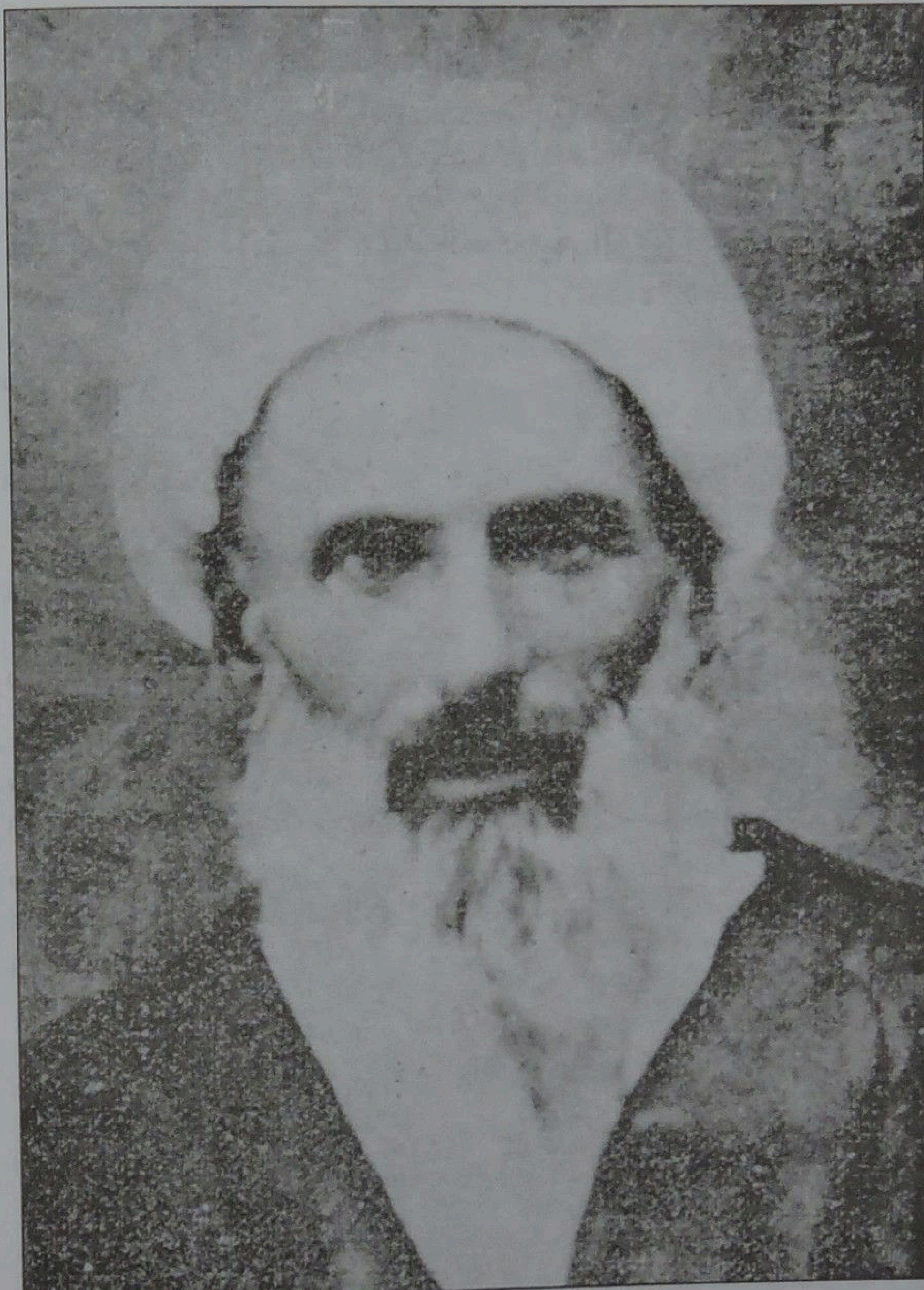
دراسته:

كان والده مقيماً في جبع مع أخوته فنشأ في هذا المحيط العلمي ثم انتقل من جبع إلى بنت جبيل ودخل مدرستها التي أسسها الشيخ موسى شرارة، وتهافت عليه رواد العلم من أنحاء الجبل العاملي، فقرأ فيها العلوم الأولية من منطق وبيان وأصول وأدب، وبعد وفاة رئيسها ومؤسسها وفتور التدريس فيها هاجر إلى النجف، وقد اشتهر هناك بذوقه السليم في اختيار المواضيع العلمية وتجنب المباحث الجدلية المعقدة المضيعة للوقت بكثرة شبهها واحتمالاتها البعيدة.

لذلك أقبل عليه الطلاب وتتلمذ عليه جماعة قد أصبح بعضها ممن يشار إليهم بالبنان، وقد أخذ في النجف عن الآخوند ملا كاظم، والشيخ عبد الله المازندراني، والشيخ محمد طه نجف، والشيخ آغا رضا الهمداني، والشيخ شريعة الأصفهاني، وغيرهم. ثم عاد إلى وطنه بعد أن أجيز من بعض هؤلاء الأساتذة.

---

(١) **أعيان الشيعة**، ج٣٨، ص ٧١.



صورة العلامة الشيخ عبد الكريم الزين

ثم أقام في قرية جبشيت من جبل عامل وكان يأنف العزلة مهما تمكن منها، وكان كثير العبادة كثير الصدقات، وكان على قلة ثروته مضيافاً يحب الضيوف ويأنس بهم، وكان يحب الفروسية والسباق على ظهور الجياد العربية، وكان عنده فرس لا تجارى في السباق.

ومن أخلاقه التي كان يتميز بها: الصراحة والجهر بالحق، أضف إلى ذلك اعتداله في زهده وتصوفه وجمعه بينهما وبين النظافة والأناقة في اللباس مع الأنس بمجالس الأدب المحتشمة وتعاطي نظم الشعر الرقيق بأنواعه.

مؤلفاته:

ولقد جمع بخطه الجميل ما نظمه في أول حياته إلى أول شيخوخته في ديوان كبير، وكتب كل مؤلفاته بخطه أيضاً واستنسخ عدة كتب من تأليف غيره أيام كانت الطباعة قليلة في البلاد العربية، وهذه مؤلفاته:

(١) ديوان شعر من نظمه. (٢) مجموعة كبرى في مدح المرتضى علي عليه السلام. (٣) مجموعة أدعية النبي والأئمة. (٤) مجموعة مواعظ أهل البيت وحكمهم البالغة. (٥) كتاب الرحمة في الطب والحكمة. (٦) شرح لامية العرب للشنفرى. (٧) رسالة في تفنيد كتاب مباحث المجتهدين لنقولا يعقوب غبريل. (٨) رسالة في السفور والحجاب. (٩) الرد على الوهابية في تحريمهم بناء القبور. (١٠) رسالة في المفوضة والجبرية. (١١) رسالة في التوحيد. (١٢) رسالة في الأصول. (١٣) رسالة في الفقه[1].

شعره:

قال من قصيدة غزلية:

شيمي لحاظك ربّة الحجبِ ... لا تذهبي بدمي ولا نشبي
ودعي الهوى يعدو على كبدي ... أنّى انحنى ويدب في عصبي
كم ليلة بتنا وترمقنا ... عين الأقاح وأعين الشهب
والليل كالفرعين منسدل ... والنجم كالقرطين في وجب
في ليلة ضحك النوار بها ... وبكت عليها أعين السحب

---

(١) **أعيان الشيعة**، ج٣٨، ص ٧١.

وجرى النسيم على مفارقها فتأرجت بالمندل الرطب
وتهدلت أغصانها وشدّت أطيارها بالبشر والطرب
وسَعى النديم بأكؤس فرجت فكأنهن سبائك الذهب
أو أنها من ثغره سكبت لكن تسمى بابنة العنب
أو أن خدك سال من خجل من قبلة فطغى على الحبب
سحر القلوب بلحظه أترى هو ساحر أو آية لنبي
وبكفه وبثغره اجتمعا سكران من حبب ومن ضرب
يعطيك من يده أبا لهب ويصدّ عنك ببارد الشنب

الشيخ إبراهيم مروة

هو الشيخ إبراهيم بن عباس مروة، ولد في جبع عام ١٢٩٥هـ، ثم انتقل مع عائلته إلى النبطية، فدرس أوليّات العلوم في جبع والنبطية وبعد وفاة أبيه انتقل إلى النجف الأشرف فأقام فيها مدة أتمّ دراسته الدينية ونال درجة الاجتهاد. ثم سافر إلى خراسان (إيران) لزيارة الإمام الرضى عليه السلام، ثم انتقل إلى مدينة (قم) في إيران حيث يوجد بها جامعة علمية كبيرة لتدريس الفقه الإسلامي ومقر كبار العلماء، ولما أراد العودة إلى وطنه لبنان تعلق به علماء (قم) ووجهاؤها وألحوا عليه بالبقاء فيها للتدريس، فبقي في (قم) وتزوج فيها من أرفع البيوتات من آل (وجداني). وقد صار في (قم) مرجعاً دينياً كبيراً محترماً عند الجميع وذا مكانة مرموقة يشار إليه بالبنان. وفي عام ١٩٥٠م قصد العراق لزيارة العتبات المقدسة، ثم حضر منها إلى مسقط رأسه جباع لزيارة أقاربه وأرحامه ومنهم (ابن شقيقته مؤلف هذا الكتاب) وذلك بعد غيبة أربعين عاماً، وأقام في لبنان شهراً ثم عاد إلى (قم) وبقي حتى توفاه الله عام ١٣٧١هـ تاركاً أربعة أولاد ذكور هم: محمد وعلي وحسن وحسين وخمس بنات يقيمون في طهران.



العلامة الشيخ إبراهيم مروة

الشيخ محمد الحر

هو الشيخ محمد بن حسين بن سعيد الحر، ولد عام ١٢٩٥هـ، وبدأ تحصيله في مدرسة جبع، وقرأ على رئيسها العلامة الشيخ حسين المحمد سنة ١٣٠٩هـ. ثم انتقل إلى مدرسة النبطية وقرأ على العلامة السيد حسن يوسف مكي، ثم هاجر إلى النجف عام ١٣١٨هـ ثم رجع إلى بلدته جبع وكانت وفاته عام ١٣٧٢هـ.



ولما عاد الشيخ محمد الحر إلى بلدته جباع أعاد لها بعض الشيء من الحياة الاجتماعية والدينية، فعمر ناديه بالوفود وطلاب الفتاوى والمشورة الدينية وأقبل الناس عليه إقبالاً منقطع النظير يلتمسون بركته ومشورته بأمور دينهم، ويلقى الجميع بوجه باسم فأعاد إلى الأذهان صورة الماضي للسلف الصالح، وتهافت المؤمنون على العالم الذي ينذر نفسه للوعظ والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

لا سيما وقد انفرد الشيخ محمد الحر بين جميع علماء جبل عامل بإجازة من المرجع الديني في النجف الأشرف يجيز له حلّ مشكلة نساء المهاجرين التي كانت معضلة اجتماعية تجمد حلّها، أقول المهاجرين الذين سافروا إلى ما وراء البحار وانقطعوا عن زوجاتهم، وقد أجيز للشيخ وفقاً لأصول ومخابرات واتصالات يجريها مع الزوج المهاجر الذي يكون قد ترك زوجته، ثم يجري طلاق الزوجة من زوجها المهاجر بعد أن يكون قد استنفذ جميع الطرق والمسائل الشرعية. وقد كان عالماً جليلاً ورعاً متبحراً في العلوم الدينية، وأكثر ما كان يحبب الناس به ويلتفون حوله تواضعه الجم وظلّه الخفيف، وكان إذا ذهب إلى بعض القرى للوعظ والإرشاد وحلّ ضيفاً عند أحد المؤمنين لا يقبل أن يصنعوا له أي زاد خاص به إلا ما كان موجوداً من زادهم ولو كان لقمة زيتون، وله مؤلف ديني أسماه (الإيمان والتقوى).

الشيخ محمد علي نعمة

ولد في جبع عام ١٢٩٨هـ، من أسرة عربية عرفت بالعلم والدين والصلاح برز منها علماء كثيرون منهم:

الشيخ عبد الله علي نعمة المتوفى عام (١١٤٣هـ).

الشيخ علي بن عبد الله نعمة المتوفى عام (١١٨٤هـ).

الشيخ حسين نعمة المتوفى عام (١٢٢٠هـ).

الشيخ عبد الله نعمة العلامة الكبير مؤسس مدرسة جبع في العهد الثاني المتوفى عام (١٣٠٣هـ).

الشيخ حسن نعمة المتوفى عام (١٣١٢هـ).

الشيخ حسين نعمة المتوفى عام (١٣٣٤هـ)[1].

وعاش الشيخ محمد علي نعمة وترعرع في كنف والدته الحاجة خانم كريمة الشيخ محمد مروة أستاذ علم التجويد المعروف (بالخواجة)، وما أن ترعرع حتى دخل المدرسة فتعلم القراءة والكتابة ثم درس مبادىء العربية في مدرسة (جبع) على الشيخ حسين المحمد، ثم انتقل إلى مدرسة النبطية في عهد رئيسها السيد حسن يوسف مكي، ثم انتقل إلى صيدا وأقام فيها أربع سنوات اشتغل خلالها بالأدب والشعر ودرس المنطق على الشيخ عبد الله الخراساني الذي كان مقيماً في صيدا.

ثم رحل إلى النجف حوالي عام ١٣٢١هـ فأقام فيها دارساً إحدى وعشرين سنة، فكان من أساتذته الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء والميرزا بدر الدين والسيد كاظم اليزدي والشيخ كاظم الخراساني والميرزا حسين النائيني والسيد أبو الحسن الأصفهاني والشيخ أحمد كاشف الغطاء، وقد أجيز لدى عودته إلى جبل عامل من أولئك العلماء.

---

(١) **العرفان**، ج٢، مجلد ٥٠.



العلامة الشيخ محمد علي نعمة

وأخيراً وفي عام ١٣٤١هـ رجع إلى بلاده وأقام في حبوش بطلب من أهلها حيث استمر فيها أربعين سنة قضاها في الهداية والوعظ والإرشاد وفضّ الخصومات بعفة واستقامة وورع[1]. وقد فرض احترامه وتقديره بما كان يتمتع به من فضل وعلم وزهد وأخلاق كريمة، وكان نظيف اليد نظيف الضمير عامر القلب بالإيمان.

(١) **أعيان الشيعة**، ج٥٦.

الأدب العاملي في القرن الماضي

عمر سوق الشعر والأدب في جباع في القرن الماضي وقد نشر في العرفان من المساجلات الأدبية الشيء الكثير بيد أنه بقي الكثير مما لم ينشر، فبعضه ضنّ به أصحابه فبقي في صناديقهم عرضة للانقراض وقد يفنى ويعفن قبل إظهاره لعالم النشر، والبعض ينشر تباعاً. ومما لم ينشر بعد مراسلات أدبية بين المرحوم والد صاحب العرفان الحاج علي الزين وبين فريق من أصدقائه وهو بعض ما حواه كتابه المخطوط الذي لم يتمه، وها نحن ننقل عنه طرفاً من تلك المراسلات التي دارت بينه وبين أخوانه في جبع، وكان أقام بها زمناً يسيراً مع أخويه المرحومين الشيخ محمد، والشيخ أبو خليل، حينما كانا يتلقيان دروسهما على العلامة الأكبر المرحوم الشيخ عبد الله نعمة، وذكريات التلمذة والدرس لا سيما في جباع لا تنسى.

وهاك قسماً من أرجوزة أرسلها للمرحوم الشيخ حسين المحمد وكان استعار منه كتاباً فلم يعده له، وفي أثناء نظم الأرجوزة والعزم على إرسالها جاء الكتاب مع الكتاب:

حمداً لمن ألهمنا للحمد ... الواحد الفرد المعيد المبدي
مكور الليل مع النهار ... ومجرياً للفلك في البحار

❀ ❀ ❀

نهديكم سلامنا الأتما ... نبثكم شوقاً جزيلاً جما
معين شوقي من قليب القلب قد ... طاف على صدري وجوفي والكبد

❀ ❀ ❀

كتابنا المجموع أيضاً قد وصل ... فردّ ما منكم قصوراً قد حصل
لأنه قد جاءنا بلا طلب ... وقد تركنا كل شيء وسبب

❀ ❀ ❀

ونختم القول بمنهل الصلا   على نبي قد هدى كل الملا
وآله خير العباد أجمعا   فهم لنا يوم المعاد الشفعا

❀ ❀ ❀

أرجوزة في نظمها مؤسسه   تاريخها تتلونها في المدرسه
«١٢٩١»

وأرسل له أبياتاً منها:

أحاديا قلوصه   يؤم وادي المنحنى
فسر وعج معرجا   لجبع فهي المنى
إن ما وجدتم ورقاً   خذوا حواشي كتبنا
إلى متى إلى متى   يصدُّ عنا خلنا[1]

وها نحن نثبت هنا ما كتبه في كتابه كما هو:

وقلت مراسلاً جناب الأخوان الأخلاء الكرام الشيخ حسين المحمد والشيخ حسين يحيى والشيخ زين والشيخ إبراهيم الحر بجبع بهذه الأبيات المزدوجة:

حادي المطايا بالبكور   سر قاصداً بقع السرور
واذكر تحيات الحبور   في ذلك الربع الشهير
في سفح صافٍ ذا الصفا   ربعاً همُ أهل الوفا
مذ منهم شمت الجفا   نال الحشا حر الهجير
فاسر بليل وادلج   وعلى المصلى عرج
وامشي الهوينا والهج   في ذلك النادي الخطير
بل نادِ يا أهل اللوى   ها خلكم فقد القوى
وعليه من برح الهوى   ما ليس يحمله ثبير
أحبابنا رفقاً بمن   من بينكم حرم الوسن
من فرط وجدي والشجن   قلبي تلهَّب بالسعير
ماذا التنائي والجفا   فالبين جسمي أتلفا

(١) العرفان، مجلد ٢٩، ج٨.

إن عـنـدكـم ضـاع الـوفـا   شـوقـي هـو الـجـزل الـغـزيـر
عـيـل الـتـصـبـر واشـتـهـر   مـا كـان بـالـقـلـب اسـتـتـر
فـعـلام أكـتـم مـا ظـهـر   وإلام دأبـكـم الـنـفـور
أحـبـاب قـلـبـي أيـنـكـم   هـل مـثـل أيـنـي أيـنـكـم
طـال الـصـدود فـدونـكـم   مـا قـد تـسـتـر بـالـصـدور
إنـي عـلـى عـهـدي الـقـديـم   وعـلـى طـريـق مـسـتـقـيـم
لا أتـرك الـنـهـج الـقـويـم   ولـو بـدا مـنـكـم قـصـور
أحـبـابـنـا هـذي الـسـطـور   رقـمـت تـقـول عـن الـضـمـيـر
حـيـيـت يـا وقـت الـسـرور   بـالـمـربـع الـغـض الـنـضـيـر
وأنـا أقـول عـلـى الـدوام   أبـقـاكـم بـاري الأنـام
وعـلـيـكـم أسـنـى الـسـلام   وقـت الأصـايـل والـبـكـور

فأجابوني أبقاهم اللّه بهذا الجواب الذي ألمّ مغازلاً لأولي الألباب:

الأخ الوفي والمهذب الصفي مالك أزمة اليراع، جميل الابتكار والاختراع، دامت معاليه برغم مناوئيه.

غب إبلاغ تحيات أريجية الختام، وسلام حيك على أنوال الأفئدة بكل احترام، وشوق أجّج بالأفئدة أواماً، وأسعر لبعادكم غراماً، وثناء يزري بالسبك اللجين، وهيام لا يطفيه إلا طي شقة البين، وإهداء جل ما تزينت به جبهات الطروس، وسقي به حدائق الود المغروس، ودعاء مقبول، متوسلين به بحضرة أبي البتول، بدوام بقاكم، وسمو ارتقاكم، بكل خير وسرور، ومعزة وحبور.

نبدي: أنه بأسعد آن، وأسر زمان، وفد كريم الكتاب، ولذيذ الخطاب، فكان كجني النحل، أو الغيث لبلد المحل، فطالعنا مغانيه، ونهلنا من كؤوس معانيه، وقطفنا منه أزهار علم البديع، وجنينا منه أثمار حدائق التقفي والتسجيع، فأسهب وأوجز، وأصاب المحز، وساوى بالإعجاز، بين الحقيقة والمجاز، وجمع بين الحسن والإحسان، وأحرز خلاصة علمي المعاني والبيان، وشمل مفصلات ميزان علم الخليل، واستوعب نتائج حقائق علم المنطق الجليل، فنحوه تصرف نحوه بصائر الفحول، ومباديه سلم يرتقى به لمعارج علم الأصول، فأسرّ وأفاد وبلغ كنه المقصد وغاية المراد، وأمضى بعتابه مع حلاوة خطابه فلا عدمنا أنامل رصعت عقوده، وبصيرة نسجت بروده، فكلما نسجت من البلاغة برداً، بنت لموشيها مجداً، فعين اللّه

على تلك الهمة الرفيعة، والسليقة التي لها دقائق المعاني مطيعة، وأننا منذ التقمنا ثدي إخائك، انفطرت الأفئدة على ولائك، لا ننبري ولا نزول، ولا ننفك ولا نحول عن ذلك أبد الأبد، وأمد الأمد، ولك العتبى هاجراً ومهجوراً، وأشواقنا إليك زائراً ومزوراً، ولك في الضمائر سريرة مصافاة لا يزيلها العباد، وإن حيل بين مريد ومراد، فقد بني الدهر على عدم نوال المقاصد، ولم يكذب أهله الرائد، فهاك جواب نظامك الذي جرت به أقلامك:

بزغت لنا شمس السرور ... من أفق أبراج السطور
فكأنها أرج الزهور ... متضمخاً بشذى العبير
وافت وقد غفل الرقيب ... وشدت فغنَّى العندليب
لمَ لا وناظمها الأديب ... الماجد الندب الوقور
الأحشم السخل الوفي ... وأخو الذكاء الألمعي
وسمي مولانا الوصي ... غوث الموالي المستجير
يا منشدي فيه ضحى ... شنف سماعي مفصحا
لأن فكري قد صحا ... نشوان من صافي الخمور
فكأنما ذاك الكتاب ... در تنظم في سخاب
قصر الكتاب على العتاب ... فأصاب شاكلة الضمير
يا من يظن بنا الجفا ... وهو المقيم على شفا
راجع فؤادك وانصفا ... فلقد جنى حسك الصدور
إن المودة والإخا ... هي في الشدائد لا الرخا
لا صبغ جدة أو مخا ... بل فيض وهاب قدير
يا مولعاً بعتابنا ... وبنظمه يغتابنا
لو تعلمن أوصابنا ... لجثوت ثمّ على سرير
لا تلف من نسي العهود ... منا وإن أبدى الصدود
ومدير كاسات السعود ... جعل السعادة للمدير
إنّا إذ زاد الغرام ... تضحي الضمائر في أوام
وزعيمنا الفذ الهمام ... قرن الكبير مع الصغير
منا الذي يشكو الوصب ... من فرط تنميق الخطب
ومن الجثوم على الركب ... ثم المبيت على الحصير
هذا وكم من ممتهن ... ترك الفصاحة واللسن

ويظل يكتب في كفن ... ترك العشاء إلى الفطور
ومتى يطر نسر الهموم ... ملنا إلى كسب العلوم
كل يميل لما يروم ... إمّا الربيح أو الخسير
كل إلى العليا درج ... متنشقاً منها الإرج
إذ لا ملام ولا حرج ... والخيل تشرب بالصفير
فلكل علم طالب ... ولكل نحو راغب
إن العلاء مراتب ... كجبال رضوى أو ثبير
ومتى يدر كاس الأدب ... فتخالنا نلنا الإرب
عفنا اللجين مع الذهب ... بل وصل ربات الخدور
وإذا جنحنا للمزاح ... فكأننا سكرى براح
والكل ينشد لا براح ... ومفيدنا الجدل السفير
تلقاه دراً ينطق ... ولكل علم يعشق
فمتمتم ومحولق ... إذ لا سبيل إلى المسير
إنا إذا هبّ النسيم ... تقنا إلى الود القديم
وإذا نظرت إلى حليم ... كالبوم طار مع الصقور
ويصيح من شبق النزال ... ومع النسيم تراه مال
وإذا تفوّه بالمقال ... خلت الفرزدق أو جرير
فاكفف أخيَّ عن العتاب ... واسلك بنا نهج الصواب
فالغيث يلفى كالسراب ... أين السراب من النمير
واغضض أخي على القذا ... ودع العتاب كذا وذا
وارفض طريقة من هذى ... فلأنت بالإغضا جدير
وتذكرن يوم الجوار ... يا حبذا ذاك الجوار
إذ كاس ذاك الصفو دار ... بين العشية والبكور
وتذكر القاضي عياض ... بين الجداول والغياض
إذ بحر ذاك الأنس فاض ... بين الخليفة والوزير
واذكر ليوم قد مضى ... في سفح صاف بالرضا
في ظل أغصان الغضا ... ندير كاسات السرور
فخذ الجواب على الروي ... كنسيج برد خسروي
فالغيث يتلوه الولي ... كالعقد نضد في النحور

واسلم ودام لك البقا ما وابل ربعاً سقا
وضياء شمس أشرقا أو لاحت الشعرى العبور
وعليكم منا السلام ونوافح المسك الختام
ما صيغ نثر أو نظام أبد الأوابد والدهور

فأجبتهم بهذه الرسالة:

لمنبع البراعة والظرافة، ومعدن الأدب واللطافة، الأخوان الأصفياء، الألباء الأذكياء دام علاهم برغم عداهم.

غب إبلاغ جواهر تحيات أزرت بالعقود في نحور الملاح، ودرر تسليمات أعارت السنا لدراري الصباح، تبرزخت بقالب القلب على ألواح الصدور، وقادها اليراع بمداد القريحة لصفحات السطور، طبخت بقدر الجوى على نار الفؤاد، الذي أخذ الشوق به كل مأخذ من ألم البعاد، وأبدى ثناء أزرى بنسيم الصبا لرياض النور وقت الصباح، وبث هيام ينادي في حشاي بدون الاجتماع عنك لا براح، وبسط الدعاء والابتهال لحضرة ذي الجلال، والتوسل بالمصطفى والآل، بدوام بقاكم وسمو مرتقاكم، على ممر الدهور والأيام، بكل خير وسرور وسلام، أعرض بأيمن آن وأسر زمان، بزغ علي من أفق ودادكم بدر الطروس، المنبي عما هو بقلوبكم من الأخوة مغروس، فوجدته سماء بها نيرات المعاني ودراري الكلام، وجنة فاح النثر من زهورها ذوات الابتسام، غردت بلابلها على أفنانها فعلمتني التسجيع، وجرت أنهارها برياضها فنهلت منها علمي المعاني والبديع، وهبَّ عليّ نسيمها فانصرف معه فؤادي حيث صبا، ونحوت نحوه فثملت من أرج المسك منه والكبا، وجلت بجداول سطور تلك الحدائق والجنان، فصرت أضاهي الخليل بعروضه وأحرزت علم البيان، فلله در قريحة نضدت تلك العقود على أفنان البلاغة والمعارف وبصيرة غزلت تلك السموط التي غازلت لب كل حاذق وعارف، وأني في كل وقت وآونة وآن لاهج بالدعاء لباري السماء ومبدٍ جم الشكر والثناء، على تلك الذوات اللطيفة الفائقة الشريفة، فلا زلتم على الدوام بكل بلهنية ورغد ومسرة ما صدح فوق الأرائك طائر، وما سار في البيداء سائر، وقد ذيلت الرسالة بهذه الأرجوزة:

حمداً لبارىء العالم الفرد الصمد القادر الوهاب والوتر الأحد
أشكره شكراً جزيلاً أبداً سراً وجهراً دائماً بل سرمدا
وأبحر تمتدُّ بالتسليم من المليك الراحم العليم
وديم تنهل بالصلاة ما غرّد القمري بالجنات

على النبي المصطفى وآله — أهل العبا والغر من رجاله
وبعده منظومتي عروس — أزهارها لم تجنها الغروس
عبيرها قد فاح بالبطاح — يضيع بالدنيا مع الرياح
ثملانة تتيه من إعجاب — قد حليت في حلل الألباب
مذ أيقنت زفافها إليكم — وحققت تسيارها لديكم
غدت دلالاً تنثني في خاطري — قد قادها فكري لقبلة ناظري
خدينة وافتكم دون الملا — لعلمها بأنكم أهل العلا
وأنها العنوان من ودادي — قد زفها قلبي لذاك النادي
يا آسراً لطفهم جناني — ومسكتا حذقهم لساني
أهديكم من وافر السلام — جزلاً غزيراً ثابت الدوام
أبثكم جزءاً من الشوق الوفي — ومن غرامي والهيام العامري
لأنني لو رمت للإبداء — ملّ الملا طراً عن الإحصاء
قليبه في قلبي المعين — يمده غيث الجوى الهتون
وبينما في أبحر من فكري — إذ فاح لي عرف عبير العنبر
وافاني الكتاب من بعد الغروب — أحيا فؤادي بعد أن كاد يذوب
ففضضته فشممت دراً فيه — لا رنقت قريحة تمليه
تلوته فزال عن قلبي الصدا — وعاد ثملان يتوق لما عدا
يا حبذا تلك الأويقات التي — قد قضت في ظلّ غصن الجنة
بجوارها كم قاضياً فيها انفصل — وخليفة ووزيره لاقى الخطل
إذ كنت فيها للجرائد كاتباً — والبشر كان لنا هنالك صاحبا
يا أخوتي أرجو دواماً واصلوا — هذا الأسير ولا تعودوا تماطلوا
ودمتم في رغد عيش أبداً — ما طائر فوق الروابي غردا
وما بدا بدر الدجى بالغسق — وأشرقت شمس الضحى بالأفق

المناهج الدراسية
وطريقة التدريس التي كانت متبعة

بعد أن انتهينا من تقديم تراجم الأعلام الذين كان لهم القدح المعلى في حياة جباع الاجتماعية والفكرية والسياسية، نرى من واجبنا العلمي أن نتناول بالبحث المناهج الدراسية التي كانت متبعة في العصور الغابرة، استكمالاً للبحث وتتميماً للفائدة التي ننشدها من وراء سرد الحوادث تباعاً من جميع جوانبها.

وتوضيحاً للطريقة التي سلكتها الأجيال السالفة من أجل بلوغ ما وصلوا إليه من غزارة في الإنتاج الفكري العارم رغم العقبات والصعوبات الكثيرة التي اعترضت طريقهم.

ومما لا شك فيه بأن الأساليب البدائية المعقدة في التدريس كان لها أكبر الأثر في خلق وتكوين عظمتهم، وبناء صروح نهضتهم الفكرية الخالدة التي كان لها أطيب الذكر في سجل تاريخ الفكر اللبناني الجبعي العظيم الشامخ إلى العلاء ينشد المجد والرفعة والسؤدد. ومن الواضح أنه لم يكن هناك يومئذٍ مدارس ومعاهد منتظمة كما هي عليه اليوم، بل كانت المدرسة يشرف عليها ويتولى التدريس فيها شيخ فقيه يلقن الطلاب مبادىء القراءة والكتابة، وفي بعض الأحيان يدرّسهم مادة الحساب.

وكان الشيخ يُجلس الطلاب أرضاً على الحصير، ويجلس بدوره مسنداً ظهره على الحائط في الجهة المقابلة لهم، واضعاً أمامه (إسكملة) أو كما يسمونها (طبلية) يضع عليها دواته وكتبه، ويضع إلى جانبه عصاة طويلة، أو بالأحرى قضيباً من الرمّان يستعمله للقصاص.

ويبدأ درسه اليومي بتلقين المبتدئين الحروف الهجائية فيكتبها لهم على ألواح من (الحجر) ثم يشرع بتلاوتها حرفاً حرفاً بصوت عالٍ مسموع وهم يرددون معه الألفاظ والعبارات التي يقولها مع إحناء ظهورهم باستمرار، ثم يعمد بعد ذلك إلى الانتقال بهم إلى توضيح النقاط

على الحروف. فيتلو عليهم (ألف لا شين عليه) أي لا يوجد شيء على حرف الألف من النقاط، ثم يقول: (الباء واحدة من تحت) أي إن حرف الباء له نقطة من تحت، و(التاء اثنين من فوق) يعني أن حرف التاء عليه نقطتان من فوق، إلى أن يتمم كافة الحروف الهجائية على هذا النحو. وبعد أن يتقنوا إتقاناً تاماً ينقلهم الشيخ إلى درس آخر وهو درس الحركات على الحروف. فيذكر لهم (النصبة) أي الفتحة و(الرفعة) يعني الضمة، و(الجزمة) أي (السكون) إلى آخر ما هنالك من الحركات. كل ذلك يتلوه الشيخ بصوت جهوري والطلاب يرددون خلفه كأنهم أفراد جوقة موسيقية. وبعد أن يلم الطالب بالأحرف وحركاتها الإلمام التام يشرع الشيخ بتلقينه حفظ القرآن الكريم مبتدئاً بسورة الحمد التي يؤمر الطالب بتلاوتها على مسمع الشيخ الذي يأخذ بتصحيح ما يرتكبه من أخطاء وأغلاط أثناء التلاوة، ويظل هكذا حتى يتقن تلاوة السورة ويحفظها دون أية غلطة فينقله بعدها إلى سورة أخرى، وهكذا دواليك حتى يختم القرآن بكامله.

ومن التقاليد التي كانت معروفة يومئذٍ أن الطالب يقدم مكافأة لشيخه على بعض السور التي يحفظها بالإضافة إلى الأجرة المتفق عليها حين يختم قراءة القرآن بكامله، فمثلاً عندما يحفظ الطالب سورة (الضحى) عليه أن يقدم لشيخه كمية من البيض، ومتى اتقن سورة (تبت) يقدم حملاً من الحطب، وعلى سورة (عمّ) يضع بين يدي شيخه (غمّة) أي رأس ذبيحة وأقدامها وكرشها، وعلى سورة (الشورى) يقدّم مئزراً كبيراً، وعلى سورة (الدخان) طنجرة لبن، وهكذا حتى ختام القرآن. وعندما يعلن الشيخ بأن فلاناً سيختم القرآن في اليوم الفلاني يأخذ أهل الطالب ورفاقه بالاستعداد لإقامة مهرجان كبير في القرية لهذه المناسبة السعيدة، وعندما يأتي اليوم الموعود يلبس الطالب حلة جديدة، (كأنه قادم على حفلة زفاف) وتنتظم صفوف الطلاب يتقدمهم الطالب المشار إليه وأمامه طالب يحمل القرآن مفتوحاً وموضوعاً على رأسه فوق (إسكملة) أعدت خصيصاً لهذه الغاية، وينشد الشيخ نشيداً خاصاً وطلابه من ورائه يرددون، وغالباً ما يكون النشيد من المدائح النبوية، وعلى هذه الصورة يسير الموكب من بيت الشيخ إلى دار الطالب، فيستقبلون بالزغاريد، ومن ثم تقدم الحلوى للجميع، ويعتبر يوم ختم القرآن بمثابة عيد عند أهل الطالب.

ثم بعد حفظ القرآن وتعلم الكتابة ينتقل الطالب لدراسة النحو فيحفظ الأجرومية غيباً، ويحفظ إعراب الجمل والأمثلة والصرف وعلوم البلاغة والمعاني والبيان والبديع وعلم المنطق، وعلم التوحيد المشتمل على العقائد الخمسة: التوحيد، والعدل، والنبوة، والإمامة، والمعاد، وعلم

الكلام بقسميه الجواهر والأعراض والإلهيات وعلم أصول الفقه، وعلم الفقه وعلم التفسير، وعلم الحساب وفن الأدب وغير ذلك.

وعلى الطالب أن يعيد كل يوم ما حفظه من الدروس.

وبعد الفراغ من حفظ الأجرومية كما تقدم وإعرابها يبتدىء بقراءة شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام الأنصاري في النحو، ويراجع شرح الفاكهي على القطر وشرح الشذور لابن هشام وغيرهما، وشرح شواهد القطر للسيد صادق الفحام وغيره لأجل معرفة أبيات الشواهد ومعانيها، ويبتدىء معه بقراءة شرح سعد الدين التفتازاني على متن عز الدين الزنجاني في صرف الفعل[1].

وبعد الفراغ من ذلك يبتدىء بقراءة شرح بدر الدين بن مالك على ألفية والده محمد بن مالك في النحو خاصة دون التصريف، أما التصريف فيقرأ فيه مع شرح الألفية شرح الجاربردي على الشافية في تصريف الفعل أو شرح النظام، وحال قراءة شرح الألفية يراجع التصريح لخالد الأزهري وشرح الشيخ الرضي على الكافية، ولأجل معرفة إعراب الشواهد ومعانيها يراجع شرح الشواهد للعيني وشرح الشواهد للسيد حيدر العاملي وشرح الشواهد للسيد محمد العاملي، وبعد الفراغ من شروح الألفية يبتدىء بقراءة المغني في النحو لابن هشام في المفردات، وبعد الفراغ من ذلك يبتدىء بقراءة المطول في المعاني والبيان، أما البديع فيكتفي بمطالعته، وبعضهم كان يقرأ المختصر ويقرأ مع المطول حاشية ملا عبد الله اليزدي على تهذيب المنطق لسعد الدين التفتازاني في علم المنطق وشرح الشمسية للقطب الشيرازي، وبعضهم كان يقرأ شرح المطالع فإذا فرغ من المطول وشرح الشمسية ابتدأ بأصول الفقه، فيقرأ فيه معالم الأصول للشيخ حسن زين الدين الجبعي ابن الشهيد الثاني ويقرأ مع المعالم شيئاً من الفقه في كتب الشرائع متناً بدون استدلال، فإذا فرغ من المعالم شرع في قراءة القوانين ثم يقرأ شرح اللمعة مع الفقه وهو استدلال مختصر، فإذا فرغ من القوانين وشرح اللمعة شرع في قراءة رسائل الشيخ مرتضى الأنصاري في الأصول وربما قرأ معها رياض المسائل، ومنهم من يقرأ كتاب الشيخ مرتضى في الطهارة وكتابه في الصلاة وكلاهما فقه استدلالي تام، فإذا فرغ من ذلك قد يذهب إلى جامعة النجف الأشرف فيقرأ في علم أصول الفقه بطريقة الإلقاء الاستدلالي، وكذلك في علم الفقه، وبعد أن يكون قد أتمّ دروس الأصول والفقه العالية. وأما علم الحساب فيقتصر فيه على درس

---

(١) نقلاً عن خطط جبل عامل للسيد محسن الأمين.

خلاصة الحساب للشيخ البهائي الجبعي مع درس باقي العلوم حسب ما تساعده الفرص، أما علم الرجال فيكتفى فيه بمراجعة الكتب المؤلفة فيه كفهرست الطوسي، ورجال النجاشي، ورجال الكاشي، وخلاصة العلامة، ومنهج المقال ونقد الرجال، وغيرها.

أما علم التفسير، فيكتفى فيه بقراءة الكتب المؤلفة في آيات الأحكام مثل كنز العرفان للمقداد السبوري، وزبدة البيان للأردبيلي وغيرها، وأما باقي تفسير القرآن، فلا يدرس غالباً، بل يكتفى بمطالعة كتب التفسير، وكذلك علم التاريخ، ويقتصرون في الأدب على حفظ الأشعار، والمطارحة بها ويسمونها المنافسة، ويكون ذلك ليلة الجمعة وقت الفراغ، ترويحاً للنفس، ويأمر الشيخ التلاميذ بحفظ لامية العرب، ويفسرها لهم عملاً بالحديث: «علموا أولادكم لامية العرب، فإنها تعلمهم مكارم الأخلاق».

الحوادث والكوارث
التي جرت في الحرب العالمية الأولى ١٩١٤
وما أصاب جباع منها

وفي سنوات الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ حلّت بجباع النكبة الكبرى فقضت على معظم سكانها، فمنهم من ذهب في الخدمة العسكرية إلى ميادين القتال مع الجيش التركي ولم يَعد، ومنهم من قضى جوعاً فقد كان سكان جباع يبلغون قبل هذه الحرب خمسة آلاف نسمة، وبنهاية الحرب هذه لم يبق فيها سوى خمسمائة نسمة، وقد فتكت بها المجاعة فتكاً ذريعاً، وعمّ الغلاء الفاحش فبيع رطل الطحين بليرتين وذهبيتين، وهذا إذا وجد بذلك الوقت، وكم من أناس باعوا ما يملكونه من عقارات ببضع أرغفة وبعض أرطال من الطحين (العملة الرائجة يومئذٍ) وقد أقفرت جباع من الشباب والرجال ولم يبق فيها خلال سني هذه الحرب سوى الشيوخ الكبار المسنين والعجزة والنساء، ولندرة وجود الرجال كانت النساء تتولى دفن الموتى في أكثر الأحيان، وكانت دوماً زبانية العهد التركي من (الجندرمة) يختالون في البلدة بصورة دائمة بحجة التفتيش عن الأنفار الفارين من الخدمة العسكرية فينهبون ما يجدون عند الأهالي من مأكل وملبس وما تصل إليه أيديهم، ثم يسومون الأهالي سوء العذاب إذا تلكأوا عن تنفيذ طلباتهم، وكم عجوز وشيخ ربطوه بذيل الحصان بمنتهى الوحشية، وقد قست قلوبهم وخلت من الرحمة والشفقة. وفي ربيع عام ١٩١٦ مرّ السفاح جمال باشا في جباع قادماً من جبل لبنان بطريق جزين فتوقف في محلة منتزه القبيّ واستقبله الشيوخ وقدموا له عريضة يشكون فيها الغلاء والمجاعة التي تكاد تقضي على البقية الباقية من السكان، وقيل يومئذٍ: إنه سألهم هل أكلت الوالدة ولدها عندكم؟ فأجابوه بالنفي، فقال لهم: إذاً لا يوجد عندكم مجاعة بالمعنى الصحيح[١].

(١) اعتمدنا على سرد هذه الوقائع على ذاكرتنا وعلى الأخبار التي كنا نسمعها من الشيوخ.

وعن كتاب لبنان في التاريخ للدكتور فيليب حتي قوله:

ما إن دخلت تركيا الحرب العالمية الأولى (تشرين الأول سنة ١٩١٤) إلى جانب الألمان حتى ظهر جمال باشا، الذي اشتهر بالسفّاح ومدبّر المذابح الأرمنية في دمشق كقائد أعلى للجيش الرابع وكحاكم عسكري للمنطقة. وكان جمال متهماً بأنه يعمل ضد العثمانية، وقد سارع جمال إلى احتلال لبنان وإلغاء استقلاله وإقامة حكم عسكري عنيف يتضاءل إزاءه كل حكم ظالم عرفه لبنان من قبل(١).

وظلّ لبنان طيلة سنوات ثلاث حتى نهاية الحرب العالمية الأولى يرزح تحت نير الحكم العثماني المباشر. وعندما أخذ جمال باشا يعد العدة لغزو ترعة السويس فرض الخدمة العسكرية الإجبارية وأمر بمصادرة الخيل والبغال والحمير، وفرض على الناس تقديم المؤونة للجيش الرابع.

الأحكام العرفية:

وفي عاليه أقام جمال باشا مجلساً عرفياً للنظر في جميع القضايا التي تتعلق بأمن الأتراك في البلاد. وكان أكثر ما يشغل المجلس العرفي النظر في قضايا التهرّب من الخدمة العسكرية. وقد قضى هذا المجلس بسجن الكثيرين من مختلف الطوائف وبنفي آخرين وإعدام عدد كبير، وفي اليوم السادس من أيار سنة ١٩١٦ نفّذ جمال باشا حكم الإعدام شنقاً بأربعة عشر وطنياً من مسلمين ومسيحيين وعلّق المشانق في ساحة البرج التي سميت فيما بعد بساحة الشهداء وصار يقام لهم في كل عام عيد يسمى عيد الشهداء.

وفي شهر حزيران سنة ١٩١٤ أفاق أهالي جباع على مناشير كبيرة ألصقت على الجدران تدعو جميع السكان إلى النفير العام من ابن ١٦ إلى ابن سبعين وتحت طائلة الإعدام لكل من يتخلف عن أداء الواجب، فتجمع الأهالي وساروا جميعهم تتقدمهم (النوبة) السنجق والطبل وما إلى ذلك هازجين الأهازيج الحربية.

وبوصول الجموع الغفيرة إلى بيروت وردت الأوامر من إسطنبول بإعادة الأهالي إلى قراهم إذ تعذّر على الأتراك إيواء هذا الجيش العرمرم وتقديم المؤونة له.

وفي هذه الأثناء تفاقم خطر المجاعة في لبنان، فالذين خارت قواهم من الجوع ظلّوا في

---

(١) اعتمدنا على سرد هذه الوقائع على كتاب **(لبنان في التاريخ)** للدكتور فيليب حتي.

بيوتهم يستقبلون الموت تحت سقوف منازلهم، والذين لم يزل فيهم شيء من النشاط مكّنهم من أن يطوفوا المنازل للاستعطاء وكانوا يبحثون في الخرَب والمزابل لعلّهم يعثرون على ما يشغلون به المعد الفارغة من قشور الموز والليمون وألواح الصبير وغير ذلك، حتى كان البعض يقصدون الجيف الميتة للالتهام منها، ومنهم من كانت تخور قواهم عند تطوافهم من شدة ما عانوه من الجوع فكانوا ينطرحون على الأرض وعلى الطرقات يستجدون بكلمات تفتت الأكباد وهم يقولون: «يا جوعي» بل بعضهم لم يُبق فيهم الضعف قوة لرفع أصواتهم فكانوا يستغيثون بعيونهم الذليلة وهم منطرحون في الطرقات على أن أشد منظر قسوة على النفس كان منظر الأطفال.

وفي هذه الأثناء انتشرت الأمراض والأوبئة بشكل مخيف فكان الذباب ينقل حمى التيفوئيد، وكان القمل يحمل حمى التيفوس، وكانت الجرذان تنقل حمى الطاعون، وكثر البعوض وكثرت الوفيات من حمى الملاريا التي انتشرت على أوسع نطاق.

شهر نيسان:

وفي نيسان عام ١٩١٥ هاجمت أسراب الجراد جميع قرى الجنوب غير أن هذا الجراد المسمى بالطيّار استقرّ في جباع وطاب له المناخ، حيث إن جميع أراضيها مشجّرة الأمر الذي جعل الجراد يرمي بيوضه فيها ويبقى مدة طويلة، وقد امتلأت جميع الأراضي ببيوض الجراد، ومن ثم فقّست بيوضه حتى صار جراداً زحافاً وظلّ حتى صار طيّاراً ثم رحل عن المنطقة بعد أن تركها جرداء خالية من أية ورقة خضراء. وقد فرضت الحكومة بحينه على كل مكلف من الأهالي أن يجمع رطلين من بذور الجراد، ولمّا تمّ جمع هذه البذور حفر لها حفرة كبيرة وضعت فيها.

وفي عام ١٩١٨:

عندما وضعت الحرب أوزارها وابتدأ عهد الانتداب الفرنسي الذي فرض على لبنان، أفاقت جباع على فقد ٩٠ بالمائة من أبنائها، ولم تكد تتنفس الصعداء لزوال عهد الطغيان والبؤس المرير حتى ابتليت مثلما ابتليت به جميع قرى جبل عامل بالظلم الغاشم آنذاك، إذ أخذ الفرنسيون يفرضون الضرائب على أبناء جبل عامل لكبح جماح شكيمتهم خوفاً من مقاومتهم للاستعمار، حيث كان جبل عامل الوحيد بين المناطق اللبنانية الذي قاوم الاستعمار الفرنسي في

بادىء الأمر فلم ير الفرنسيون بدأ من تجويع جبل عامل والتنكيل بأهله وذلك عن طريق فرض الضرائب التعسفية عليهم، ففرضوا أولاً ضريبة السلاح على كل قرية حتى لو كانت عزلاء وليس عندها أي قطعة سلاح واحدة أن تقدم مائة (بارودة) وكذا (فرودة) وهلمّ جرا، وكان الفرنسيون بواسطة عملائهم يبيعون السلاح سراً للقرى لتقدمه لهم.

ولما أيقن الفرنسيون أنهم جمعوا جميع السلاح ولم يبق قطعة سلاح واحدة، عمدوا إلى فرض ضريبة السيف بحجة شراء سيف من ذهب وتقديمه إلى الجنرال (غورو)، وهذه الضريبة ابتدعها بعض متنفذي ذلك العهد وزبانيته للمتاجرة بالشعب العاملي وقد جُمع في هذا السبيل الألوف من الليرات الذهبية، ذهب معظمها لتلك الجيوب. وكان مطلوب من كل قرية في جبل عامل تقديم مبلغ من الليرات الذهبية بحسب أهميتها، وقد قيل: إن الجنرال غورو رفض قبول هذه الهدية وأمر بتحويل المبالغ المجموعة لتعليم أبناء الفقراء ولم نتحقق من صحة هذه الرواية، ثم فرضوا ضريبة غرامة الحرب ـ لقيام صادق وأدهم خنجر بثورة ضد الفرنسيين ـ بلغ مقدارها مائة ألف ليرة ذهبية جمعوها بالقوة من أهل جبل عامل.

ولما أيقن المستعمرون أنهم أفقروا البلاد العاملية ولم تلن لهم شكيمة ولم يعد باستطاعتهم جمع الأموال وفرض الضرائب عمدوا إلى إثارة النعرات الطائفية لجرّ البلاد إلى حرب أهلية طائفية، وذلك بتسليحهم بعض الطوائف اللبنانية من أبناء الجنوب وتحريضهم على قتال الطوائف الأخرى التي أصبحت عزلاً من أي سلاح، غير أن هذه الخطة الجهنمية لم تنجح معهم بفضل وعي اللبنانيين وما يبيته لهم المستعمر، ما خلا بعض الحوادث الفردية الطفيفة قضي عليها في المهد.

وفي عام ١٩٢٥ وما يليه عندما استقرت الحالة نوعاً ما بدأت جباع تنشط من جديد وترمي عن كاهلها غبار البؤس والهموم والنكبات التي قاستها وشرعت تقيم حفلات المرح والترفيه والطرب خصوصاً أيام الصيف وعلى منتزه نبع القبيّ الشهير، ولما كان أهالي جبل عامل على العموم مفطورين على حب الشعر ونظمه وتذوقه لا سيما الشعر الزجلي فصارت تقام في صيف كل عام سوق عكاظ للمباراة في الشعر الزجلي والعتابا وجميع ألوان الشعر الشعبي، وتستمر هذه الحفلات أياماً متواصلة أسبوعين أو ثلاثة، يتبارى فيها الشعراء من كل لون ومن مختلف أنحاء لبنان وتعقد حلقات حلقات لهذه الفنون والمساجلات والمباراة يحضرها أبناء قرى الجنوب، وبدون مقابل ولا بطاقات دخول كما هي الحال اليوم، وكان الشعر الزجلي عند

هؤلاء موهبة وهواية وليس في سبيل الكسب، وكانت هذه الحفلات يتحدث عنها الناس بعد انفراط العقد طيلة أيام السنة لا سيما في سهراتهم وكان الكثير منهم يحفظونها، وما زالت هذه الحفلات الزجلية تقام إلى اليوم في صيف كل عام، ولكن بشكل آخر تتبارى فيه جوقة واحدة مع بعضها بعد أن تتعاقد مع متعهد على مبلغ معين من المال للكسب المادي مما أفقد الشعر الزجلي لونه ونكهته الأصيلة.

وكان من هؤلاء الشعراء الزجّالون المعروفون بذلك الوقت منهم الشاعر الموهوب أسعد الخوري الملقب بشحرور الوادي، وعلي الحاج القماطي، وطانيوس عبدو، وأمين سليم أيوب، وموسى أسعد شريم، وطانيوس روحانا، وإميل رزق اللّه، ودياب نجم. ومن شعراء العتابا المعروف بأبي سطام وأحمد الناطور وطانيوس غزالة ومحمد محمود الزين ويوسف حاتم، وغيرهم. وفي نهاية أول حفلة حضرها الشاعر الشحرور ودّع جباع بهذين البيتين:

جباع شربنا صافيها   شو منعمل تنكافيها
راح نروح نخلي الروح   تصيّف وتشتي فيها

وفي منتزه القبي هذا كان بعض العلماء والشعراء والأدباء من جبل عامل يتواعدون على اللقاء في هذا المنتزه ويلتقون (وقد توفوا جميعهم رحمات اللّه عليهم) منهم أديب التقي البغدادي والشيخ عارف الزين والشيخ أحمد رضا والشيخ سليمان ظاهر والشيخ محمد علي الحوماني، ويعقدون جلساتهم عند الأصيل وعلى نغمات خرير المياه يحلو لهم نظم الأشعار وينسجمون مع هذا الجو الشاعري الخلاب للترفيه عن ذكرياتهم وبما يستشعرون به من أحاسيس وآلام لما كان يُلاقيه جبل عامل بذلك الوقت من ظلم المستعمرين وتعسّفهم وتجنّيهم على أهل جبل عامل.

وعندما توفي المرحوم الشيخ أحمد رضا لم يجد المرحوم الحوماني بداً عندما وقف يرثيه بقصيدة من التحسر على ذكريات الجلسات التي كانوا يقضونها في جباع ونبع القبي.

قوله:

أنعودُ بعد أبي محمد مرّةً   أخرى على نبع القبي ونغتدي
ونؤم في جبع الحبيبة بعده   ماءً نبل عليه كل حشى صدي

وكان يخطر على بال هؤلاء أن يصعدوا إلى قمة جبل صافي الواقع فوق جباع وهناك ينطلقون على السجية ويطلقون لمرحهم العنان، فيستعيدون ذكرى فتوتهم وشبابهم ويلتقون هناك براع يعزف على (المجوز) فتعتريهم نشوة الطرب ويطيب لهم أن ينتظموا في حلقة دبكة

كما يفعل شباب القرية ويبدأون بالدبكة وهم يجهلونها ويتناول أحدهم الحاشية ملوّحاً بالمحرمة وهكذا، ثم يعمّرون حفلات الشاي ويتصاعد الصفير من «السماور» أثناء بدء الغليان.

فيتساجلون الأشعار.

إذ يقول أحدهم:

هذا السماور قد غنّى لنا طرباً

فيتبعه الآخر بعجز البيت:

شبيه شادٍ على الأوتار قد ضربا

وهكذا إلى أن تتم القصيدة التي يشتركون فيها جميعهم.

ويؤسفنا أن هذه المساجلات والأشعار التي كانوا ينظمونها قد ذهبت مع أصحابها ولم نعثر منها على شيء يستحق الذكر.

وفي صيف عام ١٩٢٢م زار جباع العلامة الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء النجفي فالتف حوله العلماء والأدباء في جبل عامل.

وذات يوم خطر له أن يصعد إلى قمة جبل صافي فوق جباع وفيه مقام كبير يسمى مقام النبي صافي فأخذ طريقه صعداً ومعه جماعة من الأدباء منهم الأستاذ أديب التقي البغدادي، والشيخ أحمد عارف الزين، والشيخ محمد علي حوماني، وغيرهم. وما أن وصلوا إلى مقام صافي وقد أنهكهم التعب حتى خاطب الشيخ كاشف الغطاء المقام بقوله: (سلام الله عليك يا صافي ما أكثر أتعابك وأقلّ ثوابك). وصودف أن الأستاذ أديب التقي قد علقت «نعله» بين الصخور فقطعت نصفين فتابع سيره «حافياً» فخاطب مقام النبي صافي بقوله:

نبي الله يا صافي أتيت أزوركم حافي
وقد قطعت نعلي ولم أسعف بإسكافي

وفي صيف عام ١٩٥٢م زار جباع العلامة الشيخ قاسم محيي الدين النجفي وحلّ ضيفاً على أقاربه آل محيي الدين وبقي طيلة أيام الصيف متنقلاً في قرى جبل عامل، وكان أينما حلّ موضع حفاوة وتكريم وكان يلتفّ حوله الأدباء بالنظر لما كان يمتاز به من أدب جم ولطف الحديث والفكاهة فتطيب للأدباء جلساته، وعندما ذهب إلى النجف الأشرف أرسل قصيدة

طويلة افتتحها بمدح الإمام علي عليه السلام، ثم داعب الأدباء العامليين بذكر تعابيرهم العاملية منتقداً ما فيها من ألفاظ غير مألوفة في العراق وهذه بعض أبيات من القصيدة:

أنا إن عنَّ لي تذكر (مبسو ... طِ) بسطتُ الثناء في العامليه
أو تصورتُ (يا لطيف) تعجبت ... لهجر القواعد النحويه
أو تعطرت في أبي الحسن الزاكي[1] ... زكت لي اللحوم في الأكل نيه
قد حباني الزيتون وهو أدامُ ... ظنّه كالحلاوة السكريه
فتذوقته فكدت من الصا ... ب أقيء الأحشاء في الصينيه
سيدُ جاءنا (بيدي وهيكي) ... فسمعنا رطانة أعجميه
(وكمان) (وطرطش لأواعيك) ... يعدونها من العربيه
رب رحماك من تراكيب عرب ... بالغوا في فجاجة هنديه
رب رحماك من مصاليت قد شنوا ... على اللفظ غارة حربيه
فهجوا منه كل حرف هجاء ... ونضوا لفضه عن السنخيه
قلبوا السنخ من حروف الهجا ... ء فالقاف همز وطاوئهم تأتيه
لست أنسى أبا سليمان[2] إذ جا ... ء يقود الأعشى إلى الحنفيه
ثم ناداه باحتدام (أواما) ... لا (تطرطش) منك الأواعي النقيه
فحسبت السماء ترسل صوت ... الرعد فوقي بلهجة وحشيه

فأجابه الشيخ محمد رضا الزين بقصيدة ذكر فيها بعض التعابير العراقية والأكل العراقي نأخذ منها:

جئتَ (يا قاسم) بغر معان ... أفرغت بالقوالب العسجديه
وتلطفت في نظامك لكن ... لم تصنه عن خطة العنجهيه
قد عرفناك منصفاً فلماذا ... لم تراع ما تقتضيه السجيه
عبت «هيكي» ومثل «هيكي كمانا» ... مثل «بدي» ألفاظنا العامليه
عبت «طرطش» وأنت «هتشي ودبشي» ... مثل «طرطش» سماجة لغويه
كل قطر تراه يخلق لفظاً ... قد تعدى المناهج العربيه
كيف تنسى (منجاسة) فوق (قاب) ... فوق «رازونة» بصدر البنيه

---

(١) يشير إلى السيد محمد الحسن يوسف.

(٢) إشارة إلى العلامة الشيخ محمد رضا الزين إذ كان ضيفه في كفررمان.

إن ألفاظكم «كعتوي» وشنهو ... مثل (اشلون كيفكم) همجيه
(لغة تنفر المسامع منها) ... وكذلك الطبائع البشريه
عفت زيتوننا وأكل طعام ... هو أشهى الطعوم (كبة نيه)
إن من يجعل الجراد طعاماً ... كيف يقلي اللحوم وهي شهيه
أنسيت الكروش وهي وعاء ... ملؤه الفرث أكلة وحشيه
(لست أدري ولا المنجم يدري) ... (شنهي) هذه المآكل البدويه
قد دعوناك مرَّة لغداء ... في مكان رحابه عاديّه
إن داري روض تحف به الأزهار ... ذات الروائح العطريه
فيه ريا الورود فاح ولكن ... فاقد الشم لا يراها زكيه
يجمع الماء والصفا وهواء ... طاب مثل الخلائق النجفيه
إن تكن مفلساً فزرني تجدني ... مثل سيل الغمام كفي نديه
وتفضل إلى السماط بشكل ... مثل وصفي وهذه الكيفيه
ارفع الكم للسواعد وانزع ... عمة الرأس والبس الطاقيه
دلع الصدر للهواء وكنفش ... وتنحنح وارم العبا في (الزويه)
واترك الأكل بالمعالق وانسف ... بلطاف اليدين عشراً سويه
واضرب الكف (بالمشاقيب) وانشد ... (شنهو هذا وشنو هذه القضيه)
إن رزاً مطبقاً (بزرشك) ... ودجاج لأكلة عجميه
فاملأ (القاب بالجراد) وكله ... وكل الكرش واترك الكبة نيّه
واشرب الماء (بالمناجيس) واحذر ... لا (تطرطش) زيناتك القطنيه
إن تزرني أطعمك كل لذيذ ... من قواز وكبة محشيه
ويخان وبصمة بلبأ ... ولذيذ صفيحة مقليه
انحر البدن اذبح الكبش آتي ... من خوابي زيتوننا (بشويه)
مرمر الحلق فالمرارة منه ... بعد زاد حلاوة ذاتيه
إن ترد (قيمراً) فعندي (هوش) ... مثل (هوش) المعدان كراديه
أنت مُلا وأنت شيخ كبير ... من شيوخ المشخاب والهنديه
كل هنيئاً بسرعة ثم غسل ... بعد أكل الطعام كالعربيه
اضرب الكف بالتراب وفرفك ... ثم مسّح يديك (بالخاشيه)
واشرب الشاي (بالكلاس) ودعني ... بالفناجين أحتسي (العدنيه)
قلت شعراً وقلتُ شعراً فميز ... أي شعر أحق بالأولويه

الفصل الرابع

جُبَاع في العهد الحَاضر

بدء النهضة الحديثة «١٩٥٣»

ما كاد لبنان ينعم في ظل الاستقلال وتتسلم الأيدي اللبنانية دفة الحكم ومقاليد الأمور حتى أخذت النهضة تدب سراعاً في كافة المجالات وتعم جميع القرى والدساكر اللبنانية.

ومن البديهي أن يُصيب (جباع) ما أصاب غيرها من تقدم وازدهار، فتنطلق في أجوائها الصافية تباشير الوثبة الجديدة معلنة ثورة قوى الخير والمعرفة لتبني وتشيد، وتعمر في كافة المرافق والاتجاهات.

وبالفعل شرع الواعون المخلصون الأوفياء من أهالي (جباع) الناهضة يعملون بجد ونشاط وبذل وتضحية منذ عام ١٩٥٣ ميلادية واضعين كافة الإمكانات المادية والمعنوية بغية إعادة مكانة بلدتهم الاجتماعية والعلمية والاقتصادية، وما عتم أن حلّ النور محل العتمة والظلام، وانتشر العلم والعرفان بدلاً من الجهل، وشيّدت المباني الحديثة هنا وهناك على أنقاض الخرائب العتيقة البالية.

وفي فترة وجيزة من الزمن غدت (جباع) قبلة للأنظار، ومنتجعاً لطلاب الراحة والاستجمام، وبذلك أخذت تستعيد أمجادها السالفة، وعزّها الغابر رويداً رويداً، بفضل همّة وغيرة واندفاع أبنائها الأشاوس.

وعندما نقول جباع أخذت تستعيد مكانتها منذ بزوغ فجر النهضة اللبنانية الحديثة لا نطلق ذلك جزافاً، بل نقولها والإيمان يملأ قلوبنا، معتمدين في تفاؤلنا على مخططات المشاريع العمرانية التنظيمية المعدة لهذه الغاية النبيلة.

ولنرجع قليلاً إلى عام ١٩٢٢م لنقلب صفحات التاريخ ونستعرض أعمال أول بلدية أنشئت في هذه البلدة وعيّن مجلسها من قبل السلطات الحاكمة تعييناً، أو بالأحرى فرض فرضاً كما كانت تفرض المجالس البلدية عادة في لبنان. فيتبين لنا بوضوح وجلاء بأن البلدية منذ ذلك التاريخ وحتى عام ١٩٥٢ لم تعمل ما يستحق الذكر.

وفي نهاية عام ١٩٥٢ ميلادية أجريت انتخابات المجالس البلدية في عموم لبنان، ومن بينها (جباع) ففاز برئاسة المجلس البلدي مؤلف هذا الكتاب، وبالعضوية كل من السادة عبد الكريم غملوش (نائب رئيس)، ومحمد علي صفاوي، والسيد علي نور الدين، ورضى عيسى كركي، وأحمد دهيني، وأحمد مهدي رعد.

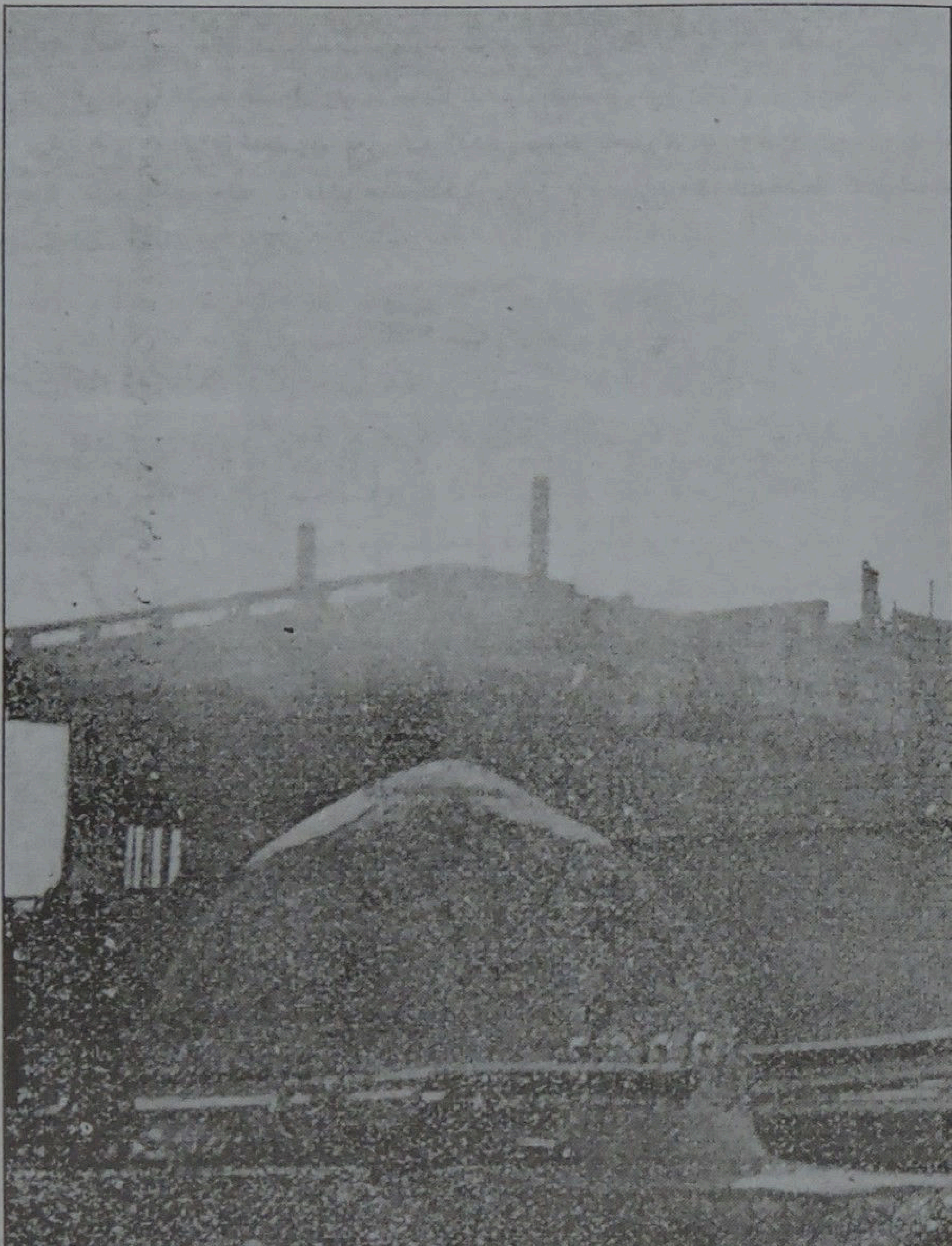
ولما تسلمت الإدارة هذه الهيئة المنتخبة انتخاباً شرعياً راحت تدرس وتخطط وتنظم بموجب برامج مدروسة دراسة عميقة بغية النهوض بهذه البلدة عمرانياً واجتماعياً واقتصادياً، وكان من حصيلة جهودها وجهود الهيئة الجديدة التي أعقبتها سنة ١٩٦٣م والمشكّلة من المؤلف رئيساً وعبد الكريم غملوش نائباً للرئيس، وعضوية السادة قاسم محسن كركي والسيد علي نور الدين، وأحمد مهدي رعد، وأحمد عباس دهيني، وعبد الكريم جزيني، وعبد السلام صفاوي، ومسلم حرشي، وعبد أحمد كركي. فتحققت المشاريع والأعمال التالية:

مشروع كهرباء جباع وعين أبو سوار

كان باكورة إنتاج البلدية في عام ١٩٥٤م تنفيذ مشروع الكهرباء لإنارة البلدة تعزيزاً للاصطياف ولتقف في صف غيرها من القرى المتحضرة في عصر النور، وبالفعل تمّ تنوير (جباع) في منتصف عام ١٩٥٥م، والجدير بالملاحظة أن بلدية (جباع) هي الوحيدة بين جميع بلديات الجنوب التي وفّرت الكهرباء للمواطنين على نفقتها ومسؤوليتها. وبلغت تكاليف هذا المشروع الحيوي أربعة وثمانين ألف ليرة لبنانية (٨٤٠٠٠) ل.ل.

التعمير بعد الزلزال

في عام ١٩٥٦م نكبت البلاد بالزلزال، ولكن الجمعيات والهيئات المسؤولة التي كانت تقدم المساعدات للمناطق المنكوبة حرمت (جباع) أو بالأحرى تناستها فلم تُقدم لها أية مساعدة، لذلك قمنا بحملة صحفية لفتنا فيها الأنظار إلى ضرورة الأخذ بيد (جباع) المنكوبة، وما عتّم أن انهالت علينا المساعدات من كل حدب وصوب ومن مختلف الهيئات، فقمنا



محطة التوليد الكهربائية التي أنشأتها البلدية على نفقتها ومسؤوليتها عام ١٩٥٤

باستلام الخيام ووزعناها على المنكوبين، ومن ثم شرعنا بوضع الاتفاقات مع المهندس المسؤول ليشرع في إعادة تشييد المنازل وفقاً لأحدث الأصول الهندسية، وتوخينا من وراء عملنا هذا أن لا نبقي على أي منزل قديم. وبالفعل شيّد الأهالي بمواد التعمير مائتين وسبعة بيوت جديدة، ورمموا سبعين بيتاً. ولقد ساعدتنا هذه النكبة على فتح الشوارع وفقاً للتخطيط الذي أعدته البلدية لهذه الغاية، قبل الزلزال.

المشاريع المائية

مياه نبع عكّيتا:

لقد كانت مياه (عكّيتا) من الأحلام الغالية التي تراود مخيلة أهالي جباع منذ عشرات السنين، وفي عام ١٩٥٥م استجابت وزارة الأشغال العامة لرغبة الأهلين وحققت هذا الحلم، فتبنت هذا المشروع الحيوي الهام وبدأت العمل فيه على عدة مراحل، وبوشر بفتح نفق تحت الأرض باتجاه قاعدة الجبل الذي تنبع منه مياه (عكّيتا) شتاءً وتنضب صيفاً، ولقد أعطت عملية فتح هذا النفق أُكلها فتفجرت فيه جميع الينابيع التي كانت تنبع من عدة مواقع في تلك البقعة ومنها (نبع القبي) و(نبع البسيس) و(نبع الشيخ) و(نبع المغارة)، والجدير بالملاحظة أن هذه الينابيع جفّت جميعها بتأثير فتح نفق (عكّيتا) كما ألمحنا سابقاً، والظاهر أنها تجمعت فيه، وما زال العمل مستمراً حتى هذا اليوم لإتمام هذا المشروع الجبّار.

مياه نبع عين أبو سوار:

في عام ١٩٥٤م قامت الدائرة المائية في وزارة الأشغال العامة بأعمال فتح نفق بشكل حرف (T) في نبع عين الفوقا لاستنباط المياه الجوفية. ولقد أعطت هذه الحفريات نتائج مرضية وموفقة فزادت كمية المياه المتدفقة في هذا النبع مقدار ثلاثة أضعاف عمّا كانت عليه في السابق، وأصبحت مياهه متوفرة صيفاً شتاءً بينما كانت بالماضي لا تسيل إلا في فصل الصيف وتنقطع في فصل الشتاء.

مياه الشفة:

في عام ١٩٥٧ أجرت وزارة الأشغال العامة تغيير شبكة مياه الشفة واستبدلتها بقساطل ذات قطر (٣) إنش من مصدر النبع في محلة (البسيس) وحتى الشبكة الداخلية في البلدة، هذا بالإضافة إلى الشبكة الداخلية الجديدة التي مددت بالبلدة.



باب النفق لمشروع مياه نبع (عگيتا)

في محلة القبي الذي باشرته وزارة الأشغال العامة منذ عام ١٩٥٥م

خزانات مياه الشفة:

وأنشأت وزارة الأشغال العامة عام ١٩٥٩ خزاناً لمياه الشفة في جباع سعته مائتا متر مكعب مع مصفاة للتكرير، وخزاناً إلى عين أبو سوار سعته خمسون متراً مكعباً.

وفي سنة ١٩٦٦م أنشأت وزارة الأشغال أيضاً خزاناً في محلة قلعة عين أبي الفضل سعته مائتا متر مكعب مع شبكة مياه لجباع والمرجة ومحلة رأس العين بالإضافة إلى خط رئيسي قطره (٦) إنش لتزويد جباع ومنطقتها بمياه الشرب المنقولة من نبع الطاسة بطريقة الضخ الآلي.

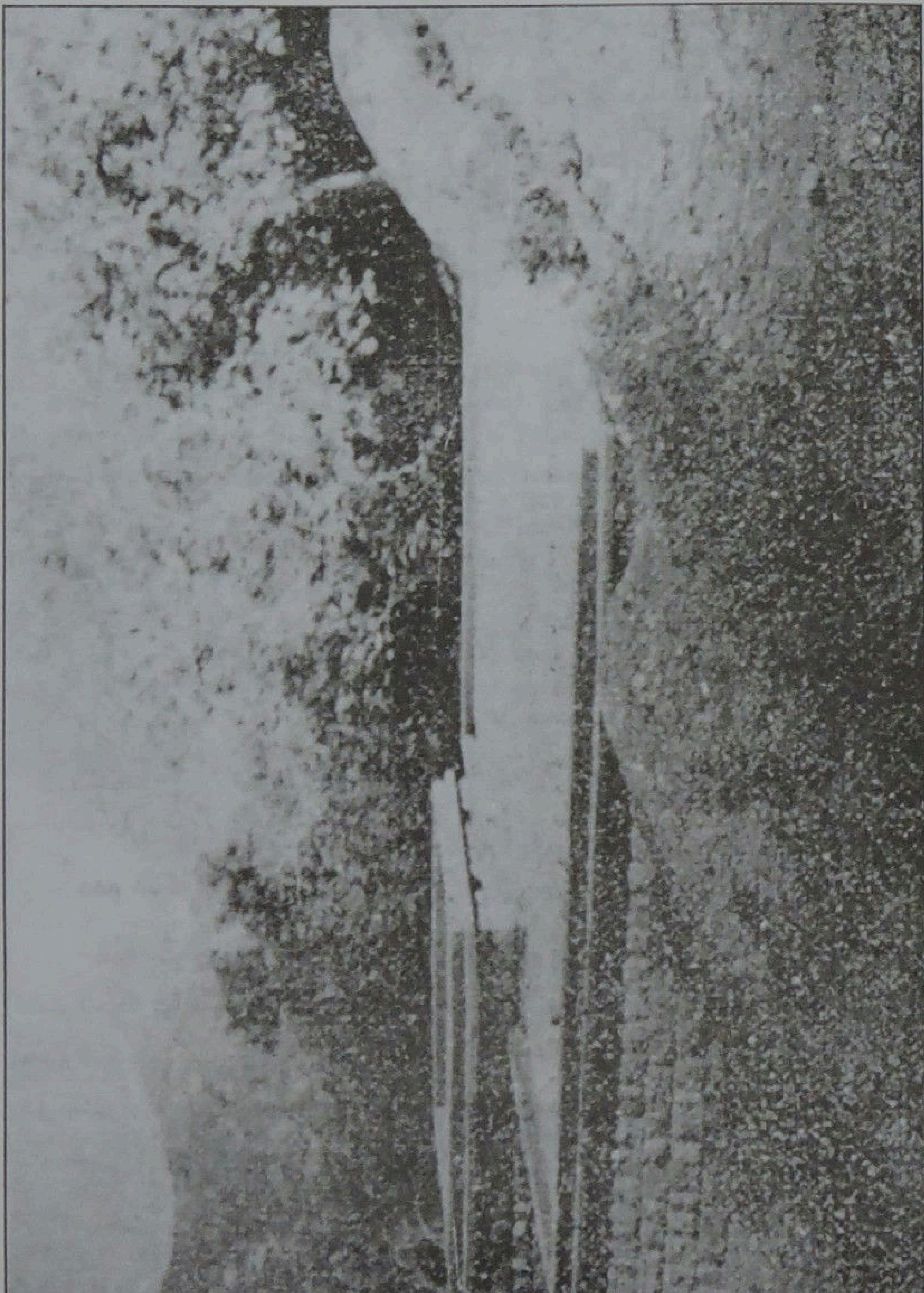
مياه الرَّي

مياه الرَّي وتنظيماتها:

كانت مياه الرَّي في السابق يتصرف فيها مراقب المياه على هواه بأساليب فوضوية ويأخذ أجرته من الأهالي مباشرة، فعمدت البلدية إلى تنظيم هذا الأمر فتبنّت المراقب وأعطته راتباً من صندوقها، وأخذت تجبي الرسوم من أصحاب الحق لحساب الصندوق، وبذلك وزّعت المياه بالقسطاس فأعطت كل ذي حق حقه وقضت على التلاعب الذي كان يحصل في السابق من قبل مراقبي المياه، فتدنّت مدة الدور التوزيعي للمياه من العشرين أو الخمسة وعشرين يوماً إلى فترة تتراوح ما بين العشرة أو الأربعة عشر يوماً، مما أعطى زيادة ملحوظة في دخل المزارعين وزيادة الإنتاج لقصر مدة الري.

أقنية الرَّي:

لوحظ بأن أكثر المياه السائلة إلى البلدة تذهب وتضيع لعبورها بأقنية ترابية، لذلك فكرت وزارة الأشغال سنة ١٩٥٥م بجعل تلك المياه تسيل بواسطة أقنية من الباطون، وقد جرى تنفيذ هذا المشروع الهام على مراحل سنوية منها ما قامت البلدية بتنفيذه على حسابها الخاص، ومنها ما نفذ على حساب وزارة الأشغال العامة. وفي عام ١٩٦٥ انتهت أعمال أقنية الري الباطونية، فوصلت المياه إلى كافة البساتين وجميع الأملاك، وشملت أعمال هذه الأقنية أيضاً أملاك مزرعتي عين أبو سوار وكفرة، وبلغ طولها سبعة عشر ألف متر.



الخزان الكبير لمياه الشرب أنشأته وزارة الأشغال العامة عام ١٩٥٩

الطرقات العامة

طريق صيدا المجيدل جباع:

يربط جباع بمدينة صيدا طريق يمر عبر المجيدل ظلّ الأهالي يطالبون بشقّها منذ عهد الاستعمار الفرنسي، وكانت السياسة المحلية تلعب دورها لعرقلة هذا المشروع الهام، وفي حالة تخصيص أي اعتماد لهذا الغرض كانت المبالغ المخصصة تتحول إلى طريق أخرى. وما عتم أن قيّض اللّه لهذه البلدة من أنقذها من هذا الحرمان وهو عطوفة عادل بك عسيران الذي سعى سعياً حثيثاً لدى وزارة الأشغال العامة في الفترة التي ترأس فيها المجلس النيابي، مما جعل وزارة الأشغال تخصص الاعتمادات السنوية وتشرع في العمل حتى تمّ إنجازها عام ١٩٥٧ وبذلك تأمن لجبع شريانها الحيوي الذي يربطها بصيدا، فبوركت الأيدي العاملة المخلصة.

الطرقات الداخلية في جباع:

قامت البلدية عام ١٩٥٧ بتلزيم الكورنيش الغربي حول البلدة وشارعي زقاق زين، وشارع المدرسة، وذلك لشقها وتعبيدها وتزفيتها، ورفع الأنقاض التي خلفها الزلزال عام ١٩٥٦. وقد تمّ إنجاز هذه الخطوات.

وفي الأعوام التالية أكملت البلدية شق وتعبيد جميع الطرقات الداخلية، إما بالزفت أو بالباطون، وفي الشوارع المنحدرة أوجدت مدارج من الباطون.

هدم الدكاكين التي كانت في الساحة:

استملكت وزارة الأشغال العامة الدكاكين التي كانت في الساحة العامة مع الأملاك التي كانت تحيط بها بقصد توسيع الساحة، وقد جرى هدم هذه الدكاكين بواسطة آليات مصلحة التعمير، واستملكت البلدية أيضاً الأملاك الواقعة على جانبي طريق صيدا عند مدخل البلدة، وشق الشارع امتداداً من الساحة حتى بيت نمر رعد، ثم شق طريق آخر من محلة المقيل حتى بيت موسى صالح.

طرقات عين أبو سوار:

باشرت البلدية عام ١٩٥٩ بفتح الشوارع في عين أبو سوار، وشيّدت بعض الجدران، وذلك بالاتفاق مع الأهالي الذين ساهموا بهذه الأعمال مع البلدية.



أقنية الري القائمة على أعمدة أنجزت عام ١٩٥٧

أشغال مزرعة كفرة:

في عام ١٩٥٥ جرى تحويل المياه الشتوية عن مزرعة كفرة لتلافي خطر مداهمة المياه لبيوت السكن وذلك بشق قناة لتحويل مجرى المياه ومنعها من التسرب من المزرعة.

إنشاء عبّارات

في عام ١٩٥٦: جرى بناء ثلاث عبّارات على الطريق العام لمزرعة كفرة.

المشاريع الزراعية

تشحيل صنوبر مشاع البلدية

قامت البلدية عام ١٩٥٤ بتشحيل جانب كبير من صنوبر مشاع البلدية وتنظيفه من الطفيليات لمساعدته على الإنتاج وزيادة المحصول.

تحريج مشاع (الميدة):

عمدت البلدية عام ١٩٥٥ إلى تحريج المشاع المعروف (بالميدة) ببذور الصنوبر على ثلاث مراحل لمدة ثلاث سنوات متوالية وتقدر المساحة التي جرى تحريجها بمائتين وخمسين دنماً، فنمت تلك البذور نمواً مطرداً، مما يبشر بأحسن النتائج في المستقبل، ولقد أصبح ذلك المكان اليوم منتجعاً ومنتزهاً للمصطافين والعائلات يتفيأون بظلاله.

المعارض الزراعية:

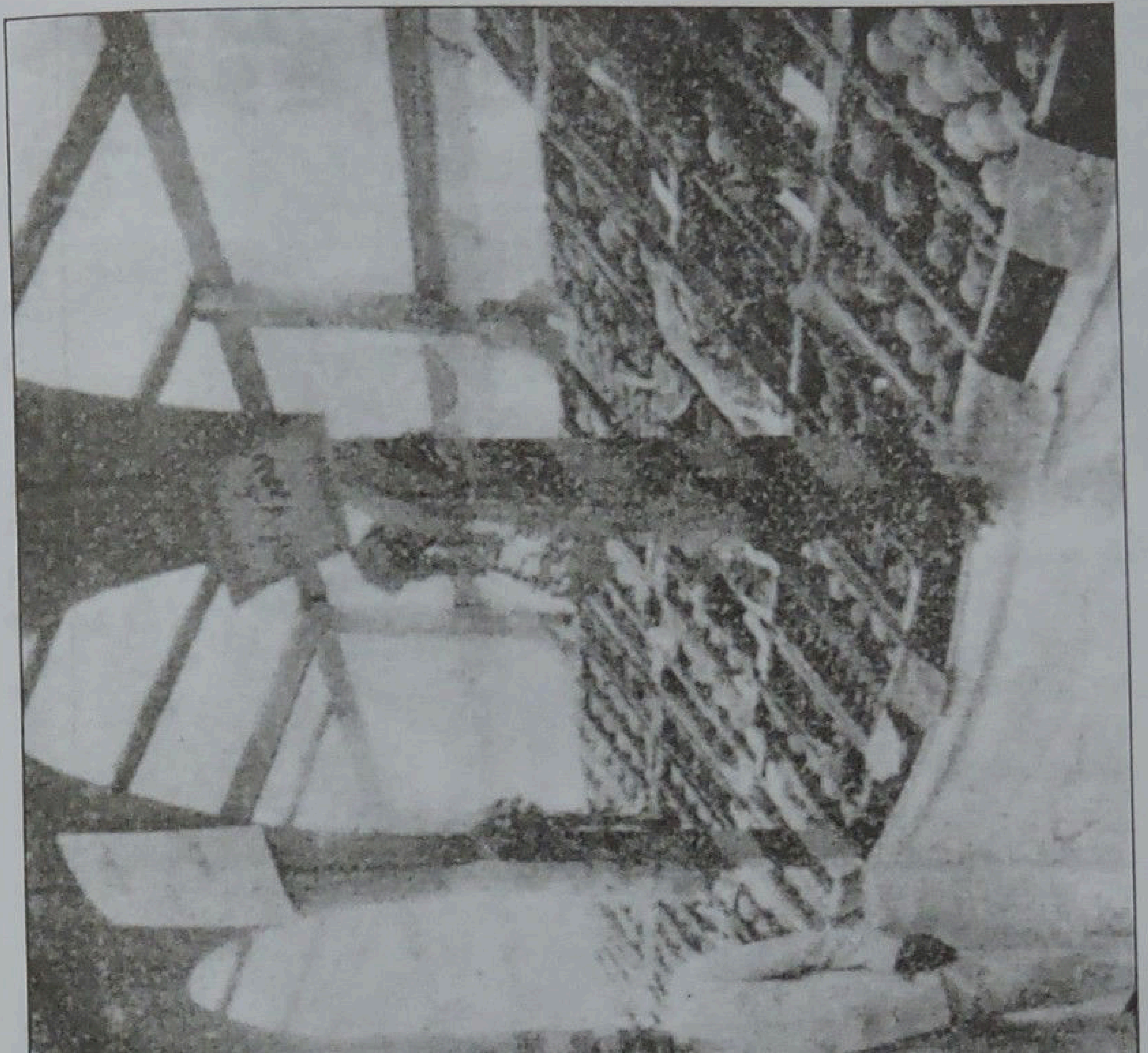
رغبت البلدية بتنشيط المزارعين وتشجيعهم لتحسين إنتاجهم الزراعي من حيث النوع والكمية، فأقامت المعارض الزراعية في الأعوام التالية ١٩٥٥ و١٩٥٧ و١٩٥٩ وذلك بغية إيجاد روح التنافس بين المزارعين ليعرضوا أحسن إنتاجهم الزراعي، ووزعت البلدية بعض الجوائز على المزارعين الذين ساهموا في هذه المعارض.

كلمة شكر وتقدير:

لا بُدّ من كلمة حق نقولها بأمانة وإخلاص قبل نهاية هذا الفصل الذي أتينا فيه على ذكر المشاريع المنجزة ننوه فيها بمدى الخدمات الجليلة والفوائد العظيمة التي قدّمها بمساعدتنا من أجل رفع مستوى جباع «عطوفة عادل بك عسيران» يوم كان رئيساً للمجلس النيابي اللبناني، فقد أدرك مدى المسؤولية الملقاة على عاتقنا تجاه جباع فشملها بعنايته الزائدة وعطفه



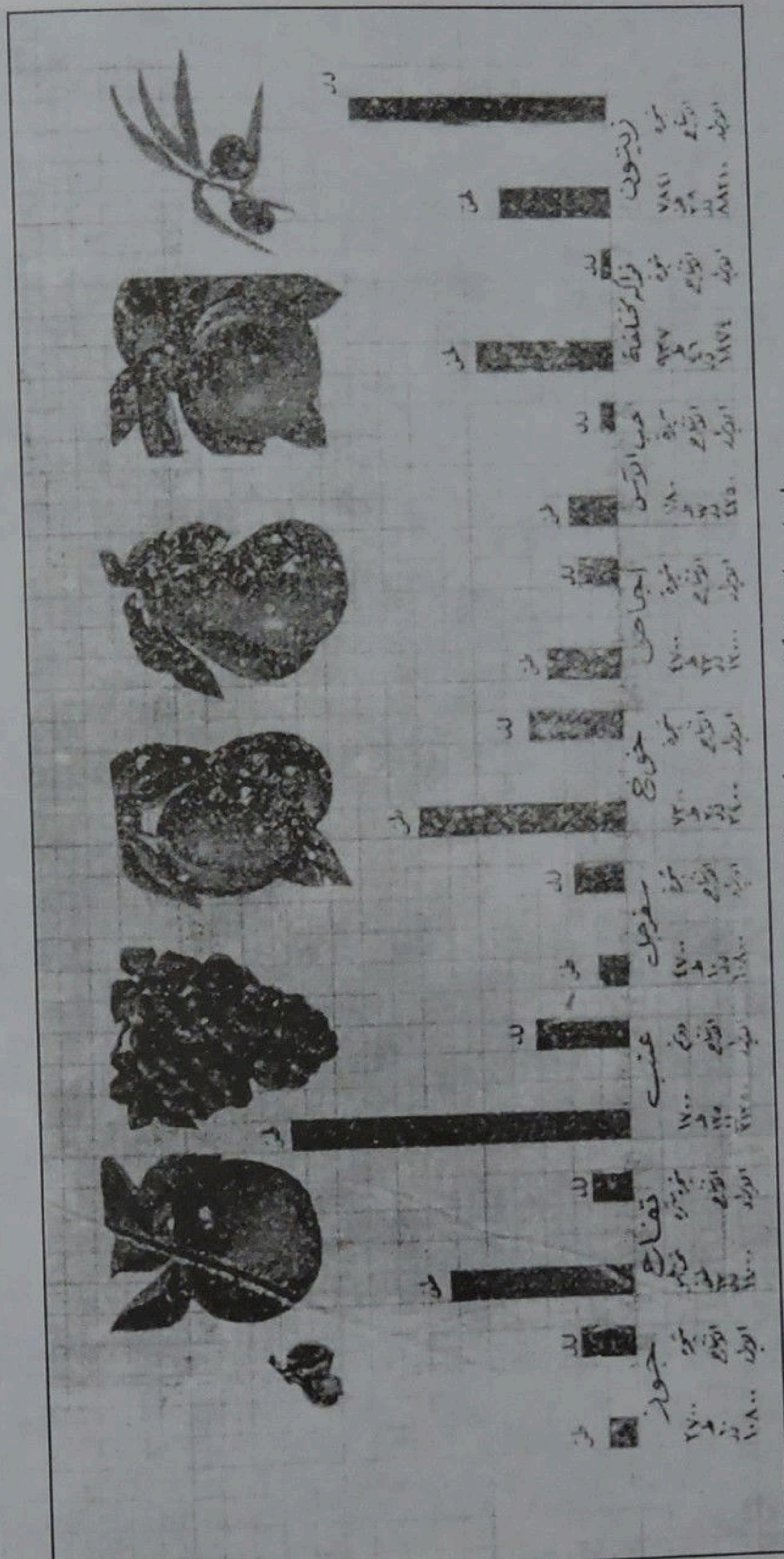
مشهد من حفلة المعرض الزراعي الذي أقامته البلدية عام ١٩٥٧ ويُرى الرئيس عادل بك عسيران يلقي كلمة.



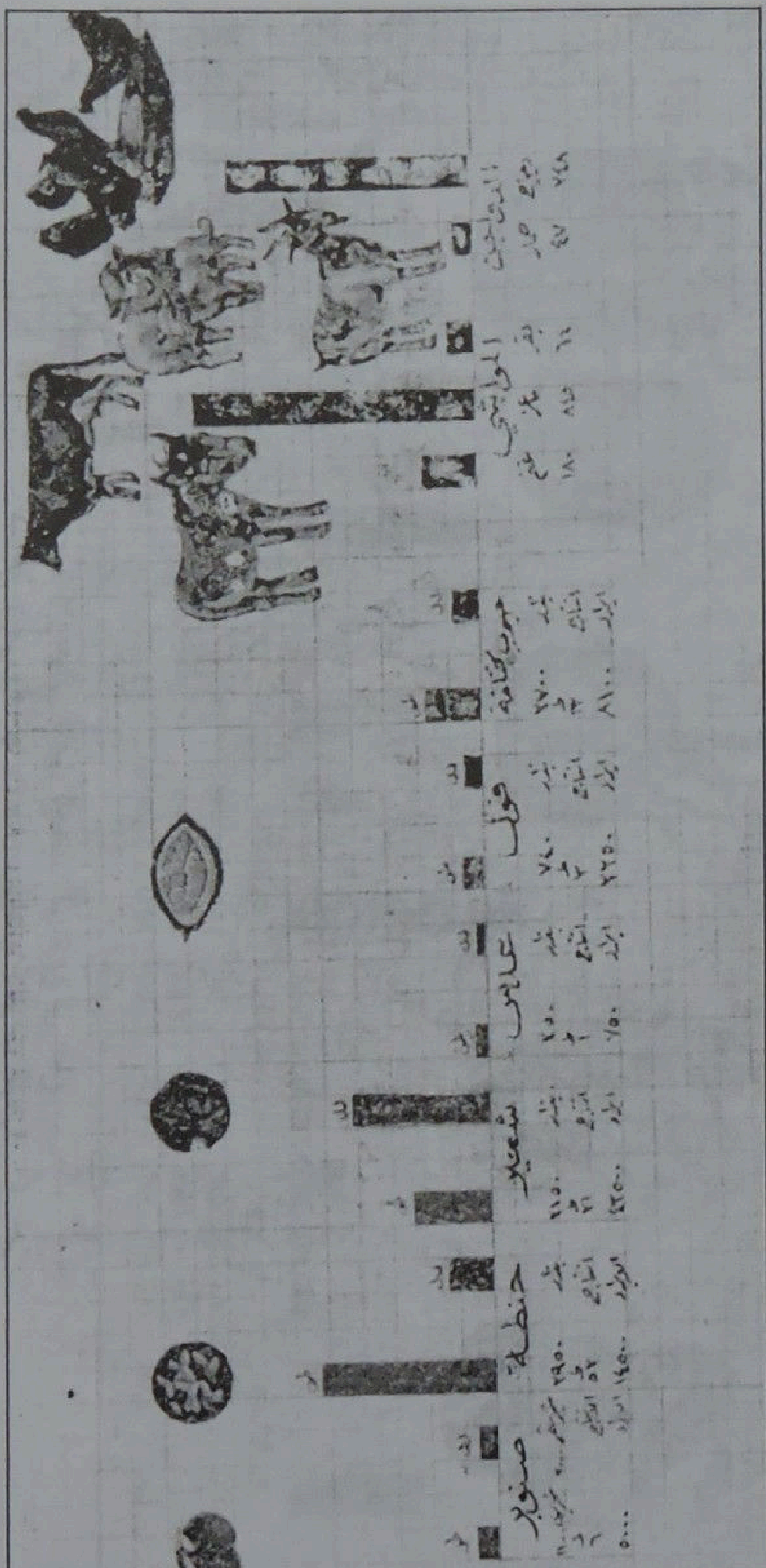
مشهد من المعرض الزراعي عام ١٩٥٥ الذي أقامته البلدية في جباع.



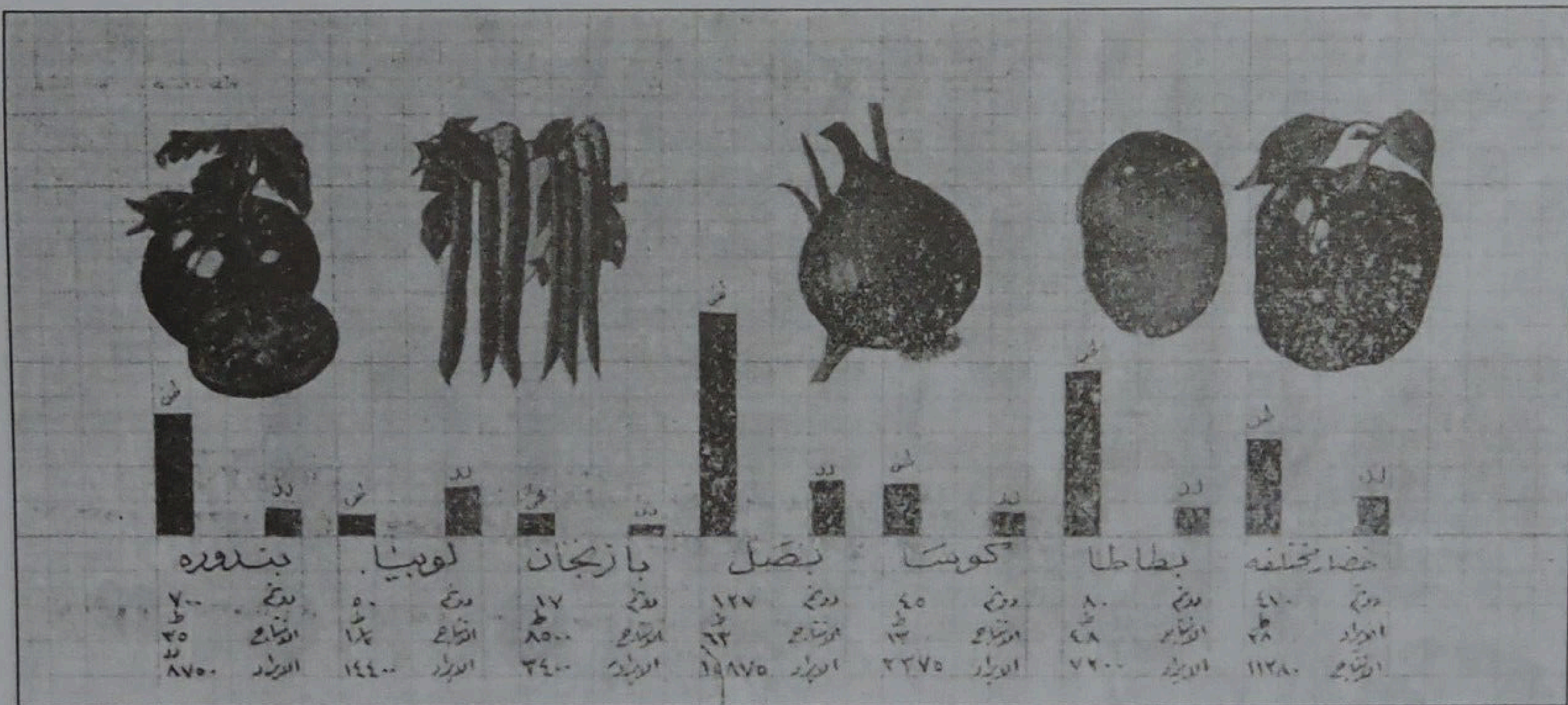
مشهد من حفلة المعرض الزراعي الذي أقامته البلدية عام ١٩٥٩ ويُرى المؤلف يلقي كلمة الافتتاح.



بيان إحصائي مفصّل لمختلف أنواع أشجار الفواكه في جباع
أعدادها وإنتاجها بالأطنان وإيراداتها بالليرات اللبنانية.



بيان إحصائي للدواجن والمواشي والحبوب في جباع عام ١٩٦٤.



بيان إحصائي مفصّل للخضار التي تزرع في جباع
مساحة الأرض وإنتاجها بالأطنان وإيراداتها بالليرات اللبنانية.

البالغ فأعطى المثل الأعلى للعاملين المخلصين، ولا غرو فهو لم يدخر وسعاً في بذل الكثير من طاقاته الخيّرة لدعم ومساندة كل مشروع يهدف إلى تقدم وازدهار جباع لتكون نقطة انطلاق ومثالاً يُحتذى به للتقدم الحضاري. ولولا معاضدته ومساندته في كافة المجالات لما تيسر لنا تحقيق ذلك كله في برهة وجيزة.

المسلخ:

أنجزت بلدية جباع بناء المسلخ الفني عام ١٩٥٩ والذي بدىء العمل فيه عام ١٩٥٥ بمساعدة مؤسسة النسور اللبنانية ومخيم العمل الدولي، الذين ساهموا بتقديم اليد العاملة، كما تكفّلت البلدية بتقديم المواد للبناء.

في الثامن عشر من أيار سنة ١٩٥٩ أوفدت وزارة الشؤون الاجتماعية إلى مصر بعثة ريفية كان مؤلف هذا الكتاب عضواً فيها بدعوة من منظمة الأمم المتحدة (الأونيسكو) للدراسة والاطلاع على برامج الإنعاش الريفي الذي تقوم به الأمم المتحدة في الريف المصري. واستغرقت الزيارة مدة أسبوعين.

سنترال للهاتف:

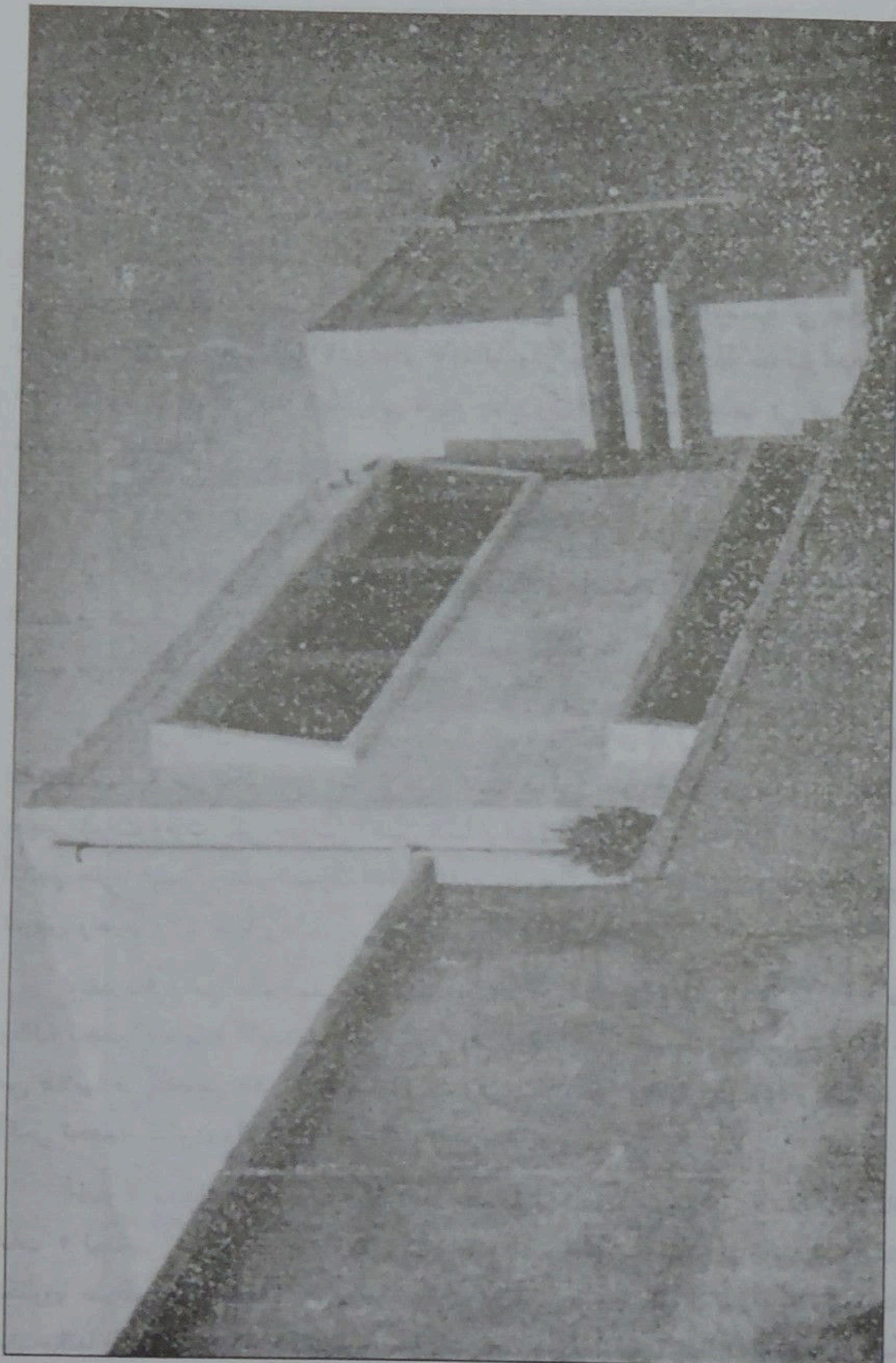
وفي أول عام ١٩٦٥ تمّ إيجاد سنترال للهاتف نصف (أوتوماتيكي) وقد كان الفضل في مساعدتنا على تحقيقه الرجل الإنساني الكبير الدكتور محمد كنيعو يوم تولى وزارة البرق والبريد.

المدرسة الرسمية:

كان تقرير المدرسة الرسمية والمطالبة بزيادة المعلمين ورفع مستواها من الأمور التي استأثرت باهتمام البلدية لأن معظم أهالي جباع كانوا مجبرين على وضع أبنائهم في معهد دير مشموشة، والنبطية، وصيدا، وبيروت.



المسلخ الحديث الذي أنشأته البلدية بمساعدة مؤسسة النسور اللبنانية ومخيم العمل الدولي عام ١٩٥٥.



مبنى المدرسة الرسمية في جباع

ويظل في مدرسة جباع أولئك الطلاب العاجزون عن دفع نفقات التعليم الباهظة خارج مدرسة جباع.

وبفضل الجهود المتواصلة زيد عدد المعلمين وجرى تسليم إدارة المدرسة إلى مدير حازم قدير، كان ولم يزل يبذل قصارى جهده للسير بالمدرسة خطوات سريعة نحو الأمام، باذلاً ما بوسعه لرفع مستواها العلمي، وهو الأستاذ (أنطوان أبي سمرا) صاحب الفضل الكبير فيما وصلت إليه مدرسة جباع من نجاح جعلها من أحسن المدارس الرسمية في لبنان. إذ إن معدل النجاح لمن تقدموا لنيل الشهادات الابتدائية والتكميلية لم تصبه أية مدرسة أخرى، الأمر الذي يدعونا أن نسجل لهذا المدير في تاريخ جباع وازدهار النهضة العلمية في عهدها الثالث هذه المآثر المشكورة.

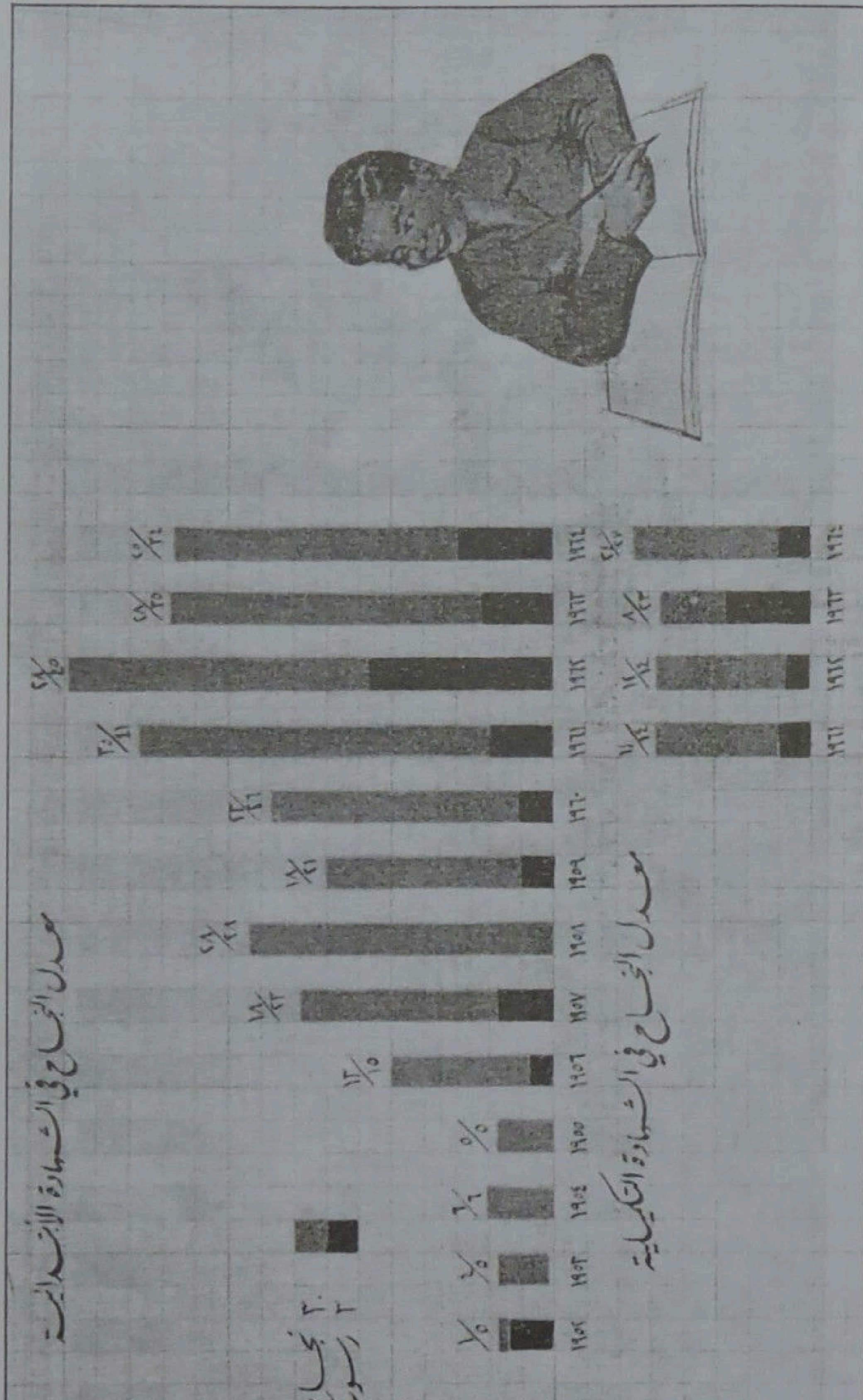
بناء المدرسة:

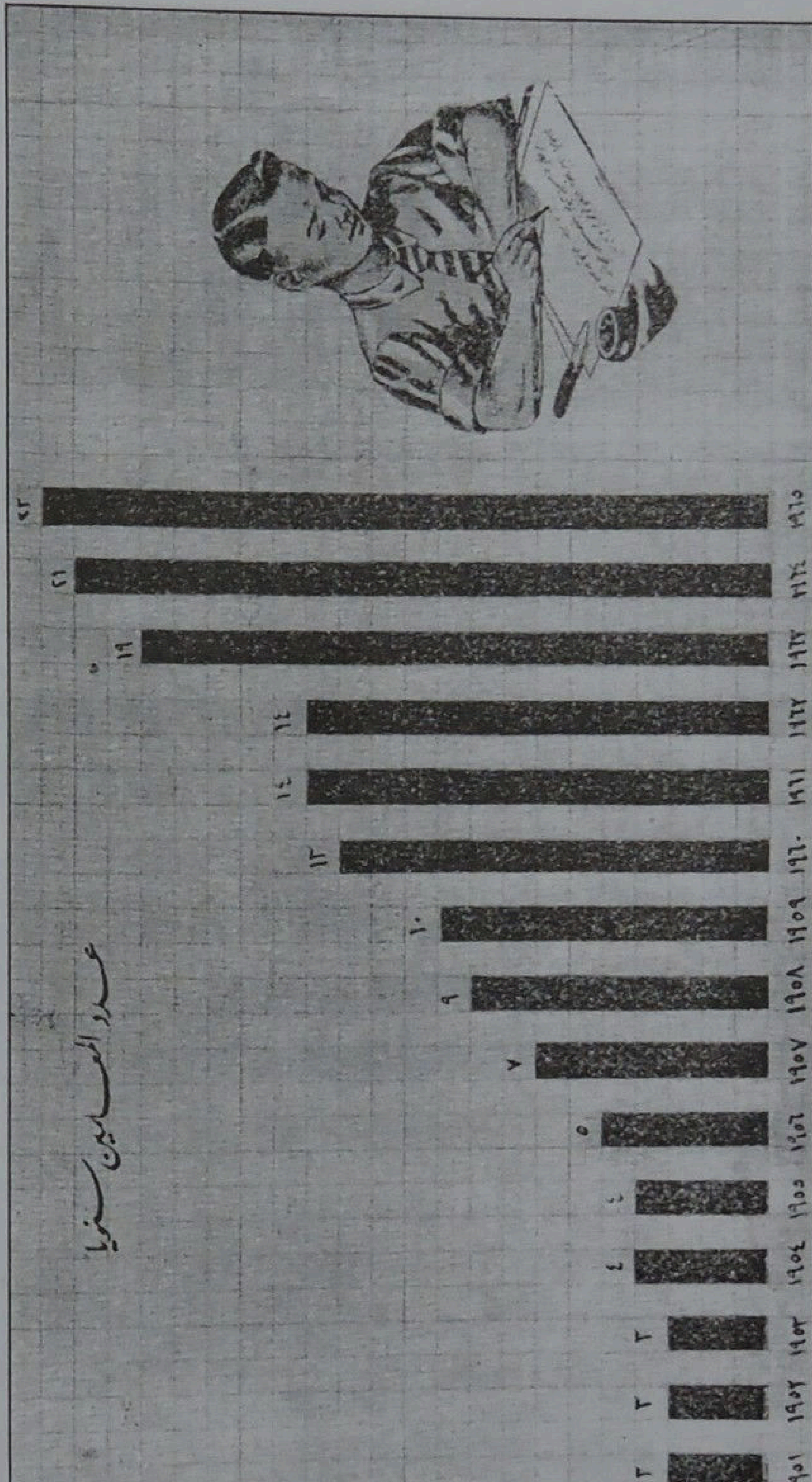
في عام ١٩٥٨ ونتيجة للمطالبة المستمرة بإلحاح من وزارة التربية الوطنية شيّدت إدارة الصندوق المستقل للأبنية المدرسية المدرسة الرسمية في جباع على أنقاض السرايا القديمة التي كانت من بقايا العهد التركي وقيل: بأنها بنيت من قبل الحكام (المنكريين).

فبنيت من طابق واحد على أحدث طراز، ثم شيّد الطابق الثاني في عام ١٩٦٦ وبذلك استغنت البلدية عن الكثير من المبالغ التي كانت تنفقها سنوياً لاستئجار البيوت للمدرسة، وبنفس الوقت وفّرت على جيوب الأهلين المبالغ الطائلة التي كانوا يدفعونها كنفقات لتعليم أبنائهم خارج البلدة. وتضم المدرسة الآن ٢٤ معلماً ومعلمة باعتبار التعليم فيها مختلطاً، يتولون تدريس وتعليم ٤٧٠ طالباً وطالبة.

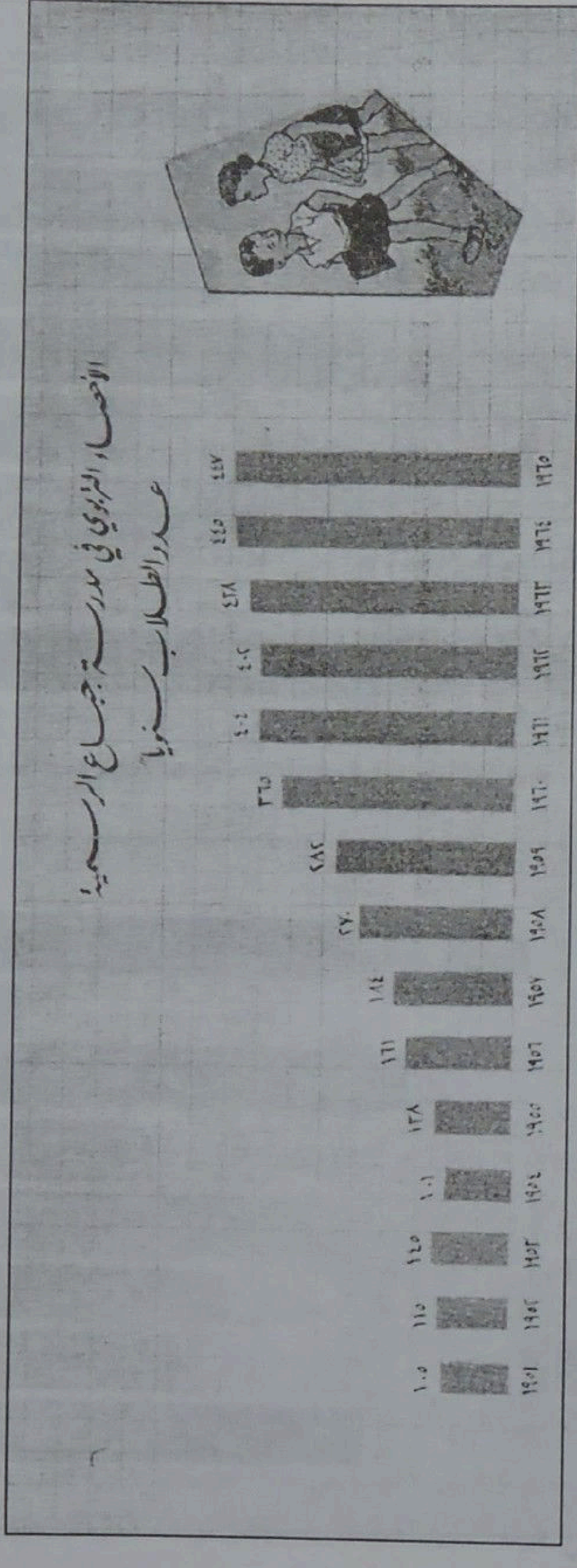
ولقد تخرّج من هذه المدرسة ـ منذ عام ١٩٥٢ حتى نهاية عام ١٩٦٦ ـ ٣١٤ طالباً وطالبة نجحوا بالشهادة الابتدائية «السرتفيكا». وفي عام ١٩٦١ أصبحت المدرسة تكميلية ففاز من طلابها في فحوص الشهادة التكميلية «البروفيه» ٩٤ طالباً وطالبة ومن هؤلاء الطلاب من أكمل تحصيله الثانوي والجامعي فنالوا الشهادات التالية:

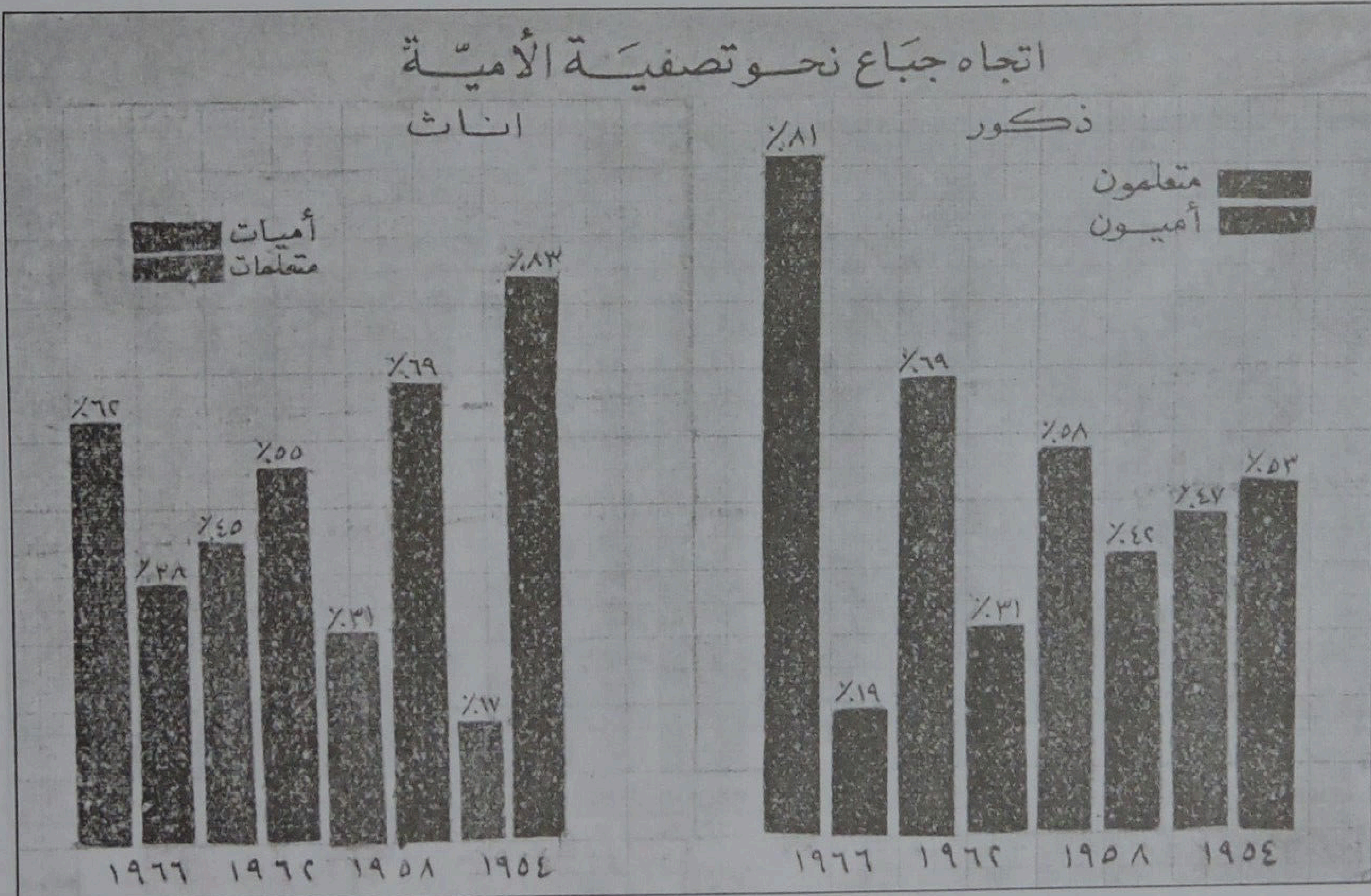
أطباء ٤ صيدلي ١ هندسة معمارية ٤ هندسة ميكانيك ٢ ليسانس فلسفة ٢ ليسانس آداب ٢ ليسانس حقوق ٣ فلسفة ٢٤ الشهادة التعليمية ١٨ الصنائع ٧ الزراعية ٣ أساتذة بكالوريا مدرسون ٣١ ومما تقدم ملاحظ بأن جباع في «عهد النهضة الحديثة» أخذت تستفيق من سباتها العميق لتستعيد مكانتها العلمية السابقة، بحيث أصبح الإقبال على التعليم بشكل


معدل النجاح في الشهادة الابتدائية
معدل النجاح في الشهادة التكميلية
نجاح
رسوب



عدد العاملين سنويا
١٩٥١ ٣
١٩٥٢ ٣
١٩٥٣ ٣
١٩٥٤ ٤
١٩٥٥ ٤
١٩٥٦ ٥
١٩٥٧ ٧
١٩٥٨ ٩
١٩٥٩ ١٠
١٩٦٠ ١٣
١٩٦١ ١٤
١٩٦٢ ١٤
١٩٦٣ ١٩
١٩٦٤ ٢١
١٩٦٥ ٢٣


الأحصاء التربوي في مدرسة جباع الرسمية
عدد الطلاب سنوياً
١٠٥
١١٥
١٤٥
١٠١
١٣٨
١٦١
١٨٤
٢٧٠
٢٨٢
٣٦٥
٤٠٢
٤٠٢
٤٢٨
٤٤٥
٤٤٧
١٩٥١
١٩٥٢
١٩٥٣
١٩٥٤
١٩٥٥
١٩٥٦
١٩٥٧
١٩٥٨
١٩٥٩
١٩٦٠
١٩٦١
١٩٦٢
١٩٦٣
١٩٦٤
١٩٦٥



جدول إحصاء بياني يرينا كيف تدنّت نسبة الأمية وارتفعت نسبة المتعلمين خلال السنوات الموضوعة

جماعي، والجدير بالملاحظة أن بلدية جباع كانت قد جعلت التعليم إلزامياً لمدة ثلاث سنوات، ومدّت يد المعونة إلى المحتاجين وراحت تحث المواطنين على طلب العلم والارتشاف من ينبوع المعرفة، ومن مراجعة جدول الإحصاء البياني المنشور يثبت لنا سير التعليم وتقدمه وارتفاع نسبة المتعلمين والمتعلمات منذ عام ١٩٥٤ وحتى عام ١٩٦٦ ميلادية. وهذا بالطبع آخر إحصاء أجريناه لهذه الغاية.

المشاريع الخيرية

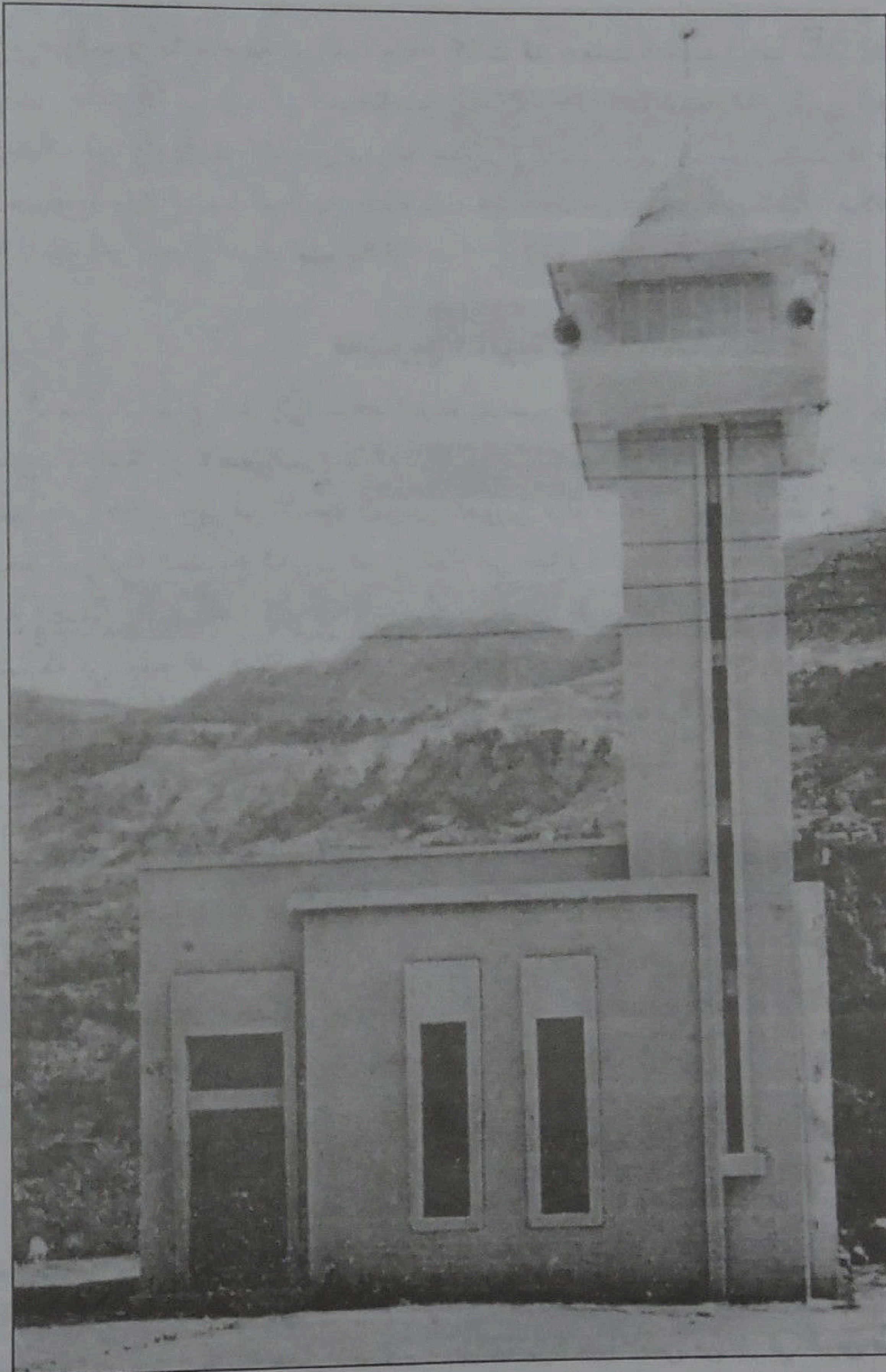
لمسنا بأن جباع تفتقر إلى مسجد للعبادة يتناسب مع نهضتها العمرانية الحديثة ليؤمه المصلون وخاصة أيام الاصطياف عندما تمتلىء جباع بالمصطافين وأغلبهم من صيدا وصور، فتنادينا عام ١٩٥٤م ونفر من الأخوان المؤمنين الغيورين لبناء مسجد «الواطه» فكان في طليعة المتحمسين لهذا المشروع الخيري الديني الهام ابن جباع البار المهندس علي تقي الدين، فوضع التصميم وتولى بنفسه الإشراف على البناء، ولم تقف غيرته عند هذا الحد بل تعداها إلى المساهمة في جمع التبرعات. وفي عام ١٩٥٧ فرغ من بناء المسجد فجاء آية في الإبداع الفني والهندسي، وأصبح قبلة للأنظار ونقطة انطلاق دفعت ـ الغيرة ـ الكثير من قرى الجنوب لبناء المساجد.

النادي الحسيني الاجتماعي:

رأينا من الضرورة بعد الفراغ من بناء المسجد أن نقوم ببناء النادي الحسيني الاجتماعي تحت إشراف المهندس علي تقي الدين الذي لم يدخر وسعاً في سبيل تحقيق هذا المشروع، فكان أكبر عون لنا على تحقيقه باعتباره ضرورة لإقامة الاجتماعات في المناسبات الاجتماعية لينمي روح المحبة والإخاء، وبالفعل تمّ إنجازه في مطلع عام ١٩٥٨ ميلادية.

مغتسل الأموات:

عندما باشرنا بوضع مخطط النادي الحسيني عام ١٩٥٧ خصصنا الطابق الأرضي منه ليكون مغتسلاً للأموات، فأعددناه على أحدث طراز وجعلناه شبيهاً بغرفة العمليات التي توجد عادة في المستشفيات، ونستطيع أن نعتبر هذا المغتسل الأول من نوعه في البلاد الإسلامية. وبوجوده لم يعد من الضرورة غسل الميت في بيته لما يترك هذا العمل من أثر في نفوس ذوي المتوفى، ثم يوضع في غرفة حديثة أعدت خصيصاً لراحة الميت بعد الغسل، وعندما تعلن



مسجد «الواطه» الحديث تمّ بناؤه عام ١٩٥٧.

الوفاة سرعان ما ينقل المتوفى إلى هذا المغتسل حيث يتم غسله ثم ينقل من هناك ليوارى في مقره الأخير، وبذلك توفر على آله وذويه الكثير من المتاعب ويخفف بعض الآلام والأحزان، وحبذا لو أصبح هذا المشروع قدوة لكافة البلدان الإسلامية.

المركز الصحي الاجتماعي:

شيدت جمعية البر والإحسان الإسلامية لأبناء جباع بالتعاون مع البلدية في جباع مركزاً صحياً على أحدث طراز، يتألف من طابقين ضخمين أضفى عليهما حسن التنسيق آية من الروعة والجمال، مما جعله قبلة للأنظار ومقصداً للزوار.

تمّ بناء هذا المركز بفضل تبرعات المحسنين وبأموال الجمعية والبلدية بدون أية مساعدة حكومية.

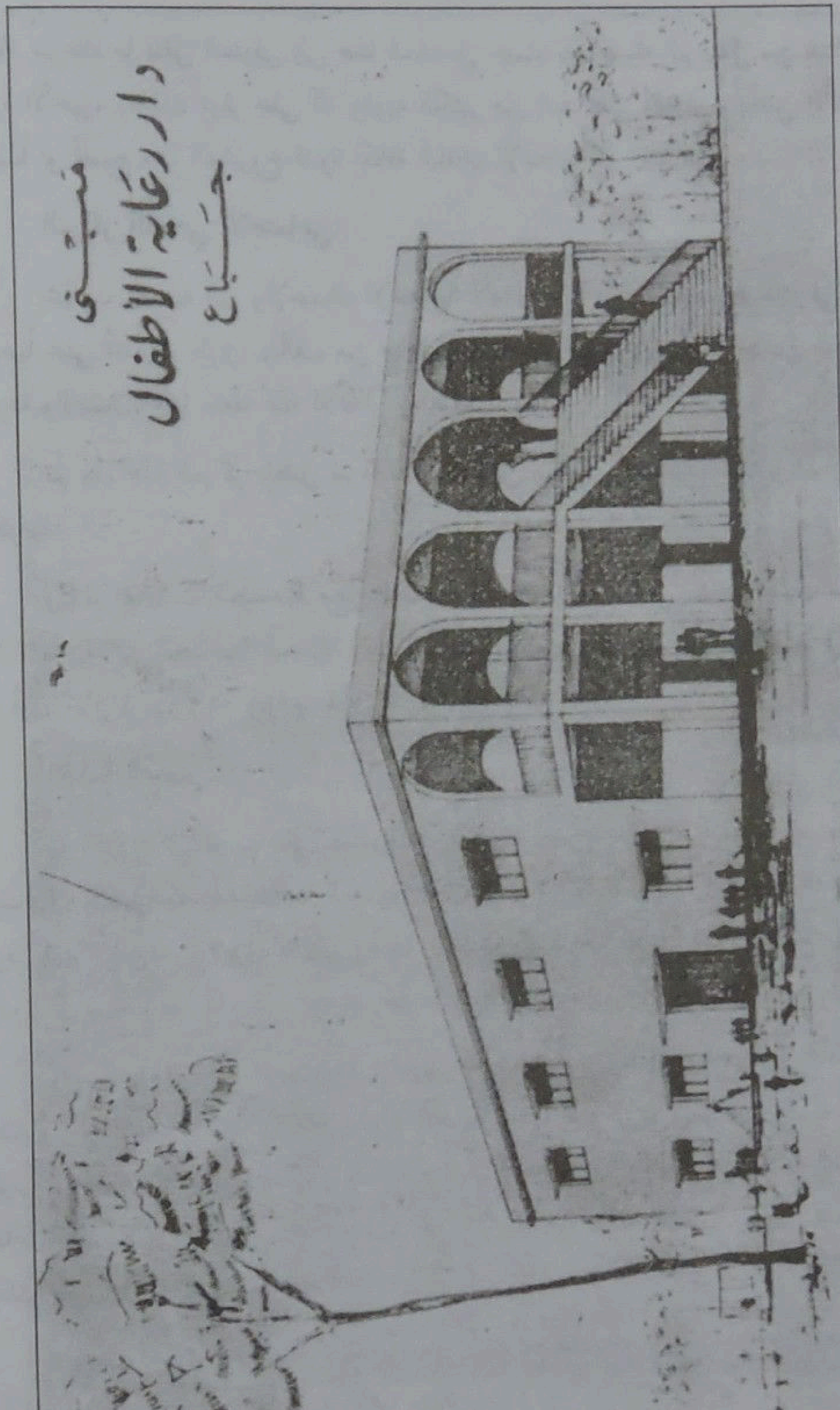
ولقد تعاقدت الجمعية مع مصلحة الإنعاش الاجتماعي لتأمين الخدمات الصحية والاجتماعية التي تحتاجها المنطقة، وذلك بالمساهمة والمشاركة في النفقات، وبدأ العمل فيه في أول حزيران ١٩٦٤م ويؤدي هذا المركز الخدمات التالية:

القسم الصحي:

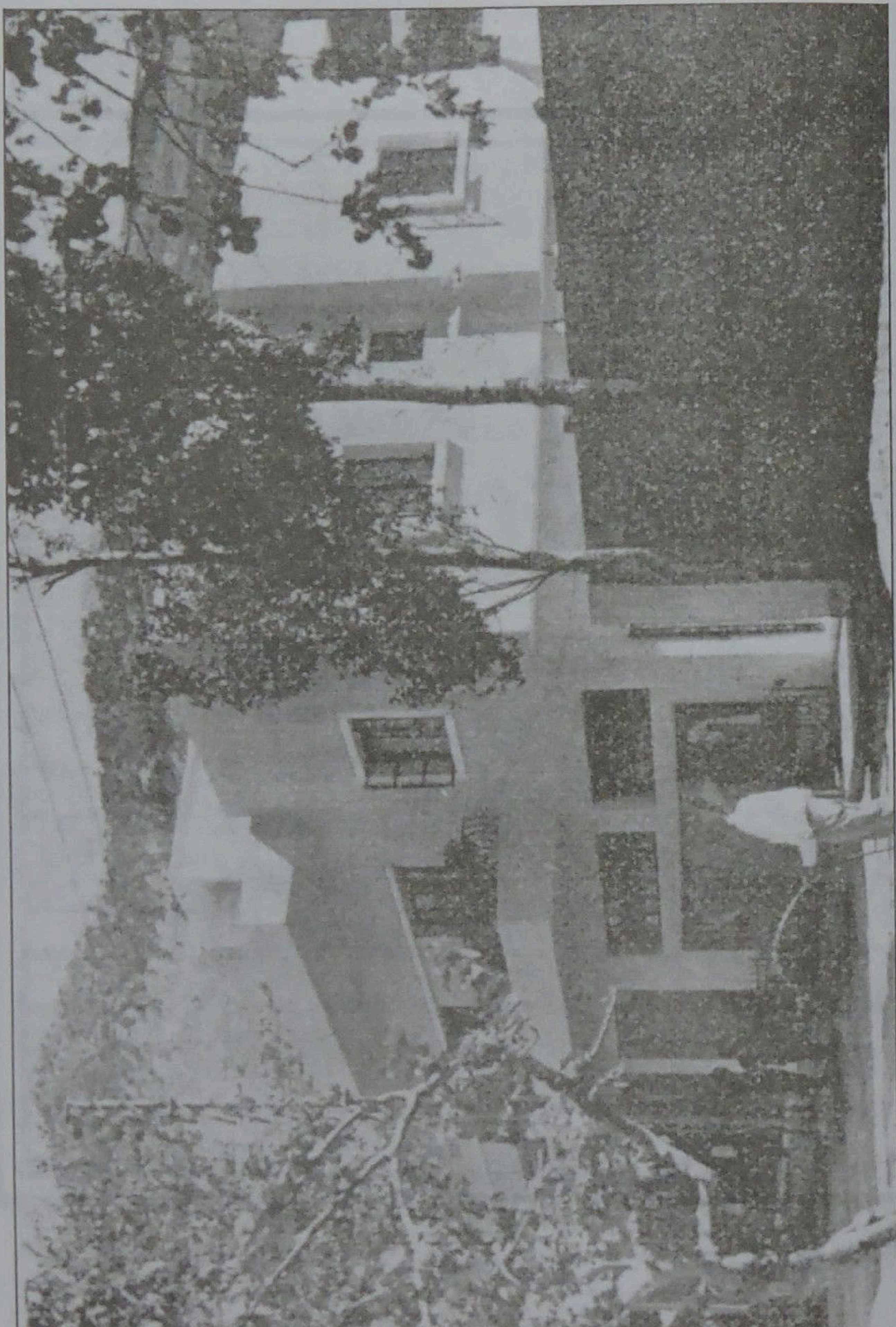
يحتوي هذا القسم على مستوصف يضم مجموعة من الغرف، غرفة خاصة للمعاينة الصحية مجهزة بكافة المعدات العصرية اللازمة لهذه الغاية، وغرفة لمعالجة الأمراض النسائية تتوفر فيها أحدث الآلات الطبية، وغرفة جُعلت كصيدلية تتوفر فيها جميع أنواع وأصناف الأدوية التي يحتاجها المريض، وغرفة أعدّت لانتظار المرضى والمراجعين.

ويشرف على هذا المستوصف مجموعة خيِّرة من الأطباء الأخصائيين بأمراض الأطفال والنساء والداخلية والصحة العامة، وتوزع الأدوية مجاناً للمرضى، ويساعد الأطباء ممرضة، قابلة قانونية، ومساعدة، ويتبع المستوصف نظام البطاقة الصحية، والملفات العائلية التي توضع فيها بطاقة كل فرد من أفراد العائلة، وتدوّن في هذه البطاقات حالات المريض عند كل معاينة وذلك على أحدث الأساليب المتبعة.

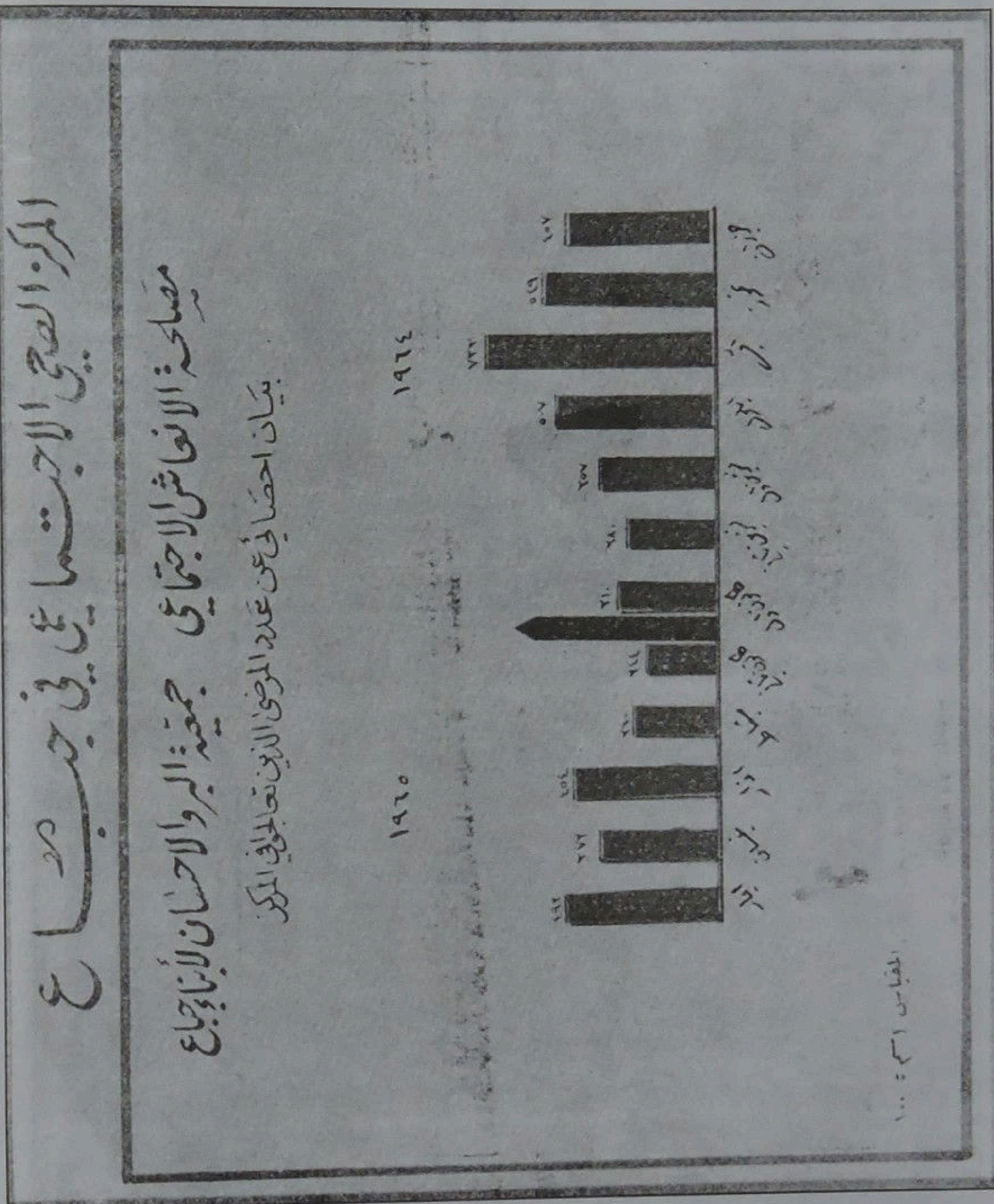
ويستفيد من خدمات هذا القسم أبناء جباع ومنطقتها التي لا تقل عن خمسة عشر ألف نسمة، ويعالج سنوياً أكثر من ستة آلاف مريض.



الطابق الأول من هذا المبنى أعدّ خصيصاً لرعاية الطفولة،
والطابق الثاني خلية «الإمام الحسين» الاجتماعية.



مبنى المركز الصحي الاجتماعي الذي تمّ إنجازه عام ١٩٦٣.


المركز الصحي الاجتماعي في جباع
مصلحة الإنعاش الاجتماعي
جمعية البر والإحسان لأبناء جباع
بيان احصائي عن عدد المرضى الذين تعالجوا في المركز
١٩٦٥
١٩٦٤

القسم الاجتماعي

يضم هذا القسم أربعة أقسام هي:

١ ـ قسم تعليم الفتيات فن الخياطة والتفصيل والتطريز وأشغال الإبرة.

٢ ـ قسم التدبير المنزلي لتعليم الفتيات فن الطهي وتدبير المنزل، وصنع الحلويات وتوضيب السفرة، وكيفية استقبال الزوار، ودراسة المواد الغذائية وأنواعها والوحدات الحرارية الموجودة في كل نوع من أنواع الطعام، ومعرفة المواد الغذائية التي يحتاجها جسم الإنسان، والتدريب على كل ما له علاقة بالأمور البيتية.

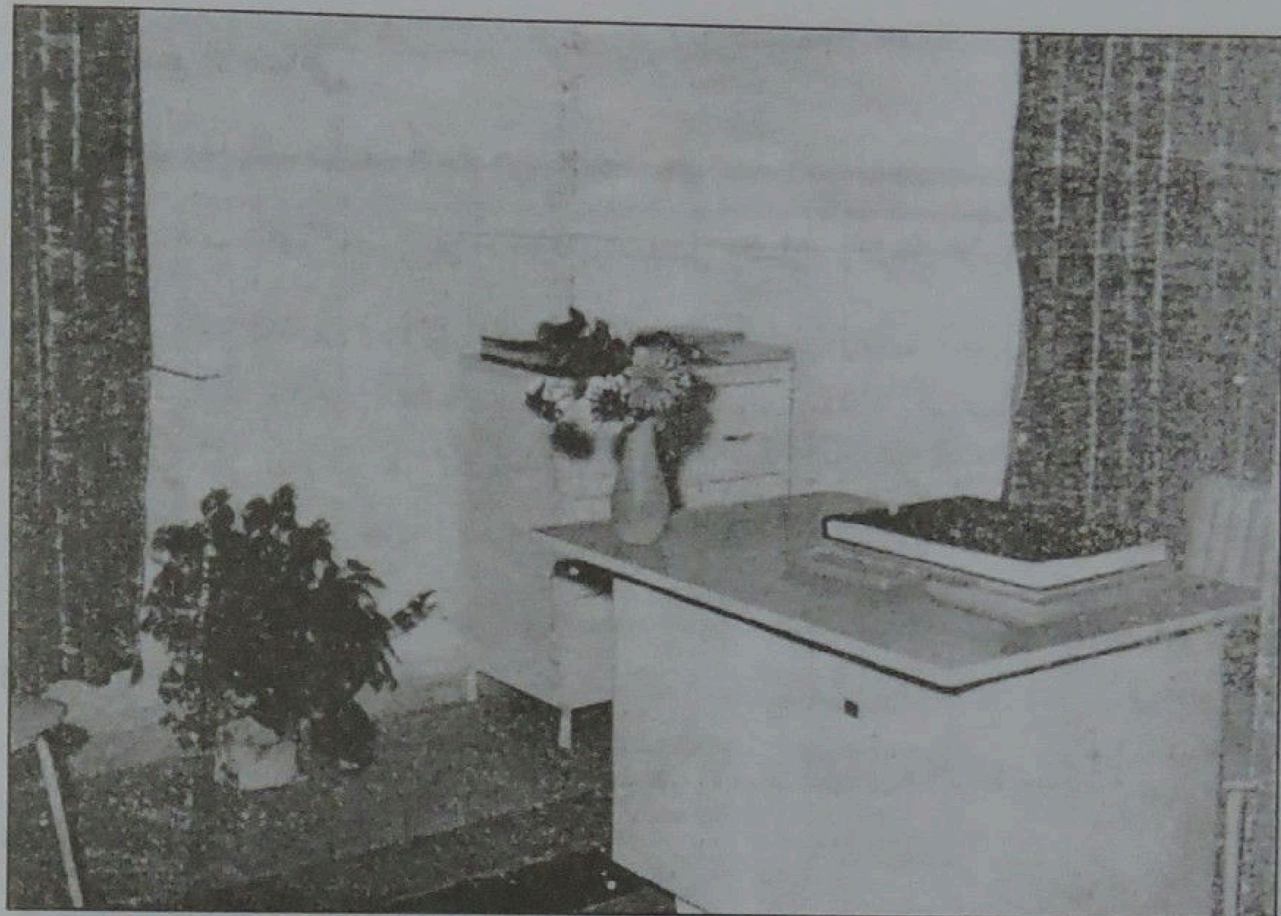
وبفضل هذا القسم أعدّ جيل من الفتيات أمهات المستقبل، أصبحن ملمّات في جميع الأمور اللواتي يحتجنها في حياتهن البيتية.

٣ ـ قسم محو الأمية، يعنى بتعليم الفتيات الأميات مبادىء القراءة والكتابة إلى جانب تعليمهن الخياطة وغيرها.

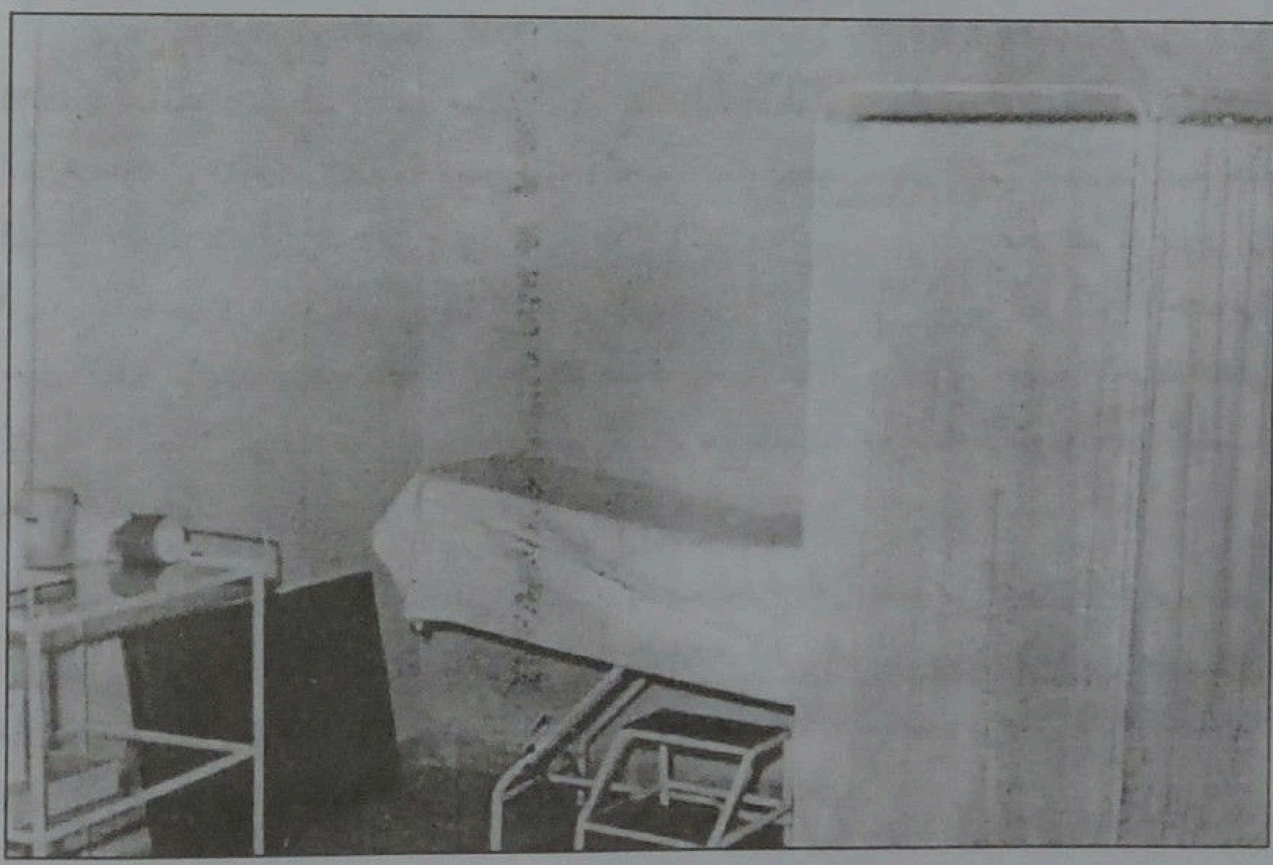
٤ ـ قسم رعاية الأمومة والطفولة.

يرعى هذا القسم الأطفال الذين هم بحاجة إلى رعاية على أن تتراوح أعمارهم ما بين الثالثة والخامسة وتشرف عليهم معلمة أخصائية بتربية الأطفال، تساعدها معلمة أخرى، ويقدم المركز لهؤلاء الأطفال الغذاء والعصرونية والحلويات والعصير أثناء فترات النهار، ويتبع هذا القسم حديقة للأطفال تحتوي على جميع أنواع اللعب والتسلية. ولقد اعتاد المركز أن يدعو أمهات الأطفال مرة كل شهر حيث يستمعن إلى المحاضرات التي تلقيها المرشدة الاجتماعية حول كيفية الاعتناء بتربية الأطفال ورعايتهم صحياً واجتماعياً وتربوياً وفي أغلب الأحيان تناقش كل أم في مشاكلها التربوية التي تعترضها أبان تربية طفلها، وخاصة الأمور والعقد النفسية وطرق معالجتها.

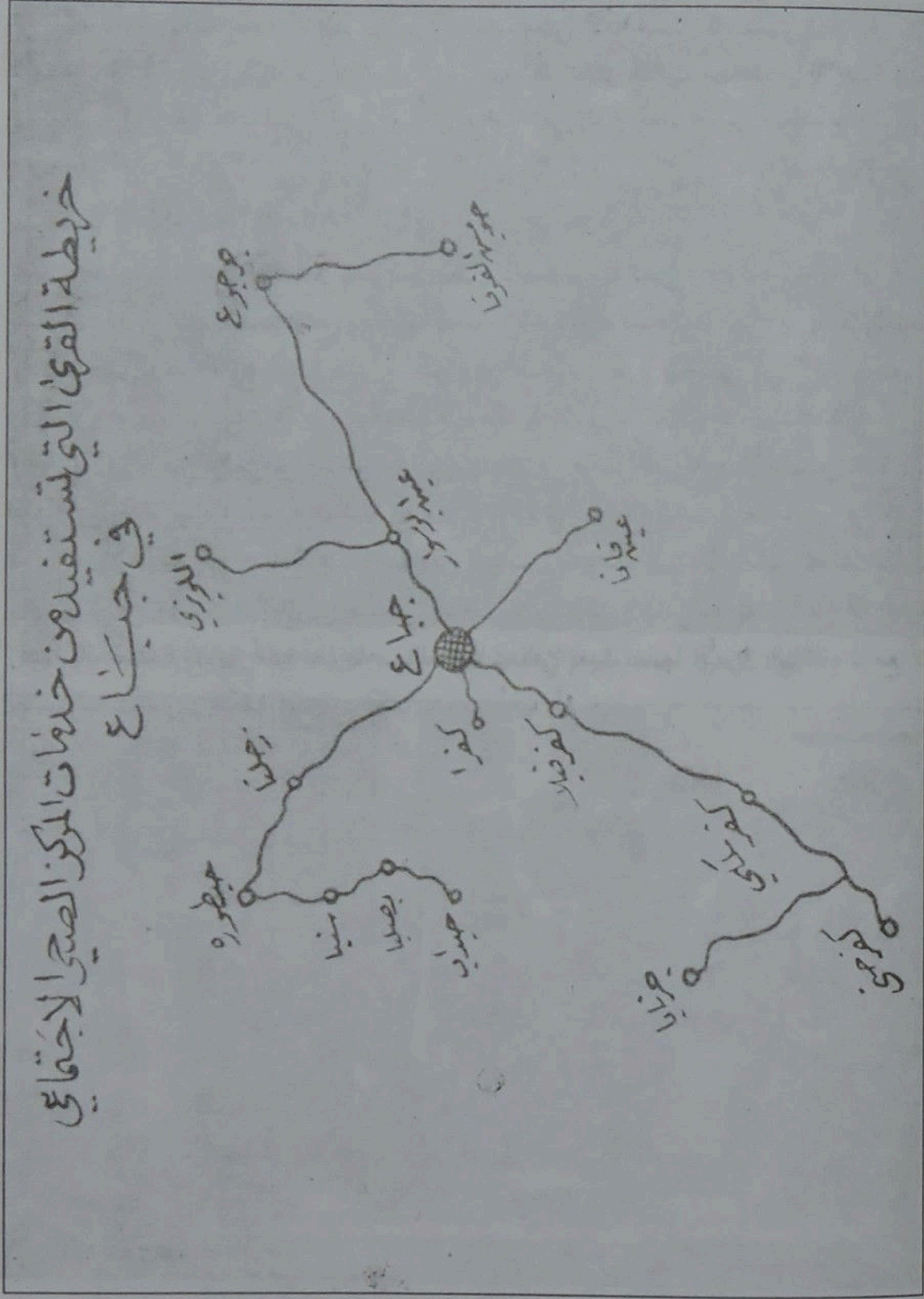
وفي ٢٩ أيلول ١٩٦٥ احتفل المركز بمناسبة تخرج أول دفعة من الفتيات اللواتي أنهين دروسهن في قسم الخياطة، وجرى توزيع الشهادات على المتخرجات بحضور مدير عام مصلحة الإنعاش الاجتماعي، ورئيس مصلحة الخدمات الاجتماعية، ورئيس دائرة الجنوب للإنعاش الاجتماعي، وعموم الأعيان والوجهاء من جباع ومنطقتها.



إحدى الغرف المعدّة مكتب.



إحدى الغرف المعدّة لفحص المرضى.


خريطة القرى التي تستفيد من خدمات المركز الصحي الاجتماعي في جباع
جباع
جرجوع
عين قانا

والجدير بالملاحظة أن المركز لم يتم بناؤه حتى الآن حسب التصميم الذي أعدّ في الأساس على أن يكون البناء من ثلاثة طوابق، باعتبار أن الطابق الثالث سيخصص للاجتماعات، ومكتبة عامة، ومدرسة لتعليم الأميين. والأمل معقود على إتمام البناء حسب المخطط المرسوم متى توفر المال اللازم.

جمعية البر والإحسان لأبناء جباع:

لقد حملت هذه الجمعية سدد اللّه خطى مؤسسيها والقائمين بها والمساعدين لها أعباء جبارة بدافع إنساني يغمرها شعور دافق بالمحبة والإخلاص، فساهمت بكل ما يعود بالفائدة والخير على بلدها، وعملت جاهدة على رفع مستوى الفرد الجبعي في كافة الحقول والمجالات، ولم يقف نشاط هذه الجمعية عند هذا الحد بل تعداه إلى مدّ المساعدة للمعوزين والفقراء المحتاجين والمرضى بالرغم من أن ميزانيتها لا تتحمّل مثل هذه الأعباء، وخاصة فإن الدولة لم تقدم لهذه الجمعية الخيرية أية معونة مالية تذكر، ومع ذلك فإنها ماضية في القيام بواجباتها الإنسانية غير حافلة بما يعترضها من عقبات ومصاعب لإيفاء التزاماتها المالية السنوية بالمشاركة مع مصلحة الإنعاش الاجتماعي البالغة حوالي عشرين ألف ليرة لبنانية. فلو أن الدولة رعتها بالمساعدة المالية أسوة بغيرها من الجمعيات التي تغدق عليها الأموال الطائلة، ـ مع أن بعضها ليست سوى شكلية إسمية ـ لكان نشاطها أعم وأشمل.



الهيئة الإدارية لجمعية البر والإحسان لأبناء جباع. صورة مأخوذة عام ١٩٦٣م.



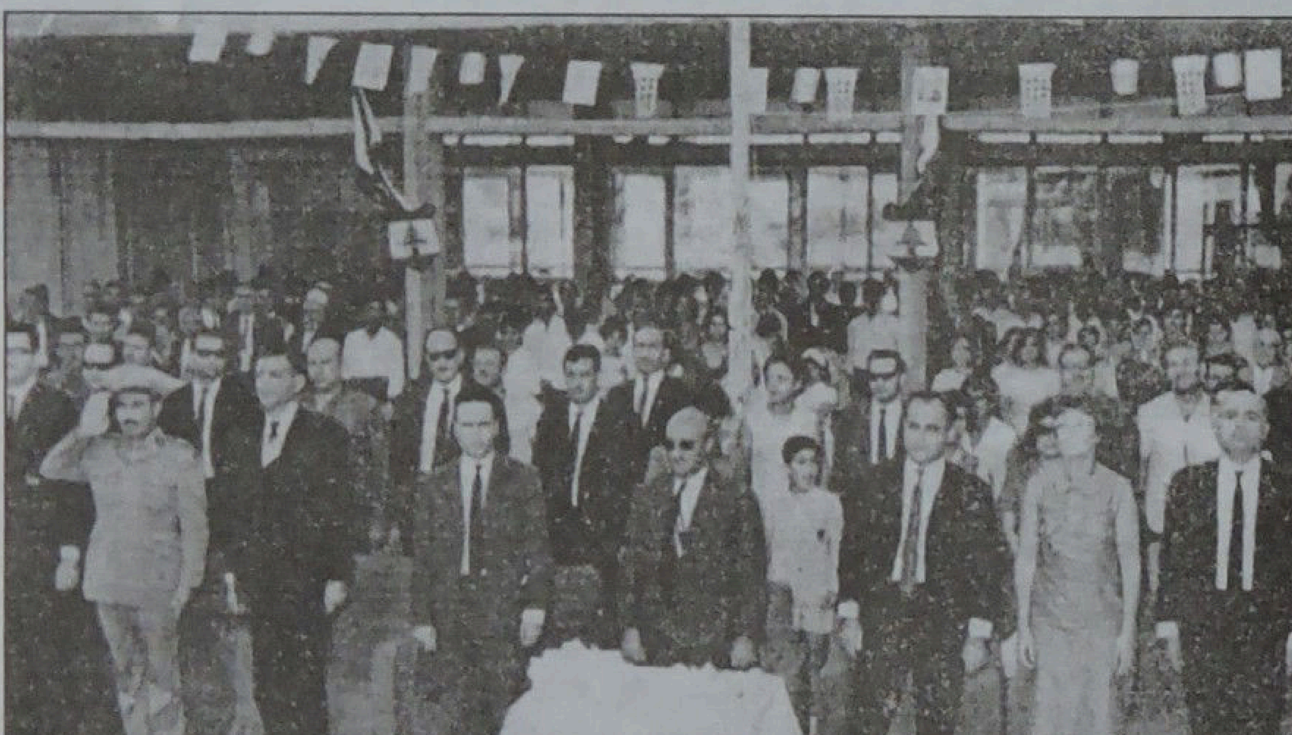
الهيئة الإدارية لنادي المرج الرياضي عام ١٩٦٦م.



مشهد من حفلة تخريج فتيات فرع الخياطة والتفصيل والتدبير المنزلي التي جرت عام ١٩٦٥م
، ويرى حضرة المدير العام لمصلحة الإنعاش الاجتماعي وبجانبه المؤلف يسلم إحدى الفتيات شهادتها من المركز.



مشهد الفتيات اللواتي أنهين دورتهن في علم الخياطة والتفصيل والتطريز في المركز عام ١٩٦٥م.



مشهد من حفلة تخريج الفتيات اللواتي أنهين دروسهن في المركز عام ١٩٦٥ أثناء عزف النشيد الوطني اللبناني.



مشهد لاحدى غرف رعاية الطفولة



مشهد للكؤوس الفضية التي نالها فريق الكرة الطائرة لنادي المرج الرياضي الثقافي خلال عام ١٩٦٦م.

نادي المرج الرياضي الثقافي:

لا بدّ لكل نهضة عمرانية واجتماعية وصحية من أن ترافقها نهضة جسمانية لصقل أجسام النشء وتربيته تربية رياضية تنمي قواه وتعده لمواجهة المستقبل، لذلك تأسس رسمياً في مستهل عام ١٩٦٦ في جباع نادي المرج الرياضي الثقافي وكان هذا النادي قد مارس نشاطه الفعلي في صيف عام ١٩٦٥ وأحرز عدة انتصارات في لعبة الكرة الطائرة على فرق مختلفة من الجنوب ونال عدة كؤوس فضية في هذه المباريات، والأمل معقود بأن هذا النادي سوف يملأ فراغاً كانت جباع بأشد الحاجة إليه، ليتسنى لشبابنا الصاعد الانصراف لممارسة الألعاب الرياضية، والمطالعة في المكتبة العامة التي شرع بإعدادها، وبذلك يقف حائلاً دون تسكع الشباب في الشوارع وقضاء جلّ أوقاتهم في المقاهي حيث يمارسون الألعاب التي تضر بمستقبلهم وتفسد أخلاقهم.

جباع تشترك في مؤتمر التطوير البلدي:

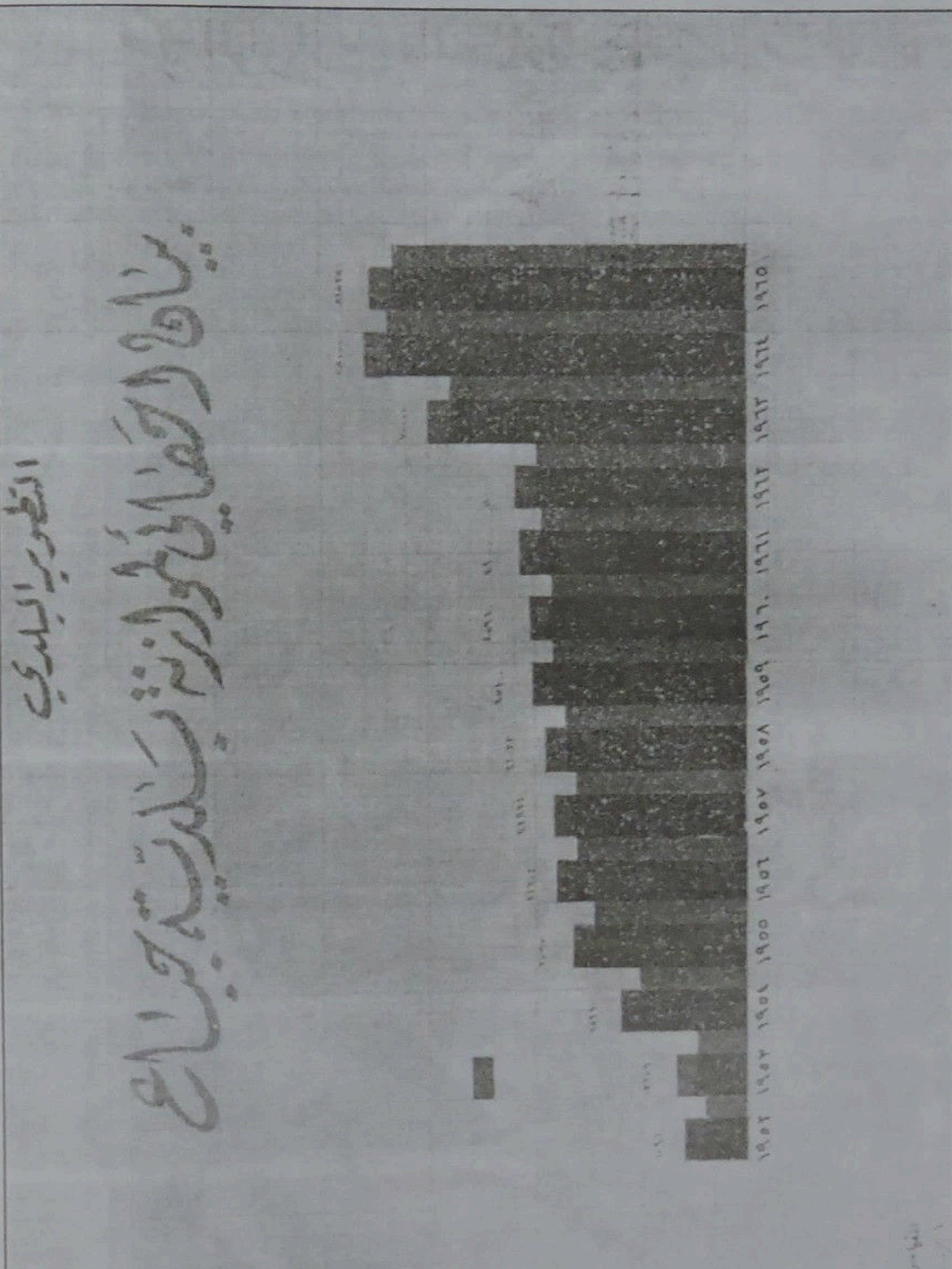
في الثامن من شهر حزيران سنة ١٩٦٥ افتتح مؤتمر التطوير البلدي في لبنان فاشتركت فيه كافة البلديات، وكان رئيس بلدية جباع رئيساً للجنة المالية في المؤتمر.

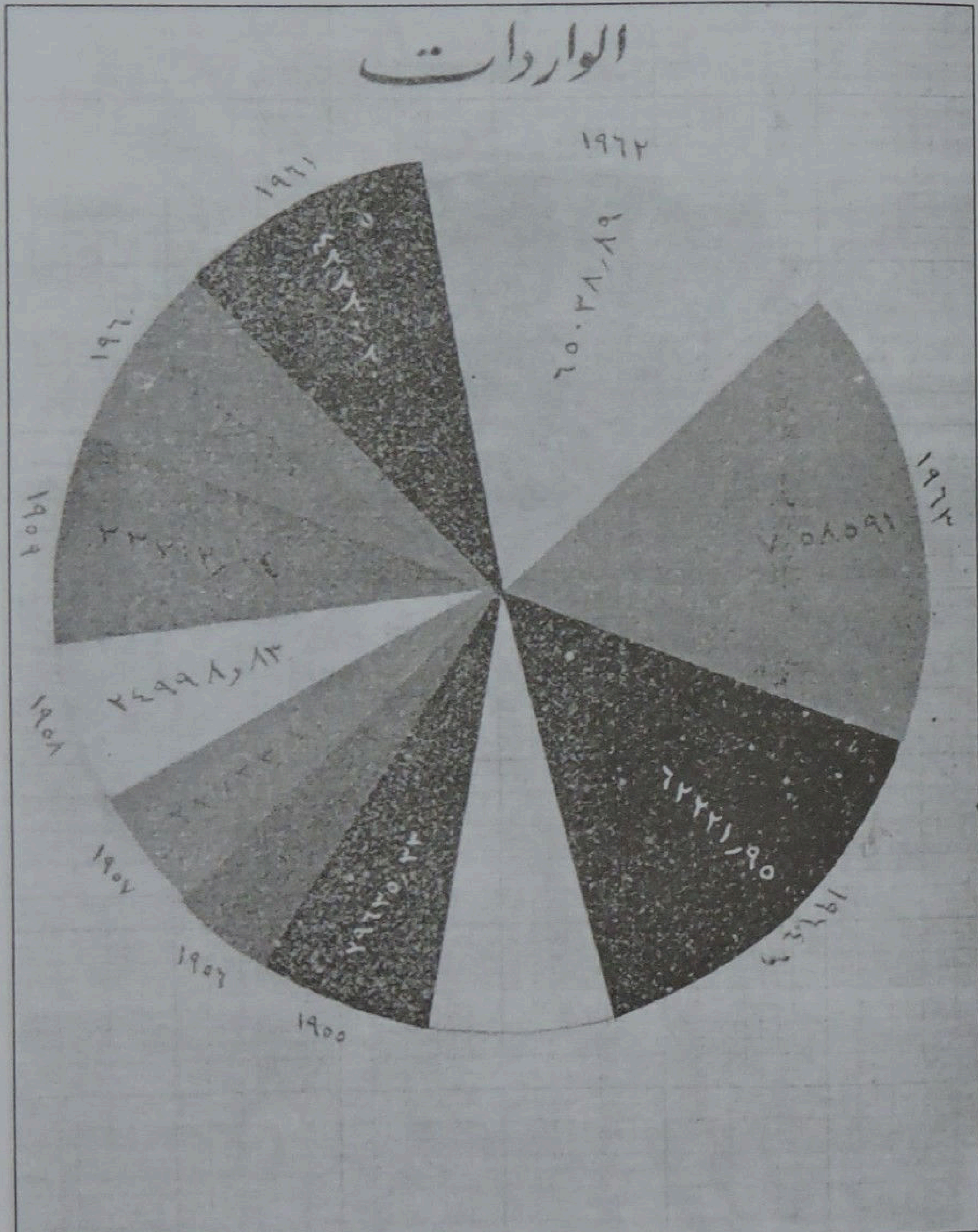
ولقد انفردت بلدية جباع من بين جميع بلديات لبنان فأقامت معرضاً للتطوير البلدي في فندق «فينيسيا»، حيث كانت تعقد جلسات المؤتمر، عرضت فيه المنجزات والمشاريع التي حققتها، والمشاريع التي لا تزال قيد الإنجاز على لوحات مصورة، مع عرض إحصائي لمختلف أوجه النشاطات التي قامت بها البلدية، ولقد لفت الأنظار العرض الزراعي لمختلف أنواع المزروعات، وعرض التطوير السكني والتطوير التربوي وغيره.

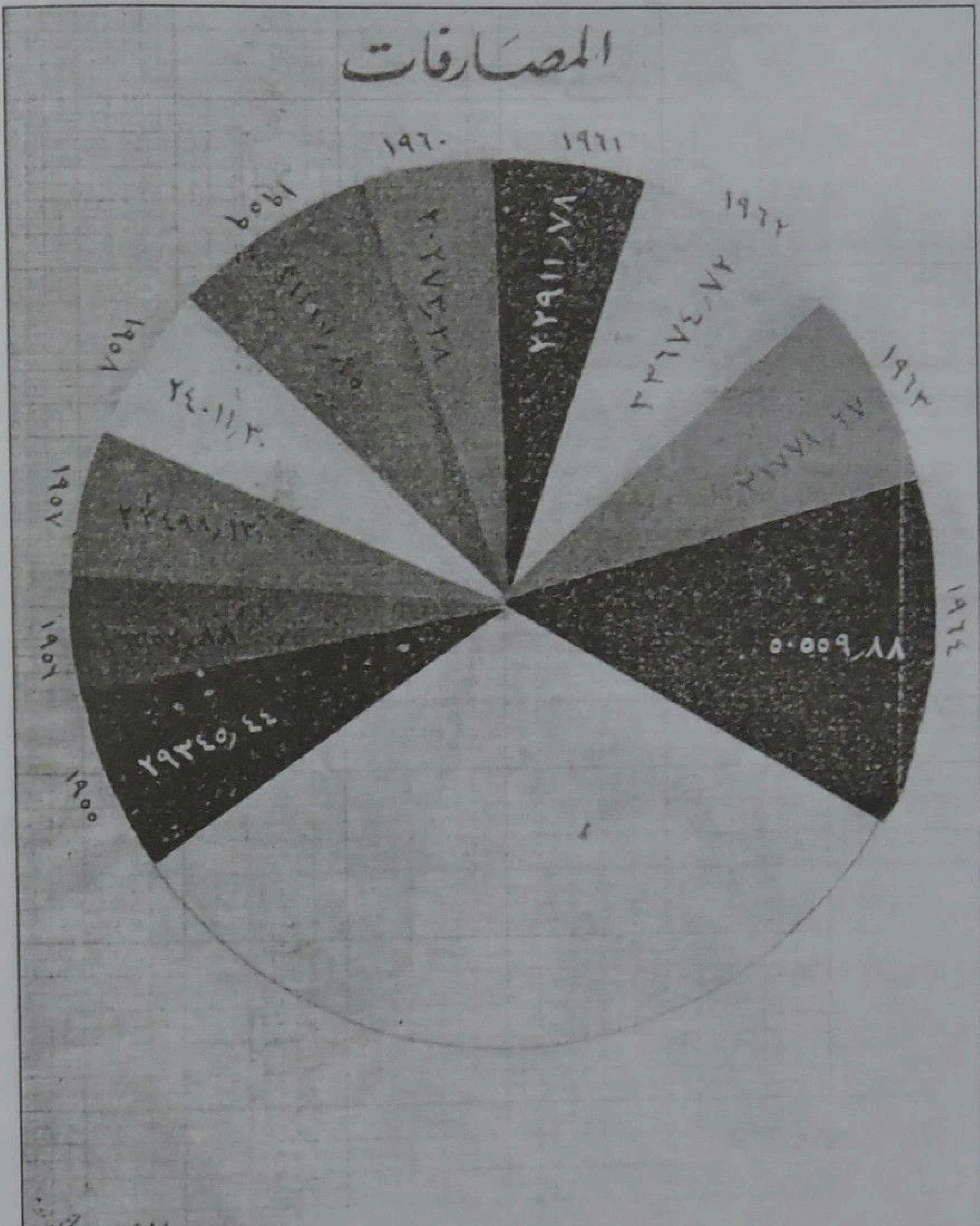
ولقد افتتح المعرض دولة رئيس مجلس الوزراء ممثلاً لفخامة رئيس الجمهورية اللبنانية وحضره النواب والمحافظين والقائمقامين ورؤساء البلديات، وقد حاز هذا المعرض على تقدير وإعجاب المسؤولين.



مشهد من حفلة افتتاح معرض بلدية جباع للتطوير البلدي في قاعة أوتيل فينيسيا ويرى دولة رئيس مجلس الوزراء ممثلاً فخامة رئيس الجمهورية ومحافظ الجنوب الأستاذ غالب الترك ووراءهم الرسميون والنواب ورؤساء البلديات ويرى المؤلف يشير إلى بعض أقسام المعرض.


١٩٥٢
١٩٥٣
١٩٥٤
١٩٥٥
١٩٥٦
١٩٥٧
١٩٥٨
١٩٥٩
١٩٦٠
١٩٦١
١٩٦٢
١٩٦٣
١٩٦٤
١٩٦٥


الواردات
١٩٦٢
٢٥٠٣٨,٨٩
١٩٦١
١٩٦٠
١٩٥٩
٨٣ و٢٤٩٩٨
١٩٥٨
١٩٥٧
١٩٥٦
١٩٥٥
١٩٦٣
٦٢٢٢١/٩٥


المصارفات
١٩٦٠
١٩٦١
٢٣٩١١,٧٨
١٩٦٢
٣٣٦٧٤,٧٢
١٩٦٣
١٩٦٤
٥٠٥٥٩,٨٨
١٩٥٩
١٩٥٨
٢٤٠١١,٣٠
١٩٥٧
٢٢٤٩٨,١٣
١٩٥٦
١٩٥٥
٢٩٣٤٥,٤٤

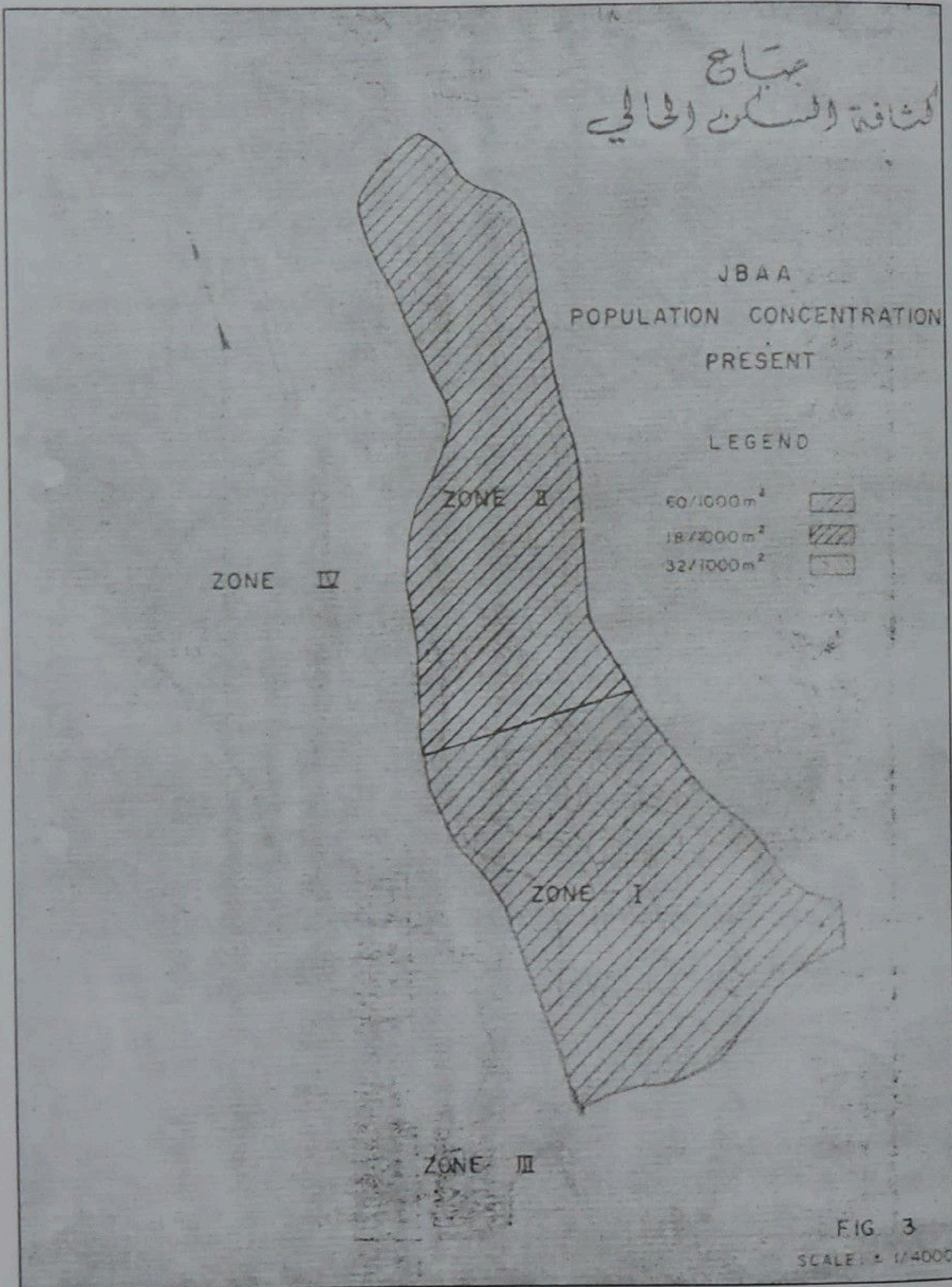


FIG 3
SCALE: 1/4000

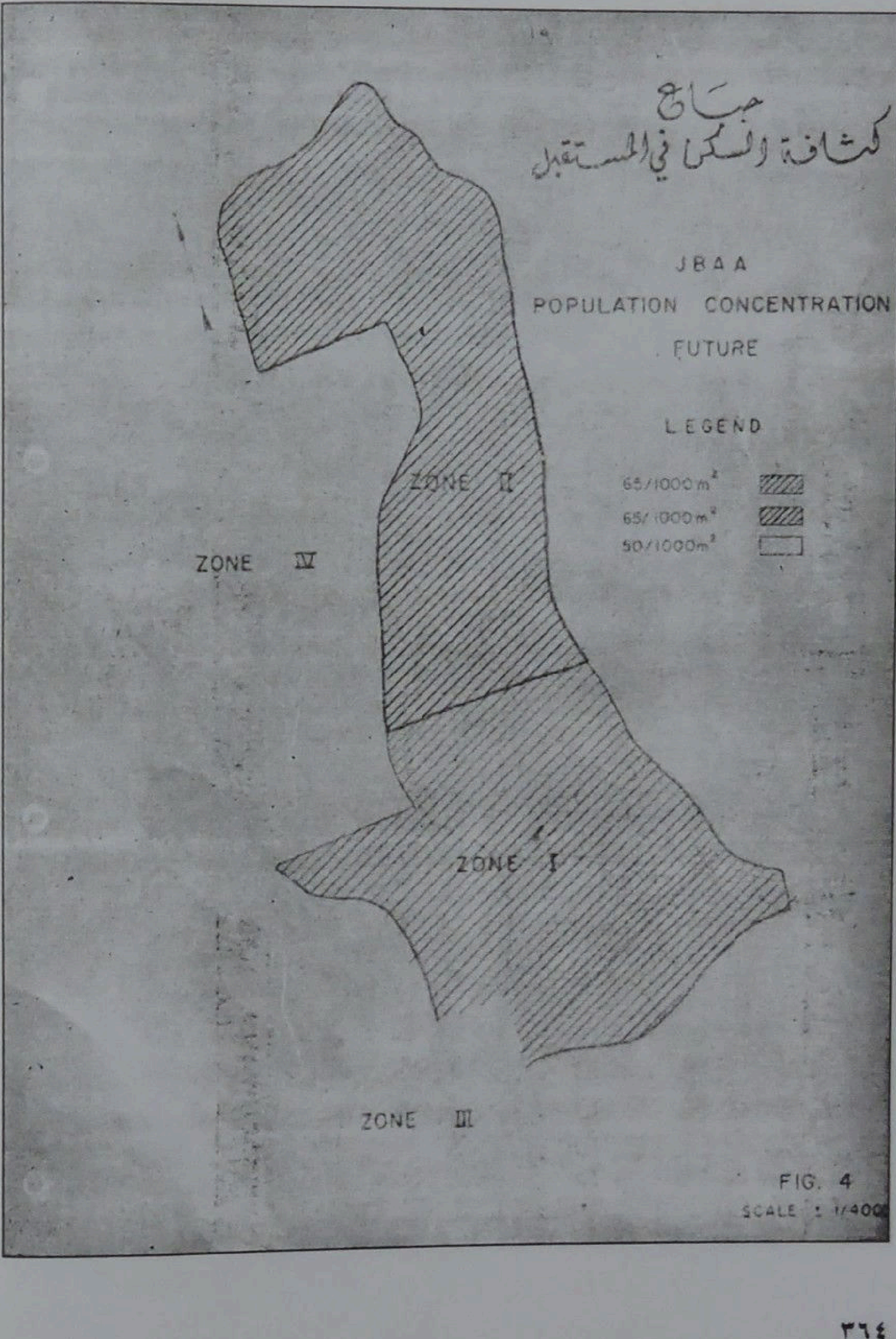
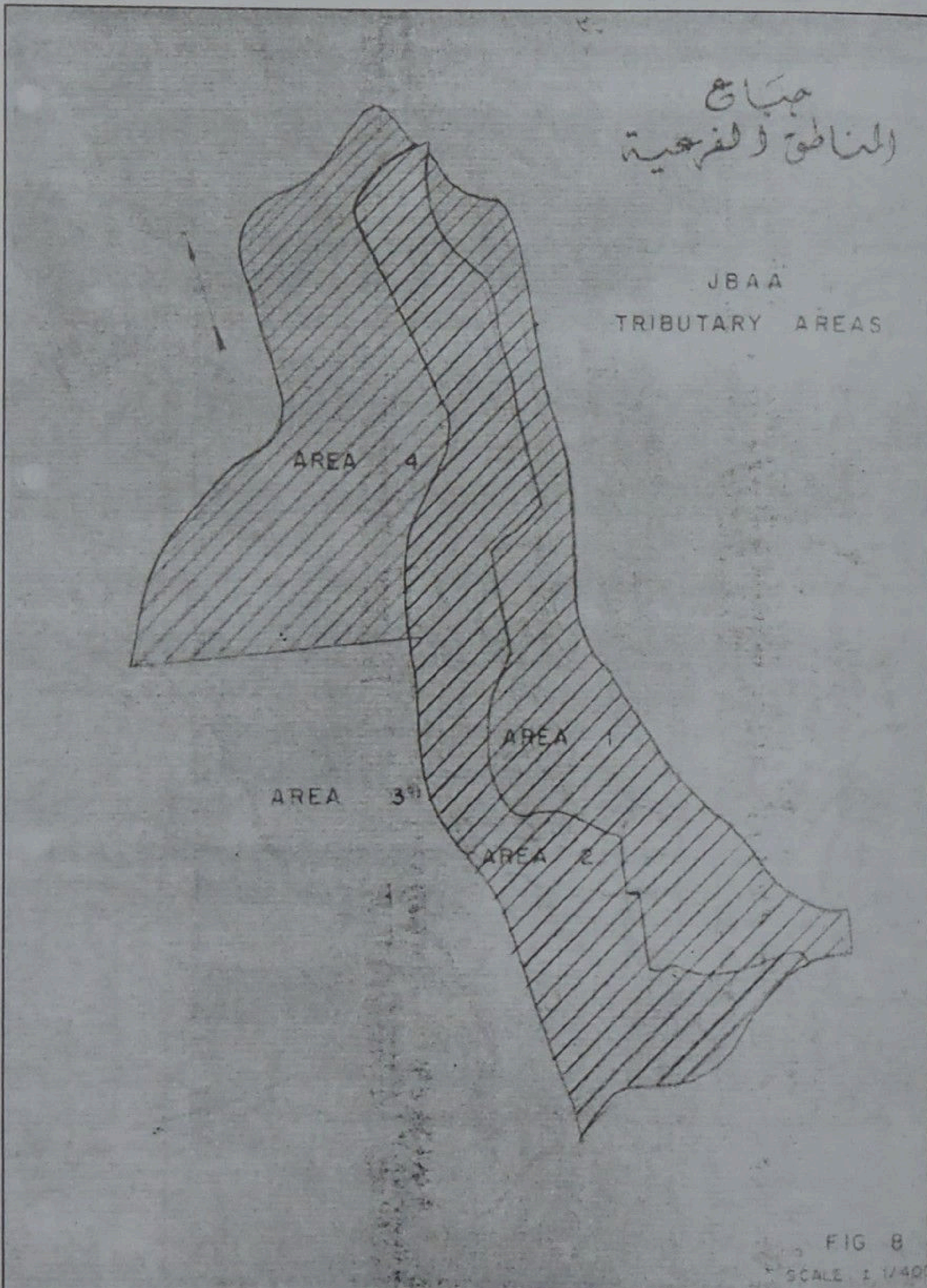
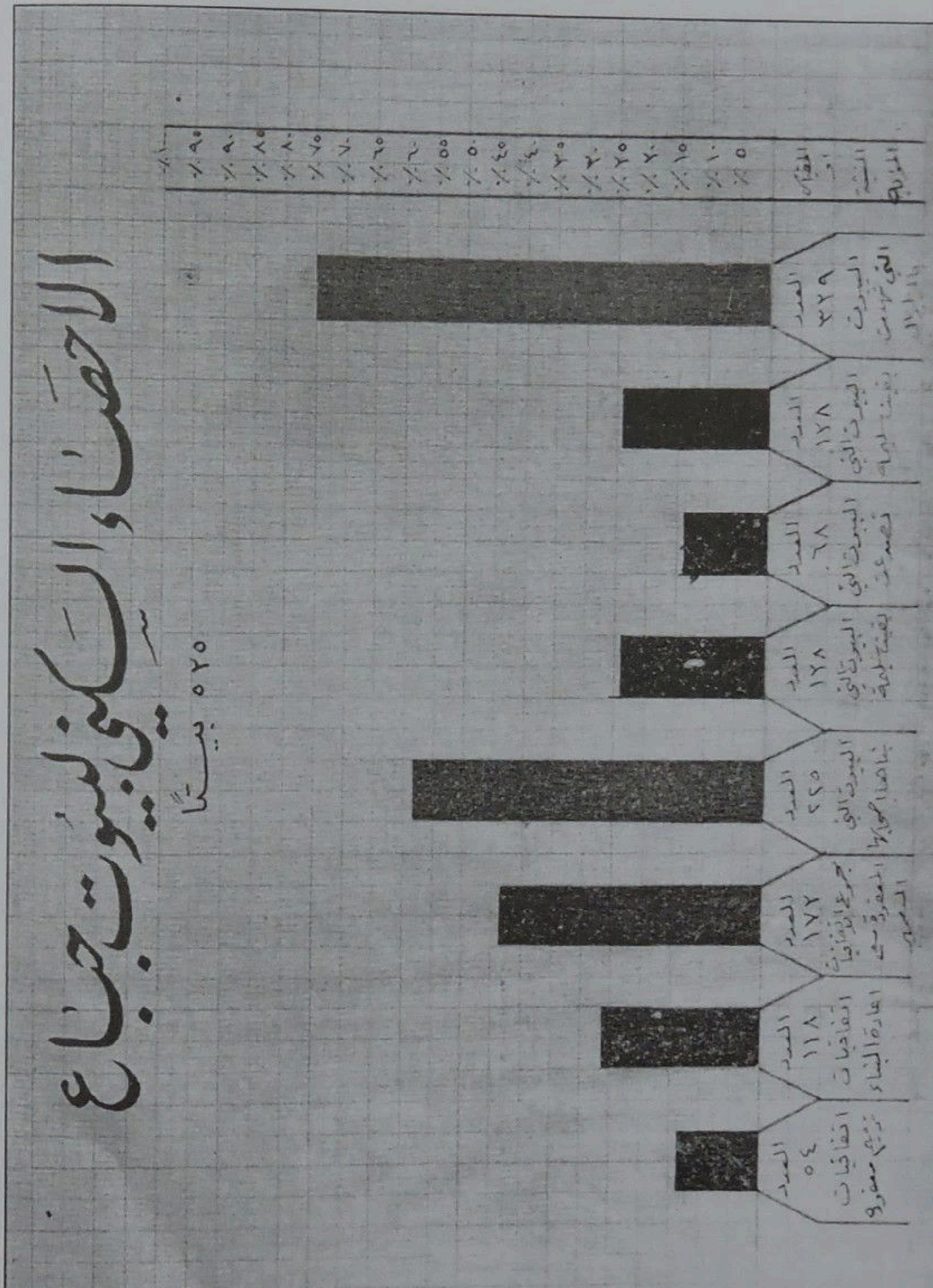
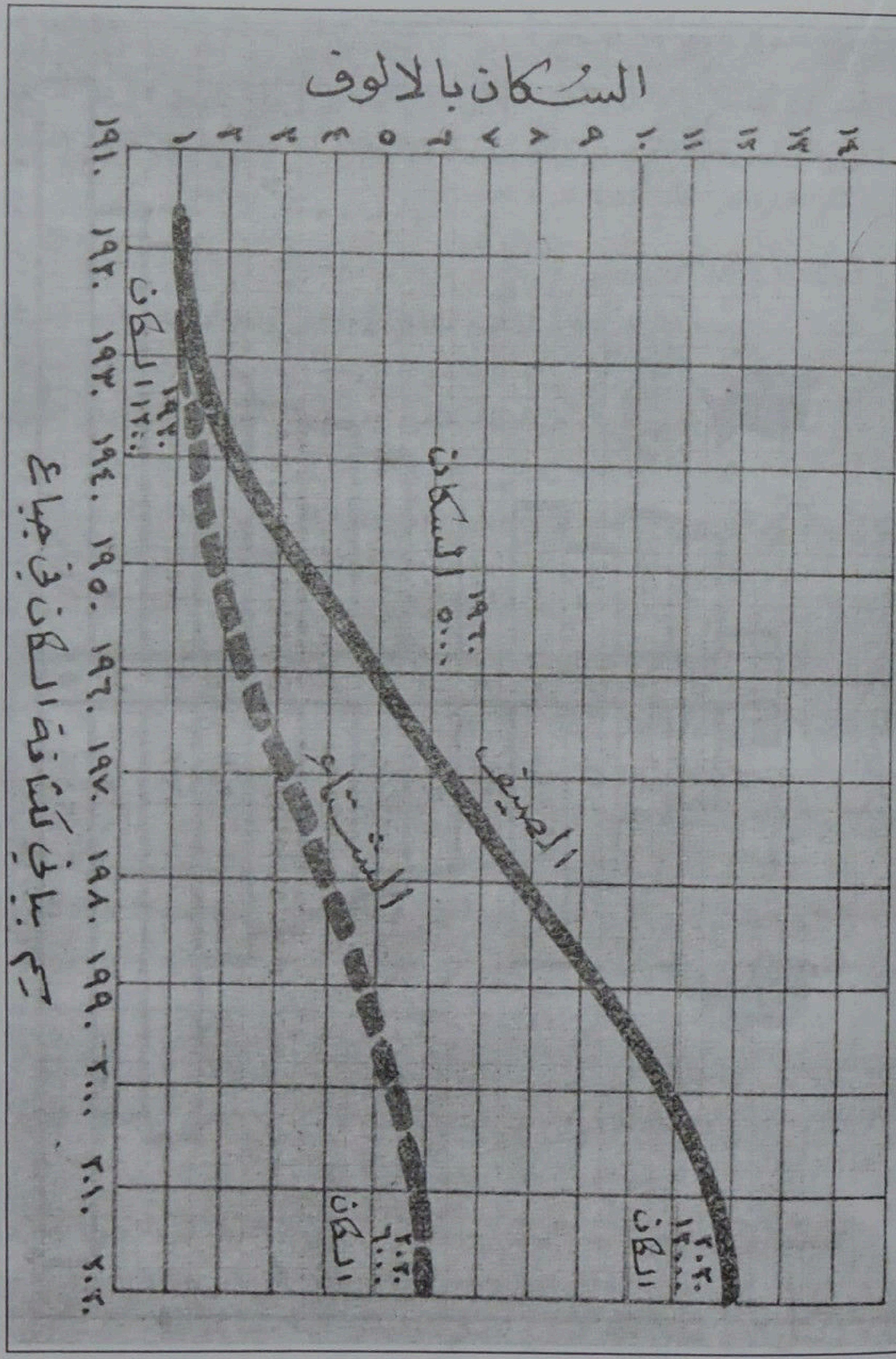
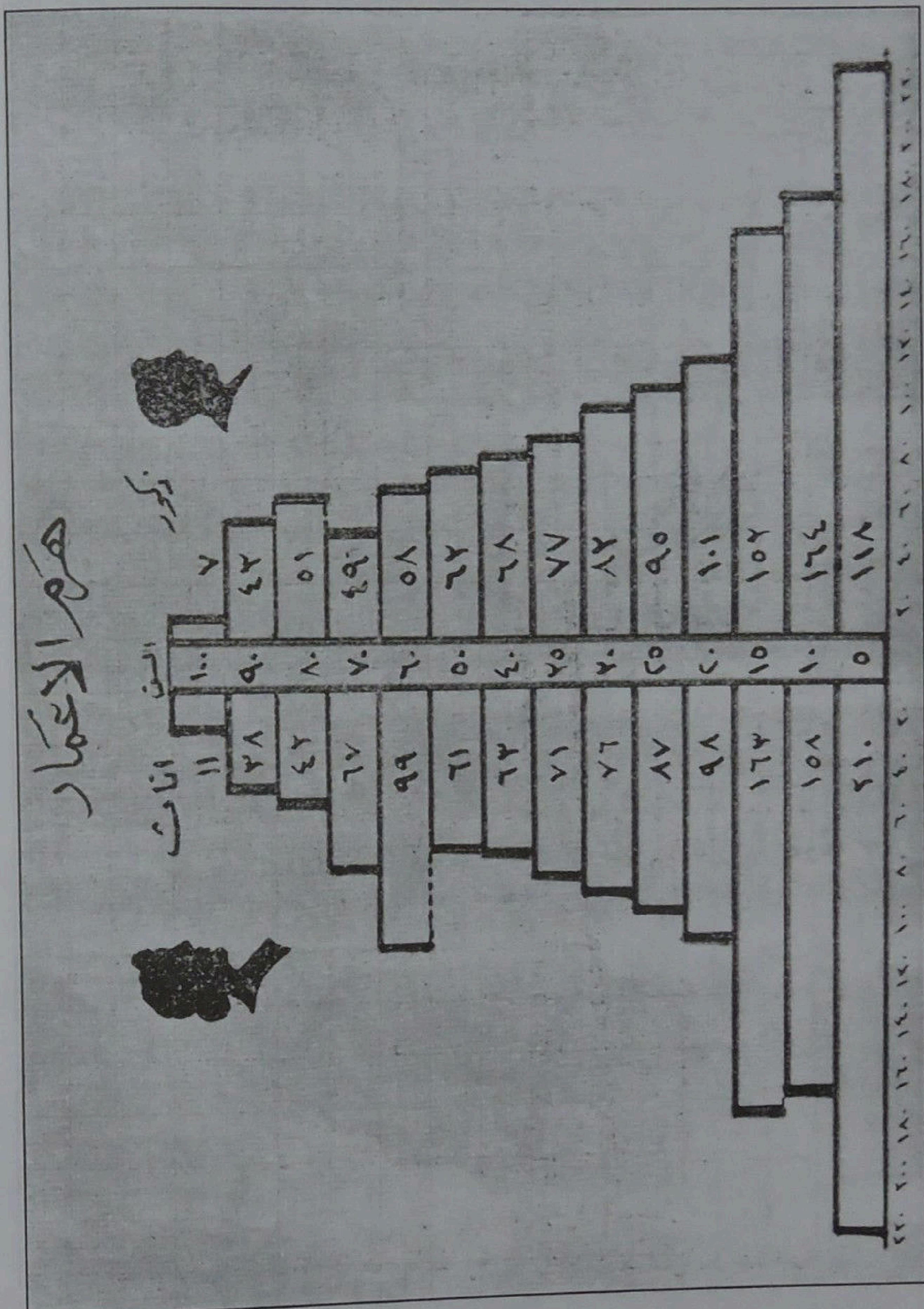


FIG. 4
SCALE : 1/400


جباع
المناطق الفرعية
JBAA
TRIBUTARY AREAS
AREA 4
AREA 1
AREA 3
AREA 2
FIG 8


الاحصاء السكاني لبيوت جباع
٥٢٥ بيتاً
العدد ٣٢٩
العدد ١٢٨
العدد ٦٨
العدد ١٢٨
العدد ٢٢٥
العدد ١٧٢
العدد ١١٨
العدد ٥٤


السكان بالالوف
١٩١٠
١٩٢٠
١٩٣٠
١٩٤٠
١٩٥٠
١٩٦٠
١٩٧٠
١٩٨٠
١٩٩٠
٢٠٠٠
٢٠١٠
٢٠٢٠
الصيف
الشتاء


هرم الأعمار
ذكور
إناث
السن

جباع تشترك بالمهرجان السياحي:

اشتركت بلدية جباع بالمهرجان السياحي الذي أقيم في النبطية بتاريخ ٢٣ أيار ١٩٦٥ وقد لاقى هذا المهرجان الاستحسان الكبير، وكسبت جباع فيه قصب السبق فنالت الجائزة الأولى، وهي عبارة عن كأس فضية كبيرة.

تاريخ جباع الزراعي:

ظلّت جباع هذه القرية الوادعة تخضع للنفوذ الإقطاعي ويملك ويتصرف بأراضيها الخصبة بضعة أشخاص حتى أواخر القرن الثاني عشر هجري، وكان أغلب سكانها من المزارعين الذين يعملون في أملاك هؤلاء الأشخاص. وفي مطلع القرن الثالث عشر هجري سرت بين سكان جباع فكرة الهجرة إلى القارة الأميركية فراح الشبان يغادرونها زرافات ووحداناً، والأكثرية الساحقة منهم توجهوا إلى (الأرجنتين) في أميركا الجنوبية. ولما جرى الإحصاء العام ١٩٣١ ميلادية تبين أن ما يزيد على «٧٠٠» شخص قد تركوا القرية إلى المهجر، واستمرت الهجرة على هذه الحالة إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى، ثم كسدت سوقها إلا ما ندر، واستعاض الشبان عن الهجرة بالنزوح إلى الداخل وخاصة إلى العاصمة اللبنانية بيروت طلباً للرزق. ولقد ساعدت هذه الهجرة الكثيرين على جمع الأموال التي مكنتهم من شراء الأراضي من الملاكين الكبار الذين أخذوا يبيعونها كونهم لم يجنوها بعرق جبينهم بل ورثوها عن أسلافهم فانطبق عليهم قول الشاعر:

ومن أخذ البلاد بدون حرب يهون عليه تسليم البلاد

واستمر الملاكون في بيع أراضيهم للمزارعين الصغار حتى وزّعت الملكية بهذه الطريقة وذابت الإقطاعية وتلاشت، وأصبح كل مواطن في جباع من أصحاب الأملاك، ومع مرور الزمن تقلصت الملكية الفردية بانتقالها إلى الوارثين وتوزيعها عليهم.

ولقد أدّت تجزئة الأراضي إلى مساحات صغيرة إلى بوار قسم كبير منها لإهمالها من قبل أصحابها باعتبارها قطعاً صغيرة لا تستحق الجهد والعمل، ولا نذهب بعيداً إذا قلنا بأن ٧٥٪ من أراضي جباع أضحى مهملاً بوراً.

كان أهالي جباع في العهد التركي يعتمدون على زراعة التوت لتربية «دودة الحرير» وإنتاج الشرانق، مما أكسب جباع شهرة واسعة في إنتاج هذا الصنف بعد «الدامور» وأصبح المورد الرئيسي الذي يعتمد عليه المزارع الجبعي، والجدير بالملاحظة أن جباع كانت تربي ما

يزيد على «٨٠٠» علبة بذر تنتج شرانقها ما لا يقل عن ٤٠ طناً من الحرير، وقدّر الدخل المتوسط للمزارع بين ٨٠ ـ ١٥٠ ليرة ذهبية في العام الواحد.

ومن المواسم الرئيسية التي كان يعتمد عليها المزارع الجبعي موسم العنب الذي كان يجود إجادة نادرة مما أدى إلى زيادة عدد معاصر العنب التي يستخرج منها «الدبس». ويروي الأقدمون بأن عدد المعاصر التي كانت في جباع قد بلغ «٦٠» معصرة، ما زال أكثرها قائماً حتى اليوم. وكان الدبس في تلك الأيام من المواد الأولية التي يعتمدها المزارع لتموينه، بالإضافة إلى التين المجفف، وذلك لندرة وجود الحلويات المعروفة اليوم من جهة، ولتعذر شرائها بسبب غلائها وقلة ما بيد المزارع لضيق الحالة الاقتصادية.

وفي عام ١٩٣٤ ميلادية أجرى اثنان من المواطنين الجبعيين تجربة فزرعوا بعض أغراس التفاح التي أعطت نتائج طيبة ومشجعة مما أهاب بمزارعي جباع إلى الإقبال على غرس أشجار التفاح بكثرة بالغة، حتى أنهم أخذوا يقلعون أشجار التوت بعد أن تدنى إنتاجها، ويغرسون في مكانها التفاح، وقد بلغ ما غرس ستين ألف غرسة، وما كادت هذه الأغراس تعطي أكلها حتى تدنت أسعار التفاح وأصبح الكيلو يباع في هذه الأيام بعشرين قرشاً.

ولقد أصبح التفاح اليوم من المواسم الرئيسية في جباع، ويليه العنب والزيتون والجوز والإجاص وحب الآس وبقية أنواع الفاكهة كالدراق والخوخ والسفرجل و... إلخ.

الإحصاء الاقتصادي للمرافق العامة

فندق ١ نزل ٢ مطعم ٣ مقهى ٤ مطعم ومقهى ٣ مطحنة ٢ معصرة زيتون ١ محل نجارة ١ محطة بنزين ١ محل حدادة ١ أفران ٣ محل بيع حديد وترابة ١ محل أدوات صحية ١ محلات جزارون ٥ محلات سمانة ومختلف ١٢ محل نوفوتيه ٢ موظفون في مختلف الدوائر الحكومية ١٥٧ موظفون مقيمون في جباع ٤٥ مستخدمو شركات ومحلات ٧.

صلوا على عين القبي وسلموا

في صيف عام ١٩٥٨ زارنا الشاعر الكبير الأستاذ المرحوم محمد علي الحوماني فطُلب منه أبيات شعر في وصف مصيف جباع فأرسل لنا هذه القصيدة العصماء من القاهرة عندما كان مقيماً فيها في ٢ كانون الثاني سنة ١٩٥٩:

الطير يصدح والنسيم يهينم … صلوا على عين القبي[1] وسلموا
يا حائرين على الفنون هنا هنا … قلمٌ يخط ومبسمٌ يترنمُ
حيّتك «يا جبعُ» الحياة وربما … حيّ الحياة جمالك المتبسمُ
في كل صدر منك نهدٌ ملهم … وبكل منعطف فمٌ يستلهمُ
قم يا «عليُّ» وطف بروحك أكؤساً … حمراً على أفواهنا تتحطمُ
طف بالكؤوس أهلةً دارت على … هالاتهنّ من السماء الأنجمُ
إن «المروءة» وهي فيك سجية … شاي يروق وقهوة تتحكمُ
لكائن من «جبع» الوضيئة مبسماً … أبداً على ثغر الصباح يتمتمُ
وكأن كل غلالة من سفحها … أفق بأحداق النجوم منمنمُ
وكأن «عين سوارها» راد الضحى … وجه بأقنعة الضباب ملثمُ
وكأن «صاف»[2] فوق درة تاجها … شيخ بأردية السحاب معممُ
شيخ أطلّ على الخليقة ناسكاً … يعظ الملائك وهو لا يتكلمُ
أحببت «يا جبع» الحبيبة فيك ما … تزهو به الدنيا وما تتوسمُ
وجننت بالتفاح فيك منوعاً … نهداً يُدغدغ أو خدوداً تلثمُ
آمنت بالعنب استوى بك فاستوى … في الحسن أبيض لونه والأسحمُ
ومورد الوجنات من ألوانه … كالفل خضّب عارضيه العندمُ

(١) عين القبي منتزه معروف ومشهور في مصيف جباع.
(٢) صاف يعني جبل صافي الذي يشرف على جباع وبرأس قمته مقام يقال له: النبي صافي.

أحببت «يا جبع» الحبيبة فيك ما ... تشقى به الدنيا وما تتنعمُ
أحببت فيك صنوبراً وسفرجلاً ... هذا يُشم وذا يُشم ويلثمُ
أحببت فيك الجوز أخضر قلبه ... يقق أرقُّ من الصباح وأنعمُ
يُضفي علينا ظله ويروقنا ... من جانبيه مفتق ومكممُ
أحببت فيك أحبة «كل امرىء» ... منهم بسلطان القلوب محكمُ
خلق كزهرك ناضر وبشاشة ... يهفو إليها كل من يتبسمُ
تتعهد الروّاد فيك فمعرقٌ ... قذف الهجر به وآخر مشئمُ
وردوا «قبيّ» وللسموم عليهم ... مثل الظلام كآبة وتجهمُ
وردوا على الماء الذي شخصت إلى ... ينبوعه يطأ الكواكب زمزمُ
أحببت فيك الدوح يغمر تينه ... من عسجد جسدُ ومن عسل فمُ
طلن الثريا وهو يطرق للثرى ... فكأنما هو بالحضيض متيمُ
أحببت فيك فم الصباح وللهوى ... في كل أفق من مجاجته دمُ
يستعبد الشعراء من ملكوته ... شعر أبرّ على الحياة وأكرمُ
أحببت فيك دم الشباب وحكمة ... حليَ الشيوخ بها فلم يتوسموا
أنى التفت رأيت أروع كلنا ... جار يلوذ به ولا يتبرّمُ
يا ساكني «جبع» ظمئنا بعدكم ... أفليس عند عيونكم من يرحمُ
«النيل» حول بيوتنا متدفق ... والوجد في أحشائنا يتضرمُ
بثوا مع النسمات برد حديثكم ... فالشعر إلا أن تقولوا أبكمُ

في صيف عام ١٩٥٨ أقام مصطافاً في جباع العلامة الشيخ معوض عوض إبراهيم مبعوث الأزهر للكلية الشرعية في بيروت وقد صادف وجوده أيام العشر من المحرم ذكرى الحسين عليه السلام، فكان يلقي المحاضرات في المسجد في موضوع استشهاد الحسين وينوّه بهذه الذكرى الأليمة ووجوب إقامتها دوماً لنتخذ منها عبرة وأمثولة تعلمنا معنى الاستشهاد ومقاومة الباطل أينما كان، غير أنه دعا إلى بطلان التمثيل الذي كان يُقام في جباع آنذاك لا سيما أولئك الذين كانوا يستعملون ضرب السيوف حتى تسيل دماؤهم، وقد ذهبنا برفقته إلى صور لمقابلة المرحوم سماحة السيد عبد الحسين شرف الدين الذي أنكر هذا التمثيل البشع وأعطانا فتوى رحمه الله بوجوب بطلانها ومحاربتها، وقد أبطلت من حينه. وقد راق للشيخ معوض أن تلقى دعوته تجاوباً من الجميع فنظم هذه الأبيات الشعرية في جباع:

لست أنسى

الربى الحانيات حول جباع والينابيع حلوة الإيقاع
«وأصيل» القبيّ مثل ضحاهُ يستثيران كل حين يراعي
«وأبو سوار» يغمر النفس بالأنس ويشفي مستعصي الأوجاع
أين يممت واجهتي رياض وغياض نديّة الإشعاع
وجبال خط الصنوبر فيها صحفاً من لطائف الإبداع
ومجال للدّين تستهدف التقريب من بعد فرقة ونزاع
واجتماع للشعر نسهم فيه مع صحب إلى الفنون سراع
إنها في جباع قرة عين ومتاع للروح أي متاع

❀ ❀ ❀

جمعتنا ذكرى الحسين وطابت ذكريات الحسين سبط المطاع
فمضينا نشق الحشية الجهل بنور اليقين والإقناع
ونجلي مغازي الطف للعبرة لا للنشيد والإسماع
واذدراف الدموع والضرب بالأسياف في غفلة ومحض ابتداع
أفيقتضي «التمثيل» حق حسين أين قومي من الصحيح المذاع

❀ ❀ ❀

بوركت همة الألى نصروا الدين وردوا عنه دواعي الضياع
وتممت جهدنا فتاواهم الغر وشاعت كالشمس مثل البقاع
ورأى الناس من تفاهمنا ما كان داعي أخوة واجتماع
من يُروي غرس الأخوة بالدين ويمكن بيننا حميد المساع
بعثرتنا حيناً أغاليط قوم فبدأنا اتحادنا في جباع

❀ ❀ ❀

لست أنسى عهداً أغرّ جميلاً فيك ما ينقضي يوم الوداع
ففؤادي إلى رحابك يهفو وادكار الرفاق أزكى طباع
وسنمضي غداً وتبقى قلوب عطفها إليكِ شتى الدواعي

معوض عوض إبراهيم

مبعوث الأزهر والكلية الشرعية ببيروت

من وحي الصيف

على عين القبي[1]

للأستاذ حسن الأمين

عين القبيّ يشوقني مرآكِ ... الروضُ والماء النمير حُلاكِ
أضفى عليك الصيف من سحر الهوى ... ألقاً وأبراد الجمال كساكِ
وجلاك في عرس الطبيعة غادةً ... زهراء للعينين حين جلاكِ
تزهو وهادك بالمروج نضيرة ... ويميس بالشجر الفضيض رباك
وإذا تنفست الصبا وتأرجت ... أعرافها فالمسك عرف صباك
يحلو على الحرجان صبحك مشرقاً ... ويطيب يا عين القبيّ مساك
وتشوق أرضك في الأصائل والضحى ... وتروق في الفلس البهيم سماك
ضاقت بي الدنيا على رحباتها ... ورأيت فسحة خاطري بفضاك
ودجا لي الدهر اللئيم فأشرقت ... نفسي الكئيبة في ظلام دُجاك
إني لتصبيني سفوحك غضّة ... وتثير فيّ الوجد خضر ذراك
(صافي) على التلعات أشرف طالعاً ... وأطل مثل البدر في الأفلاك
وبدت حواليه الحراج كأنها ... في الذروتين مواكب النساك
غنيتني شدو الرعاة فهاجني ... لأحبتي النائين رجع غناك
ونشقت أعراف الصبابة والهوى ... لمّا نشقت على التلال هواك
ومشت مهاك على الطريق فلم تكن ... تسلي الفؤاد عن الحبيب مهاك
مثل الملائك قد خطرن وراعني ... أن لستُ أبصر بينهنّ ملاك

❁ ❁ ❁

أأحبة القلب المعذب يشتكي ... هذا الفؤاد المستهام نواك
فلقد ذكرتك في القبيّ فهزّني ... شوق وهاج صبابتي ذكراك
وتجهّمت في ناظريّ مشاهد ... كانت تطل بوجهها الضحاك
ما أوحش الدنيا إذا لم نلتق ... فيها ولم تأخذ يديَّ يداك
لا السفح يحلو للعيون ولا الرُّبى ... تزهو بناضر زهرها لولاك

(1) نبع ماء في مصيف جباع.

لا الماء يعذبُ للمشوق ولا الطلى تصفو مشاربها لقلب شاك
ذُكر الحبيب على القبيّ فما رأى إلا جمالك في الربى وبهاك
في كل مائسة وكل نضيرة شبه لقدك مائساً وصباك
وتضوَّع الوادي النضير كأنما في السفح والوادي النضير شذاك
وتألقت فيه الرياض زواهراً حتى كأن على الرياض سناك
وتجاوب الأطيار في أفنانها نغمات صوتك أو حديث هواك
ولقد شربت من القبيّ فلم يكن يطفي غليل القلب غير لماك
ما كان أعذب مجلسي وألذّه لو قابلت عيني به عيناك
أو كنت في شط الغدير مقبّلاً خديك كالورد النضير وفاك
مُتع الحياة وما بها من لذةٍ في الأرض حيث ترينني وأراك
أأحبة القلب المعذب في الهوى كل القلوب الخافقات فداك
أغريتني بالورد عبّاق الشذى ورجعت دامي القلب بالأشواك
يرجو المحبون اللقاء ولم أكن أرجو على مرِّ الزمان لقاك
عين القبيّ وفي الفؤاد من الهوى كل القلوب الخافقات فداك
خلّفت آكام (الرويس) وحطني بظلالك الغنّاء وجدُ ذاك
وتركت دنيا الناس تزخر بالأسى ولجأت من همي إلى دنياك

زار الشاعر السيد عبد الرؤوف الأمين جباع فأوحت إليه هذه الأبيات على صعوبة القافية وندرتها:

جُبع توسطت الجمال وكل جوهرة وسط
هي نقطة في جيمه والحرف زُيِّن بالنقط
يا جنة في أرضها عِقد الجُمانِ قد انفرط
سبحان من أضفى الجما ل على رباك وما غمط
نمط من الحسن المجسد لا يُعادله نمط
للأرض قد نزلت من الفر دوس لكن بالغلط
أنهارها تعلو الهضا ب وبعد لأي تنبسط
تجري كذوق من لجين على ربيع مختلط
يا حبذا زهر بروضك إن تماسك أو سقط
والصبح فيك إذا اعتلى والليل فيك إذا هبط

فتنُ العيون تجمّعت بربـاك يا جبع فقط
رسم الإله جمالها خطاً ووشّحه بخط
وجبالها الخضراء تز خرَ بالجمال وتغتبط
وعلى القبيّ مفاتن ما حاد عنها الحسن قط
تستمتع الأبصار فيه بين كثبان وشط
هما درتان تآختا دهراً وضمهما سفط
بدمشق تزهو غوطةُ ورباك تزهو بالغوط
يشفي العليل نسيم صبحك إن تنفس أو نشط
حسب الحقيقة أن تُقال فلا غلو ولا شطط
شيبتِ ناصية الزمان وشيب روضك ما وخط
أين الغزاة وعهدهم والعرب قومكِ والنبط
نزلوا سريعاً من عل كالطير قد علّى وحط
وبقيتِ شامخةً على الأيام في أبهى خطط

فتى الجبل

في أوائل صيف عام ١٩٦٤ شرفنا بزيارته سيادة الأب (المطران) كريكوار حداد فقدم لنا هذه الأبيات من نظمه:

جباع يا أنشودة الجمال والخير والإصلاح والانفتاح
بوركتِ في مسعى حثيث النضال سبّاقة خلاقة في الصلاح
فجّرت من محل خصيب التلال ومن ظلام الجهل نور الصباح
فمبدأ الإنعاش حطّ الرحال في ساحك الخضر وحاز الفلاح
وشيّد الأبناء فيكِ المثال بأن في الإيمان أسمى نجاح
فكلما عزّ وشطّ المنال كانت قوى الإيمان أمضى سلاح
ألا ازرعوا هذي الربى والجبال أمناً وحباً وهدى وسماح
وغمرات من عميق الخصال تأصّلت على المبادىء الصحاح
برنامج الإنماء هذا الكمال برنامج الإصلاح هذا الصلاح

ومن قصيدة للشيخ محيي الدين المحمد قالها جواباً لمن فاخر بالعراق ونخيلها على جباع:

إذا كنت تبغي أن تعيش منعّماً وترى الجنان إلى جباع يمما
هي جنة الدنيا فلستُ مبالغاً فيها سناء الخلد صار مجسّما
فيها ثلاث مئين ينبوعاً جرت وأضف لها ستين ينبوع لما
منها العيون السبع طاب معينها (للعذبة الزرقاء) فضلٌ قد سما
(وعيون عين أبي السوار) لبردها قد فارقت فيها السوار المعصما
وكذاك في (عين الزناد) وأختها (عسلاً) تسيل صفت وطابت مطعماً
(وبعين رأس العين) بتُّ مولهاً «وبعين عرضان» غدوت متيما
وأجلها «عين القبيّ» فماؤها عذب فرات سائغ يروي الظما
عن كل ينبوع فإني عاجز في وصفها لا أستطيع تكلما
لجميعها فضلٌ جليل قد غدا «فيها المغارة» «والبسيس» مسلما
فرياضها مخضرة طابت جناً والبلبل الصداح زاد ترنما
أشجارها أثمارها أنواعها أنبيك عنها إن تكن مستفهما
تفاحها إجَاصها أعنابها والخوخ في أنواعها فيها نما

❀ ❀ ❀

لمقام صافي منظر تصبو له مهج يرى فيه الجريح البلسما
لا تعد عيناك المناظر والربى إن هبّ ريح في الرياض ونسما
فيضوع نشر الطيب من أزهارها فتخاله مسكاً يفوح مهينما

ومن قصيدة للأديب التقي البغدادي:

البر منبسط ومتّسعُ واليمُّ مصطخب ومندفعُ
حلّقت يا جبعُ به فبدت من تحتك الغيطان واليفع
عقباتك الكأداء ماثلة هي سلم في الجو مرتفع
تبدو الجواري منك ماخرة وتمرّ قد نشرت لها الشرع
بحران من قمم ومن لجج يتلاقيان لديك يا جبع
الموج أمواه بذاك وذا من موجة الهضبات والضيع
حيّتك من صيداء قلعتها فتشوقت وبجيدها تلع
وعلى الجبال تطاولت قببٌ ترنو إليك واتلعت بيع
لله من بقع خصصت بها ما في الجنان كمثلها بقع

جز «بالقبيّ» عشية وضحى — فعلى «القبيّ» لذي الهوى متع
«صافي» مطلٌّ في سوامقه — بالسحب والأدغال ملتفع
والبحر رهو والربى بسطت — بسط الأكف كأنها ترع
وادٍ وأطيار مهيمنة — ورياض حسن كلها بدع

مراجع الكتاب

اسم الكتاب	اسم المؤلف
الأعلام،	للزركلي.
أعيان الشيعة،	السيد محسن الأمين.
الأغاني،	الأصفهاني.
أمل الأمل في علماء جبل عامل،	الحر العاملي.
تاج العروس،	للزبيدي.
تاريخ أحمد باشا الجزّار،	الأمير حيدر أحمد شهاب.
تاريخ جبل عامل،	الأستاذ محمد جابر.
تاريخ علم الفلك في العراق،	الأستاذ عباس الغزاوي.
تراث العرب العلمي،	قدري حافظ طوقان.
الحركات في لبنان،	أبو شقرا.
الحركة الفكرية في جبل عامل،	الأستاذ محمد كاظم مكي.
خطط جبل عامل،	السيد محسن الأمين.
خلاصة الأثر،	محمد المحبي.
دائرة المعارف،	بطرس البستاني.
الذريعة إلى تصانيف الشيعة،	آغا بزرك الطهراني.
روضات الجنّات،	محمد باقر الخوانساري.
ريحانة الألبّاء،	شهاب الدين الخفاجي.
سجع البلابل،	شهاب الدين المرعشي.

اسم الكتاب	اسم المؤلف
سفينة البحار،	الشيخ عباس القمي.
سلافة العصر،	ابن معصوم.
شهداء الفضيلة،	الشيخ عبد الحسين الأميني.
صبح الأعشى،	القلقشندي.
طبقات أعلام الشيعة،	آغا بزرك الطهراني.
الغدير،	عبد الحسين الأميني.
فلاسفة الشيعة،	الشيخ عبد الله نعمة.
الفوائد الرضوية،	الشيخ عباس القمي.
الكشكول،	بهاء الدين العاملي.
كشكول،	يوسف البحراني.
لبنان في التاريخ،	الدكتور فيليب حتي.
الكنى والألقاب،	الشيخ عباس القرشي.
لؤلؤة البحرين،	الشيخ يوسف البحريني.
مجلة الدراسات الأدبية،	الأستاذ حسن الأمين.
مجلة العرفان،	الشيخ عارف الزين.
محاضرات الندوة،	السيد موسى الصدر.
مستدرك الوسائل،	العلاّمة النوري.
مصفى المقال،	آغا بزرك الطهراني.
مع التاريخ العاملي،	الشيخ علي الزين.
معجم المطبوعات،	سركيس.
معجم المؤلفين،	عمر رضا كحالة.
يوميّات في لبنان،	ادوارد روبنسون.

وهناك مراجع كثيرة أشرنا إليها في مواضعها.

فهرس الموضوعات

الفصل الأول:

العهد الأول من تاريخ جُبَاع

الفصل الثاني: الحوادث والكوارث ألتي جرت على جبع في عهد الإقطاع ١١٦٣هـ - ١٧٥٠م

الفصل الثالث:

العهد الثاني من تاريخ جُبَاع

الفصل الرابع:

جُبَاع في العهد الحَاضر

الفهارس

نبذة عن المؤلّف

ولد الشيخ علي مروة سنة ١٩٠٦ من أسرة عريقة تمتد جذورها على امتداد قرى وبلاد جبل عامل في الجنوب اللبناني. وكان والده الشيخ عبد الله مروة الملقب «بالخجا» من كبار الملاكين في جباع وجوارها، ونظراً للظروف الصعبة التي عرفها أبناء جبل عامل إبان الحرب العالمية الأولى، اضطر الشيخ عبد الله أن يرسل أنجاله الثلاثة إلى ساحل العاج في إفريقيا، لإنقاذهم من نظام «السخرة» الذي كان يعتمده الأتراك في حينه للتجنيد بالقوة، خصوصاً وأن الأسرة كانت قد فقدت مجموعة من الشباب الذين صادرهم الجيش التركي ولم يعرف عن مصيرهم شيء حتى هذا التاريخ.

في إفريقيا، عمل الشيخ علي مروة في التجارة وكان في الواقع يهوى الشعر والأدب فما أن وضعت الحرب أوزارها، حتى عاد إلى الوطن مزوداً بمخزون ثقافي وحضاري اكتسبه من خلال سفراته المتكررة إلى فرنسا حيث استطاع أن يواكب التطور الحضاري الغربي، وسنرى فيما بعد كيف انعكس هذا الوعي الثقافي والحضاري على نشاطاته الاجتماعية والسياسية.

بعد عودته إلى لبنان، قرر العمل في الزراعة فاشترى مساحة واسعة من الأراضي الزراعية وعمل على استصلاحها حتى أتيحت أول فرصة لانتخابات بلدية ديمقراطية في جباع سنة ١٩٥٢ فقرر أن يكرس حياته للعمل من خلال تولي رئاسة البلدية التي استمر في ولايتها حتى وفاته سنة ١٩٨٠ أي قرابة ثلاثين عاماً كانت حافلة بالإنجازات العمرانية والاجتماعية حتى ذاع صيته في الجنوب وامتد إلى الوطن كله من خلال قيامه بنشاطات اجتماعية واسعة محلية ووطنية كان آخرها مشاركته الفعالة في تأسيس الحركة الاجتماعية حيث استحق بفضل هذه النشاطات وسام الأرز الوطني وجائزة سعيد عقل الشهرية المعروفة ناهيك عن استحقاقات كبيرة أخرى لا مجال لذكرها.

في بداية نشاطه السياسي في جباع أيقن علي مروة أن العمل العام يقتضي التعاون مع جميع أبناء بلدته المقيمين فيها أو في العاصمة بيروت (وكان عددهم غير قليل ولهم جمعية ناشطة هي جمعية البر والإحسان الإسلامية لأبناء جباع) وطوال حياته التي شهدت الكثير من النضال الشاق والعمل الدؤوب ظل يتمسك بتحالفه الوثيق مع قيادات هذه الجمعية ولا سيما المرحومين حسين حديب وعلي جزيني والمهندس علي تقي الدين أمد الله في عمره حتى صار معروفاً بتحالف «علي وعلي وعلي» كنموذج للتعاون المخلص الذي ساعد على نقل

جباع من قرية مهملة إلى نموذج يحتذى للنمو والازدهار القروي في لبنان والعالم العربي.

عندما تسلم علي مروة بلدية جباع كانت قرية صغيرة رهينة الاقطاع والتخلف والجهل والظلام، فأول ما بادر إلى عمله هو السعي لتأمين الكهرباء وإعادة تأهيل المدرسة الرسمية. وهذا ما أنجزه خلال السنة الأولى من نشاطه حيث ابتاع للبلدية مولدين كهربائيين. واحد للتشغيل وثان للطوارئ ما لبثت البلدة أن أصبحت بحاجة إلى تشغيل المولدين نظراً للنمو السريع الذي شهدته.

ولعل أبرز إنجازاته هو نجاحه في تعزيز المدرسة الرسمية بحيث باتت قدوة على امتداد لبنان من خلال التجهيزت والدعم اللامحدود الذي كان يوفره لإدارتها التي تولاها الأستاذ أنطوان أبي سمرة الذي كان مربياً نموذجياً يتمتع بكفاءات وقدرات تربوية واجتماعية عالية مما ساهم في تخريج أجيال متعاقبة من الشباب المحصنين بالعلم والذين شقوا طريقهم لاحقاً في مختلف حقول المعرفة والنشاطات التي أغنت البلدة برصيد بشري يؤهلها للانتعاش الاجتماعي والحضاري.

ولعل من أبرز معالم تلك المرحلة، أن الشيخ علي مروة، من خلال جرأته وإصرارة على ما كان يعتقده الصواب، نجح في تأمين التعليم المختلط للإناث والذكور عام ١٩٥٥ وعلى امتداد السنوات التعليمية ولم يكن تحقيق هذا الأمر، بالبساطة التي يبدو بها اليوم، وإنما تطلب ذلك نضالاً مريراً ومواجهات محتدمة مع قوى الجهل في حينه والتي كانت تسد مناطق الجنوب. ولكنه استطاع بكفاحه واتصالاته وبفضل مكانته المرموقة، أن يحقق هذا الإنجاز الذي كان رائده على امتداد جبل عامل حيث مهد الطريق لاعتماد نظام الاختلاط في التعليم الرسمي.

وبالمقابل، ومن خلال، إيمانه العميق ومعرفته بأحوال مواطنيه وأبناء بلدته، عمل على إعادة بناء «جامع الواطه» على النحو الذي يليق بالمكانة الدينية التي كانت جباع تمثلها كمركز للعلماء.

وإلى جانب الجامع العصري، عمل على بناء النادي الحسيني، الذي صار اليوم ظاهرة مألوفة في بلاد جبل عامل، ولكنه كان الأسبق إلى تبني هذه الفكرة التي انطلقت من ضرورة وجود مكان عام يجتمع فيه أهالي البلدة في السراء والضراء. وتعكس بالتالي الوجه الإنساني والحضاري للسكان. وقد استعان لهذه الغاية بمساعدات وتبرعات أبناء البلدة وأهل الخير، كما أنشاء المركز الصحي الاجتماعي بالتعاون مع جمعية البر والإحسان. وحتى يكون لهذا المشروع بعد إنساني، واجتماعي، استعان على تنفيذه، بإدارة مخيم العمل التطوعي الدولي ومقره في جنيف، الذي أرسل ما يزيد على ثلاثين شابة وشاباً من مختلف أنحاء العالم، وبدأوا في حفر الأساسات وتجهيز البناء وسط تعجب واستغراب الكثير من أبناء البلدة والجوار وكان الهدف الأساسي من هذه العملية هو توفير الحوافز الاجتماعية، ومن ثَمّ خلق

«صحوة» مدنية بين أوساط الشباب للتعاون على عمل الخير وحب المساعدة. وبسبب نجاح هذه التجربة، أعيد تكرارها مع المؤسسة الدولية نفسها، لبناء مسلخ للذبائح لا يزال يعمل حتى اليوم وكان سباقاً في هذه الفكرة في مختلف أنحاء الجنوب.

وعندما ضرب الزلزال البلدة سنة ١٩٥٦ تهدم عدد كبير من منازل سكانها، فبذل علي مروة كل طاقاته، لبناء بيوت بديلة للمنكوبين واختار لذلك موقعاً محاذياً في منطقة المرجة وقد ساعدت هذه النكبة على فتح الشوارع وفقاً للتخطيط الذي أعدته البلدية لهذه الغاية قبل الزلزال.

كان علي مروة، رائداً سابقاً لعصره، كرس حياته وقدراته العقلية والمادية، لتطوير جباع وإنمائها، وكان يتمتع برؤية مستقبلية توافرت له من خلال أسفاره المتكررة عبر أوروبا ومطالعاته الكثيرة في المراجع الفرنسية والعربية، لذلك فقد عمل على تحريج جبل «الميده» الذي يمتد على مساحة شاسعة بالصنوبر وهدفه في ذلك إضفاء النضارة على بلدته التي عمل على تزيين شوارعها ومداخلها بأشجار الزينة الباسقة التي تظللها إلى اليوم والزهور على أنواعها وأقام محمية طبيعية أصبحت اليوم غابة من شجر السنديان وكان قد أنجز قبيل وفاته مشروعاً متكاملاً لشبكة مجارير حديثة كما كان قد عمل على حفر مياه «عكيتا» للشرب والري وأقام عدة معارض زراعية.

لقد كان همه الأساسي بناء الإنسان في جباع، فعمل على تجهيز مكتبة عامة ذاع صيتها وكانت مقصد الباحثين من الجامعيين والأكاديميين ورواد المعرفة.

وشغف علي مروة بالثقافة والآداب كان بلا حدود ففي أوراقه المبعثرة، هناك مراسلات شعرية كثيرة مدونة في مذكراته في إفريقيا حتى أنه كثيراً ما كان يخلط بين الشعر والتجارة في معاملاته مع التجار الآخرين. ولذلك فقد كانت تربطه علاقات وطيدة مع عدد من شعراء عصره أمثال المرحوم موسى الزين شرارة والشاعر عبد الحسين العبد الله والأديب المؤرّخ حسن الزين ومحمد علي الحوماني والسيد علي إبراهيم وغيرهم الكثير من الأصدقاء الذين كانوا يترددون إلى جباع ويعقد معهم جلسات وأمسيات ممتعة من المبادلات الشعرية.

وقد دفعه ولعه بالشعر إلى صرف آخر سنوات حياته في إعداد موسوعة الأدب الضاحك التي أصدرها أنجاله بعد وفاته وهي تتألف من تسعة مجلدات، كما عمل على توثيق «تاريخ جباع» في كتاب نفدت طبعته. وأصدر كتاباً عن التشيع بين جبل عامل وإيران يوثق فيه لمرحلة هامة من تاريخ جبل عامل ودور علمائه التاريخي.

كانت العلاقة بين علي مروة وأهالي بلدته جباع مبنية على الود والتعاون، وكان دائماً يرى في أبناء بلدته السند القوي والمعين لكل الإنجازات التي أعانه الله على تحقيقها وقد تميزت هذا العلاقة بالوفاء المتبادل.

تاريخ جباع

جباع هذه الكلمة التي يتجاوز معناها بضع كيلومترات من الأرض، هل تستحق كتابة تاريخ؟!!

والتاريخ، اعتراف بتأثير الشيء أو عطائه لأوضاع الإنسان كل إنسان، وشهادة حق مقبولة أمام العالم، كل العالم؛ جباع هذه، هل تستحق كتابة تاريخ؟

إن تاريخ جباع، جزء أساسي من تاريخ الشّرق المُشرق وإنّ ما قدمه الشرق المؤمن الوفي، للعالم المعاصر المجاهد، من تراث كبير، لا يستغني عن دور جباع الأصلي.

فجباع، خالدة بخلود الدين الإسلامي ومذهب آل الرسول عليهم السلام.

وجباع، تعيش مع الحضارات الإنسانية الحقّة

وجباع، تؤرخ مع القيم والمثل، والشرف الرفيع الناهد إلى الخلود.

وجباع، صفحات مشرقات في تاريخ لبنان!!

العلامة الإمام السيد موسى الصدر

ISBN 978-614-404-151-2